

تَفْسِيرُ الْبَكْرِيِّ

ابنُ الإسلامِ أبي الحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْقَاسِمِيِّ الْبَكْرِيِّ
المتوفى ٥٩٥ هـ

تحقيقه وتخرجه وتعليقه
ابنُ أحمدَ فريدَ المزيدي

المجلد الأول

من أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة الأنفال

دار الكتب العلمية

DKi

بيروت - لبنان

جنة السنة

تفسير البكري

شيخ الإسلام أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الصدّيق البكري
المتوفى ٩٥٢ هـ

تحقيقه وتصحيحه وتعليقه
شيخ أحمد فرید المزيدي

المجموعة الأولى

من أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة الأنفال



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

DKI

أسستها وأشرف عليها محمد باقر باقر
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title : TAFSİR AL-BAKRI

الكتاب : تفسير البكري

Classification: Exegesis of The Qur'an

التصنيف : تفسير قرآن

Author : Al-šayḥ Muḥammad ben Muḥammad al-Bakri : المؤلف : شيخ الإسلام أبو الحسن محمد بن محمد البكري

Editor : Al-šayḥ Aḥmad Farid al-Mizyadi : المحقق : الشيخ أحمد فريد المزيدي

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah : الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Pages : 1504 (3 volumes) : عدد الصفحات : 1504 (3 أجزاء)

Size : 17*24 : قياس الصفحات : 17*24

Year : 2010 : سنة الطباعة : 2010

Printed in : Lebanon : بلد الطباعة : لبنان

Edition : 1st : الطبعة : الأولى (لبنان)



DKi
Dar Al-Kotob
Al-Ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1871 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عمرون، النقبه ميني دار الكتب العلمية
هاتف: +961 5 804810/11/12
فاكس: +961 5 804813
ص.ب: 11-9424 بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت 11072290

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.



ISBN 978-2-7451-6394-3

ISBN 2-7451-6394-9

9 782745 163943

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقامة النقيب

الحمد لله الذي أنار بكلامه قلوب أولي الألباب؛ ليصروا به مع عقولهم طريق الصواب يفصل لنا ظاهره من الأقوال والأعمال وباطنه من الاعتقادات والأخلاق والمقامات والأحوال، فيحل عنها قيود النقائص لتسرع إلى غاية الكمال، وجعل شمسها بحيث يحتملها أبصارهم بأن حجبها بمظاهرها من الكلمات والآيات؛ فكانت غيومًا ممطرة يخرج ما فيها كالنباتات من جمعها لما في الملك والملكوت بفتح أبواب الرحموت؛ فيتفجر بها ينابيع الأسرار ثم تصير بحارًا من الأنوار ممتلئة بأنواع الجواهر الكبار، من خاضها نال الكبريت الأحمر من المعارف المقلبة إلى نفائس الصفات، واستخرج الياقوت الأحمر من معرفة ذاته سبحانه وتعالى والأكهب من معرفة صفاته الكاملات، والأصفر من معرفة أفعاله في الكائنات، والدر الأزهر من التزكية والتحلية التي هي الصراط المستقيم. والزبرجد الأخضر من معرفة أحوال السعداء والأشقياء يوم رجوعهم إلى العزيز الحكيم. وعن ساح بسواحلها النقط العنبر والعود من معرفة إحراقه الفجار بالنار ذات الوقود يصعد منه دخان الخوف إلى القلوب؛ فتستريح بالرغبة في علام الغيوب ومن تغلغل في جزائرها استبرز من حيواناتها ترياق الحجج والبيئات؛ لدفع سموم الشبه المهلكات، والمسك الأذفر من معرفة الأحكام الفرعية الناشرة طيب الذكر في الأمصار والفلوات.

والصلاة على المخصوص بأعلى الكتب وأجلاها وأجمعها وأحلاها المعجز لمن بلغ في البلاغة غايتها، وفي العداوة متنها ممن اجتمع ببلاده أكثر من حصا البطحاء ورمال الدهناء، وتفرق في الآفاق منهم ومن سائر الفضلاء حتى أعرضوا عن المعارضة بالحروف إلى المقارعة بالسيوف؛ فاحتملوا بذل المهج فلم يعارض إلى مدة ثمانمائة وإحدى وثلاثين من الحجج إلا معارضة ركيكة هي ضحكة للناظرين، ومنهم من تعلل بأنه سحر مبين مع أن المعجزة القولية لا مجال لتوهم السحر فيها ولا سبيل

لأسبابه إليها مع أنها في جميع وجوه الهداية بلغت أقصى الغاية وأشارت إلى ما لا يتناهى من فوائد العلوم المهمة في باب الديانة؛ فأقامت من الحجج ورفع الشبه ما عجز عنه أهل الملل والفلسفة، وقد اعترف بفضله من يعتد به منهم وشهد له كتب من تقدم من المرسلين، ولذلك ظهر دينه على كل دين وكان علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل في فتح أبواب اليقين، ونصب كل سلطان ميين وكثر أولياء أمته بالكرامات التي هي كمعجزات الأولين، وقد أعطى منها ما سبق به السابقين فخرج الماء من الأصابع أغرب من خروجه من الحجر وشق البحر دون شق القمر والبراق الرافع إلى ما فوق السماوات بليلة مع الرجوع قبل الفجر أجل من ريح غدوّها شهر ورواحها شهر، وتكلم الشاة المسمومة وتسبيح الحصا وحنين الجذع أتم من الإحياء.

محمد سيد الرسل المخصوص بأكمل السبل وأقربها الأسهل الأجمل لذلك كان ناسخ الملل وفاسخ الدول صلى الله عليه وعلى آله الذين فاقوا سائر الأمم مما استنبطوا من الكتاب والسنة من العلوم المهمة التي أناروا بها قلوب العالمين، وزينوا بها ألسن العاملين وقوموا بها أعضاء العابدين صلاة تنمو إلى أبد الأبدين وسلم كثيراً، وبعد....

فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن لم يطمئ أكثرهن إنس قلبي ولا جان، ولم يكن لي أن أمسهن إذ ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79] وأنا غريق ببحر خبث هلك فيه الأكثرون، ولكن الله ﷻ مَنْ عَلَيَّ بالتيسير في خطبهن الخطير بمحض فضله إذ هو بكل فضل جدير وعلى كل شيء قدير، فأمكنني أن أبرزهن من خدورهن ليرى بمرايا جمالهن صور الإعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الألغاز؛ فيظهر به أنها جوامع الكلمات ولوامع الآيات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته، فكل كلمة سلطان دارها وكل آية برهان جارها، وإن ما توهم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار العاجزة عن الاستكبار ولا بد منه لتوليد الفوائد الجمّة من العلوم المهمة، وتقرير الأدلة القويمة وكشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها ولا تطويل في إضمار المقدمات، ولا إبعاد في اعتبار المناسبات مع وفاء بالأغراض وشفاء للأمراض مما فيها من أعذية طيبة لا يعقب اختلالاً ولا ملالاً، وأدوية حلوة جامعة للمنافع حالاً ومالاً، وثمرات أشجار أصولها ثابتة فروعها في السماء ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: 25] لطوائف العلماء لا مقطوعة ولا ممنوعة ومع كونها مرفوعة قطوفها دانية ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ [الحاقة:

[24] في الأيام الخالية تجري من تحتها الأنهار من الأنوار المتضمنة للأسرار بل مرج فيها بحرا الظاهر والباطن يلتقيان بالتوفيق، وإن كان بينهما برزخ التفاوت فلا يبغيان في التحقيق يخرج منهما من لطائف الشريعة والطريقة والحقيقة اللؤلؤ والمرجان؛ لتحلية ألسن أهلها والأذهان وتجري فيهما أعلام العلوم برياح الفهوم مملوءة بأمتعة الأصول المقررة؛ لتحصيل أرباح جهاز الفروع المكثرة أو لجلب خيول الحجج القاطعة وأفيال البيئات الساطعة لقتال أعداء الدين والاستيلاء على قلاع شبهاتهم التي هي عندهم أعلى حصن حصين يجعلها قاعاً صافصفاً بعد استنزال من كان بها في عزمين، وسلخ جلودهم التي تجلدوا بها على مقاومة كل سلطان مبین من براهين اليقين حتى يصير أسودهم قروداً خاسئين وسوادهم سود الوجوه في نار القهر خالدين.

ويصير أهل الحق في نعيم التحقيق لا يمسه فيها نصب يغير عليهم شراب علم اليقين بل يجعله بضاء لذة لشاربي علم عين اليقين، إنه هو أرحم الراحمين.
ولنقدم أموراً:

الأول: اتفقت الملل على أنه تعالى متكلم مخبر طالب، ولا يصير متكلماً إلا بقيام صفته به إذ لو صار بخلقه في غيره لصار بخلق السواد أسود، وليست صفته هذه العبارات التي هي أعراض غير قارة مؤلفة مرتبة؛ إذ ليس محلاً للحوادث وهي غير العلم إذ لا طلب به وغير الإرادة إذ لا إخبار بها، وليس الطلب نفس الإرادة إذ قد يطلب من الشخص ما لا يراد منه لإظهار عصيانه، وليس بمجرد الصيغة وليس الإخبار نفس العلم إذ قد يخبر بخلاف ما يعلم ولا سفه في إخبار وطلب نفسين بلا سماع سامع إذا قصد التعليق به وقت وجوده ولا كذب في التعبير بالماضي عند اعتبار زمن الإخبار ولا تعدد، فهذه الصفة وإن تعلقت بما لا يتناهى فلا تأليف ولا ترتيب، وليست نفس المنقسم إلى الإخبار والطلب إذ ليسا من جزئياته بل من متعلقاته، وهو نفس المتلو والمحفوظ والمكتوب، وإن كانت التلاوة والحفظ والكتابة منا، وإن أريد بها الحاصل بالمصدر حادثة، والقرآن اسم لذلك المعنى، ولهذه العبارات بالاشتراك **والأول:** كلام الله تعالى بمعنى أنه صفته، والثاني: بمعنى أنه ليس من صنع غيره والمطلق على العبارات كلي يطلق على الكل والبعض، وهو المنزل على رسول الله ﷺ ليتحدى بصورة منه فعجز أهل عصره ومن بعدهم عنه؛ لأنه أحلى من نظمهم ونثرهم مع مخالفتهم لأساليبهم وأكمل معنى جُمع من علوم جمّة ما لا يتناهى من فوائد مهمة في ألفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشهد لها العلم ويشهد بها، ويشتمل على أصول

مسائلها مع دلائلها ورفع الشبه عنها لاتجاهه بوجوه كثيرة باعتبار ربط كلماته وترتيب آياته الذي يفتقر فيه إلى تأمل كامل وتدبر تام من ذي علوم كثيرة، وباعتبار استقلالها بالنزول وعدم الارتباط في الظاهر مع اعتبار المعاني الحقيقية والمجازية، والإشارات من شبهة الاشتقاق وغيرها والاستدلالات من جمع متفرقها أو ضمها إلى الأحاديث النبوية أو القواعد العقلية أو الفوائد الكشفية.

الثاني: الإنزال الإيواء أو التحويل من علو إلى سفلى كإنزال الجيش أو القطر، ولما كانا بالحركة وليست الصفة إلا بتبعية الموصوف إذا استقرت ولا حركة لله ولا للمعنى القائم به ولا للعبارات الغير المستقرة فلا بد من التجوّز بأن يقال ظهر ذلك للمعنى في القلم الأعلى بلبسة الحقائق المجردة للحروف ثم زاد ظهورها باللوح المحفوظ، ثم لم يزل يزداد حتى وصل إلى سماع رسول الله ﷺ وقلبه، أو يقال وصف بوصف حامله باعتبار حملة نفس المعنى أو الصور المحفوظة أو المكتوبة أو باعتبار قيام الألفاظ به، ولو عند الأداء إلى المنزل عليه والسر في إنزال العبارات جذب القاصرين بما يناسبهم من الأصوات والحروف منها إلى ما يناسبه من معانيها وحقائقها، كفعلنا بالحيوانات العجم نخاطبهم بما يناسبهم لكن هذا المنزل لما كان معجزاً ظهرت به عظمته، فكان أشد للجذب إلى الكمالات باستفادة الاعتقادات والأحكام وعلوم المعاملة والمكاشفة وغيرها مما لا يتناهى.

الثالث: الاستنباط قال ﷺ: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»⁽¹⁾ قال الإمام حجة الإسلام في «الإحياء»: تحريم التكلم بغير المسموع باطل؛ إذ لا يصادف السماع من رسول الله ﷺ إلا في بعض الآيات والصحابة ؓ ومن بعدهم اختلفوا اختلافاً كثيراً لا يمكن فيه الجمع، ويمتنع سماع الجميع من رسول الله ﷺ والأخبار والآثار تدل على اتساع معانيه قال ﷺ لابن عباس ؓ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»⁽²⁾ فلو كان مسموعاً فلا وجه للتخصيص، وقال ﷺ: «لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ» [النساء: من الآية 83].

وقال أبو الدرداء: لا يفقه الرجل حتى يجعل القرآن وجوهاً.

(1) ذكره العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (101/1).

(2) رواه الطبراني في «الكبير» (128/9)، والحاكم في «المستدرک» (383/14).

وقال الإمام عليّ عليه السلام: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب.
وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن.
وقال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر.

وقال آخر: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم؛ إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع، وفي القرآن إشارة إلى مجامع العلوم وكل ما أشكل على النظر ففي القرآن رموز إليه، فالنهي إما عن التأويل على وفق ما له من الرأي الذي لولاه لم يلح له كمن يلبس على خصمه بالتمسك بآية على تصحيح بدعته مع علمه بأنه ليس بمراد، وقد يكون له غرض صحيح يتمسك عليه بآية يعلم أنه ليس المراد منها كمن يدعو إلى مجاهدة النفس، فيتمسك بقوله عز وجل: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: 24] ويشير إلى نفسه، وقد تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافق غرضه، وإما عن التسارع إلى الباطن قبل أحكام الظاهر فإنه كالبلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب هذا حاصل كلامه.

وقال شارح «التأويلات»: أجمعوا على استخراج معانيه بالرأي واختلفوا في التوفيق بينه وبين الأحاديث:

فقيه: التفسير بيان سبب النزول والتأويل بيان ما يحتمل اللفظ، وقد جعل الله القرآن أصلاً لجميع ما يحتاج إليه وليس كله منصوفاً فلا بد من الاستخراج بالرأي بالعرض على الأصول.

وقيل: التفسير بيان حقيقة اللفظ إذا علمت والتأويل صرف اللفظ المحتمل إلى بعض وجوهه لموافقته للأصول فلو قطع منه كان تفسير بالرأي.

وقال الشيخ أبو منصور: والتفسير هو القطع، فإن كان ثمة دليل قطعي صح وإلا حرم لما فيه من الشهادة على الله بما لا يؤمن فيه الكذب والتأويل بيان عاقبة الاحتمال يغالب الرأي بلا قطع.

وقيل: باتحاد التفسير والتأويل فالذي بالرأي هو الصادر عن العقل دون العرض على الأصول من آية محكمة أو خبر متواتر أو إجماع، فالسلف إنما فسروا القرآن بدليل أذنوا بالعمل بمثله بأبلغ الاجتهاد.

وقيل: التفسير بالاجتهاد والعرض على الأصول تفسير بالرأي لكنه نوعان: مذموم: يشهد فيه على الله بكونه حقاً، ومحمود: يعتد حقيقته بغالب الرأي مع احتمال

الخطأ، وقيل: المذموم جعل الرأي معيارًا لما جاء به القرآن فيفسر على وفقه تقريرًا له ويترك ظاهر القرآن، والمحمود جعل الرأي تابعًا لدلالة القرآن، وقيل: المنهني تفسير المتشابه؛ لأنه غلق فيما لا يحتاج إليه، وأما المحتاج إليه فتفسيره بالرأي مأمور هذا حاصل كلامه.

وأقول لك أن تحمل النهي على جميع الوجوه المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم فله فوائد لا تحصى والممنوع حمله على ظاهره أو على ما يهواه.

الكلام في الاستعاذة

ليست من القرآن بل مقدمة القراءة أو جها ابن عطاء لكل قراءة وأشهر عباراتها: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: (العوذ): الالتجاء أو الاعتصام أو التحصن أو الاستعانة. و(الباء): للإصاق أي ألصق التجائي بحفظ الله أو اعتصامي بقوته أو تحصني بمنعه أو استعانتني بفضله، ولك تبديل الصلة. و(الشيطان): من الشطن وهو البعد لبعد عن الله أو الخبر يريد إبعاد المتقرب إلى الله إذا بعد من أجله، أو من الشيط وهو البطلان أو الهلاك أو الاحتراق؛ لأنه باطل في نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من أبطل من أجله هالك باللعنة يريد إهلاك من لعن لأجله، محترق غضبًا عليه إذا رآه يتقرب إلى ربه، والمستعاذ منه وسواسه وإغواؤه وجميع شروبه بل نفسه؛ لأنه بذاته شر يستعاذ منه. و(الرجيم): من الرجم وهو الرمي بالحجارة؛ لأنه يرمي بالسب والشهب ويدل على وجوده رؤية جم غفير من الأنبياء والأولياء صورته وسماعهم صوته والآيات والأخبار، وما له من الأفعال كمسه مجنونًا يفيق بالرقى، وقد علم من سنة الله أنه لا يفعل شيئًا إلا بسبب يخصه؛ ولهذا إذ استنارت حيطان البيت واسود سقفه علم أن سبب الاستنارة غير سبب الاسوداد؛ فكذا أسباب استنارة القلب واسوداده فيقع فيه أفكار وأذكار يستبصر فيها تارة ويتحير أخرى فالمبصر ملك خلق لإفاضة النافع في العاقبة وكشف الحق والوعد بالمعروف والمحير شيطان خلق لصد ذلك.

واختلف في حقيقته فقل مجرد يتصرف بالتعلق ويدرك بآلة هي كرة الأثير، وأول به خلقه من نار ويتميز عن الله تعالى بالمرتبة وليست التجرد أخص صفاته بل هو القيومية، وقيل: القوة المتوهمة أو المتخيلة المعارضة للعاقلة خلق من الحرارة الغريزية، وقيل: جسم ناري، والصحيح أنه من العناصر لكن الغالب عليه النار ولا يحس بها لانكسارها بالامتزاج ولا يجب رؤية الكثيف إذا لم يتلون ولا يمتنع نفوذه بطريق الضوء،

ولا قدرة اللطيف على الأفعال لو لم يرق قوامه بل النار والريح أقوى ولا تشكل الجسم بالأشكال المختلفة كما في السحرة، ولا تشكل المجرد من عالم المثال بما يناسب ما غلب عليه ولا يغلط فيه إذا رآه القلب من وجهه الذي يلي الملكوت عند إشراقه على باطن سر القلب والصورة فيها تابعة للصفة؛ فيرى الشيطان في صورة كلب أو خنزير أو ضفدع بخلاف رؤيته من الوجه الذي يلي عالم الملك، فإنه كثيراً ما يحصل لمختل الدماغ والأول يختص بالكمل، ولا يخلّ وجود الشيطان الوثوق بالمعجزات؛ لاختصاصها بالنفس الخيرة الداعية إلى وجوه الخير المحض في العموم.

والشيطان إن دعا إلى خير فلتفويت خير أعظم أو جر شر لا يفي به، ومن عداوته حملة العوام على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وأسرار النبوة والأمور الأخروية، وإفضاؤه بهم إلى إنكارها مع قيام البراهين القاطعة عليها، وأنه يعدهم الأمان من عذاب الله واليأس من ثوابه من غير شبهة فضلاً عن حجة وكفى دليلاً فيه خلق الله العقل في الإنسان؛ ليفوز بالثواب وينجو عن العذاب لا ليتعب مع استراحة البهائم، وأنه بعد على عبادة الأوثان بالتقرب إلى الله، ويخوّف من قهرها في ترك عبادتها ويأمرهم بالإخلاص فيها ويغرق المصلي في بحار الرياء والعجب وينسيه الأفعال وعدد الركعات، ويوقعه في تحسين النية ومخارج الحروف، ويذهب به إلى مهمات لا تخطر بباله في غيرها ولا تفيده أبداً، ويخوّف بالفقر في إعطاء الزكاة ويبحث على الإنفاق في المرحمات، ويخيل حصر اللذات في الشهوات والجاه والعجز والذلة عند عدم إمضاء الغضب، ويرى التعب في عبادة الله تعالى، ويسهل على الكفار تحمل المشاق في عبادة الأوثان، ويمنع عن القتل في سبيل الله، ويحث الكفار على قتل أنفسهم عند الأوثان وقتل من يدعوهم إلى الإسلام، ويدعو من له أزواج وجوار معطرة مزينة إلى زنا من ليس لها ذلك، ويأمر الأمراء بالظلم في الأموال مع وفورها لهم، ويقتل الأنفس بأدنى مخيلة مع تمكنهم من الدفع لو وقع وقيل الوقوع يندفع بأدنى من القتل، وله أبواب يطول شرحها، وضرر عداوته أنه اتفقت الملة والفلسفة على أن من فسد اعتقاده خُلد في العذاب أو عمله عذب بحسبه وينقسم إلى عقلي وخيالي وحسي. ومن الناس من منع الأخيرين لتوقفهما على آلات جسمانية والموت قطع علائقها، ولا دليل على امتناع تعلقها بأبدان تركبت من الأجزاء الأصلية من أبدانهم، أو بجزء منها للإدراك أو بجسم آخر، ومنهم من أجاز الخيالي بأحد الوجهين الآخرين كما في النوم إلا أنه يزول باليقظة، ولا يتوقف تألم النفس على السبب الخارجي، وقال الفارابي وابن سينا: العقل وإن لم يوجب الحسي

فلا يمنعه بل يحسنه لحسن التخويف في مبادئ الأفعال؛ لأنه ينفع الأكثر وهو إنما يتم بالاعتقاد الجازم بالإيفاء، فالإيفاء مقتض لا زدياد النفع، واتفقت الفلاسفة على العقلي وجعلوه أكمل من الحسي والخيالي، وقالوا: كمال النفس إن فات لنقصان غريزتها فلا عذاب كالصبي والمجنون، أو لوجود ضد في القوّة لنظرية يصير صورة ملازمة يتعذب بها من شعورها؛ لنقصها واشتياقها إلى كمالها مع امتناع اكتسابه لفوات آتته وعدم اشتغالها بشيء آخر. وما دامت في جلباب البدن يعتقد في نقصاناتها أنها كمالات، فإذا رفع ظهر النقص واشتاتقت إلى الكمالات ولا يصل إليها فيقع في النار الروحانية فهو عندهم كالكافر عندنا يتعذب بقدر رسوخ الضد وعدم رسوخه، أو في القوّة العملية تألمت بحسبه، والقائل بالخيالي قال بظهوره في صورة النار والحيات والعقارب لكنها تزول؛ لأنها إنما حصلت من ركون النفس إلى البدن ويزول بطول العهد فيتصل بمحل السعادة فهو عندهم كالفاسق عندنا، وأما الصالحة البرية عن الهيئات الفاسدة؛ فتلتذ بكمالاتها أبدًا لتخلصها إلى عالم القدس وترقيها إلى عين اليقين فهو كالمؤمن التقي عندنا لكنه مبني على امتناع إعادة البدن. والحق إعادته، فيجوز العقلي بوجوه أخر والحسي والخيالي، فهذا رأي من يعتد به من أهل النظر والكشف من المليين والفلاسفة، وثمة جماعة ليسوا في شيء منهما يدعون فناء النفس وامتناع إعادتها من غير شبهة فضلاً عن حجة ويروّجه بعضهم بنسبته إلى معروف بدقائق العلوم كأفلاطون وأرسطو، ولا شاهد لهم من تصنيف أو خط ولا برهان عليه والأنبياء والأولياء والعلماء أولى بالتقليد منهم، ومن أين يتصوّر في حقهم برهان ضروري لا يتطرق إليه الغلط مع وقوعه لهؤلاء مع غزارة علومهم وطول نظرهم، فإذا جوّزته فعليك باجتناّب هذا الخطر العظيم، ثم إن العبد المستعبد لا يستقل بمقاومة الشيطان بمعارضة الوهم والخيال العقلي في جذب سائر القوى إلى عالم السفّل، فلا بد له أن يستعين بمن سلطه عليه ليلوّه أيرجع إليه أم لا؟! وقد جرت سنته بإعادة من استعاد به.

قال الزبيدي: العَوْدُ، الالْتِجَاءُ، كَالْعِيَاذِ بِالْكَسْرِ وَالْمَعَاذِ وَالْمَعَاذَةِ وَالتَّعَوُّذِ وَالِاسْتِعَاذَةَ عَادَ بِهِ يَعُوذُ: لَادَّ بِهِ. وَلَجَأَ إِلَيْهِ وَاعْتَصَمَ، وَعُدْتُ بِفُلَانٍ وَاسْتَعَدْتُ بِهِ، أَي: لَجَأْتُ إِلَيْهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّمَا قَالَهَا تَعَوُّذًا» أَي: إِنَّمَا أَقَرَّ بِالشَّهَادَةِ لِاجْتِنَاءِ إِلَيْهَا وَمُعْتَصِمًا بِهَا لِيُدْفَعَ عَنْهُ الْقَتْلُ، وَلَيْسَ بِمُخْلِصٍ فِي إِسْلَامِهِ [تاج العروس (عود)].

وقال المجد في «القاموس»: العَوْدُ الالْتِجَاءُ، كَالْعِيَاذِ وَالْمَعَاذِ وَالْمَعَاذَةِ وَالتَّعَوُّذِ وَالِاسْتِعَاذَةَ، وَبِالضَّمِّ الْحَدِيثَاتُ التَّاجِ مِنَ الظُّبَاءِ وَكُلِّ أُثْنَى، كَالْعَوْدَانِ، جَمْعًا عَائِدٌ، وَقَدْ

عَادَتْ عِيَادًا، وَأَعَادَتْ وَأَعُوذَتْ، وَهِيَ مُعِيدٌ وَمُعَوِّذٌ، وَبِالْهَاءِ الرُّقِيَّةُ، كَالْمَعَاذَةِ وَالتَّعْوِيذِ، وَالْعَوَّذُ بِالتَّحْرِيكِ الْمَلْجَأُ، كَالْمَعَاذِ وَالْعِيَاذِ.

ثم قال: ومعاذ الله؛ أي: أعوذ بالله معاذًا، وكذا معاذة الله وللمعوذتان بكسر الواو سورتان، وعوذ بالله وعوذاً؛ أي: أعوذ... إلخ، والتعوذ سنة في الصلاة عندنا، ومستحب عند الشافعية فيها، والقارئ خارج الصلاة إجماعاً، وهل يأتي به في أول ركعة منها فقط أم في كل ركعة؟ خلف والمختار عندنا وعندهم أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، واختار في «الهداية» أن يقول: أستعيذ بالله لموافقة الآية من الشيطان؛ أي: من شره وغدره ومكره، وهو اسم لكل عاةٍ متمرد من إنس وجن أو دابة. كذا في «القاموس»، وقال في «المصباح»: وفي الشيطان قولان: أحدهما: أنه من شطن إذا بعد عن الحق، أو عن رحمة الله، فتكون أصلية ووزنه فيعال، وكل عاةٍ متمرد من الإنس والجن والدواب، فهو شيطان ووصف أعرابي فرسه، فقال: كأنه شيطان في أشطان، والقول الثاني: إن الياء أصلية والنون زائدة عكس الأول، وهو من شاط يشيط؛ إذا بطل واحترق، فوزنه فعلان.

وقال الشنواني في حاشيته على «الأزهرية»: قال ابن عطية: يرد على من قال: إنه مشتق من شاط: أن سيبويه نقل عن العرب تشيطن؛ إذا فَعَلَ فَعَلَ الشيطان، فلو كان كما قالوا القيل تشيط، انتهى.

وقال القاضي رحمه الله تعالى: وجعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فإنه بعيد عن الصلاح ويريد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط إذا بطل لأن من أسمائه الباطل، انتهى.

وقال الشيخ الحاتمي - قدس الله سره - في كتابه «شجون المسجون»: الشيطان اسم مشتق من شاط يشوط شوطاً في الأرض وهو سرعة السير، وهو في الإنسان كناية عن الخاطر الذي لا يستقر به الفؤاد بل يشوط دائماً في الأرض بل يهيم في كل واد، انتهى.

وفي الباب التاسع من «مختصر الفتوحات» للإمام الشعراني رحمته الله: وأول من سمي من الجن شيطاناً أول من عصا، وهو الحارث فأبلسه الله؛ أي: طرده عن رحمته ومنه تفرعت الشياطين بأجمعها، فمن آمن منهم مثل هامة ابن الهام بن لاقيس بن إبليس التحق بالمؤمنين ومن بقي منهم على كفره كان شيطاناً، وقد اختلف العلماء في الشيطان هل يصح أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا، وعني الخلاف على ضبط ميم

فأسلم فإن بعضهم ضبطها بالضم.

قال سيدي داود بن باخلا رحمه الله: لن تستطيع أن تسلم من الشيطان الملتصق بذات وجودك الملتقم إذ إن قلبك الجاري منك مجرى الدم إلا برجعك إلى من هو أقرب إليك منه وهو الله تعالى.

وكان يقول: ابن آدم ذو عوالم ثلاث: عالم إنساني، وعالم شيطاني، وعالم روحاني، فله من حيث المعنى الطيني الجهل والسيان، ومن حيث الريح الشيطاني التكذيب والكفران والجحود والطغيان، ومن حيث الوصف الروحاني التصديق والإذعان ثم اليقين والعرفان ثم الشهود والعيان، وكان يقول: القلوب ثلاثة: قلب أرضي فالشيطان يأوي إليه وربما استحوذ بالإغواء عليه، وقلب سماوي فهو يلقي إليه ويسترق السمع من نواحيه فهو ينال من سماع أخباره وربما رجم بشهاب أنواره، وقلب عرشي فهو به لا يدانيه، انتهى.

أي: لا يدانيه بالغواية ولا يصل إليه آذاه لتدلي حجاب الرعاية والحماية الرجيم فعيل: بمعنى مفعول؛ أي: مرجوم بالأنوار المحرقة وهو المطرود عن رحمة الله، أو هو فعيل بمعنى فاعل، أي: راجم لغيره بأحجار الغواية قال الشيخ - قدس الله سره - في «فتوحاته» في كتاب «الصلاة»: فإذا فرغ الإنسان من التوجيه فليقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا نص القرآن، وقد ورد في السنة الصحيحة: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]. فالعارف إذا تعوذ ينظر في الحال الذي أوجب له التعوذ، وينظر في حقيقة ما يتعوذ به، وينظر في ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوذ بحسب ذلك فمن غلب عليه في حاله أن كل شيء يستعاذ منه بيد سيده، وإن كل ما يستعاذ به بيد سيده، وإنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب فعاذ من سيده بسيده، وهو قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك» وهذه استعاذة التوحيد فيستعذ به من الاتحاد، قال الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49]. وقال كذلك: ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]، وقال: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعي واحدًا منهما قصمته»، ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم بما يلائم فعلاً كان أو صفة هذه قضية كلية، والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها ورد في

الخبر: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ» أي: بما يرضيك مما يسخطك فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بإقامة حرمة محبوه، فهذا الله ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله: «وبمعافاتك من عقوبتك» فهذا في حظ نفسه، وأي المرتبتين أعلى في ذلك نظر فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغ ممكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم، وإن ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه فإن ذلك عائد عليه ومن نظر في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

قال: ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوتي فأنا لا أعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي. فشرع الشارع الاستعاذتين في هذين الشخصين، ومن رأى إن وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود، قال: أعوذ بك منك، وهي المرتبة الثالثة وثبت في هذه المرتبة عين العبد، فالقارئ للقرآن إذا تعوذ عند قراءة القرآن علمه المكلف، وهو الله تعالى كيف يستعذ وبمن يستعذ وممن يستعذ فقال له: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]، فأعطاه الاسم الجامع، وذكر له القرآن وما خص آية من آية لذلك لم يخص اسماً من اسم بل أتى بالاسم الله فالقارئ ينظر في حقيقة ما يقرأ وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ منه في تلك الآية، فيذكره في استعاذته وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ به من أسماء الله أي اسم كان في عينه بالذكر في استعاذته، ولما كان قارئ القرآن جليس الله من كون القرآن ذكراً والذاكر جليس الله ثم زاد إنه في الصلاة حال مناجاة الله فهو أيضاً في حال قرب على قرب كنور على نور كان الأولى أن يستعذ هنا بالله، وتكون استعاذته من الشيطان؛ لأنه البعيد يقال: بثر شطون إذا كانت بعيدة القعر والبعد يقابل القرب فتكون استعاذته في حال قربه مما يبعده عن تلك الحالة فلم يكن أولى من اسم الشيطان ثم نعتة بالرجيم وهو فعيل فأما بمعنى المفعول فيكون معناه من الشيطان المرجوم يعني بالشهب، وهي الأنوار المحرقة قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني: الكواكب ﴿رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ [الملك: 5]، والصلاة نور، ورحمة الله بالأنوار فكانت الصلاة مما تعطي بعد الشيطان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]، بسبب ما وصفت من الإحرام، وإن كان بمعنى الفاعل فهو لما يرحم به قلب العبد من الخواطر

المذمومة، واللغات السيئة والوسوسة، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي من الليل فإذا كبر تكبيرة الإحرام قال: «الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفته وهمزه» قال ابن عباس: همزه بالوسوسة في الصلاة، ونفته الشعر، ونفخه الذي يلقيه من الشبهة في الصلاة يعني السهو، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن سجود السهو ترغيم للشيطان» فوجب على المصلي أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم بخالص من قلبه يطلب بذلك عصمة ربه، ولما لم يعرف المصلي بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة في صلاته والوسوسة لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به فجاء بالاسم الله الجامع لمعاني الأسماء إذ كان في قوة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يدفع، انتهى.

وقال سيدنا الكتاني: فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي: أستجير بجناب الله من الشيطان من أن يضرني في ديني أو دنيائي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يخشى على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله جل ثناؤه؛ ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى.

- وأمر سبحانه بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة، ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ومجبول على قطع الخلق عن الله، وما أمروا به مما فيه سعادتهم الدينية والدنيوية؛ ولأن العداوة بيننا وبينه قديمة في إخراج أبينا أبي البشر ﷺ من الجنة، وإن كان في ذلك من الحكم أكثر مما في العالم من الأناسي والحيوانات والحشرات، فلا يكفه عنك إلا الذي خلقه القادر القدير المقتدر. وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا رابع لهن، قوله جل علاه في الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من الشر.

ثم قال: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200]، فقلها بلسانك، واعتقد دخولك في حمى الله المنيع، الذي لا يجاوزه بر ولا فاجر، فإنك تحفظ من الشبهات في الدين والشهوات في السير، وحيث لم نعتصم هذه مدة ونحن نقولها، علمنا أننا لم نأت بها كما أمرنا من مواطآت اللسان والقلب، ولو استشعرنا أنه لا يصعد إليه - جل اسمه - إلا الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، لاجتهدنا واجتهدنا وخالفنا شهوات أنفسنا حتى يكون عملنا صالحاً فيرفع، ولكن ما أتينا إلا من عدم اهتمامنا بصلاح قلوبنا، وطهارتها، وتقديسها من كل ما يخل بوظائف العبودية

واهتمامنا بصلاح الظواهر وتحسينها، واهتمامنا بصلاح ألسنتنا وأعضائنا وأطرافنا وهيئاتنا الجسمية، مع عدم نيات صالحة شرعية في ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿[المؤمنون: 96 - 98]، هذا تلقين للجلالة المحمدية أمرت أن تتعوذ بلطف الحضرة الإلهية من همزات الشياطين وهي معصومة، فكيف بأمثالنا؟ وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: 34]، ثم قال: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: 36].

- والشيطان في لغة العرب: مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد بطبعه عن كل خير، وبعيد بفسقه عن كل موطن مقرب إلى الله زلفى، وقيل: مشتق من شاط؛ لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب.

هذا.. وبين يديك كتاب جديد في عالم التراث العربي والإسلامي، الخاص بعلم التفسير لكتاب الله العزيز، وهو التفسير الوسيط للشيخ أبي الحسن البكري، ولم أقف على اسمه.

فقدت بتحقيقه لأول مرة فضلاً من الله ومنةً، في رحلة التوجه لتحقيق تراث التفاسير الإسلامية لمشايخ الصوفية، فكان ضبط النص وتصحيحه على نسختين خطيتين، ثم عزو الآيات والتنسيق والتفصيل والترقيم، والتخريج للأحاديث، والتعليق بفوائد مباركة بالهامش لتتم الإفادة التي بها تحصل السعادة، المنبئة والمستمدة من أهل العلم والسيادة.

هذا.. ونسأل الله تعالى من فضله أن يزيدنا بصيرة بأسراره وغوصاً في غماره وتوفيقاً لاقتفاء آثاره واقتباس أنواره والقيام بشكره والتحفظ من قهره ومكره، وأن ينفعني بكتابي والطالبيين ويجعلهم فيه راغبين، ويرحمني وإياهم ومن دعا لي منهم ويتقبل في دعوته برحمته أنه هو أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله المباركين وصحبه المقربين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه الفقير إلى حضرة ربه الغني العظيم: أبو الحسن والحسين أحمد فريد المزيدي الحسني، والله الموفق لكل خير وهو الرحمن الرحيم.

برجعة المصنف

هو شيخ الإسلام، الفقيه، المفسر، المحدث، الصوفي الناظم: أبو الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق، البكري الصديقي المصري، من علماء الشافعية. (898 - 952 هـ)، (1493 - 1545 م).

مولده ووفاته بالقاهرة، كان يقيم عامًا بمصر وعاما بمكة، ويقال: إنه أول من حج من علماء مصر في محفة، ثم تبعه الناس. وشاع ذكره في أقطار الأرض مع صغر سنه. وكان عظيم الشأن، واضح البرهان، ذو همة عالية وعبادة، بذّر البراعة حالية، وتأليف مفيدة، وتعليقات مجيدة، إن فسر أوقع في الفخ طائر الفخر الرازي، وإن نحا ينحو ابن عصفور، خوفًا من صولة البازي.

أخذ علوم الشرع والتصوف عن جماعة من الأعيان منهم:

شيخ الإسلام زكريا الشنكي الأنصاري، وشيخ الإسلام برهان الدين بن أبي شريف، وجد واجتهد، وصار يلقي في الجامع الأزهر دروسًا في التفسير والتصوف، لم يسبقه إلى مثلها أحد، وقصده الطلبة للأخذ عنه من جميع الآفاق، وحصل له جذب، ثم صحا منه.

قال المناوي: سمعت ولده شيخ الإسلام شمس الدين يقول: جاور والدي في بعض السنين، فقسم «البهجة» في الحرم، فحضر يومًا لإلقاء الدرس، فقرأ القارئ باب الحيض، فشرع الشيخ في التقرير فقال: الحيض لغة السيلان، يقال: حاض الوادي إذا سال، فصار يقول: سال سال سال، ثم خرج هائمًا على وجهه، فما أمسكناه، وأدخلناه إلى البيت إلا بعد جهد، فأقام أيامًا مستغرقًا، ثم أفاق بعد ذلك.

وله تصانيف كثيرة، منها تفاسير ثلاثة، أصغر وأوسط وكبير، وشروح على المنهاج - ثلاثة كذلك - وشروح على الإرشاد - ثلاثة كذلك - وعدة متون في الفقه، وعدة رسائل في التصوف وشرح الروض، والعباب، وغير ذلك مما كمل وما لم يكمل، وقد فاق أهل عصره في كثرة التصانيف، فليس فيهم من يساويه في ذلك.

وكان شديد الذكاء، قوي الحافظة والاستحضار، حكى والدي قال: كان شيخ

الإسلام البرهان بن أبي شريف، قد ترك الإقراء آخرًا بالكلية، ومنع ذلك حتى للأفاضل، ما عدا ثلاثة: الشيخ أبو الحسن، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي، والشيخ شهاب الدين الرملي، فإنه خصهم بالإقراء لتميزهم على غيرهم من أهل عصرهم، فكان إذا قرأ الشيخ أبو الحسن يرخي له العنان، فيقرأ ما شاء حتى يمسك بالاختيار، وإذا قرأ الآخرون يقول: يكفي إلى هنا، فوجدوا في أنفسهما وعاتبنا الشيخ على ذلك فقال: في غد يكون الجواب. فلما كان الغد، وتمت القراءة قال: يا أبا الحسن، ما كان درسك بالأمس؟ قال: يا سيدي، قال الماتن كذا وقال الشارح كذا وقتلتم كذا - وسرد ذلك من حفظه، فلم يسقط منه كلمة - قال: فدرس أول أمس، فسرده كله من حفظه كذلك، قال: فالذي قبله، فسرده كذلك، ثم سأل الآخرون، فذكروا بعضا ولم يستحضروا بعضًا، فقال لهما: أنتم كلكم أولادي، والنصح واجب، وقد رأيتما ما كان من الحسن ومنكما، فلا تلوُموني ولوُموا أنفسكم.

ولم يزل الشيخ على حاله، راقبًا في درج كماله حتى نقله الله إلى دار أفضاله، سنة نيف وخمسين وتسعمائة.

وصفه العبيدي في «عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق» (ص 158، 160)

بقوله: هو المجتهد المطلق.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: سمعت أبا الحسن البكري، وهو طائف بالبيت يقول: أصبحت أعد للمدارك أنا كالشافعي ومالك.

قال شيخنا الورع الزاهد العالم الكبير الشيخ يوسف الفيشي: وكان ولده محمد يقول: وأنا لا أقول كذلك؛ بل أعظم من ذلك، انتهى.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني: ومما يدل على صحة نسبه يعني الأستاذ محمدًا البكري الكبير إلى الإمام أبي بكر الصديق عليه السلام ما رأيته بمكة المشرفة، وذلك أن بعض الحسدة ذكر سيدي محمدًا بغيبة فزجرته عن ذلك، فلم ينزجر، ثم رأيت الإمام أبا بكر عليه السلام وهو يقول: جزاك الله عن ولدي محمد خيرًا فعلمت صحة نسبه بذلك وكذلك وقع أن شخصًا ذكرني بسوء بحضرة الشيخ أبي الحسن عليه السلام، وهو ساكت، فبلغني فعتبت عليه في نفسي، فرأيت الإمام أبا بكر الصديق عليه السلام في المنام وهو يقول لي: استغفر الله عن ولدي أبي الحسن فرضي الله تعالى عنه وعن والده أمين، انتهى من «المنن».

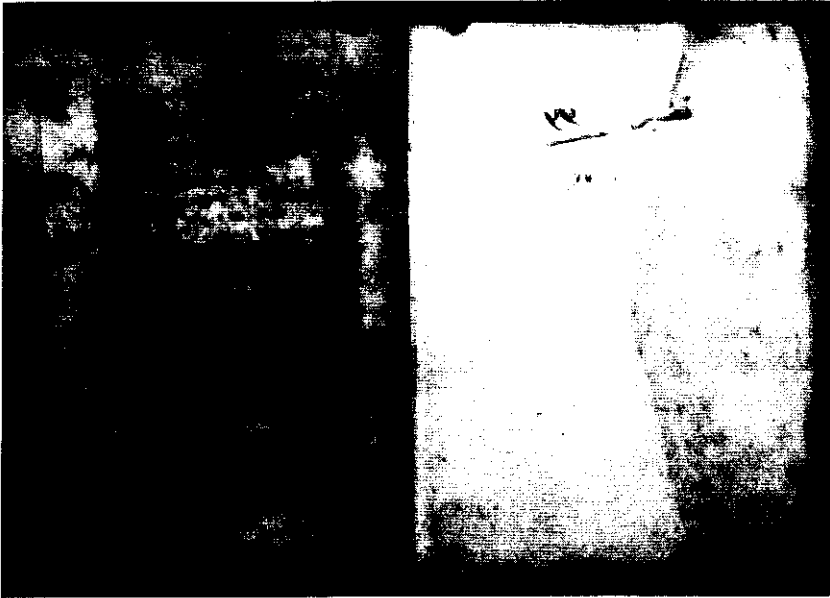
من تصانيفه:

- تسهيل السبيل في معاني التنزيل.
- تفسير البكري (كتابنا هذا).
- شرح العباب للمزجد.
- شرح منهاج النووي.
- تحفة واهب المواهب في بيان المقامات والمراتب.
- الدرّة المكّلة في فتح مكة المبجلة (نظم).
- عقد الجواهر البهية في الصلاة على خير البرية.
- إرشاد الزائرین لحبيب رب العالمين.
- الأحاديث المحذرات من شرب المسكرات.
- بشرى العباد بفضل الرباط والجهاد.
- تأدية الأمانة في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة.
- تجديد الأفرّاح بفضائل النكاح.
- تحذير اله الآخرة من دار الدنيا الدائرة.
- تحفة السالك لأشرف المسالك.
- تحفة العجلان في فضائل عثمان بن عفان.
- ترتيب السور وتركيب الصور.
- الجواهر الثمين من كلام سيد المرسلين.
- حذب الأنوار.
- حسن الإصابة في فضل الصحابة.
- حقائق فضل المألوف الواردة على ترتيب الحروف.
- حقائق الكمالات.
- الدرّة المكّلة في فتح مكة المشرفة المبجلة.
- الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصديق.
- شرف الفقراء وبيان أنهم الأمراء.
- طلبه الفقير المحتاج فيما يتوجه به ليلة المعراج.
- غاية الطلب في فضل العرب.

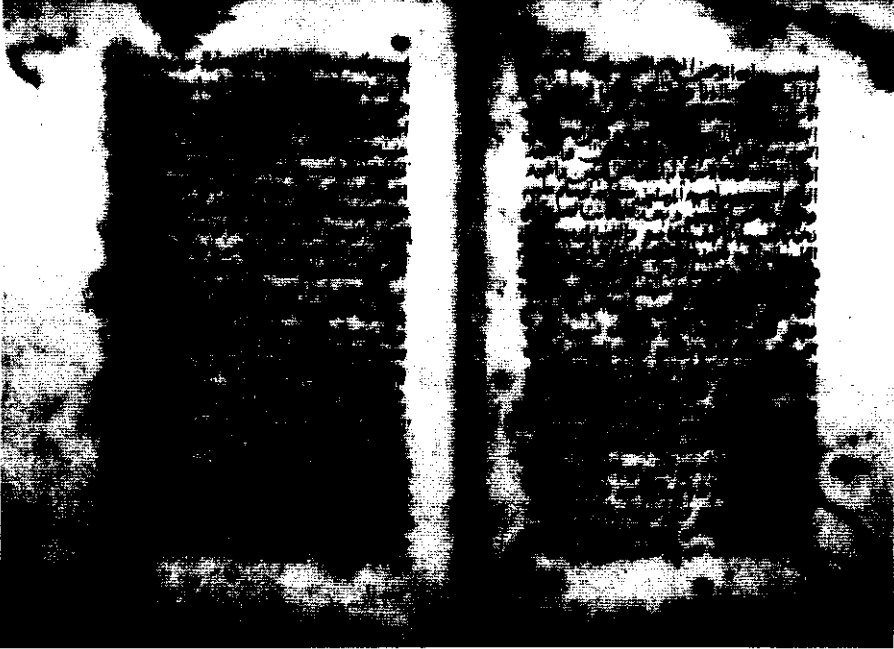
- الفتح القريب بفضل الكبر والمشيب.
 - محاسن الإفادة في أحاديث العبادة.
 - محو الأوزار بفضل الاستغفار.
 - المقصد السامي القدر فيما يدعو به الداعي ليلة القدر.
 - ملاذ أهل الإيقان عند حوادث الزمان.
 - المنح المبين القوي في المولد النبوي.
 - موقف الوسنان من السنة في دعاء آخر السنة.
 - نزهة الأبصار بفضائل الأنصار.
 - النظر الثاقب فيما لقريش من المناقب.
 - النفحات للأموات.
 - فاتحة في التوسل للوهاب بسورة الفاتحة.
 - نوافع المسك الختام بالتوسل بأشهر العام.
 - نهاية الأفضال في تشريف الآل.
 - الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز.
 - الورد المورد لمشروع السنة في دعاء أول السنة.
 - هطال وابل التعرف والامتنان من شهر شعبان. وغيرها.
- قال الزركلي: وفي دار الكتب المصرية نسخة من تفسيره للقرآن الكريم، برقم 33 تفسير، نبه إليها علي باشا مبارك في خطه، جاء في نهايتها بخط والده: (واعلم أن مؤلف هذا التفسير ولدي، أبو الحسن محمد البكري. وكتب ذلك الفقير. محمد المدعو جلال الدين البكري).
- وانظر: النور السافر (414)، جامع الكرامات (181/1)، الكواكب السائرة (194/2)، وخطط مبارك (127/3)، الشذرات (292/8)، الأعلام للزركلي (57/7)، هدية العارفين (73/2)، معجم المؤلفين (230/ 11).



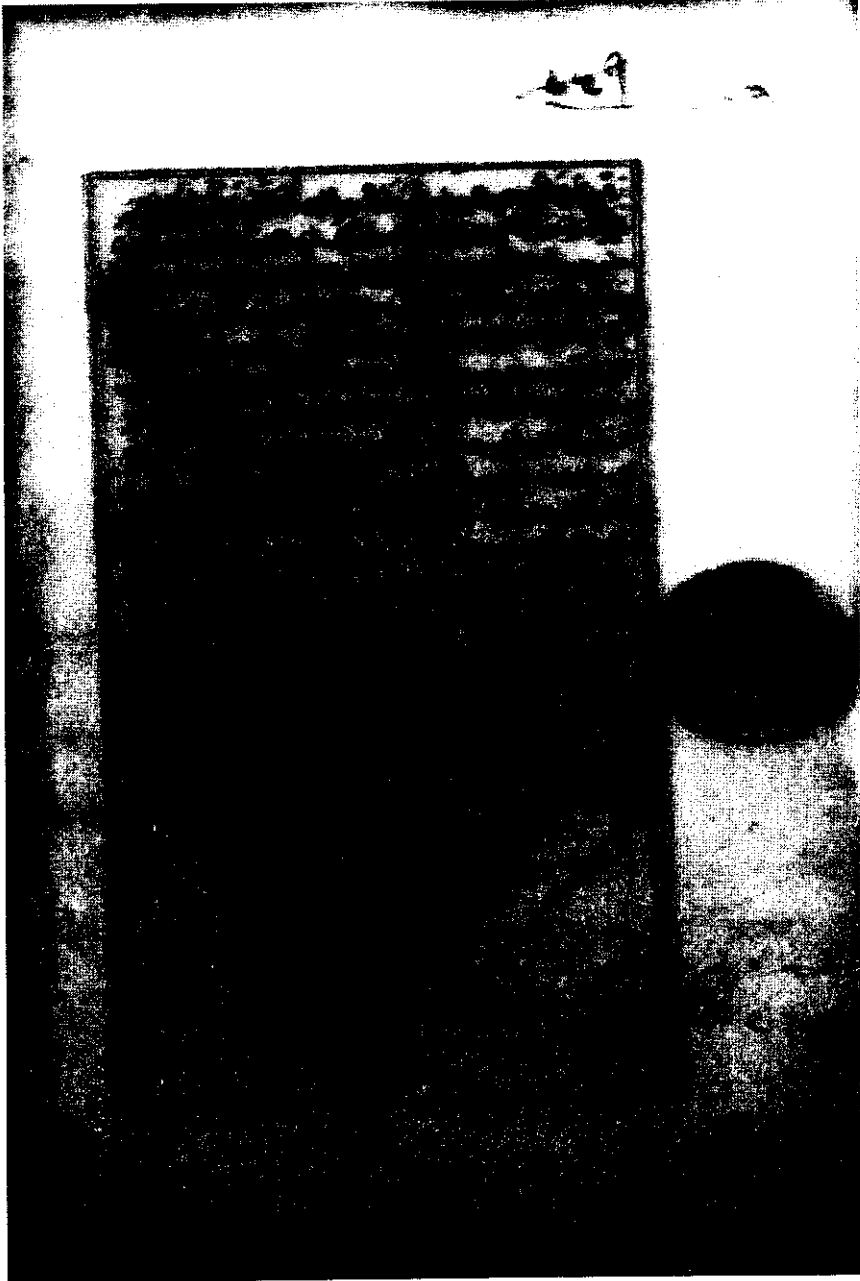
بسم الله الرحمن الرحيم
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من طوى كتاباً طوى به عمله
ألا يحاسب الله به يومئذ



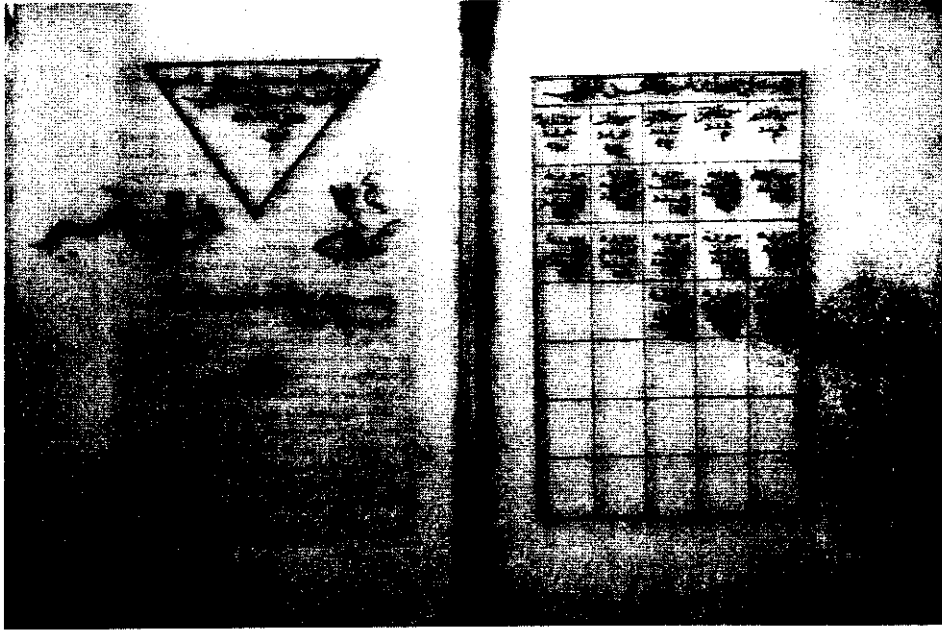
صورة عنوان النسخة الأولى



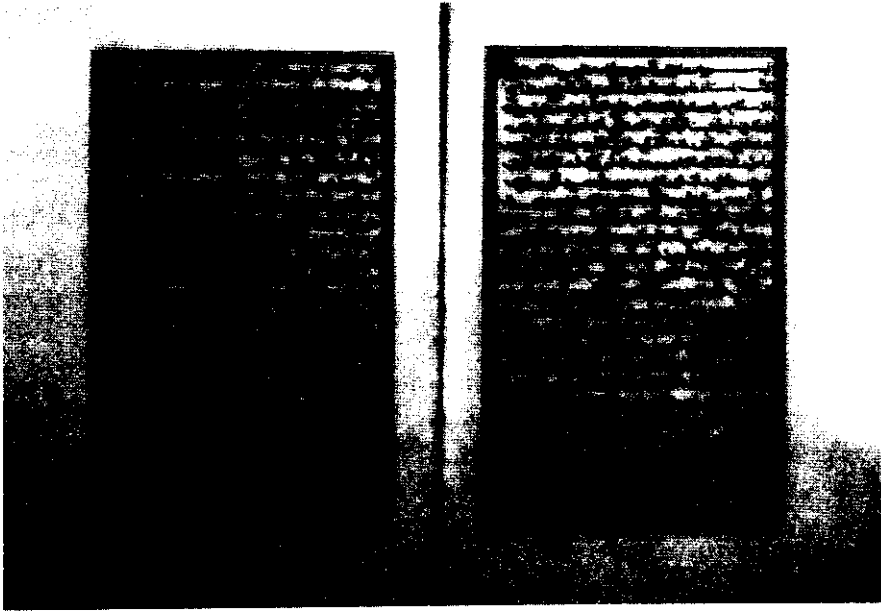
صورة الورقة الأولى من النسخة الأولى



صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الأولى



صورة عنوان النسخة الثاني



صورة الورقة الأولى من النسخة الثانية



صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال أستاذنا وملاذنا وعمدتنا وعايذنا شيخ مشايخ الإسلام، رأس العلماء الأعلام، تاج العارفين، صفوة رب العالمين، أبو الحسن البكري الصديقي الأشعري رحمه الله أمين: الحمد لله الذي أنزل كتابه رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد... فلما كانت الهمم في كل زمن بالنسبة لما قبله متقاصرة، والفضائل ربوعها بتلك النسبة دائرة بعين على أهل العناية في كل زمن تبليغ أهله ما يحتاجون إليه بأوسط طريق؛ ليحصل حفظ الشرائع على الوجه الذي يليق، وأولى ما صرفت العناية إليه فهم كتاب الله العزيز، وذلك لا يتأتى للجمهور في هذا الزمن إلا بواضح وجيز، فقصدت في هذا الكتاب إلى ذلك تسهيلاً لتلك المسالك وتعلقاً بأذيال الكرة، وطلباً لمزيد النعم لعل أن أعد للكتاب العزيز من جملة الخدم، وأحشر إن شاء الله تعالى في زمرة جملة في الأمم، ونقلت فيه فرش القرآن العشر إلحاقاً للطالب بهذه المطالب. وإذا قلت: «البصريين» فأبو عمرو، ويعقوب.

أو: «المدنيين» فنافع، وأبو جعفر.

أو: «الكوفيين» فعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف.

مع أنني أكملت والحمد لله تعالى قبل هذا تفسيري «تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل» وأتيت فيه مع اختصاره بالفوائد والفرائد، وتوضيح وجوه القراءات بأحسن المقاصد، وفتحت به أسرار مُنحت من جميل العوائد، وقد أحيل عليه هنا إذا عبرت بالأصل خشية من الإطالة، وتنبهت على محل الفائدة بحسن الدلالة.

والله أسأل وبه ثم بالصفوة من خلقه إليه الرسل أن يجعل ذلك

مقبولاً وبجبله المتين موصولاً، وأن يديم لنا العافية الباطنة

والظاهرة في الدنيا والآخرة

أمين وهو حسبي ونعم الوكيل

سورة الفاتحة (1)

هي مكية على الأصح وسبع آيات إجماعاً، أول السابعة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7]، إلى آخرها عندنا، وعند أهل الكوفة وغيرهم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إلى آخرها (2).

(1) لها أسماء تدل على شرفها:

فمنها: فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته وكتابه بها؛ لأن تسميتها وحمدها مبدأ كل أمر ذي بال تحامياً عن التبر؛ لأن وجود كل شيء بظهور اسم الله تعالى فيه وتقرره بشكره بل هو مستزيد. ومنها: الفاتحة لفتحها خزائن العلوم، ف ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ذاته وأسمائه التي فوق الألوف وجميع العلوم بمعرفته وعبادته، و ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إلى ظهور ذاته بالوجود وصفات الكمال ومنتهى العلوم الوصول إلى ذلك وباء الإلصاق إلى التخلق بها والتحقق.

(2) قال الشيخ روزبهان الشيرازي: ﴿بِسْمِ﴾: «الباء»: كشف البقاء لأهل الفناء، و«السين»: كشف سناء القدس لأهل الأنس، و«الميم»: كشف الملكوت لأهل النعوت، و«الباء»: بؤه للعموم، و«السين»: سؤه للخصوص، و«الميم»: محبته لخصوص الخصوص، و«الباء»: بدء العبودية، و«السين»: سؤ الربوبية، و«الميم»: منة في أزلته على أهل الصفوة. و«الباء»: من بسم أي: ببهائي بقاء أرواح العارفين في بحار العظمة. و«السين»: من بسم أي: بسنائي سمت أسرار السابقين في هواء الهوية. و«الميم»: من بسم أي: بمجدي وردت المواجيد قلوب الواجدين من أنوار المشاهدة. وروي عن النبي ﷺ: «إن الباء بهاؤه، والسين سناؤه، والميم مجده».

وقيل في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: بالله ظهرت الأشياء، وبه فنيت، وتجليه حسنت المحاسن، وباستناره فُتحت المفاتيح.

وحكي عن الجنيد أنه قال: إن أهل المعرفة نفوا عن قلوبهم كل شيء سوى الله، فقال: لهم قولوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: بي فتسموا، ودعوا انتسابكم إلى آدم ﷺ. وقيل: إن «بِسْمِ» يبقى به كل الخلق، فلو افتتح كتابه باسمه؛ لذابت تحته حقيقة الخلائق، إلا مَنْ كان محفوظاً من نبي، أو ولي. وروى علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد قال: «بِسْمِ»: «الباء» بقاؤه، و«السين» أسماؤه، و«الميم» ملكه، فإيمان المؤمن ذكره ببقائه، وخدمة المرید ذكره بأسمائه، والعارف فناؤه عن المملكة بالمالك لها.

وأما «الله»: فإنه اسم الجمع لا ينكشف إلا لأهل الجمع، وكل اسم يتعلق بصفة من صفاته إلا الله؛ فإنه يتعلق بذاته وجميع صفاته لأجل ذلك، وهو اسم الجمع أخير الحق عن نفسه باسمه

الله، فما يعرفه إلا هو، ولا يسمعه إلا هو، ولا يتكلم به إلا هو؛ لأن الألف إشارة إلى الأناية والوحدانية، ولا سبيل للخلق إلى معرفتها إلا الحق تعالى.

وفي اسمه «الله» لآمان: الأولى: إشارة إلى الجمال، والثانية: إشارة إلى الجلال، والصفتان لا يعرفها إلا صاحب الصفات، و«الهاء»: إشارة إلى هويته، وهويته لا يعرفها إلا هو، والخلق معزولون عن حقائقه، فيحتاجون بحروفه عن معرفته «بالألف»: تجلّي الحق من أنانيته لقلوب الموحدين، فتوحدوا به، و«باللام الأولى»: تجلّي الحق من أزليته لأرواح العارفين، فانفردوا بانفراده، و«باللام الثانية»: تجلّي الحق من جمال مشاهدته لأسرار المحبين، فغابوا في بحار حبه، و«بالياء»: تجلّي الحق من هويته لفؤاد المقرّبين، فتأهوا في بيداء التحير من سطوات عظمتة. قال الشبلي: ما قال الله أحد سوى الله، فإن كان من قاله بحظٍّ، وأنى يدرك الحقائق بالحفظ. وقال الشبلي: الله، فقليل له: لم لا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال: لا أبقى به ضدًا. وقيل في قوله: «الله»: هو المانع الذي يمنع الوصول إليه، كما امتنع هذا الاسم عن الوصول إليه حقيقة، كأن الذات أشد امتناعًا، عجزهم في إظهار اسمه لهم؛ ليعلموا بذلك عجزهم عن درك ذاته. وقيل في قوله: ﴿الله﴾: «الألف»: إشارة إلى الوحدانية، و«اللام الأولى»: إشارة إلى محور الإشارات، و«اللام الثاني»: إشارة إلى محور المحو في كشف الهاء. وقيل: الإشارة في «الألف» هي قيام الحق بنفسه، وانفصاله عن جميع خلقه، فلا اتصال له بشيء من خلقه؛ كامتناع «الألف» أن تتصل بشيء من الحروف ابتداءً، بل تتصل الحروف بها على حدّ الاحتياج إليها، واستغنائها عنهم. وقيل: ليس من أسماء الله اسم يبقى على إسقاط كل حرفٍ منه إلا الله، فإنه الله، فإذا أسقطت منه «الألف» يكون «الله»، فإذا أسقطت أحد لأميه يكون «له»، فإذا أسقطت اللامين بقيت الهاء، وهو غاية الإشارة. وقال بعضهم: «الباء»: باب خزنة الله، و«السين»: سين الرسالة، و«الميم»: ملك الولاية. وقال بعضهم: بالله سلّمت قلوب أولياء الله من عذاب الله، وبشفقته تطرقت أسرار أصفياء الله إلى حضرته، وبرحمته تفرّدت أفئدة خواص عباده معه. وقال بعضهم: بالله تحيرت قلوب العارفين في علم ذات الله، وبشفقته توصلت علوم العالمين في صفات الله، وبرحمته أدركت عقول المؤمنين شواهد ما أشهدهم الله من بيان الله. وقيل: بآلهيته تفرّدت قلوب عباد الله، وبتعظّفه صفت أرواح محبيه، وبرحمته ذكّرت نفوس عابديه. وقيل: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ﴾ ترياق أعطى للمؤمنين، يدفع الله به عنهم سمّ الدنيا وضررها. وقال جعفر الصادق: «بسم» للعامة، و«الله»: لخاص الخاص. وقال سهل: «الله»: هو اسم الله الأعظم الذي حوى الأسماء والأسامي كلها، وبين الألف واللام منه حرفٌ مكّتي غيبٍ من غيب إلى غيبه، وسرٌّ من سرٍّ إلى سرّه، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقته، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قوامًا لضرورة الإيمان. وقيل: من قال بالحروف، فإنه لم يقل الله؛ لأنه خارجٌ عن الحروف والحسوس، والأوهام، والأفهام، ولكن رضي منّا بذلك؛ لأنه لا سبيل إلى توحيده من حيث لا حال ولا قال. وحكي أن أبا الحسن النوري بقي في منزله سبعة أيام لم يأكل، ولم يشرب، ولم يمش، ويقول في ولهية ودهشة: الله الله، وهو قائمٌ يدور؛ فأخبر الجنيد، قال: انظروا محفوظًا عليه

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١﴾ أَعْتَدَ اللَّهُ نَبْ أَعْمَلِيَّت ٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣﴾
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦﴾
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ١ - ٧].
 قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١) [الفاتحة: 1] التقدير: «بسم الله أبدأ»

أوقاته، فقيل: إنه يصلي الفرائض، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان له سبيلاً، ثم قال: قوموا حتى نزوره إما أن نستفيد منه، أو نفيده، فدخل عليه وهو في ولئه، فقال: يا أبا الحسن، ما الذي ولهك؟ قال: أقول: الله، الله، زيدوا علي؛ فقال له الجنيد: انظر هل قولك الله الله، أم قولك: إن كان كنت القائل الله الله، فلست القائل له، وإن كنت تقوله بنفسك، وأنت مع نفسك، فما معنى الوُله؟ قال: نعم المؤدب كنت، وسكن من ولهه.

أما قوله: ﴿الرَّحْمَنِ﴾ رَجِمَ على أوليائه باسمه الرحمن، بتعريف نفسه لهم؛ حتى عرفوا به أسماء، وصفاته، وجلاله، وجماله، وبه خرجت جميع الكرامات للأبدال والصدّيقين، وبه تهبأت أسرار المقامات للأصفياء والمقربين، وبه تجلّت أنوار المعارف للأتقياء والعارفين؛ لأن اسم ﴿الرَّحْمَنِ﴾ مخبّر عن خلق الخلق، وكرمه على جميع الخلق، وفي اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ ترويحُ أرواح الموحدين، ومزيد أفرح العارفين، وتربية أشباح العالمين، وفيه نزهة المحبين، وبهجة الشائقين، وفرحة العاشقين، وأمان المذنبين، ورجاء الخائفين. وقال بعضهم: اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ حلاوة المنة، ومشاهدة القرية، ومحافظة الحرمه. وقال ابن عطاء: في اسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ عونه ونصرته وقوله ﴿الرَّحْمَنِ﴾: موهبة الخاص لأهل الخاص، وهو مستند لذوي العثرات، ومسرة لأهل القربات. و﴿الرَّحْمَنِ﴾: مطية السالكين، تسير بهم إلى معدن العناية، و﴿الرَّحِيمِ﴾: حبل الحق للمجذوبين تجذبهم به إلى حجال الوصلة. باسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ أمنهم من العقاب، وباسمه ﴿الرَّحِيمِ﴾ أتاهم من نفائس الثواب؛ الأول: مفتاح المكاشفة، والآخر: مرقة المشاهدة. باسمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾: فتح لهم الغيوب، وباسمه ﴿الرَّحِيمِ﴾ غفر لهم الذنوب. وقال ابن عطاء: في اسمه ﴿الرَّحِيمِ﴾ مودة ومحبة. وعن جعفر بن محمد في قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إنه قال: هو واقع على المريرين والمرادين؛ فاسم ﴿الرَّحْمَنِ﴾ للمرادين؛ لاستغراقهم في أنوار الحقائق، و﴿الرَّحِيمِ﴾ للمريدين؛ لبقائهم مع أنفسهم، واشتغالهم بالظاهر.

(١) قال البغوي في «تفسيره»: بسم الله الباء أداة تخفض ما بعدها مثل: من وعن، والمتعلق به الباء محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: أبدأ بسم الله، أو قل: بسم الله، وأسقطت الألف من الاسم طلباً للخفة وكثرة استعمالها وطولت الباء، قال القتيبي: ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف

معظم، كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه: طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما، ودوروا الميم؛ تعظيمًا لكتاب الله تعالى وقيل: لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالاً على سقوط الألف، ألا ترى أنه لما كتبت الألف في: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ردت الباء إلى صيغتها ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء. والاسم: هو المسمى وعينه وذاته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ أخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال: ﴿يَا يَحْيَىٰ﴾ وقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسميات، وقال: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾، ثم يقال للتسمية أيضًا: «اسم» فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى، فإن قيل: «ما معنى التسمية من الله لنفسه؟» قيل: «هو تعليم للعباد كيف يفتتحون القراءة»، واختلفوا في اشتقاقه: قال المبرد من البصريين: «هو مشتق من السمو وهو العلو، فكأنه علا على معناه وظهر عليه، وصار معناه تحته». وقال ثعلب من الكوفيين: «هو من الوسم والسمة وهي العلامة، وكأنه علامة لمعناه». والأول أصح؛ لأنه يصغر على «السمي» ولو كان من السمة لكان يصغر على «الوسيم» كما يقال في الوعد وعيد، ويقال في تصريفه «سميت» ولو كان من «الوسم» لقيل: «وَسَمْتُ». قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ قال الخليل وجماعة: «هو اسم علم خاص لله ﷻ لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمرو، وقال جماعة: «هو مشتق» ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: «من أله إلهة» أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿وَيَذَرُكَ وَأَلْهَتَكَ﴾ أي: عبادتك، معناه أنه مستحق للعبادة دون غيره. وقيل: «أصله إله» قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ قال المبرد: «هو من قول العرب ألهمت إلى فلان: أي: سكنت إليه قال الشاعر: «ألهمت إليها والحوادث جمعة» فكان الخلق يسكنون إليه ويطمنون بذكره» ويقال: «ألهمت إليه؛ أي: فزعت إليه» قال الشاعر: «ألهمت إليها والركائب وقفت» وقيل: «أصل الإله «ولاه» فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله؛ لأن العباد يولهن إليه؛ أي: يفرعون إليه في الشدائد، ويلجئون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه» وقيل: «هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك». قوله: ﴿الرُّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، واختلفوا فيهما، منهم من قال: هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر تظميحًا لقلوب الراغبين، وقال المبرد: هو إنعام بعد إنعام، وتفضل بعد تفضل، ومنهم من فرق بينهما، فقال: الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص، فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق، والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص؛ ولذلك قيل في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من تصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيمًا ولا يدعى غير الله رحمن، فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله، وقيل: هي ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق، فهي على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل. واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة

والله علم على المعبود بحق الواجب الوجود، وهو الاسم الأعظم عند الأكثر، وعدم الإجابة لكثير لعدم استجماع شرائط الدعاء.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قيل: «مترادفان» وقيل: «الرحمن الرازق في الدنيا والرحيم المعافي في الآخرة» والرحمة: إرادة الله الخير، والبسمة عند الشافعي آية من الفاتحة، ومن أول كل سورة ما خلا براءة.

﴿الْحَمْدُ﴾ هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على قصد التعظيم.

والشكر: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم؛ لأجل نعمه، والمدح مرادف للحمد على الأقرب، أو مختص بما لا اختيار للعبد فيه، وقرن الحمد بالاسم الأعظم مكملًا ببقية من الأسماء الحسنی تنبيهاً على أنه يستحق الحمد لذاته وصفاته فقال: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مربيهم ومصلحهم، ومالكهم وسيدهم، و«العالمون» جمع عالم وهو: «ما سوى الله تعالى» وجمع بالواو والنون تغليظاً للعقلاء على غيرهم، وقيل: «اسم جمع واشتقاقه من العلم» والعلامة سُموا به لظهور أثر الصنعة فيهم، وهل هم كل مخلوق أو الجن والإنس، أو غير البهائم ونحوها مما لا يعقل؟ أقوال، أصحابها الأول؛ لظهور أثر الصنعة في الكل، قيل: «ولله ألف عالم، ستمائه في البحر، وأربعمائة في البر».

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: 3] كرر تظميماً للقلوب «ملك» بغير ألف لسوى

عاصم والكسائي ويعقوب وخلف، وبالألف لهم، و«ملك» أعلى لدلالته على الاستعلاء والعظمة، والملك استفيد من رب، ومعناه في حق الله تعالى: «إخراج الأشياء من العدم للوجود» وفي حقنا «إثبات تصرف مخصوص في كل شيء لما يليق به».

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] يوم القيامة سُمي به؛ لأنه يوم الجزاء ومنه: «كَمَا

تَدِينُ تُدَانُ»⁽¹⁾ أي: كما تفعل يُفعل معك، خص بالذكر لزوال الأملاك ثم حسن.

ومعنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5].

نطيع بذلة وخضوع، وقدم العبادة على الاستعانة، وإذا كانت الاستطاعة المسئول

والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك، وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها من الفاتحة وليست من سائر السور وأنها كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي؛ لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن.

(1) رواه البخاري (423/14)، وأبو نعيم في «الحلية» (376/3).

فيها إنما تكون مع الفعل لأجل أن العادة في السؤال تقديم شيء يعين على إجابته أمامه.
﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نطلب المعونة في أمورنا.
﴿أَهْدِنَا﴾ [الفاتحة: 6] أرشدنا وأوصلنا والمراد به طلب المزيد مما هم فيه.
﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾⁽¹⁾ هل هو الإسلام، أو طريق الجنة، أو القرآن، أو طريق السنة؟ أقوال، أقربها الأخير، وأصل الصراط لغة الطريق الواضح.
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ [الفاتحة: 7] عن قبيل الصراط، وسراط حياتي بالسين والباقون بالصاد، وأشم خلف عن حمزة الصاد «زايًا» في جميع القرآن، واختلف عن خلاد فنقل عنه الإشمام في الحرف الأول من الفاتحة، وفيهما وفي المعرف بـ«اللام» فقط حيث أتى وعدمه مطلقًا وإثباته مطلقًا كخلف.
﴿أَنْعَمْتَ﴾ مننت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية والتوفيق ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ والمغضوب عليه: من خالف الطريق السابق في حديث تفسيرهم باليهود والضالين بالنصاري قصرًا للعالم على بعض أفراده لدليل، أو هو من العام الذي أريد به الخاص، والقراءة في عليهم وعليها ونحوهما مبسوط في الأصل.
﴿وَالضَّالِّينَ﴾ والضلال الهلاك والغيوبة من ضل اللبن في الماء إذا غاب، ويسن بعد الفاتحة لسكتة لطيفة قول: «أمين» وهل معناه «اللهم استجب» أو كذلك يكون، أو هو «سم له سبحانه»، أو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآفات؟ أقوال، أقربها الأول.

(1) قال البغوي في «تفسيره»: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أهدنا أرشدنا، وقال علي وأبي بن كعب: ثبتنا كما يقال للقائم: قم حتى أعود إليك؛ أي: دم على ما أنت عليه، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية؛ لأن الألفاظ والهدايات من الله تعالى لا تنتهي على مذهب أهل السنة «الصراط» وسراط بالسين رواه أويس عن يعقوب وهو الأصل، سمي سراطًا؛ لأنه يسطر السابلة، ويقرأ بالزاي، وقرأ حمزة بإشمام الزاي، وكلها لغات صحيحة، والاختيار: الصاد، عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام وهو قول مقاتل، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هو القرآن، وروي عن علي رضي الله عنه مرفوعًا: «الصراط المستقيم كتاب الله» وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: طريق الجنة، وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة، وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحبه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

سورة البقرة
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا كراهة في تسمية السور بذلك على الأصح ومقابله يقول السورة التي يذكر فيها البقرة ونحوه، وهي مدينة مائتان وخمس أو ست أو سبع وثمانون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الذِّكْرُ﴾
 ﴿١﴾ ذَلِكَ الْمَكْتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
 الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُعْتَمِرُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
 ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
 عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ
 وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ
 وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا
 أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 ﴿١٠﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿البقرة: ١ - ١٠﴾.

﴿الم﴾^(١) [البقرة: ٦] فيه وفي بقية فواتح السور أقوال كثيرة، أقربها أنها حروف

(1) قال البغوي في «تفسيره»: قال الشعبي وجماعة: ﴿الم﴾ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وهي سر القرآن، فنحن نؤمن بظواهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق ؓ: في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور، وقال علي: لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي، وقال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سرا وإن سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك، وقال جماعة هي معلومة المعاني فقليل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في ﴿كهيعص﴾: الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق، وقيل في ﴿المص﴾: أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في ﴿الم﴾: الألف مفتاح اسمه الله،

مقتطفة من أسماء الله تعالى، فالألف من «الله» واللام من «لطيف» والميم من «مؤمن» واستدل له بقول الشاعر⁽¹⁾:

قُلْتُ لَهَا قَفِي لَنَا قَالَتْ قَافٌ

أي: وقفت.

وقال قوم: «هي صفوة الله من كتابه التي لا يطلع عليها إلا بعض أصفياه» واختاره المحققون.

﴿ذَلِكَ﴾ [البقرة: 2] إشارة إلى القرآن أو إلى ما نزل منه، أو إلى الأسماء المعتطفة، والأقرب الأول، ومن ثم عقبه بقوله: ﴿الْكِتَابَ لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله ﴿هُدًى﴾ رشيد وبيان ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وهم من اجتنب النواهي، وفعل ما أمر به، وأصل الالتقاء الحجز بين السبيين يقال: «اتقى بترسه» إذا جعله حاجزاً بينه وبين ما يقصد به.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 3] يصدقون بقلوبهم، والإيمان مأخوذ من «الأمان» لا من «المؤمن» به من الخلود في العذاب، أو منه أن تداركته العناية، ﴿بِالْغَيْبِ﴾ هو ما لم نرد ومن ثم قيل: «إيه الله» ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يداومون عليها تامة بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ آتيناهم من الأموال والرزق.
لغة: الحفظ والتصيب.

واللام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله، واللام لطفه، والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال معنى ﴿الم﴾: أنا الله أعلم: ومعنى ﴿المص﴾: أنا الله أعلم وأفضل ومعنى ﴿الر﴾: أنا الله أرى، ومعنى ﴿المر﴾: أنا الله أعلم وأرى، قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها، وعن سعيد بن جبير قال: هي أسماء الله تعالى مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول ﴿الر﴾، و﴿حم﴾، و﴿ن﴾، فتكون الرحمن، وكذلك سائرهما إلا أنا لا نقدر على وصلها، وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن، وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء السور، وبيانه: أن القائل إذا قال: قرأت ﴿المص﴾ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بـ﴿المص﴾، وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها؛ لأنها مبادئ كتبه المنزلة، ومباني أسمائه الحسنى.

(1) والبيت كاملاً:

لَا تَحْسَبِي أَنَا نَسِيًّا الْإِيحَافُ

قُلْتُ لَهَا قَفِي لَنَا قَالَتْ قَافٌ

وشرعاً: ما ينتفع به ولو حراماً.

﴿يُنْفِقُونَ﴾ يخرجون عن يدهم وملكهم في الطاعة والحرام لا يجوز الإنفاق منه.
 ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 4] هو القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾
 وهو سائر كتب الله تعالى ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها كائنة من الإيقان وهو العلم، سميت الآخرة لتأخرها، والدنيا دنيا؛ لدنوها.

﴿أُولَئِكَ﴾ [البقرة: 5] أي: من ذكر ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ وصلاتهم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة والنجاة من النار، وأصل الفلاح: الشق والقطع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 6] أي: ستروا الحق إما إنكاراً أو جحوداً باللسان مع معرفة القلب، أو عناداً وهو الاعتراف بالقلب والإقرار باللسان، ولكن لا يدين به ككفر أبي طالب، أو نفاقاً بأن يعمل تقية وينكر بقلبه، وكلها سواء في أن من لقي الله بواحد منها خلد في النار ﴿سِوَاهُمْ عَلَيْهِمْ أَلَّذَرْتُهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: استوى عندهم الإنذار وعدمه فلذلك لا يؤمنون، وهذا فيمن علم الله عدم إيمانه كأبي جهل، والإنذار إعلام مع تخويف.

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾⁽¹⁾ [البقرة: 7] أي: طبع عليها فلا تقبل خيراً، أو أصل الطبع الاستيثاق من الشيء ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ الباطن ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ الباطنة

(1) قال ابن كثير في «تفسيره»: قال قتادة في هذه الآية: استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه؛ فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون، وقال ابن جرير: قال مجاهد: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: نبئت أن الذنوب على القلب تحف به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه، فالتقاؤها عليه الطبع، والطبع الختم، قال ابن جرير: الختم على القلب والسمع، قال ابن جرير: وحدثني عبد الله بن كثير، أنه سمع مجاهداً يقول: الزان أسير من الطبع، والطبع أسير من الأقفال، والأقفال أشد من ذلك كله، وقال الأعمش: أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذه - يعني: الكف - فإذا أذنب العبد ذنباً ضَمَّ منه، وقال بأصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضَمَّ. وقال بأصبع أخرى، فإذا أذنب ضَمَّ، وقال بأصبع أخرى وهكذا، حتى ضم أصابعه كلها، ثم قال: يطبع عليه بطابع، وقال مجاهد: كانوا يرون أن ذلك: الرين، ورواه ابن جرير: عن أبي كُرَيْب، عن وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، بنحوه، قال ابن جرير: وقال بعضهم: إنما معنى قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ إخبار من الله عن تكبرهم، وإعراضهم عن الاستماع لما دُعُوا إليه من الحق، كما يقال: إن فلاناً لأصم عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه، ورفع نفسه عن تفهمه تكبراً، قال: وهذا لا يصح؛ لأن الله قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم.

﴿غَشَاوَةٌ﴾ تغطية مانعة من اتباع الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يشق ويعظم عليهم لقوته ودوامه. ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: 8] جمع: إنسان، سُمي به لئسبانه، وأصله: «الأناس» ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ بلسانه: ﴿آمَنًا بِاللَّهِ﴾ وهو لا يدري عظمته حيث كذب فيما قال ﴿وَبِالْزُّمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بقلوبهم.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [البقرة: 9] أي: فيظهرون خلاف ما أسروا، والمفاعلة هنا ليست مرادة كقولهم: «عافاك الله» ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ «وما يخادعون» في قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ غيرهم ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بفتح الياء وإسكان الخاء وفتح الدال ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ إذ وبال ذلك راجع إليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: ما يعلمون برجوع الوبال عليهم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10] ضعف وهو هنا: الشك والنفاق ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بالختم على قلوبهم أو بما أنزل من القرآن؛ لتجدد كفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا﴾ أي: بسبب ما كانوا ﴿يَكْذِبُونَ﴾ على ربهم بفتح الياء وإسكان الكاف وكسر الذال، العاصم وحمزة والكسائي، والباقون بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال مكسورة؛ لأنهم كذبوا رسلهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١)
 ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٢) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣)
 ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ (١٤) ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِرِجْمٍ وَيَسْتَهْزِئُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٥) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِحَدْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٦) [البقرة: ١١ - ١٦].

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ [البقرة: 11] قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: «حي وحيل» وقيل: «وغيض وسيق وسيء وسيئت» بإشمام كسر أو يلهث الصم ووافقهم ابن ذكوان في حيل. انتهى.

ووافقهم هو والمدنيان في «سي وسيت» والباقون بإخلاص الكسر ﴿لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، والفساد ضد الصلاح كالمفسدة ضد المصلحة، وأصله: «أخذ المال ظلماً» ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُضِلُّوهُمْ﴾. فقال الله تعالى رداً عليهم: ﴿أَلَا﴾ [البقرة: 12] حرف استفتاح للتنبيه ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 13] الكاملون في الإنسانية العاملون بمقتضى العقل الصحيح، والمراد بهم محمد ﷺ ومن معه ﴿قَالُوا أَنْتُمْ بِالْهُمَزَةِ فِيهِ لِلْإِنكَارِ﴾ ﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾⁽¹⁾ الجهال، والسفيه الخاسر ومن شأنه أن يعتمد الكذب فرد تعالى عليهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ [البقرة: 14] اللقاء: المصادفة والاستقبال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ هم ﴿إِلَى شَيْطَانِيهِمْ﴾ رؤساءهم وكهنتهم المماثلين لشياطين الجن أضافهم إليهم؛ لمشاركتهم لهم، والشيطان: المتمرد العاتي من الجن والإنس سمي به؛ لبعده عن الخير، وقربه من الشر وامتداده فيه ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فيما أتم عليه باطناً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بهم أي: بإظهار الإيمان، والاستهزاء بالشيء: الاستخفاف به.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15] أي: يجازيهم على استهزاءهم، سمي بمقابله لفظاً ولرجوع وبال استهزاءهم عليهم، أو المعنى أن فعل الله سببه بذلك؛ إذ يستدرجهم بالنعم للعذاب في الآخرة، وقيل: «بأن يفتح لهم باب إلى الجنة، فإذا وصلوا إليه ردوا للنار» ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يتركهم ويمهلهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: مجاوزتهم الحد بترك الإيمان ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون في الباطل بلا فلاح مع الحيرة.

﴿أُولَئِكَ﴾ [البقرة: 16] أي: الموصوفون بهذه الصفة ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ فاستبدلوا الكفر بالإيمان ﴿فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ أي: ما ربحوا فيها، بل خسروا لخلودهم في النار ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: في هذا الشيء، وفي كل شيء.

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ويجوز في همزتي ﴿السُّفَهَاءُ﴾ أربعة أوجه، أجودها أن تحقق الأولى وتقلب الثانية واواً خالصة، وهي قراءة أهل المدينة والمعروف من قراءة أبي عمرو، وإن شئت خففتها جميعاً فجعلت الأولى بين الهمزة والواو وجعلت الثانية واواً خالصة، وإن شئت خففت الأولى وحققت الثانية، وإن شئت حققتهما جميعاً.

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بُكُمْ عُمِي فَهُمْ لَا يَزْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧ - ٢٠].

﴿مَثَلُهُمْ﴾ [البقرة: 17] أي: شبههم في نفاقهم، والمراد المعنى الذي يتحصل في ذهن الناظر لهم كالمعنى الذي يتحصل في ذهنه فيما ذكر بقوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ أوقد كما جاب واستجاب، وقيل: «طلب من غيره أن يوقد له» ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ أي: حول المستوقد، فأبصر ما حوله وأسند فأووا من المخوف ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه وإبقاء النار عليهم ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ طريق الرشد، وهل نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، أو في قوم بأعيانهم علم الله وصفهم قبل وجودهم ففيه إعلام بالمغيبات، أو في كل المنافقين؟

فالمعنى مثل حقن دمائهم ونحوه كإضاءة النار، ثم بعد الموت انطفأ نورها فبقوا على الضلال، أو المعنى كلامهم مع المؤمنين كالنار وذهابهم بعد إلى شياطينهم كزوال نورها، أو المعنى هم قبل نزول فضائحتهم كمستوقد النار وبعد نزولها كمن ذهب ضوءها عنه؟ أقوال، أقربها الأول ثم الأخير.

﴿ضُمُّ﴾ [البقرة: 18] لا يسمعون الحق ﴿بُكُمْ﴾ لا ينطقون به، ولا يفهمونه إذ الذي يفهم ولا يتكلم يقال له: «أخرس» والذي لا يتكلم، ولا يفهم يقال له: «أبكم» ﴿عُمِي﴾ فلا يرون طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَزْجِعُونَ﴾ أي: لا يؤمنون في المستقبل، ولا يرجعون إلى الحق ما داموا على الذي هم عليه.

﴿أَوْ﴾ [البقرة: 19] مثلهم ﴿كَصَيْبٍ﴾⁽¹⁾ أي: كمثل أصحابه وهو: «المطر» من

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قال الطبري: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، وقاله الفراء، وقيل: ﴿أَوْ﴾ للتخيير؛ أي: مثلهم بهذا أو بهذا، لا على الاختصار على أحد الأمرين، والمعنى: «أو كأصحاب صيب».

صاب يصوب إذا انحط من علو إلى سفلى ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ هي كل ما علاك فأظلك من أسماء الأجناس تكون واحدًا وجمعًا، ويصح أن يراد السحاب ﴿فِيهِ ظَلَمَاتٌ﴾ جمع ظلمة، وإنما جمع من حيث التراكم والترايد ﴿وَرَعْدٌ﴾ هل هو ملك تزجر السحاب بهذا الصوت المسموع واسمه الرعد، أو هو ملك هذا صوت تسيحه، أو اسم للصوت فقط؟ أقوال، أرجحها الأخير ﴿وَبَرْقٌ﴾ هل هو آلة من حديث يسوق بها الملك السحاب، أو سواط نور بيده يسوق السحاب، أو ملك؟
أقوال:

أولها: لعلي - كرم الله وجهه - .

والثاني: لابن عباس.

﴿يَجْعَلُونَ﴾ يضعون ﴿أَصَابِعُهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي آذَانِهِمْ مِنْ﴾ أجل ﴿الصَّوَاعِقِ﴾ لثلا يسمعوها، جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت سامعها، يقال لكل عذاب مهلك، وقيل: هي قطعة عذاب أو نار يخرج من فم الملك عند غضبه، وقيل: المراد هنا شدة صوت الرعد. ﴿حَدَّرَ الْمَوْتَ﴾ من سماعها، والحذر الخوف مما يقع أو شدة ذلك، والموت زوال الحياة، وقيل: عرض يضادها ويعقبها والأول أصح فهو عدمي ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يأخذه عقابه وعلمه بهم.

﴿يَكَادُ﴾ [البقرة: 20] يقرب ﴿الْبُرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾⁽¹⁾ يأخذها بسرعة

والصيب: المطر، واشتقاقه من صاب يصوب إذا نزل، وأصله: صيوب، اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت، كما فعلوا في ميت وسيد وهين ولين، وقال بعض الكوفيين: أصله صويب على مثال فعيل، قال النحاس: «لو كان كما قالوا لما جاز إدغامه، كما لا يجوز إدغام طويل»، وجمع صيب صيايب، والتقدير في العربية: «مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا أو كمثل صيب».

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ الخطف: الأخذ بسرعة، ومنه سمي الطير خطافًا لسرعته، فمن جعل القرآن مثلاً للتخويف، فالمعنى: أن خوفهم مما ينزل بهم يكاد يذهب أبصارهم، ومن جعله مثلاً للبيان الذي في القرآن، فالمعنى: أنهم جاءهم من البيان ما بهرهم.

ويخطف ويخطف لغتان قرئ بهما، وقد خطفه «بالكسر» يخطفه خطفًا، وهي اللغة الجيدة، واللغة الأخرى حكاها الأخفش: خطف يخطف، الجوهري: وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف، وقد قرأ بها يونس في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبُرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾.

﴿كُلَّمَا﴾ ظرف أصله «كل» أضيف إلى «ما» فصار للتكرار ﴿أَصَاءَ لَهُمْ مَشُوا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقعوا متحيرين ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لفظه العموم، ومعناه: «قدير على كل شيء شاء» وهو ما جاز تعلق القدرة به من الممكنات لا المحالات، ومعنى المثل عند الجمهور أن الله تعالى مثل القرآن بالصيب لما فيه من الإشكال عليهم؛ لأنهم لا يدرون من أين يأتي، والظلمات ما فيه من ذكر الكفر والشرك والرعد ما فيه من الزجر والوعيد، والبرق ما فيه من الحجج الباهرة التي تكاد أن تنهرهم وتخوفهم، وحذرهم هو جعل أصابعهم في آذانهم خوف الإيمان؛ لأنه عندكم كفر والكفر موت، والصواعق تكاليف الشرع يكاد ما في القرآن من المواعظ بسلبهم فيزعجهم عن الكفر إلى الإيمان، ولولا ما سبقت لهم من الشقاوة ﴿كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ﴾ أي: سمعوه وظهرت حجته ﴿مَشُوا فِيهِ﴾ فوافقوا، وإذا أنزلت التكاليف وهي معنى الإظلام ثبتوا على نفاقهم.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْمَعُوا لِلَّهِ أَسْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾﴾

وقال النحاس: في ﴿يَخْطَفُ﴾ سبعة أوجه، القراءة الفصيحة: يخطف، وقرأ علي بن الحسين ويحيى بن وثاب: يخطف بكسر الطاء، قال سعيد الأخفش: هي لغة، وقرأ الحسن وقتادة وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي بفتح الياء وكسر الخاء والطاء، وروي عن الحسن أيضًا أنه قرأ بفتح الخاء، قال الفراء: وقرأ بعض أهل المدينة بإسكان الخاء وتشديد الطاء، قال الكسائي والأخفش والفراء: يجوز «يخطف» بكسر الياء والحاء والطاء، فهذه ستة أوجه موافقة للخط.

والسابعة حكاهما عبد الوارث قال: رأيت في مصحف أبي بن كعب «يتخطف»، وزعم سيبويه والكسائي أن من قرأ «يخطف» بكسر الخاء والطاء فالأصل عنده يخطف، ثم أدغم التاء في الطاء فالتقى ساكنان فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين، قال سيبويه: ومن فتح الخاء ألقى حركة التاء عليها، وقال الكسائي: ومن كسر الياء فلأن الألف في اختطف مكسورة، فأما ما حكاه الفراء عن أهل المدينة من إسكان الخاء والإدغام فلا يعرف ولا يجوز؛ لأنه جمع بين ساكنين، قال النحاس وغيره، قلت: وروي عن الحسن أيضًا وأبي رجاء «يخطف»، قال ابن مجاهد: وأظنه غلطًا، واستدل على ذلك بأن «خطف الخطفة» لم يقرأه أحد بالفتح.

وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٤].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: 21] المنادى: كل إنسان، وقيل: «هذا مختص بأهل مكة»، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مختص بأهل المدينة ﴿اغْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ العبادة: خضوع بتدلل مع امثال الأمر ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿و﴾ خلق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ﴾ ترح من جانب السر، ولا يصح الترجي من الله سبحانه، فما وردت فيه صيغة الترجي من جهة الله وأحب الوقوع، لكن الأقرب الأول؛ أي: أرجو إذا فعلتم ذلك أنكم ﴿تَتَّقُونَ﴾ عقابه.

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ [البقرة: 22] خلق ﴿لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ بساطاً تنامون عليها وتطأونها مع السهولة ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفاً مرفوعاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ قيل: «هي الحرم المعهود» وقيل: «السحاب» والقولان صحيحان ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ المنوعة الملونة ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾ طعاماً وعلفاً للدواب، وأطلق اسم الرزق على ما يخرج قبل تملكه؛ لأنه المملك إلى ذلك وبعد للانتفاع به ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالا تعبدونهم كعبادة الله، والند يقال في الضد والمثل، والله منزه عنهما ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه المتفرد بخلق كل شيء، والمخاطب بها جميع الكفار، ونسبة العلم إليهم؛ لأنهم يعلمون أنه الخالق، وقيل: «المراد كفار بني إسرائيل».

﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ [البقرة: 23] من القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ إنه من عند الله ﴿فَأْتُوا﴾ أمر تعجيز ﴿بِسُورَةٍ﴾ هي قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ من القرآن فمن مثله، أو من مثل محمد ﷺ في كونه أمة لا يحسن الكتابة، والمراد على الأول مثل نظمه وفصاحته وإخباره عن الغيب ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ من حضركم ﴿مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿اللَّهِ﴾ ليعينوكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمداً ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه، فافعلوا ذلك.

فلما عجزوا وبخهم تعالى بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 24] في الماضي ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ في المستقبل تقرير لإعجاز القرآن ﴿فَأْتُوا﴾ بالإيمان بالله، وأنه ليس من كلام البشر ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ عام اللفظ خاص المعنى؛ أي: من سبق له

القضاء بذلك ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ شامل للأصنام، والجمهور أنها الكبريت، وفيها خمسة أنواع من العذاب:

1. سرعة الإيقاد.
2. وتتن الرائحة.
3. وشدة اللصوق بالأبدان.
4. وكثرة الدخان.
5. وقوة حرها إذا أحميت.

وقيل: «هي سائر الأحجار» ﴿أَعِدَّتْ﴾ هيئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ فلا يلزم من الآية عدم دخول غيرهم لها.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة: 25 - 27].

﴿وَبَشِّرِ﴾ [البقرة: 25] يا محمد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والبشارة كل خير يتغير له بشرة الوجه خيرا كان أو شرا، لكنه تقييد في الشر كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: 21] والعمل الصالح: ما وافق الشرع في الإخلاص والصبر والنية، وما ورد فيه من هيئته وسنته؛ أي: بـ ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ جمع جنة، أصله: البستان، سُمي به؛ لاجتماع الأرض؛ أي: استثارها بالشجر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت الأشجار

والقصور التي فيها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: المياه في الأنهار جمع نهر، سُمي به؛ لسعته وضيائه وهو الموضع الذي تجري فيه الماء؛ لأن الماء نهره أي: يحفره ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ أطمعوا من تلك الجنان، ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي﴾ أي: مثل ما ﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبله في الجنة لكونه يشبهه كما ذكر بقوله: ﴿وَأَتُوا بِهِ﴾ جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ في اللون والريح لكن الطعم يختلف ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ من الحور وغيرهن ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والنفاس فالبول والغائط والبصاق والمخاط والولادة وكل قدر. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يموتون فلا فناء لهم ولا خروج.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ [البقرة: 26] أي: لا يمنعه الحياء ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مِثْلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾ ﴿مَا﴾ صلة أو نكرة في موضع نصب على المفعول الثاني، و﴿بَعُوضَةٌ﴾ نعت لها، والبعوض: الذباب، والبق، أو صغار كل ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أعظم منها، وقيل: دونها لفلان جاهل، وفوق ذلك؛ أي: دونه ونزلت لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب والعنكبوت: ماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ الشيء الذي هو عندنا حقير في الصورة ﴿مِثْلًا﴾ وأرادوا بالاستفهام الإنكار بمعنى أنه لا فائدة فيه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكافرين ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾. والفسق شرعًا: الخروج عن الطاعة.

ولغة: مطلق الخروج، بقوله: فسقت الرطبة إذ أخرجت عن قشرها.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾ [البقرة: 27] يخالفون ويبتلون بزعمهم الفاسد، وأصله النقص الكسر ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ ميثاقه المؤكد عليهم، إما في السبت أو أخذه على الأمم العهد في الإيمان نبينا محمد ﷺ ﴿مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ﴾ أي: تأكيد العهد عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ﴾ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴿فَيُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ الْكُتُبِ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضِ، أَوْ الرَّحْمِ لِقَطْعِهِمْ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لَهُ﴾ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ويتوقف الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المنبوذون في الدنيا بالقتل ونحوه، وفي الآخرة بالعذاب الدائم، وأصل الخسران نقص الحظ في وزن أو غيره.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [البقرة: ٢٨ - ٣٠].

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: 28] توبيخ بلفظ الاستفهام ﴿بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطف في أصلاب آبائكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بنفخ الروح ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ يعقوب «ترجعون» وما جاء منه عيباً أو خطاباً إذا كان من رجوع الآخرة بفتح أوله وكسر الجيم في كل القرآن، ووافقه أبو عمرو «وفي يوماً ترجعون» آخر البقرة، ووافقه حمزة والكسائي وخلف في «وأنكم إلينا لا ترجعون» في المؤمنون، ووافقه نافع وحمزة والكسائي في الحرف الأول من القصص «وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون» ووافقه ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف في «ترجع الأمور» حيث وقع، ووافقه في «يرجع الأمر كله» في هود كل القراء إلا نافعاً وحفصاً فإنهما قرأ بضم الأول وفتح الجيم، وكذا قرأ في غيره الباقون والمراد الرجوع إلى ثواب الله وعقابه.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [البقرة: 29] اخترع وأوجد بعد العدم ﴿لَكُمْ﴾ أي: لأجلكم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ المعنى خلقه لانتفاعكم واعتباركم ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾⁽¹⁾ ترتيب للأخبار فقط ومعنى الاستواء استواء القدرة والسلطان مع نفي

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قال الفراء في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ قال: الاستواء في كلام العرب على وجهين، أحدهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته، أو يستوي عن اعوجاج، فهذان وجهان، ووجه ثالث أن تقول: كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى علي وإلي يشاتمني، على معنى أقبل: إلي وعلي، فهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ والله أعلم.

قال: وقد قال ابن عباس: ثم استوى إلى السماء صعد، وهذا كقولك: كان قاعدًا فاستوى قائمًا، وكان قائمًا فاستوى قاعدًا، وكل ذلك في كلام العرب جائز، وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين: قوله: ﴿اسْتَوَىٰ﴾ بمعنى أقبل صحيح؛ لأن الإقبال هو القصد إلى خلق السماء، والقصد هو الإرادة، وذلك جائز في صفات الله تعالى، ولقظة ﴿ثُمَّ﴾ تتعلق بالخلق لا بالإرادة، وأما ما حكى عن ابن عباس وإنما أخذه عن تفسير الكلبي، والكلبي ضعيف، وقال سفيان بن

الحوادث جملة. ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ جعلهن سواء وسوى سطوحهن بالإملاس ﴿سَبَّحَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فصفة في غاية الإتقان قرأ أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر وقالوا: هو وهي بإسكان الباء إذا كان قبلها واو أو فاء أو لام، والكسائي أسكن هاء ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القصص: 61] في القصص، ووافقه أبو جعفر وقالوا بخلاف عنه واختلف عنهما أيضًا في ﴿يَمْلَأُ هُوَ﴾ [البقرة: 283] آخر البقرة والشيء اسم للموجود فدلّت الآية على علمه تعالى به، وتحقق علمه بالمعدوم من محل آخر، وأقتض أن الأرض بما فيها خلقت قبل السماء، وهو كذلك ثم دحيت الأرض بعد خلق السماء وتجمع الآيات.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ [البقرة: 30] أي: ذكر ذلك وكذا نظيره ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملك بفتح اللام وهم الجميع، وقيل: سكان الأرض منهم. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ خالق أو فاعل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ خص به بعضهم مكة لأن الأرض دحيت من تحتها، والأوجه بقاءه على ظاهره ﴿خَلِيفَةً﴾ يخلف الجن إذ كانوا في الأرض قبل آدم فلما أفسدوا وأطردوهم بإذن الله للجزائر والجبال أو عن الله في إقامة أحكامه قاله ابن مسعود وهو أقرب، وعليهما فالمراد آدم عليه السلام وأصل الخليفة من يخلف غيره ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فاسدوهم على الجن أو أعلمهم الله بما تجني بنوا آدم فعظموا جناية عن وجود من يفعل ذلك ولم يعلموا وجه الحكمة حينئذ. ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل بلا حق. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أي: ننزهك متلبسين بحمدك بقولهم: سبحان الله وبحمده، أو نصلي لك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك ونطهرك من النقائص أو نطهر أنفسنا من الإثم لأجلك ﴿قَالَ إِنِّي أَغْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من وجه المصلحة في ذلك، ومنه إن فهم المطيع وغيره فيظهر العدل فقالوا: لن يخلق ربنا خلقًا أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق تعالى آدم بأن قبض قبضة من جميع ألوان الأرض

عينة وابن كيسان في قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصد إليها؛ أي: بخلقه واختراعه، فهذا قول، وقيل: على دون تكييف ولا تحديد، واختاره الطبري، يذكر عن أبي العالية الرياحي في هذه الآية أنه يقال: استوى بمعنى أنه ارتفع، قال البيهقي: ومراده من ذلك - والله أعلم - ارتفاع أمره، وهو بخار الماء الذي وقع منه خلق السماء، وقيل: إن المستوى الدخان، وقال ابن عطية: وهذا يأباه وصف الكلام.

وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً.

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنثَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: 31 - 35].

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ [البقرة: 31] أي: عرفه إلهاماً أو برسول أو خطاب له قبل نزوله للأرض فلا يشارك في خاصيته، وسُمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض أي: وجهها أو لأنه كان آدم اللون أي: لونه أحمر يميل إلى سواد. ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ حتى القصة والمفرقة، جمع اسم وهو ما يدل على معنى أعم من الاسم والفعل والحرف ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ المعروض أما الأشخاص وهو أقرب أو الأسماء مستولاً بها عن مسمياتها ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم الذي دل عليه ثناؤكم على أنفسكم أنكم أحق بالخلافة منه.

﴿قَالُوا﴾ [البقرة: 32] اعترفنا بالعجز ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الشيء في محله، ويطلق على القاضي والعدل والمحكم في الأمر، وأصل الحكمة المنع لمنعها صاحبها من الباطل، ومنه حكمة الدابة التي تمنعها من ترك الاعتدال.

﴿قَالَ﴾ [البقرة: 33] تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: المسميات فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وضع الظاهر موضع المضمّر تفخيماً للأمر ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم موبخاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 33] ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا

كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿﴾ من كل شيء فهو عام، وقيل أريد به الخاص فقيل: البادئ ﴿آتجعل﴾ إلى آخره وغيره كتمهم أنهم أحق بالخلافة وقيل الأول ما أظهره من الطاعة والثاني ما أسره إبليس من المعصية ودل ما ذكر على شرف الإنسان وفضله وفضل العالم على ما سواه وأن اللغات توقيفية وإنه لا بد لها من واضح وعلى أن علوم الملائكة تقبل الزيادة والنقص خلافاً لزاعمي خلافه في الكل وفي الأخير في الطبقة العليا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة: 34] ربك ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قرأ أبو جعفر بضم

التاء اتباعاً فأتبع حركة الإعراب بحركة البناء استثقلاً للخروج من كسر إلى ضم وقرأ به مطلقاً حيث وقع، وعن عlish بن وردان أيضاً إشمام الضم والباقون بكسر التاء، والمقول الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص، وقيل ملائكة الأرض وقيل إبليس ومن معه وهل كان السجود لآدم تحية وتعظيماً لا عبادة كسجود إخوة يوسف أو كان آدم قبله تشريةً له أو هو شكر واللام للتعليل؟ أقوال، أصحابها الأول وأبعدها الأخير ﴿فَسَجُدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الاستثناء متصل فهو من الملائكة على الأصح ولا يرد قوله: كان من الجن إذ يجوز أن يكون سمي به لأنه فعل فعلهم أو لأن من الملائكة نوعاً يقال له: الجن لأنهم من خزنة الجنة وسمي إبليس لأنه ألبس من الرحمة أي: يس نعوذ بالله من ذلك فهو مشتق من الإبلان ولم ينصرف لأنه معرفة ولا نظير له في الأسماء أي: الأعلام العربية المشتقة من المصادر فشبّه بالأعجمي قاله أبو عبيد وغيره وقيل هو أعجمي لا اشتقاق له فلم ينصرف للعجمة والتعريف قاله الزجاج وطائفة. ﴿أَبِي﴾ امتنع. ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تكبر فرأى نفسه أكبر من آدم على سبيل المغالاة. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله تعالى عند الأكثر أو صار منهم بعد أن عبد الله تعالى مدة تزيد على مدة عبادة غيره ودل ما ذكر على فضل آدم على الملائكة وأن سببه العلم ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [البقرة: 35] أي: استقر خوطب؛ لأنه المقصود وغيره تبع ﴿أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد وخلقت من ضلعه الأيسر ﴿الْجَنَّةِ﴾ دار الثواب وهي في السماء السابعة ﴿وَكُلَّا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿رَغَدًا﴾ واسعاً كثيراً لا حجر فيه خوطبا هنا معاً؛ لأن آدم علم بالأول أنه المقصود فلم يبق في الثاني ما يدل على مشاركته في فضله ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ في أي مكان ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾⁽¹⁾ بالأكل منها هي شجرة يعلمها الله

(1) قال أبو بكر بن العربي: جاء في التفسير أن إبليس حاور آدم على أكلها فأبى، فحاور حواء

ومنهم من غير فقال الحنطة أو الكرمة أو شجرة العلم وفيها من كل شيء أو الكافور ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ العاصين أي: تصيرا منهم والظلم وضع السر في غير موضعه.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرٌ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى

وخدعها، فأكلت فلم يصيبها مكروه؛ فلما رأى آدم ذلك اغتر فأكل، فنالتهما العقوبة؛ وإنما لم تصبهما العقوبة إلا بعد أكلهما، لوجود المنهي عنه منهما جميعاً، وقد استدل بعض العلماء على من قال لزوجته أو أمته: إن دخلتما الدار، فأنتما طالقتان أو حرتان؛ فإن الطلاق لا يقع بدخول إحداهما، وإنما يقع بهما معاً، حملاً على هذا الأصل، وأخذاً بمقتضى اللفظ. وقيل: إنهما يعتقان ويطلقان بدخول إحداهما، وبعض الحنث حنث، كما لو حلف ألا يأكل هذين الرغيفين، فإنه يحنث بأكل أحدهما بل بلقمة، لوقوع الحنث بأقل الأشياء.

وقال أشهب: تعتق التي دخلت؛ لأن دخول كل واحدة شرط في طلاقها وعقوبتها. وقد قال مالك فيمن قال لزوجه: إن وضعت فأنت طالق، فوضعت ولداً وبقي في بطنها آخر، فإنها لا تطلق حتى تضع الآخر؛ وعنه: تطلق بوضع الأول. والصحيح أن اليمين إن لم يكن لها نية أو بساط يقتضي الجمع بينهما، فإن الصواب مع أشهب.

قال بعض الناس: إنما أكل آدم من الشجرة وهو سكران. وقيل: أكل من جنس الشجرة لا من عينها، وكان إبليس غره بالأخذ بالظاهر وهي أول معصية وقعت؛ ولهذا قيل في اتباع الظاهر هدم الشريعة. وقيل: أكل حملاً للنهي عن التنزيه. وقيل: أكل مناوئاً لرغبة الخلد. وقيل: أكل ناسياً.

تنبه: تعلق بعض الناس بقول من قال: أكل سكران وقالوا: أفعال السكران معتبرة في الأحكام والعقوبات، وأنه لا يعذر في فعل كالصحابي؛ كما ألزم الله تعالى آدم العقوبة بفعل السكر؛ وعندنا في ذلك ثلاثة أقوال: اللزوم، وعدمه، والفرق: فلا تلزم العقود كالنكاح، ويلزم الحل كالطلاق، وتعلق بعض الناس بقول من قال: أكل من جنسها، فقالوا: من حلف ألا يأكل هذا الخبز، فأكل من غيره حنث. وقال الأكثرون: لا حنث عليه. وقال مالك: ينظر إلى بساط يمينه أو نيته؛ فإن اقتضيا العين أو الجنس، حمل عليه. وقالوا: عينت لآدم الشجرة، وأريد جنسها، ولو حلف: لا آكل هذه الحنطة فأكل خبزها حنث؛ لأنها هكذا تؤكل. وقال ابن المواز: لا يحنث؛ لأنه لم يأكل حنطة فواعى الاسم، ولو قال: لا آكل منها فأكل خبزها حنث، لأنه آكل منها.

قال القاضي أبو بكر: أما قول من قال: أكل سكران، ففاسد، لعدم صحة النقل؛ ولأن الأنبياء بعد النبوة معصومون مما يخل بالفرائض ويؤدي إلى اقتحام الجرائم. [الأحكام الصغرى ص 18] بتحقيقنا.

فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنَؤُا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا بِنَبِيِّ آلِيهِ أَنْعَمْتَ
 عَلَيْهِمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِهَدْيِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَا أُنزِلَتْ
 مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ كَافِرِينَ بِدِيَارِهِمْ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي
 فَأَتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَالْبَاطِلُ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴿البقرة: ٣٦ - ٤٢﴾.

﴿فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: 36] بالألف بعد الزاي لحمزة، والباقون بلا ألف وتشديد

اللام:

فالأول معناه: نحاهما عن الموضوع الذي كانا فيه.

والثاني معناه: الدعاء إلى الزلة وهي المخالفة وكلاهما وقع، أو المراد هما
 ﴿الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿عَنْهَا﴾ عن الجنة أو عن الطاعة بأن قال لهما ما يأتي في الأعراف
 ﴿فَكَلَا﴾ [الأعراف: 19] ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم وهل هو بالوسوسة أو
 ببعض أتباعه أو بدخوله إليهما أما ظاهر الآية لم يمنع إلا على وجه الإكرام أو باطنًا في
 فم الحية أقوال ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إلى الأرض خطاب لآدم وحواء نزلا منزلة الجنس
 البشري لأنهما أصله يدل عليه ﴿اهبطا منها جميعاً﴾ وقيل المخاطب آدم والوسوسة
 وحواء وقيل آدم وحواء والحية وإبليس ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فيبقي
 البعض على الآخر ويضله أو الشيطان عدو لآدم وذريته وكذا الحية وبعض الذرية
 لبعض ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ أي: بلغة ومستمتع يتمتعون
 به ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت انقضاء أجلكم ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة:
 37] تلقن وأصل التلقي القبول عن فطنة وعلم، وقيل التعلم قرأ ابن كثير ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ﴾
 بالنصب ﴿مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ بالرفع والباقون برفع «آدم» ونصب «كلمات» بالكسر وهل
 الكلمات: «سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين»، أو «لا إله إلا أنت
 سبحانك وبحمدك عملت رب سوء ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم»،
 «لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سواء وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت
 الغفور الرحيم»، «لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسي

فأرحمني إنك أنت الرحمن الرحيم»، أو قال: «يا رب أرأيت ما أتيت شيء كتبته علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته على نفسي؟ قال: بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب فما كتبت علي فاعفر لي» أو «ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»؟ أقوال.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ تجاوز عنه والتوبة الندم والعزم على عدم العود والإقلاع وإن كانت ظلامة اشترط ردها أن يمكن كقضاء فائت والأنبياء معصومون من كل ذنب وما وقع لآدم عليه السلام كان قبل النبوة سهواً ولم يصبر عليه ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ [البقرة: 38] من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كرر للتأكيد أو لغيره مما في الأصل ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ رسول بكتاب أو لا ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ قرأه يعقوب حيث وقع بفتح الفاء من غير تنوين، والباقون بالرفع والتنوين وكذا ابن كثير وأبو جعفر والبصريان «فلا رفث ولا فسوق»، وكذا أبو جعفر «ولا جدال» والباقون بالفتح من غير تنوين في الثلاثة، وكذا ابن كثير والبصريان «لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة» في هذه السورة، «لا بيع فيه ولا خلال» في إبراهيم، «لا لغو فيه ولا تأثيم» في الطور، والباقون بالرفع والتنوين ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لدخولهم الجنة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [البقرة: 39] كتبنا ونحوها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * يا بني إسرائيل ﴿البقرة: 39 - 40﴾ هو يعقوب ومعنى «إسراء» عبد و«إيل» الله أي: يا بني عبد الله أو صفوة الله، قرأ أبو جعفر بلا همز، وهمزة الباقون ﴿ادْكُرُوا نِعْمَتِي﴾ نعمي؛ أي: احفظوها واشكروها، والذكر يكون بالقلب واللسان واجتماعهما أفضل فإن انفرد فما كان بالقلب ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ عام لسائر النعم وقيل من إنعامه على آبائهم في الإنجاء من الغرق ومن فرعون والعمو بعد اتخاذ العجل ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بامثال الأمر ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بالقبول والثواب ﴿وَأِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ فخافون في ترك الوفاء به.

﴿وَأَمْنُوا﴾ [البقرة: 41] صدقوا ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة في وصف محمد صلى الله عليه وسلم والتوحيد، نزلت في كعب بن الأشرف وأكابر اليهود ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ من أهل الكتاب؛ لأن قريشاً كفروا قبل ذلك والنهي عنه بخصوصه لما فيه من عظيم الإثم بإثم الاتباع ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ التي في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ثُمَّنَّ قَلِيلًا﴾ أي: عرضاً سيزراً، والثلثم القليل ما كانوا

يأخذونه من سفلتهم ﴿وَإِنِّي فَاتَّقُونَ * وَلَا تَلْبِسُوا﴾ [البقرة: 41 - 42] تخلطوا ﴿الْحَقُّ﴾ من وصف محمد ﷺ ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تكتبونه بأيديكم ولا ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ من أمره ووصفه ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الحق من وصفه وأنه نبي مرسل ﷺ.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنَئِ أَسْرَوِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ [البقرة: ٤٣ - ٥٠].

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: 43] وهي الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها ﴿وَآتُوا﴾ أدوا ﴿الزَّكَاةَ﴾ مأخوذة من زكاة الزرع إذا نما وقيل من الزكى إذا تطهر وكل منهما موجود فيها لأنها تطهر المال؛ أي: ترفع عنه دنس الحرام وتنميه بالبركة، فالقليل المبارك خير من الكثير الذي لا يذكر فيه ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾⁽¹⁾ صلوا مع المصلين محمد ﷺ وصحبه وذكر الركوع لأن صلواتهم لا ركوع فيها.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ [البقرة: 44] استفهام على وجه الإنكار نسيان أنفسهم خصوصًا مع أمر غيرهم ﴿النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ وهو الإيمان والطاعة ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ تتركون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ فلا تتبعونه، نزلت في علماء اليهود حيث أمروا أقرباهم بالإيمان بالقرآن وخالفوا ذلك

(1) قال المهائمي: أي: صلوا بالجماعة إذ فضلت على صلاة الفرد في هذه الملة بسبع وعشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التي بها تظاهر النفوس على الخيرات. [تبصير الرحمن 96/1] بتحقيقنا.

﴿وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ﴾ تَقْرَؤُونَ التَّوْرَةَ وَفِيهَا الْوَعِيدُ عَلَى مَخَالَفَةِ الْقَوْلِ الْعَمَلِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سَوْءَ فَعَلِكُمْ فَتَرْجِعُونَ اسْتِفْهَامَ بِمَعْنَى التَّوْبِيخِ ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ [البقرة: 45] اَطْلَبُوا الْمَعُونَةَ عَلَى أُمُورِكُمْ ﴿بِالصَّبْرِ﴾ وَهُوَ حِسْبُ النَّفْسِ عَنِ الْمَعَاصِي الْإِلْزَامُ مِنْهُ إِذَا الْمَأْمُورَاتُ، أَوْ الْمُرَادُ الصَّوْمُ أَوْ آدَاءُ الْفَرَائِضِ ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ لِأَنَّ فِيهَا قِرَّةَ الْعَيْنِ بِاللَّهِ، وَقِيلَ: الْوَاوُ بِمَعْنَى عَلَى وَأَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا، وَكَانَ ﷺ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ فَرَزَعَ لِلصَّلَاةِ، وَقِيلَ الْخَطَابُ لِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ عَاقَبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ شَرَّهُمْ وَحَبَهُمُ الرَّئِيسَةَ فَأَمَرُوا بِالصَّبْرِ أَي: الصَّوْمِ لِإِزَالَتِهِ لِلأَوَّلِ وَالصَّلَاةِ لِنَفِيهَا الْكَبِيرِ ﴿وَأَنَّهَا﴾ أَي: الْإِسْتِعَانَةَ أَوْ الصَّلَاةَ رَدَّ الضَّمِيرَ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا الْأَغْلَبُ وَقَوْعًا، أَوْ فِي آيَةِ حَذْفِ تَقْدِيرِهِ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ وَبِالصَّلَاةِ ﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ فَحَذَفَ مِنْ أَحَدِهِمَا اخْتِصَارًا وَالْكَبِيرَةُ الثَّقِيلَةُ ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الْخَاشِعِينَ أَوْ الْمُتَوَاضِعِينَ أَوْ السَّاكِنِينَ إِلَى الطَّاعَةِ.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: 46] الْمُرَادُ بِهِ هُنَا يَتَيَقَنُونَ، وَالْأَصْلُ أَنَّ يَسْتَعْمَلُ فِي تَجْوِيزِ أُمُورٍ أَحَدُهُمَا أَظْهَرَ مِنَ الْآخَرِ، فَإِنْ أُرِيدَ خِلَافُ ذَلِكَ بَيْنَ ﴿أَنْتُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾⁽¹⁾ بِمَعَانِيَّتِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ فَيَجَازُوا بِأَعْمَالِهِمْ.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 47] بِالشُّكْرِ بِالطَّاعَةِ ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أَي: إِيَّاكُمْ ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الْمَوْجُودِينَ فِي زَمَانِهِمْ ﴿وَاتَّقُوا﴾ [البقرة: 48] اخْشَوْا ﴿يَوْمًا﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿لَا تَعْجِزِي﴾ تَقْضِي فِيهِ ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَزِمَهَا ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَالْبَصْرِيُّانِ بِالتَّاءِ وَالْبَاقُونَ بِالياءِ ﴿مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أَي: فِيهَا إِذَا كَفَرْتَ لِأَنَّهُ لَا شَافِعَ لَهُمْ فَالْمَعْنَى لَا شَافِعَ لَهُمْ فَيَقْبَلُ ﴿وَلَا

(1) الملاقاة: مفاعلة تكون من اثنين، لأن من لاقاك فقد لاقيته. وقال المهدوي والماوردي وغيرهما: الملاقاة هنا، وإن كانت صيغتها تقتضي التشريك، فهي من الواحد كقولهم: طارقت النعل، وعاقبت اللص، وعافاك الله، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، لأن لقي يتضمن معنى لاقى، وليست كذلك الأفعال كلها، بل فعل خلاف في المعنى لفاعل، انتهى كلامه. ويحتاج إلى شرح، وذلك أنه ضعفه من حيث إن مادة لقي تتضمن معنى الملاقاة، بمعنى أن وضع هذا الفعل، سواء كان مجرداً أو على فاعل، معناه واحد من حيث إن من لقيك فقد لقيته، فهو لخصوص مادة يقتضي المشاركة، ويستحيل فيه أن يكون لواحد. وهذا يدل على أن فاعل يكون لموافقة الفعل المجرد، وهذا أحد معاني فاعل، وهو أن يوافق الفعل المجرد. وقول ابن عطية: وليست كذلك الأفعال كلها كلام صحيح، أي ليست الأفعال مجردة بمعنى فاعل، بل فاعل فيها يدل على الاشتراك. [تفسير البحر المحيط (1/ 236)].

يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴿﴾ فذا سُمي به؛ لأنه مثل والمثل عدل ﴿﴾ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿﴾ يمنعون من العذاب ثم الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة لا لمن لا ذنب له ولا لأهل الصغائر.

﴿وَأِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 49] أي: أجدادكم وأسلافكم وذكر به يهود زمنه ﷺ

ليؤمنوا ﴿مِنْ آلِ﴾ أتباع ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وهو الوليد بن مصعب بن الريان من العماليق وهو اسم لملك مصر. انتهى.

﴿يَسْؤُمُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويصرفونكم كما يفعل بالسائمة ﴿شِوَاءِ الْعَذَابِ﴾ أشده وأسوأه ﴿يَلْبَسُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ لما رآه فرعون في منامه من أمر موسى ﷺ أو قول بعض الكهنة له أن مولودًا يولد في بني إسرائيل يكون ذهاب ملكك على يده ﴿وَيَسْتَخِينُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ يتركونهن أحياء والنساء اسم يقع على الصغار والكبار ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ أي: فعله فيكم ذلك ﴿بَلَاءٌ﴾ فتنة شديدة ومكروه ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ وقعه وقيل في إنعامه عليكم بالنجاة إنعام عظيم.

﴿وَأِذْ فَرَقْنَا﴾ [البقرة: 50] فلقنا ﴿بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ بسبيكم فجعلناكم بين فرقيه حتى

دخلتموه هارين من فرعون وقومه، أو الياء بمعنى اللام أي: لكم عند الهرب من فرعون، يُسمى البحر بحرًا لاتساعه ومنه سُمي الفرس بحرًا إذا اتسع في جريه ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو معهم لموته فيه وإن نجا بيدنه ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما صنعناه بهم.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا

مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ

ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا تَّخَذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ

لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ

نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّلْصَلَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ

بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥١ - ٥٦].

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ [البقرة: 51] قرأ البصريان وأبو جعفر بلا ألف هنا، والأعراف

وطه «وواعدناكم جانب الطور» والباقون بها، وهي من المفاعلة التي من الواحد

وحسن التيقن بها؛ لأن الله تعالى منه الوعد ومن موسى ﷺ القبول ﴿مُوسَى﴾ اسم عبري وهو معناه: «الماء» و«شا» المعجمة معناه الشجر، سُمي به لأنه وجد بين الماء والشجر قلبت المعجمة مهملة في العربية ﴿أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي ذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة والمراد انقضاؤها أي: فيعطيه عند ذلك التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾⁽¹⁾ الذي صنعه السامري إليها تعبدونه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ذهاب موسى

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قرأ أبو عمرو: «وعدنا» بغير ألف، واختاره أبو عبيد ورجحه وأنكر «واعدنا» قال: لأن المواعدة إنما تكون من البشر فأما الله ﷻ فإنما هو المنفرد بالوعد والوعد، على هذا وجدنا القرآن، كقوله ﷻ: ﴿وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾ وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِخْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾، قال مكي: وأيضاً فإن ظاهر اللفظ فيه وعد من الله تعالى لموسى، وليس فيه وعد من موسى، فوجب حمله على الواحد؛ لظاهر النص أن الفعل مضاف إلى الله تعالى وحده، وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وأبي جعفر وشيبة وعيسى بن عمر، وبه قرأ قتادة وابن أبي إسحاق، قال أبو حاتم: قراءة العامة عندنا «وعدنا» بغير ألف؛ لأن المواعدة أكثر ما تكون بين المخلوقين والمتكافئين، كل واحد منهما يعد صاحبه، قال الجوهري: الميعاد: المواعدة والوقت والموضع، قال مكي: المواعدة أصلها من اثنين، وقد تأتي المفاعلة من واحد في كلام العرب، قالوا: طارقت النعل، وداويت العليل، وعاقبت اللص، والفعل من واحد، فيكون لفظ المواعدة من الله خاصة لموسى كمعنى «وعدنا»، فتكون القراءةان بمعنى واحد، والاختيار «واعدنا» بالألف؛ لأنه بمعنى «وعدنا» في أحد معنييه، ولأنه لا بد لموسى من وعد أو قبول يقوم مقام الوعد فتصح المفاعلة، قال النحاس: وقراءة «واعدنا» بالألف أجود وأحسن، وهي قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي، وليس قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من هذا في شيء؛ لأن ﴿وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ إنما هو من باب الموافاة، وليس هذا من الوعد والوعد في شيء، وإنما هو من قولك: موعدك يوم الجمعة، وموعدك موضع كذا، والفصيح في هذا أن يقال: واعدته، قال أبو إسحاق الزجاج: «واعدنا» ها هنا بالألف جيد؛ لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فمن الله ﷻ وعد ومن موسى قبول واتباع يجري مجرى المواعدة، قال ابن عطية: ورجح أبو عبيدة «وعدنا» وليس بصحيح؛ لأن قبول موسى لوعده الله والتزامه وارتقابه يشبه المواعدة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿مُوسَى﴾ اسم أعجمي لا ينصرف للمعجمة والتعريف، والقطب على - ما يروى - يقولون للماء: مو، وللشجر: شا، فلما وجد موسى في التابوت عند ماء وشجر سُمي موسى، قال السدي: لما خافت عليه أمه جعلته في التابوت وألقت في اليم - كما أوحى الله إليها - فألقت في اليم بين أشجار عند بيت فرعون، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدنه،

فسمي باسم المكان، وذكر النقاش وغيره: أن اسم الذي التقطته صابوث، قال ابن إسحاق: وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوي بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أربعين نصب على المفعول الثاني، وفي الكلام حذف قال الأخفش: التقدير وإذ اعدنا موسى تمام أربعين ليلة كما قال: «واسئل القرية» والأربعون كلها داخله في الميعاد، والأربعون في قول أكثر المفسرين ذو القعدة وعشرة من ذي الحجة، وكان ذلك بعد أن جاوز البحر وسأل قومه أن يأتهم بكتاب من عند الله فخرج إلى الطور في سبعين من خيار بني إسرائيل وصعدوا الجبل وواعدهم إلى تمام أربعين ليلة فعدوا فيما ذكر المفسرين عشرين يوماً وعشرين ليلة، وقالوا: قد أخلفنا موعدة، فاتخذوا العجل، وقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فاطمأنوا إلى قوله ونهاهم هارون، وقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾، فلم يتبع هارون ولم يطعه في ترك عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً فيما روي في الخبر، وتهافت في عبادته سائرهم وهم أكثر من ألفي ألف، فلما رجع موسى ووجدهم على تلك الحال ألقى الألواح فرفع من جملتها ستة أجزاء وبقي جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون، وأحرق العجل وذراه في البحر فشرّبوا من مائه حباً للعجل؛ فظهرت على شفاههم صفرة وورمت بطونهم فتابوا ولم تقبل توبتهم دون أن يقتلوا أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَقَتَلُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فقاموا بالخناجر والسيوف بعضهم إلى بعض من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، فقتل بعضهم بعضاً لا يسأل والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا أحد عن أحد كل من استقبله ضربه بالسيف وضربه الآخر بمثله حتى عجز موسى إلى الله صارخاً: يا رباه قد فنيت بنو إسرائيل! فرحمهم الله وجاد عليهم بفضلهم فقبل توبة من بقي وجعل من قتل في الشهداء على ما يأتي.

الرابعة: إن قيل لم خص الليالي بالذكر دون الأيام؟ قيل له: لأن الليلة أسبق من اليوم فهي قبله في الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ فالليالي أول الشهور والأيام تبع لها.

الخامسة: قال النقاش: في هذه الآية إشارة إلى صلة الصوم؛ لأنه تعالى لو ذكر الأيام لأمكن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل، فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام أنه عليه السلام وأصل أربعين يوماً بلياليها، قال ابن عطية: سمعت أبي يقول: سمعت الشيخ الزاهد الإمام الواعظ أبا الفضل الجوهري رحمه الله يعظ الناس في الخلوة بالله والدنو منه في الصلاة ونحوه، وأن ذلك يشغل عن كل طعام وشراب ويقول أين حال موسى في القرب من الله؟! ووصال ثمانين من الدهر من قول حين سار إلى الخضر لفتاه في بعض يوم ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾، قلت: وبهذا استدل علماء الصوفية على الوصال وأن أفضله أربعون يوماً، وسيأتي الكلام في الوصال في أي الصيام من هذه السورة إن شاء الله تعالى.

السادسة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: اتخذتموه إلهاً من بعد موسى، وأصل اتخذتم «اتخذتم» من الأخذ ووزنه افتعلتم، سهلت الهمزة الثانية لامتناع همزتين فجاء

لميعادنا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بوضع العبادة في غير محلها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾ [البقرة: 52] محونا ذنوبكم ﴿عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بإقامة الطاعات.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا﴾ [البقرة: 53] أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة التي فرقت بين الحق والباطل ولأجل ذلك قال: ﴿وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بها إلى الحق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: 54] الذين عبدوا العجل ﴿يَا قَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إِلَهَا ﴿فَتَوْبُوا﴾ فارجعوا ﴿إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من عبادته، قرأ أبو عمرو «بارئكم» في الموضوعين هنا بإسكان الهمزة و«يأمركم» و«يأمرهم» و«ينصركم» و«يشعركم» حيث وقع بإسكان الراء، وروى عنه جماعة الاختلاس في الكلمات الست، وروى بعضهم إشمام الحركة عن الدوري وبذلك قرأ الباقون، والبارئ موجد الأشياء في مراتبها بين أول الاختراع وتمام التصوير، ويستعمل بمعنى الخالق فلما قال لهم ذلك سألوه ما نضع فقال: ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ المعنى ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفقكم لذلك وشكوا لموسى ما عساه يقع من نحو رحمة قريب لقربه، فأرسل الله عليهم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضهم بعضاً حتى قتل منهم نحو من سبعين ألفاً ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: قبل توبتكم لما فعلتم ما أمرتم به ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ * وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ [البقرة: 54 - 55] وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا لربكم من عبادة العجل، قيل: وسمعوا كلام الله ولم يصح ﴿يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ في المستقبل ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ بأبصارنا لا رؤية علم فقط ﴿فَأَخَذْتَكُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ الموت أو ناراً أحرقتهم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي: ينظر بعضكم بعضاً حينئذ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 56] أحييناكم والبعث إثارة الشيء عن محله منه بعث فلان البعير إذا أقامه عن موضعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ الذي كان لإظهار القدرة لا لانقضاء آجالكم؛ ليم أرزاقكم وآجالكم الحقيقية ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ذلك.

«أيتخذتم» فاضطربت الياء في التصريف جاءت ألفاً في «ياتخذ» وواوًا في «موتخذ» فبدلت بحرف جلد ثابت من جنس ما بعدها وهي التاء، وأدغمت ثم أجلبت ألف الوصل للنطق، وقد يستغنى عنها إذا كان معنى الكلام التقرير كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ فاستغنى عن ألف الوصل بألف التقرير، ومذهب أبي علي الفارسي أن: «اتخذتم» من اتخذ لا من أخذ. ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ جملة في موضع الحال.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا مِنْهُ الْغَرِيْبَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدْ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَاطِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِفَضْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَتَمَثَّلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴿البقرة: ٥٧ - ٦٣﴾.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ﴾ [البقرة: 57] في التيه حيث تضررتم بالحر وعدم المأوى ﴿الغَمَامُ﴾⁽¹⁾ مأخوذ من الغم وهو التغطية سمي به الغمام؛ لأنه يغطي وجه الشمس

(1) هو السحاب الأبيض، يقيكم حر الشمس في التيه، وكان لهم في التيه عمود من نور مد لهم من السماء فيسير معهم من الليل مكان القمر. فأصابهم الجوع فسألوا موسى فدعا الله فأنزل عليهم

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿الْمَنَّ﴾ وهو ما من به تعالى عليهم بلا تعب، وهل هو الخبز الرقاق أو الترنجيبين قولان الأكثر على الثاني ﴿وَالسَّلْوَى﴾ وهو السمانى بتخفيف الميم والقصر أو طائر يشبهه ﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ونهوا عن الإدخار، فلما ادخروا انقطع ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك؛ لعدم قدرتهم على ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وبالهم عليهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة: 58] لبني إسرائيل بعد خروجهم من التيه ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ سميت بذلك؛ لجمعها أهلها ومنه سمي الحوض مقراً؛ لجمعه الماء وهل هي إيليا وأريحا، أو الرملة أو الأردن في فلسطين؟ أقوال، الثاني لابن عباس وينسب إليه إنها كيسان الشام ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ المعهود من أبوابها؛ أي: القرية ﴿سَجْدًا﴾ خضعاً بالاتحاد ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: حط عنا خطايانا أو لا إله إلا الله أو مسألتنا حطة ﴿نَغْفِرْ﴾ بضم الياء للتأنيث وفتح الفاء لابن عامر هنا وفي الأعراف، ووافقه المدنيان ويعقوب، ثم قرأوا بالتذكير وضم الياء وفتح الفاء، والباقون بالنون وفتحها وكسر الفاء ﴿لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: 59] منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ وهل قالوا حبة في شعيرة أو حنطة؟ قولان، ودخلوا يزحفون على أشباههم ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذاباً قيل: هو الطاعون ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ فهلك منهم في ساعة نحو من سبعين ألفاً.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى﴾ [البقرة: 60] طلب السقيا ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ عند عطشهم في التيه ﴿فَقُلْنَا﴾: يا موسى ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ التي جعلناها لك آية ﴿الْحَجَرِ﴾ الذي قدرنا أنه يحصل منه انفجار الماء عقب ضربك، وهل المأمور بضربه عموم الأحجار بمعنى

المنّ وهو الترنجيبين كان يتساقط عليهم كل غداة، فيأخذ كل إنسان منهم ما يكفيه يومه وليلته، فإن أخذ أكثر من ذلك دود ذلك الزائد وفسد؛ وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل إنسان منهم مقدار ما يكفيه يومين، لأنه لا يأتيهم يوم السبت، وكان ذلك مثل الشهد المعجون بالسمن فأجموا من المنّ، أي ملوا من أكله. فقالوا لموسى عليه السلام: قتلنا هذا المن بحلاوته وأحرق بطوننا، فادع لنا ربك أن يطعمنا لحماً. فدعا لهم موسى عليه السلام فبعث الله لهم طيراً كثيراً. [بحر العلوم للسمرقندي (1/58)].

أن كل مضروب يحصل منه ذلك، أو كان حجراً معيناً على قدر رأس الرجل يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا للماء ضربه، أو هو الذي فر بثوبه أو غير ذلك مما في الأصل؟ أقوال، ثانيها لابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ أي: فضرب فانشقت وانبعست كما قاله الأكثرون، وقيل الثاني بمعنى عرفت، والأول بمعنى سيلان الماء ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل سبط منهم ﴿مَشْرَبُهُمْ﴾ موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم ﴿كُلُوا﴾ أي: قلنا لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا﴾ أي: تكثروا الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ التي استخلفكم فيها ﴿مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ [البقرة: 61] يا بني إسرائيل مستخطين بالحال الذي أنتم فيه ﴿يَا مُوسَى لَنْ نُصِبرَ عَلَى طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَاحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ هو ما أنبتته من الخضر المأكول ﴿وَقَتَائِبِهَا وَفُومِهَا﴾ هل هو الخبز أو الحنطة أو الحبوب التي تؤكل، أو الثوم؟ أقوال، أقربها الثاني.

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ [البقرة: 61] الله تعالى لموسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أدون قدراً وأحط رتبة ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ تشركون الأعلى للأدنى وهذا توبيخ لهم فدعا ربه فقال: ﴿أَهَبَطُوا﴾ انزلوا من التيه ﴿مِضْرًا﴾ من الأمصار أو مصر المعينة ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فيها ﴿مَا سَأَلْتُمْ﴾ من ذلك ﴿وَوَضَعْتُمْ﴾ أحيطت أو جعلت ﴿عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ﴾ والهوان ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفقر سمي الفقير مسكيناً؛ لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة فهي لازمة لهم، وإن كانوا أغنياء ﴿وَبَاءُوا﴾ رجعوا من التيه ﴿بِعَقْصِبٍ﴾ إبعاد لهم ﴿مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ المجعول لهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ بالهمز لنافع وبغيره لمن بقي وكذا النبي والأنبياء وأنبياء النبوة، وقالون لم يهزم في موضعي الأحزاب وهما ﴿وَهَبَّتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 50] و﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 53] فيبدل ما وقع بعد الضمة واوا وما بعد الكسرة ياء بالتشديد فيها وصلاً، وبالهمز في الوقف وممن قتلوه زكريا ويحيى ووصف القتل بقوله ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مبالغة في ذمهم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون حدود الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 62] ولم تخلص قلوبهم أو آمنوا حقيقة، أو آمنوا بالأنبياء من قبل ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ والصابئون في المائدة بالهمز لغير نافع فيقرأ «الصابئون» بضم الباء، وكذا ﴿الصَّابِئِينَ﴾ بكسر الياء

وحذف الهمزة وافقه أبو جعفر في المائدة وفي البقرة والحج.

وهل هم من أهل الكتاب وذبايحهم كذبايحهم، أو هم منهم لكن لا في حل الذبيحة والمناكحة، أو هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس، أو هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤوسهم ويحبون مذاكيرهم، أو هم قوم يقرأون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة؟ أقوال، أولها لعمر رضي الله عنه وثانيها لابن عباس، ومذهب إمامنا الشافعي رضي الله عنه أن الصابئين إن خالفوا النصارى في أصل دينهم حرمت ذبيحتهم ومناكحتهم، وإلا فلا ﴿مَنْ آمَنَ﴾ أي: أخلص أو ثبت أو ضم إلى الإيمان بنبيه الإيمان بنينا رضي الله عنه وإلى ذلك كله الإيمان بشرائعه ومن ذلك يؤمن ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الموعود به ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴿البقرة: 62 - 63﴾ باتباع موسى ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾⁽¹⁾ الجبل حين امتنعتم من العمل بما أمر به موسى من اتباع التوراة كالظلة حتى أخذتم بما فيها من المواثيق والعهود ﴿خُذُوا﴾ أي: وقلنا خذوا ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ شدة وعزم على العمل بما فيه ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ودرسه لئلا يضيع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُنَّ وَاصْلُوا صُلُبَهُنَّ يَوْمَ يَصْعَقُونَ ﴿٦٥﴾ فَعَلَّمْنَاهَا تَكْوِيلًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

(1) قال أبو حيان: سبب رفعه امتناعهم من دخول الأرض المقدسة، أو من السجود، أو من أخذ التوراة والتزمها. أقوال ثلاثة. روي أن موسى لما جاء إلى بني إسرائيل من عند الله بالألواح فيها التوراة قال لهم: خذوها والتزموها، فقالوا: لا، إلا أن يكلمنا الله بها، كما كلمك، فصعقوا ثم أحيوا. فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا. فأمر الله تعالى الملائكة فقاتلت جبالاً من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله، وكذلك كان عسكرهم، فجعل عليهم مثل الظلة، وأخرج الله تعالى البحر من ورائهم، وأضرم ناراً بين أيديهم، فاحتاط بهم غضبه، فقبل لهم: خذوها وعليكم الميثاق أن لا تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، وغرقكم البحر، وأحرقكم النار، فسجدوا توبة لله، وأخذوا التوراة بالميثاق، وسجدوا على شق لأنهم كانوا يرقبون الجبل خوفاً. فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها، فأمروا بسجودهم على شق واحد. [تفسير البحر المحيط (1/313)].

﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالِ
 أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ
 يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
 قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ
 فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ
 تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿[البقرة: ٦٤ - ٧٠]

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [البقرة: 64] أي: أعرضتم عن الوفاء بما أمرتم به ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾
 المذكور من أخذ الميثاق وما معه ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة أو
 بتأخير العقوبة ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾ [البقرة:
 65] تجاوزوا الحد ﴿مِنْكُمْ﴾ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أصل إيلة ﴿فِي
 السَّبْتِ﴾ أصله القطع سمي اليوم بذلك لأن الله قطع فيه الخلق أي: لأنه انهى خلق
 السماوات والأرض قبله أو لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾
 أمر تحويل وتكوين ﴿خَاسِئِينَ﴾ مبعودين مطرودين فكانوا قردة حقيقة وهلكوا بعد
 ثلاثة أيام.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ [البقرة: 66] أي: هذه الحالة من العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة مانعة
 من ارتكاب مثل ما عملوا وهو اسم لكل عقوبة ينكل الناظرين، وأصله من النكل بكسر
 النون وإسكان الكاف وهو القيد الشديد والجمع أنكال ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ ما سبق لهم
 من الذنوب ﴿وَمَا خَلَقَهَا﴾ ما حضرها من عصيانهم بأخذ الحيتان وقيل غير ذلك كما
 في الأصل ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ حكمة وذكرى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ربهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: 67] وقد قتل لهم قتيل لا يدرى قاتله وسألوا
 أن يدعو الله لبيانه فدعا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا﴾ بضم الزاي
 وبالهمز، وحفص لا يهمز فيبدل الهمز واوا ومثله ﴿كُفُّوا﴾ [الإخلاص: 4] قرأ حمزة
 وخلف بسكون الزاي وبالهمز كما قرأ في «كفؤا» بإسكان الفاء وبالهمز وافقهما يعقوب
 في «كفؤا»، وقالوا لموسى ذلك لأنهم سألوه عن أمر القتل، فأجابهم بذبح البقرة فظنوا
 أنه صيرهم مهزؤا بهم لإجابته لهم بخلاف السؤال ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَعُوذُ﴾ امتنع

﴿بِاللَّهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الذين يستهزؤون بالمؤمنين فلما علموا أنه عزم. ﴿قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: 68] باعتبار سننها ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾ الضمير لله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ مسنة لا تلد ﴿وَلَا بَكْرٌ﴾ فتية صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ نصف ﴿يُبَيِّنُ ذَلِكَ﴾ بين الشتين ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ من الذبح ولا تكررُوا سؤالكم. ﴿قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ﴾ [البقرة: 69] هو اتباع دال على شدة الصفرة كقولهم أسود حالك، وأحمر قاني، وأخضر ناصع، وأبيض يقق للمبالغة فيها، وقيل: المراد بالصفرة السواد ويطله قوله: ﴿فَاقِعٌ لُونُهَا﴾ أي: لون البقرة ﴿تَسُرُّ النَّاطِرِينَ﴾ تعجبهم ﴿قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: 70] سائمة أو عاملة ﴿إِنَّ الْبَقْرَ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ فلم نهتد إلى المقصود ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، قال رسول الله ﷺ: «وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ لَمْ يَسْتَسُوا لَمَا بَيَّنَّتْ لَهُمْ آخِرَ الْأَبَدِ»⁽¹⁾.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرِكْهُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: 71 - 74].

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ [البقرة: 71] ذليلة للعمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي: تقلبها للزرع ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الأرض المهيأة للزرع فليست بساقية ﴿مُسَلِّمَةٌ﴾ بريئة من العيوب وآثار العمل ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ هل الشية العيب أو اختلاف اللون أو اجتماع البياض والسواد؟ أقوال، أقربها الثاني ﴿قَالُوا الْآنَ﴾ هو ظرف الزمان الذي أنت

(1) ذكره الشيخ حقي في «تفسيره» (200/1)، والنسفي في «تفسيره» (54/1).

فيه ﴿جِئْتُ بِالْحَقِّ﴾ الذي يتبع لنهاية البيان، ثم طلبوا البقرة فوجدوها عند شاب كان من شأنه برُّ أمه فاشتروها على جلدها ذهباً ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ إما من غلو الثمن أو قلة اجتماع الأوصاف أو شدة الاختلاف⁽¹⁾، وفي الحديث: «لو ذبحوا

(1) قال أبو بكر بن العربي: هذه الآية عظيمة الموقع، مشكلة في النظر، وفيها مسائل:

المسألة الأولى: في سبب ذلك، روي أن رجلاً من بني إسرائيل، قتل غيلة وطرح بين قوم، فدعي به عليهم؛ فسأل بنو إسرائيل من موسى أن يدعو الله لبيِّن القاتل، فدعا ربه؛ فأمرهم بذبح بقرة، وضرب القتيل ببعض منها؛ فشددوا في السؤال عنها، فشدد الله عليهم، فلم يجدوا تلك الصفة إلا عند رجل بر بأبويه؛ فطلب منهم فيها ملء مسكها ذهباً، فبذلوه له؛ ثم ذبحوها وضرب ببعضها، فحبي فقال: فلان قتله. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

ومعناه: الخبر عنهم بما يخبرون به عن أنفسهم، لا بما يخبرون به عن غيرهم؛ لأن إخبارهم عن غيرهم يفتقر إلى عدالة؛ ولهذا إذا أخبروا عن شرع لم يلزم قوله. وقد قال عمر: رأيت رسول الله ﷺ وأنا أمسك مصحفاً، فقال: «ما هذا؟» قلت: جزء من التوراة، فقال: «إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزلت على موسى يوم طور سيناء فاقراها؛ ثم غضب وقال: والله لو كان موسى حياً، ما وسعه إلا اتباعي».

المسألة الثانية: أخبر الله تعالى هنا عن حكم جرى في شرع موسى، واختلف الناس هل يلزمنا حكمه أو لا؟ وتلقب هذه المسألة بشرع من قبلنا، هل يلزمنا أو لا؟ وقد قال أكثر الفقهاء والمتكلمين: إن شرع من قبلنا لازم لنا وله ﷺ ونص عليه ابن بكير. وقال القاضي عبد الوهاب هذا هو الذي تقتضيه أصول مذهب مالك وقاله الشافعي. وقال القاضي أبو بكر: إنا لم ننعبد بشرع أحد، ولا أمر به ﷺ. قال القاضي أبو بكر بن العربي: والصحيح القول بلزوم شرع من قبلنا مما أخبرنا به نبينا عنهم دون ما وصل إلينا من غيره، لفساد ما عندهم؛ وهذا هو صحيح مذهب مالك في مسأله، قال: ونكتة هذا: إن الله تعالى أخبرنا عن قصص الماضين، فما كان من آيات الازدجار وذكر الاعتبار، ففائدته الوعظ؛ وما كان من آيات الأحكام، فالمراد به: الامثال والافتداء لقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَتْتَهُ﴾. وقال ابن الجويني: إن نبينا ما رجع قط إلى أحد من أهل الكتاب ولا باحثه عن حكم، لفساد ما عندهم؛ وأما ما نزل به الملك عليه، فهو الحق المفيد للحكم.

المسألة الثالثة: لما ضرب بنو إسرائيل الميت بذلك العضو، قال: دمي عند فلان، فتعين قتله؛ وقد استدل مالك بهذا على القسامة، وقال إنه يدل على أن قول الميت: دمي عند فلان مقبول، ويقسم عليه؛ فإن قيل: هذا آية ومعجزة لموسى، قلنا: الآية والمعجزة في إحيائه الميت، فلما صار حياً، صار كسائر الأحياء في قوله قبولاً ورداً؛ فإن قيل: إنما قتله موسى بالآية، قلنا ولعله أمرهم بالقسامة وأخبره جبريل بصدقه فقتله موسى بعلمه كما تقدم في قتله ﷺ، للحارث بن سويد بإخبار جبريل له؛ وقد ثبت في شرعنا القول في حديث حويصة ومحبيصة الثابت في الموطأ. وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قتل رجلاً بالقسامة وقد استبعد الشافعي وجماعة من

أي بقرة كانت لأجزأهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم»⁽¹⁾ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ﴾ [البقرة: 72] اختلفتم وقد افقتم ﴿فِيهَا﴾ أي: في النفس وفي الخبر: «ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»⁽²⁾ ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مظهر﴾ ﴿مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتل وهذا اعتراض وهو أول القصة.

﴿فَقُلْنَا﴾ [البقرة: 73] بعد ذبح البقرة ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ إما عجب الذنب أو اللسان أو فخذها الأيمن أو الغضروف بضم الغين وإسكان الضاد المعجمتين ثم راء وواو وفاء وهو أصل الأذن أو عضو من أعضائها لم يعين أقوال، رابعها لابن عباس، والأمر بالضرب ليحيى ويخبر عن قاتله، ففعلوا فقام حيًا وقال: قاتلي فلان وفلان لابني عمه، ومات فحرما الميراث وقتلا أو قاتله ابن أخيه وفعل به ما ذكر ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أن القادر على إحياء نفس قادر على إحياء نفوس جمعة فتؤمنون.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: 74] أيها اليهود عن قبول الحق؛ أي: صلبت أو يبست وجفت مجازاة عن خروج الرحمة واللين ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الذي ظهر لكن ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في النوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ عيونًا ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ أي: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفل كما وقع في تجلي الله للجبل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ فما لقلوبكم لا نلين ولا نعشع، والخشية في الحجارة ونحوها من الجمادات لما أودعه الله تعالى فيها من العلم، ولكل جماد صلاة وتسبيح، وثبت تسليم الأحجار عليه ﷺ وحنين الجزع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم قرأ بالياء من أسفل لابن كثير ولغيره بالتاء من فوق.

العلماء كالبخاري وغيره القول بالقسامة، وقالوا: كيف يقبل قوله في الدم وهو لا يقبل في درهم؟ والجواب أن السنة هي التي تمضي وترد ولا يعترض عليها، ولا تناقض فيها. واعم أن هذه الآية تدل على حصر الحيوان المعين بالصفة، وقال أبو حنيفة: لا يتعين الحيوان بصفة، ولا يتعين بجهة والله أعلم. [الأحكام الصغرى ص 21] بتحقيقنا.

(1) ذكره القرطبي في «تفسيره» (448/1)، والبيهقي في «تفسيره» (106/1).

(2) ذكره البيهقي في «تفسيره» (109/1).

﴿ أَتَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ
 اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
 عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِينَ
 وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَنْظُنُونَ ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ
 لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٩) [البقرة: ٧٥ - ٧٩].

﴿ أَتَنْظَمُونَ ﴾ [البقرة: 75] خطاب النبي ﷺ وصحبه ﴿ أَنْ يُؤْمِنُوا ﴾ أي: اليهود
 ﴿ لَكُمْ ﴾ لأجلكم ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ ﴾ طائفة ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أحبارهم ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ في
 التوراة ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ يبدلونه ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ فهموه كتبديلهم آية الرجم ووصف
 محمد ﷺ وهل هم السبعون المختارون من قوم موسى، أم غيرهم؟ قولان: الأول لابن
 عباس ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أن الحق خلاف ما قالوه والهمزة للإنكار؛ أي: لا تطمعوا فلهم
 سابقة في الكفر.

﴿ وَإِذَا لَقُوا ﴾ [البقرة: 76] أي: المنافقون منهم ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾
 كإيمانكم ﴿ وَإِذَا خَلَا ﴾ رجع ﴿ بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ لا موهم على ذلك ﴿ قَالُوا ﴾
 أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ ﴾ هل هو قصي أو بين أو أنزل أو من؟ أقوال ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ من صفة
 محمد ﷺ ﴿ لِيُحَاجُّوكُمْ ﴾ ليخاصموكم ﴿ بِهِ ﴾ أي: بما قلت لهم ﴿ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ في الآخرة
 ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ذلك.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 77] أي: المنافقون ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
 يُسِرُّونَ ﴾ يخفون ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ يبدون من ذلك ومن غيره فيرجعوا عن ذلك ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾
 [البقرة: 78] أي: اليهود ﴿ أُمِّيُونَ ﴾ عوام، جمع أمي وهو الذي لا يحسن القراءة ولا
 الكتابة، نسبة إلى أمه كأنه باقٍ على حال انفصاله عنها ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي:
 الكتابة حتى يطالعون ويعرفون ما في التوراة ﴿ إِلَّا ﴾ لكن ﴿ أَمَانِينَ ﴾ بتخفيف الياء في كل

القراءن لأبي جعفر وبالتشديد لغيره، وأماني جمع أمانة؛ أي: كذبة افتعلوها من قبل أنفسهم أو تلقوها من كبرائهم فاعتمدوها، وقيل: تلاوة لا يعرفون معناها فيكون نفي الكتاب نفيًا لفهمه أو الأماني ما يطلبونه لأنفسهم من الله على جهلهم ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ ما هم في جحد نبوة محمد ﷺ وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ توهمًا لا يقينًا وقيل يكذبون.

﴿فَوَيْلٌ﴾ [البقرة: 79] هي كلمة يقولها كل من وقع هلكة، وهل هي دعاء الكفار على أنفسهم بالويل، أو هي شدة العذاب، أو واد في جهنم؟ أقوال ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ﴾ يستبدلوا به ﴿ثُمَّناً قَلِيلًا﴾ من متاع الدنيا نزلت في تغييرهم صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المخلوق ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الجرائم.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِئِذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: 80 - 83].

﴿وَقَالُوا﴾ [البقرة: 80] أي: اليهود لما وعدهم النبي ﷺ النار ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تصيينا ﴿النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ قيل: سبعة آلاف سنة، وقيل: أربعون يومًا عدة الدنيا أو عدة عبادة العجل، ثم نزول ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ موثقًا بذلك أو عهدًا بالتوحيد ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ به لا ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الكتاب.

﴿بَلَى﴾ [البقرة: 81] تمسكم وتخلدون فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ﴾ الإحاطة الإحداق بالشيء من جميع جوانبه ﴿حَطِيبَتْهُ﴾ قرأ المديان «خطيائه» بالجمع والباقون بالإفراد، وهل المراد الشرك والإصرار على الكبائر، أو إهلاك الخطيئة له لكونها شركاً مات عليه؟ أقوال، الثاني منها لا معول عليه، والأول والأخير قول في المعنى ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: 81 - 83] في التوراة وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء من تحت، والباقون بالتاء والمعنى: «ألا تعبدوا» ﴿إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ أي: احسنوا أو يحسنون بالوالدين براً وتعظيماً ومطاوعة إلا فيما نهى الله عنه ﴿وَوَدَى﴾ أصحاب ﴿الْقُرْبَى﴾ الأقارب ولو من ذوي الأرحام ﴿وَالْيَتَامَى﴾ جمع يتيم وهو صغير لا أب له ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ جمع مسكين، وهو هنا الفقير والتقدير وبذي القربى إلى آخره ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف بفتح السين والحاء والباقون بضم الحاء وإسكان السين، فالمراد على الأول: قولاً حسناً وعلى الثاني: قولاً شأن محمد ﷺ قاله ابن عباس وغيره، وقيل: هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل: اللين في المعاشرة وحسن الخلق ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: ما فرض عليكم من ذلك في ملتكم فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ ممن مات على حق اليهودية ولم يدرك محمداً ﷺ أو أدركه ﷺ فأمّن به ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض والمراد هنا الإخبار بأنهم كأبائهم في الإعراض.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَطَّهَّرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُمْ حُرْمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْمَثُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا

تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ [البقرة: ٨٤ - ٨٥].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: 84] أي: لا يسفك بعضهم دم بعض والسفك إراقة الدم إما مباشرة أو تسبياً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي: لا يخرج بعضكم بعضاً، أو لا تؤذوا الجار بالسب ونحوه فيخرج ﴿ثُمَّ أَفْرَزْتُمْ﴾ ألزمتكم ذلك ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بذلك على أنفسكم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: 85] والتقدير: يا هؤلاء ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً إلى آخره ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ بقاء واحدة وتشديد الظاء للجمهور وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بتخفيف الظاء؛ أي: يتعاونون والظهير العون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ المعصية ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ الظلم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾ قرأ حمزة «أسرى» بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف والباقون بضم الهمزة وألف بعد السين وهو جمع «أسرى» كسكرى وسكاري، والأول جمع أسير كجريح وجرحى يفدوهم بالمال لإنقاذهم قرأ المدنيان وعاصم والكسائي ويعقوب ﴿تَفَادَوْهُمْ﴾ بضم التاء وبألف بعد الفاء؛ أي: تبادلوهم أسيراً بأسير والباقون بفتح التاء وإسكان الفاء بلا ألف ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ كما حرم عليكم ترك العذاب ونزلت لأن قريظة حالفت الأوس وحالف النضير الخزرج فكان كل يقاتل مع من حالفه ويخرب ديارهم ويخرجهم، فإذا أسروا فدوهم وكانوا إذا قيل لهم: لم تقاتلونهام وتفدونهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء، فيسألون: لم تقاتلونهاهم؟ فيقولون: قاتلناهم حياءً أن تستدل حلفاؤنا، فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بقتل قريظة وسببهم وإجلاء النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أشدِّ الْعَذَابِ﴾ في النار ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ نافع وابن كثير وخلف وأبو بكر «يعملون» والباقون بالخطاب.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى

أَنْفُسِكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ [البقرة: ٨٦ - ٨٩].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: 86] فأثروا الفاني على الباقي ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ في الدنيا فلا ينقص الخزي ولا في الآخرة فلا ينقص عذاب النار ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا﴾ [البقرة: 87] اتبعنا ﴿مَنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحات وهي ما ذكر في آل عمران والمائدة وقيل الإنجيل ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾⁽¹⁾ وهل هو جبريل يسير معه حيث سار، أو الروح ما نفخ فيه والقدس هو الله تعالى عز وجل أو الروح الظاهر أو الإنجيل واسم الله الأعظم؟ أقوال، أصحها الأول، والقدس الظاهر وهو يأسكان الدال لابن كثير وضمها لغيره ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾ تحب ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ من الحق ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم

(1) قال البغوي في «تفسيره»: اختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد بالروح الذي نفخ فيه، والقدس هو الله أضافه إلى نفسه تكريمًا وتخصيصًا نحو بيت الله، وناقة الله، كما قال: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، وقيل: أراد بالقدس الطهارة، يعني الروح الظاهر سمي روحه قدسًا؛ لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمرًا من أمر الله تعالى، قال قتادة والسدي والضحاك: روح القدس جبريل ﷺ قيل: وصف جبريل بالقدس؛ أي: بالطهارة؛ لأنه لم يقترف ذنبًا، وقال الحسن: القدس هو الله وروحه جبريل قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وتأيد عيسى بجبريل - عليهما السلام - لأنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله إلى السماء، وقيل: سمي جبريل ﷺ روحًا لظافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم به كان يحيي الموتى ويرى الناس به العجائب، وقيل: هو الإنجيل جعل له روحًا كما جعل القرآن روحًا لمحمد ﷺ لأنه سبب لحياة القلوب، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ فلما سمع اليهود ذكر عيسى ﷺ فقالوا: يا محمد لا مثل عيسى - كما تزعم - عملت، ولا كما تقص علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقًا.

عن اتباعه أو طلبتم الكبر ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ من الرسل كموسى وعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى والاستفهام للتوبيخ.

﴿وَقَالُوا﴾ [البقرة: 88] أي: اليهود للنبي محمد ﷺ استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف أي: مغشاة لا تعي ولا تفقه ما تقول، وقيل: أصله غلف بضم اللام جمع غلاف فخفف بالإسكان أي: هي أوعية للعلم فلا تسمع علمًا إلا وعته فلا تحتاج لعلم محمد ﷺ على زعمهم الكاذب أو هي أوعية لكل علم إلا علمك يا محمد ﷺ وقالوه تعزيرًا منهم عليه قال تعالى: ﴿بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل بقلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: ما يؤمن منهم إلا قليلًا ولا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، وقيل: المعنى لا يؤمنون كثيرًا ولا قليلًا كقولك لغيرك: ما أقل ما نفعل كذا، أي: لا نفعله أبدًا.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 89] هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ﴾ أي: قبل نزوله ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به فيقولون: إن زمان نبي جاء ومعه كتاب مصدق لما معنا، ويقولون: اللهم انصرنا ببعثة نبي آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق وهو بعثة محمد ﷺ ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسدًا وخوفًا على الرئاسة ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿بِسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْحِينٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ

الَّذَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ [البقرة: ٩٠ - ٩٤].

﴿بِشْمَا اسْتَرْوَا﴾ [البقرة: 90] باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: حظها من الثواب ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ طلبًا لما ليس لهم وحسدًا ﴿أَنْ يَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بمعنى حسدوه على إنزاله أو لإنزاله ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان «ينزله» الذي أوله الياء و«تنزل» الذي أوله التاء من فوق، و«تنزل» الذي أوله النون بالتخفيف، إلا قوله في الحجر «وما ننزله إلا بقدر معلوم» وافقهم حمزة والكسائي وخلف في «ينزل الغيث» في لقمان والشورى، وخفف ابن كثير «أن ينزل» آية في الأنعام، وخفف البصريان وحدهما «وننزل من القرآن» و«حتى تنزل علينا» في سبحان⁽¹⁾، وخفف ابن كثير وأبو عمرو وحدهما «والله أعلم بما ينزل» في النحل، والباقون بالتشديد حيث وقع ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ وهو كفرهم بمحمد ﷺ ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه، قيل: ذلك بسبب كفرهم بعبسى أو غضب الكفر وغضب الحسد ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: مذل ذو إهانة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 91] وهو جميع الكتب ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ وهو التوراة، قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ بما سواه أو بما بعده ﴿وَهُوَ﴾ أي: القرآن وما وراءه ﴿الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة وقد نهى فيها عن قتلهم، خوطب بذلك من وجد في زمنه ﷺ لرضاه بفعل سلفه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: 92] الآيات التسع الآتية في الأعراف ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ذهاب موسى للميقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بذلك ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [البقرة: 93] على العمل بما في التوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُدُّوا﴾ أي: فقلنا خدوا ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم على العمل به ﴿وَاسْمَعُوا﴾ سماع طاعة ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا﴾ أدخل العصيان ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ كإشراب اللون اللون لشدة الملازمة، يقال في الوصف

(1) يقصد به سورة «الإسراء».

مشرب اللون أي: مختلط البياض بالحمرة والمعنى أن حبه والحرص على عبادته داخلهم كما يداخل الثوب الصبغ ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: بسببه ﴿قُلْ بِسْمَاءٍ﴾ شيئاً ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ والمراد إباؤهم فهم كذلك ليسوا بمؤمنين بما في التوراة، وقد كذبوا محمداً ﷺ والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه ﴿قُلْ﴾ [البقرة: 94] يا محمد ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ سائرهم أي: باقهم كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعوكم إنها لكم خاصة، والتمني إرادة الشيء وسؤاله.

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٩٥﴾
 وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَخِيحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾
 قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ [البقرة: ٩٥ - ١٠٠].

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ﴾ [البقرة: 95] بسبب ما قدمت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الذي فعلوه في الدنيا من الكفر بمحمد ﷺ المستلزم لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾. ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة: 96] من وجد بفعله الجاري مجرى علم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ وأحرص ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المنكرين للبعث لعلهما بأن مصيره النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يريد ويتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ إما حقيقة أو المقصود المبالغة في الحياة حتى أنه لا يموت ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: ودّه لذلك العمر ﴿بِمُرْضَخِيحٍ﴾ بمباعدة ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ بالنار ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ أي: ما يبعده عن العذاب طول عمره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم، قرأ يعقوب بالتاء خطاباً والباقون بالياء.

﴿قُلْ﴾ [البقرة: 97] لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ من اليهود فليمت غيظًا كعبد الله بن سوريا الذي تنزلت الآية بسببه؛ لأنه سأل النبي ﷺ أو سأل عمر ؓ عن يأتي بالوحي من الملائكة فقال: هو جبريل فقال: هو عدونا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمنا؛ لأنه يأتي بالخضب والسلامة، قرأ حمزة والكسائي وخلف والعليمي عن أبي بكر «جبريل» هنا وفي التحريم بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء، وأبو بكر من طريق يحيى بن آدم كذلك إلا أنه يحذف الياء، وابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز والباقون كذلك إلا أنهم يكسرون الجيم ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي: جبريل نزل القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بتيسيره وأمره ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: 97 - 98] هكذا قرأه البصريان وأبو حفص بغير همز ولا ياء بعد الألف، ونافع وأبو جعفر وقبل من طريق ابن شنبوذ بهمزة من غير ياء بعدها، والباقون بهمزة بعدها ياء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ﴾ وعداوة الله انتقامه من خلقه ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 98 - 99] يا محمد ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دلالات واضحات، ونزلت ردًا لقول ابن سوريا ما جئنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن الطاعة وكفروا بها.

﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: 100] الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بمحمد ﷺ أن بعث أو المراد عاهدوا النبي ﷺ أن لا يعاونوا عليه مشركًا ﴿تَبَدُّهُ﴾ بعضهم وطرحه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ ينقصه ومحل الإنكار التبديل ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِسَائِلٍ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ

مِن أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ [البقرة: ١٠١ - ١٠٣].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 101] وهو محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ وهو التوراة ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن عدم الالتفات إليه والاعتناء به ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه من عند الله أو لا يعلمون ما فيه من أنه نبي حق ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ [البقرة: 102] عطف على نبذ ﴿مَا تَتْلُو﴾ أي: تلت ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ من كتب السحر أي: تقرأ أو تتعلم أو تدرس، وهو شامل شياطين الجن والإنس ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ﴾ عهد ﴿سُلَيْمَانَ﴾ أي: أيامه من السحر، وكانت دفتته تحت كرسيه لما نزع ملكه، أو لأن الشيطان كان يكذب على الكاهن بعد استراقه السمع في أيامه فيدون كذبه فغشي وشاع علم الجن للغيب؛ فجمع سليمان الكتب ودفنها فدل الشياطين عليها بعد موته زاعمين أن ملك سليمان كان بها فتعلمه الناس ورفضوا كتب الأنبياء إليهم، فقال تعالى رداً على اليهود في قولهم: ذكر محمد سليمان وما كان إلا ساحراً أو تبرئة لسليمان ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: لم يعمل سحراً يكفر به إماماً حقيقة، وإما للنعمة ﴿وَلَكِنَّ﴾ بتخفيف النون لابن عامر وحمزة والكسائي ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ رفع وافقهم خلف هنا وفي الأنفال: «ولكن الله قتلهم» «ولكن الله رمى» برفع الجلالة فيهما، وكذا قرأ نافع وابن عامر «ولكن البر من آمن» «ولكن البر من اتقى» في هذه السورة، وكذا حمزة والكسائي وخلف «ولكن الناس أنفسهم يظلمون» في يونس، والباقون بالتشديد والنصب في الستة ﴿كَفَرُوا﴾ باتباع السحر ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أي: بعض الناس بعض السحر فهو عام أريد به الخاص ﴿وَمَا أَنْزَلَ﴾ أي: ويعلمون الناس ما أنزل ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ بَابِلَ﴾ وهي بابل العراق سُميت بذلك لتبليبل أي: اختلاف الألسن بها عند سقوط صرح نمرود، والمراد بالإنزال الإلهام ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس، وقيل: رجلان ويرده فتح لام ملك ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ﴾ أي: الملكين ﴿مَنْ أَحَدٌ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحاً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابتلاء للناس ومحنة واختبار ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه معتقداً له، بل إذا تعلمته كن

متعلماً؛ لتجنب الضرر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي: من الملكين ﴿مَا يَفْرَقُونَ بِهِ﴾ أي: بسببه ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَرُؤُوسِهِ﴾ بأن يبغض كل الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي: المتعلمون ﴿بِضَارَيْنِ بِهِ﴾ أي: بالسحر ﴿مَنْ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة كما ذكرنا ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بالثواب عند الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي: اليهود ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ أي: اختاره أو استبدل بكتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: الشاري أن تعلموه لإيجابه لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أمره كله بالتكفر أو قبحه على التعيين أو حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ [البقرة: 103] أي: اليهود ﴿آمَنُوا﴾ بالرسول والكتاب ﴿وَاتَّقَوْا﴾ العقاب أو السحر والكفر، وجواب لو حذف لدلالة ﴿لَمُتُّوبَةٌ﴾ أي: لا يثبوا مثوبة وهي الثواب ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ من كل ما سوى ذلك ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثواب الله خير لما آثروه عليه.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّنَّهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٤ - ١٠٧].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 104] كان اليهود يقولون لرسول الله ﷺ راعنا لما سمعوا المسلمين يقولون ذلك، وقصد المسلمين بها فرغ سمعك لكلامنا وهو عند اليهود بمعنى الرعونة والحمق ﴿لَا تَقُولُوا﴾ للنبي ﷺ ﴿رَاعِنَا﴾ حذرنا من الدخول في الذم وأول من فطن لذلك سعد بن معاذ ﷺ ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ بدلها؛ أي: انظر إلينا أو انتظرنا وتأن بنا أو فهمنا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ لما أنزل عليكم من الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم وهو النار ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 105] من العرب نزلت في قوم ادعوا حب المؤمنين من الكفار ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ

خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿١٠٦﴾ حَسَدًا لَكُمْ ﴿١٠٧﴾ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ﴿١٠٨﴾ نَبِيوتَهُ ﴿١٠٩﴾ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١٠﴾

﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: 106] اعترضت اليهود والكفار على النسخ، وقالوا: إن محمداً يأمر بأمر اليوم ويهني عنه غداً فنزلت، وقرأ ابن عامر في بعض طرقه «ما نسخ» بضم النون الأولى وكسر السين؛ أي: نجعله في المنسوخ أو نسخه لك، والباقون بفتحها على إرادة النسخ، وهو رفع متعلق بالحكم الأول الثابت بالخطاب إما إلى بدل أو إلى غيره ﴿أَوْ نُنسِئَهَا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وفتح السين وبعدها همزة ساكنة ومعناها: تركها بلا نسخ، وقرأ الباقر بضم النون الأولى وكسر السين من غير همز ومعناه بنفيها على قلبك بغير نسخ، أو تأمرك بتركها ﴿نَأَتْ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ للعباد إما في كونه أخف أو أكثر ثواباً ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ في التكليف وكثرة الأجر ﴿أَلَمْ تَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ استفهام تقرير.

﴿أَلَمْ تَعْلَمِ﴾ [البقرة: 107] للتصدير كالأول ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير ﴿مَنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ﴾ أي: حفيظ ولا مانع ونزلت عند سؤال أهل مكة لرسول الله ﷺ أن يوسعها، ويجعل لهم الصفا ذهباً.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١١١﴾ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا نَبَّأَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٣﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٤﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيُّ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ

يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ؕ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ [البقرة: ١٠٨ - ١١٣].

﴿أَمْ﴾ [البقرة: 108] بل ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى﴾ ﷺ ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ في قول قومه له ﴿أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153] وغير ذلك، فلا تتعنتوا بذلك بل عليكم بالثقة بما يقول وترك الاختلاف ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يأخذ الكفر عوضاً عن الإيمان بترك نظره في آياته ﷻ الواضحة واقتراح غير ذلك ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ أخطأ ﴿سَوَاءٌ﴾ وسط ﴿السَّبِيلِ﴾ الطريق.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: 109] أي: أحبارهم ﴿لَوْ يَزِدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا﴾ أي: مرتدين ﴿حَسَدًا﴾ أي: ودوا ذلك للحسد ﴿مِنْ عِنْدِ﴾ من قبل ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ بالتشهي ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا﴾ بترك عقوبة الذنب ﴿وَاصْفَحُوا﴾ لا تعتبا عليه ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: 110] مما ذكر من الصلاة وغيرها ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ * وَقَالُوا ﴿[البقرة: 111] أي: اليهود من المدينة والنصارى من أهل نجدان لما تناظرُوا - ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ لفهم قول الفريقين ثقة بفهم السامع أن كلا أثبت دخول نفسه فقط ﴿تِلْكَ﴾ القولة ﴿أَمَانِيهِمْ﴾ أكاذيبهم ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿هَاتُوا﴾ أقيموا وأحضروا ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾ حججتكم على دعواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.

﴿بَلَى﴾ [البقرة: 112] يدخل الجنة غيركم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أخلص نفسه قصداً منه إذا لأمره خص الوجه؛ لأنه أشرف أعضاء الإنسان ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في العمل أو بالتوحيد ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ بالجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴿[البقرة: 112 - 113] أي: كل ليس على معتد به ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ الذي حصل به العلم وفيه صدق نبوة موسى وفي التوراة صدق نبوة عيسى ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما قالوا ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كتاباً وهم عبدة الأصنام والمعطلة ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ وبخهم على

ذلك حيث اشبهوا به الجهال، وذم كلا من الفريقين لأنه قصد إبطال دين الآخر من أصله، وإن كانوا الآن ليسوا على شيء ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين هذه الفرق ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من ذلك ومن غيره فللمحق الجنة ولغيره النار.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَدِنُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْبَحْرِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: 114 - 119].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ [البقرة: 114] أي: لا أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ صلاة وتسيبًا ﴿وَاسْعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بتعطيلها من ذلك أو هدمها، وهل نزلت في تخريب الروم بيت المقدس أو في من صد محمدًا ﷺ عام الحديبية عن البيت؟ قولان، ﴿أُولَئِكَ﴾ المذكورون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر فنخيفهم فلا يدخلوه آمنين والحكم إنا نمنع الكفار من دخول الحرم مطلقًا، ويجوز لهم دخول غيره بإذن مسلم بالغ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بالقتل والسبي وضرب الجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بكفرهم.

﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: 115] أي: جهتي الأرض كلها ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا﴾ تقصدوا بوجوهكم ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: الجهة التي أمر بها فالمعنى إذا منعت من دخول المسجد الحرام والتوجه إلى الكعبة فصلوا في أي جهة كانت؛ إذ الأرض جعلت لكم مسجدًا وطهورًا، ونزلت لظعن اليهود في نسخ القبلة أو في التوجه على الراحلة في نقل السفر لجهة المقصد ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ غني يعطي من السعة أو

واسع المغفرة أو واسع عطاؤه ﴿عَلِيمٌ * وَقَالُوا﴾ [البقرة: 115 - 116] قرأ ابن عامر «عليم قالوا» بلا واو، والباقون بالواو والضمير لليهود في قولهم: ﴿عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 13] وللنصارى في قولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ولمشركي العرب في قولهم: الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عن طلحة بن عبيد الله قال سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال: هو تنزيه الله عن كل سواء ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فخلق الكل وملكه ﴿كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾⁽¹⁾ طائعون كل بما يراد منه أو مقرون بالشهادة، وقيل: بالعبودية، وأصل القنوت القيام، وما كان كذلك لم يجانس الله حتى يكون ولدًا له بل ذلك مناف.

(1) قال الفخر الرازي: فيه مسائل:

المسألة الأولى: القنوت: أصله الدوام، ثم يستعمل على أربعة أوجه: الطاعة، كقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: 43] وطول القيام، كقوله عليه السلام لما سئل: أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» وبمعنى السكوت، كما قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238] فأمسكنا عن الكلام، ويكون بمعنى الدوام، إذا عرفت هذا فنقول: قال بعض المفسرين: ﴿كُلُّ لُهُ قَانِتُونَ﴾ أي: كل ما في السماوات والأرض قانتون مطيعون، والتتوين في كل عوض عن المضاف إليه وهو قول مجاهد وابن عباس: فقيل لهؤلاء الكفار: ليسوا مطيعين، فعند هذا قال آخرون: المعنى أنهم يطيعون يوم القيامة، وهو قول السدي، فقيل لهؤلاء: هذه صفة المكلفين، وقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يتناول من لا يكون مكلفاً فعند هذا فسروا القنوت بوجوه آخر. الأول: بكونها شهادة على وجود الخالق سبحانه بما فيها من آثار الصنعة وأمارات الحدوث والدلالة على الربوبية. الثاني: كون جميعها في ملكه وقهره يتصرف فيها كيف يشاء، وهو قول أبي مسلم، وعلى هذين الوجهين الآية عامة. الثالث: أراد به الملائكة وعزيراً والمسيح، أي: كل من هؤلاء الذين حكموا عليهم بالولد أنهم قانتون له، يحكى عن علي بن أبي طالب قال لبعض النصارى: لولا تمرد عيسى عن عبادة الله لصرت على دينه، فقال النصراني: كيف يجوز أن ينسب ذلك إلى عيسى مع جده في طاعة الله، فقال علي رضي الله عنه: فإن كان عيسى إلهاً فالإله كيف يعبد غيره إنما العبد هو الذي يليق به العبادة، فانقطع النصراني.

المسألة الثانية: لما كان القنوت في أصل اللغة عبارة عن الدوام كان معنى الآية أن دوام الممكنات وبقائها به سبحانه ولأجله وهذا يقتضي أن العالم حال بقاءه واستمراره محتاج إليه سبحانه وتعالى، فثبت أن الممكن يقتضي أن لا تنقطع حاجته عن المؤثر لا حال حدوثه ولا حال بقاءه.

المسألة الثالثة: يقال كيف جاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله: ﴿قَانِتُونَ﴾ جوابه: كأنه جاء بما دون من تحقيقاً لشأنهم. [تفسير الرازي (2/311)].

﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117] أي: مخترعهما لا على مثال سبق ﴿وَإِذَا قُضِيَ﴾ إذا أراد ﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خاطبه وإن كان معدوماً لتزويله منزلة الموجود، وقيل: المعنى إنما قوله لإجابة كن فيكون، والمراد أحدث فيحدث والتحقيق من ضرب المثل؛ لأن الله تعالى وتقدس في إبداعه للأشياء إذ أراد وجودها تحصل بلا توقف في أسرع وقت وقرأ ابن عامر «كن فيكون» بنصب النون حيث وقع إلا قوله: ﴿فَيَكُونُ * الْحَقُّ﴾ [آل عمران: 59 - 60] في آل عمران، و﴿فَيَكُونُ قَوْلُهُ﴾ [الأنعام: 56]، في الأنعام والمختلف فيه ستة هنا وأول آل عمران: ﴿فَيَكُونُ * وَيَعْلَمُهُ﴾ [آل عمران: 47 - 48] والنحل: ﴿فَيَكُونُ * وَالَّذِينَ﴾ [النحل: 40 - 41] وفي مريم: ﴿فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ [مريم: 35 - 36] وفي يس: ﴿فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ﴾ وفي المؤمن ﴿فَيَكُونُ * أَلَمْ تَرَ﴾ [غافر: 68 - 69] وافقه الكسائي في النحل وليس والباقون بالرفع في الستة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 118] من جهلة المشركين ومتجاهلي أهل الكتاب للنبي ﷺ: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ أنك رسوله كما كلم الملائكة ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةً﴾ أي: حجة مما اقترحناه بأنك صادق ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم السالفة لأنبيائهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعتت وطلب الآيات نحو قولهم ﴿أَرَأَيْتَ اللَّاتُ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153] ﴿تَسَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في العمى عن الحق والعدا وفيه تسلية له ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽¹⁾ أي: يطلبون اليقين أو يوقنون

(1) ذكر سبحانه امتنانه على المؤمنين بما خاطبهم بمجموع كلامه القديم الذي أبنا ما عنده لهم من مدخور السعادات، وسني الكرامات، وعظيم الدرجات، ودعاهم به إلى أعمال ذكية، وأحوال شريفة، ومقامات عزيزة، وعرفهم به أسمائه ونعوته وصفاته وذاته تعالى وأفعاله في انتظام صنائعه، وإعلام قدرته وبدلهم به إلى المعرفة كل صفة من صفاته القديمة التي معرفتها معرفة ذاته تعالى، عرّف نفسه به للعارفين، وفتح بمفاتيحه كنوز غيبه للروحانيين، وكشف قناع الجهل بأنواره عن قلوب الغافلين والعالمين، وجذب بلطائفه قلوب المحبين والمشتاقين والعاشقين إلى مشاهدته ووصاله، ورتّب فيه مقامات العبودية ومعارف الربوبية، وذلك صدر منه بسابق علمه وقديم حكمه، ويهدي به إلى نفسه قلوب المؤمنين به، وذلك منه رحمة كافية للعموم والخصوص، وكان رحمته سبقت في الأزل لمن خاطبه سبحانه بنعمة هدايته به إليه، وأي نعمة أعظم من إنزاله كلامه إلينا الذي يعتقنا من رق النفوسية، ويخلصنا من شهوات الشيطانية،

بالحق بلا شبهة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: 119] بالهدى ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ﴾ بفتح التاء وإسكان اللام لنافع ويعقوب، والباقون بضم التاء واللام ﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ فلا يقال لك: ما لهم لم يؤمنوا؛ لأن المدار على التبليغ وقد حصل.

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَيْنَهُمْ آهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: ١٢٠ - ١٢٣].

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120] فهم لا يتبعونك أصلاً؛ لأنك معصوم من ذلك ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ وهداه الإسلام ﴿وَلَئِنَّ آتَيْنَهُمْ آهْوَاءَهُمْ﴾ آراهم الفاسدة ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وهو الوحي ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 120 - 121] كعبد الله بن سلام ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ بلا تحريف أو يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمشابهه ويكلون علم ما عدا ذلك إلى الله أو يتبعونه حق اتباعه ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾ به لعلمهم به، نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بالكتاب المنزل بتحريف أو غيره ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لشرائهم الكفر بالإيمان.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 122] في زمانكم ﴿وَاتَّقُوا﴾ [البقرة: 123] خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْرَىٰ﴾ يعني

ويهدينا بنور إلى أنوار الربانية، والحمد لله الذي أمن علينا بفواتح أنعامه ولطائف إكرامه واصطفانا بخطابه، وجعل استماعنا محل استماع كلامه وقلوبنا أوطان بيانه وأسرارنا أوعية أنوار سلطانه وأرواحنا خزائن عرفانه، وعقولنا مشاهد برهانه وأبداننا مساقط شرائعه من قرآنه.

﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من العذاب.

﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَّثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤ - ١٢٦].

﴿وَإِذْ ابْتَلَى﴾ [البقرة: 124] أخبر بأوامر ونواهي ﴿إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قام بحملتهن واختلف في تعيينها هل هي شرائع الإسلام الثلاثون عشرة في برأة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ...﴾ إلى آخرها، وعشرة في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ...﴾ إلى آخرها، وعشرة في الأحزاب ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى آخرها، أو هي العشرة المطلوبة في الرأس والوجه والبدن وقص الشارب والمضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك ونف الإبط وحلق العانة وتقليم الأظفار والختان والاستنجاء بالماء أو هي الآيات في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى آخر الآية؟ أقوال، روي أولها وثانيها عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تعالى له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقتدون بك في أمورهم ﴿قَالَ وَ﴾ اجعل ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ كذلك ﴿قَالَ لَا يَنَالُ﴾ أي: لا يصيب ﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أشار به إلى أن بعضهم لا يستحق ذلك وهل المراد الرحمة أو النبوة أو الإمامة؟ أقوال، أصحها آخرها.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ [البقرة: 125] الكعبة ﴿مَثَابَةً﴾ مرجعًا ومعادًا وملجأ من كل جانب فإن من تقدم كانوا يوقرون أهل مكة، ويقولون: هم أهل الله فلا يصل إليهم الأذى ﴿لِلنَّاسِ وَأَمَنًا﴾ محلاً يأمنون فيه من الظلم والإغارة الواقعين في غيره كان الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهجهه ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أي: وقلنا اتخذوا، وقرأ نافع وابن عامر «واتخذوا» بفتح الخاء، والباقون بالكسر ﴿مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿فُصِّلَى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف وندب

أن يقف الإمام خلفه ويستدير [المأموم]⁽¹⁾ حول البيت، قرأ ابن عامر سوى النقاش عن الأخفش «إبراهام» بالألف في ثلاثة وثلاثين موضعاً، خمسة عشر في هذه السورة.

وفي النساء ثلاثة وهي الأخيرة: «ملة إبراهيم حنيفاً»، و«اتخذ الله إبراهيم خليلاً»، و«أوحينا إلى إبراهيم».

وفي الأنعام الموضع الأخير وهو: «ملة إبراهيم».

وفي التوبة موضعان وهما الأخيران: «وما كان استغفار إبراهيم»، «إن إبراهيم لأواه».

وفي إبراهيم: «وإذ قال إبراهيم».

وفي النحل موضعان: «إن إبراهيم كان أمة»، و«ملة إبراهيم».

وفي مريم ثلاثة: «في الكتاب إبراهيم»، و«عن آهتي يا إبراهيم»، و«ومن ذريته إبراهيم».

وفي العنكبوت الموضع الأخير وهو: «لما جاءت رسلنا إبراهيم».

وفي الشورى: «وما وصينا به إبراهيم».

وفي الذاريات: «حديث ضيف إبراهيم».

وفي النجم: «وإبراهيم الذي وفى».

وفي الحديد: «نوحاً وإبراهيم».

وفي الممتحنة موضع واحد وهو: «أسوة حسنة في إبراهيم».

وروى جماعة المغاربة عن ابن الأحمز عن الأخفش عن ابن ذكوان بالألف في البقرة خاصة، وبه قرأ الداني عن أبي الحسن في أحد وجهيه، وروى النقاش عن الأخفش عن ابن ذكوان بالياء في الجميع وكذلك الباقون ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ووصيناهما ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ بأن طهراه عن الأوثان وقول الزور والريب، وقيل: ابنيه على الطهارة وقيل بخراه وخلعاه ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ فاعلي العبادة المخصوصة، وقيل: الغرباء ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المجاورين فيه، وقيل: أهل مكة ﴿وَالرُّكَّعِ﴾ جمع راع ﴿السُّجُودِ﴾ جمع ساجد، والمراد: المصلون والصلاة بمكة أفضل من

(1) في المخطوطتين: «المأمون»، ولعله سهو ناسخ أو سبق قلم، والله أعلم.

الطواف، وقيل هو للغرباء أفضل.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ [البقرة: 126] البلد أو المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾
 ذا أمن، فأجيب بحرمة صيده وجعله محلاً لا يليق به ظلم ولا يختلى خلاه؛ أي: لا
 يقطع شجره ﴿وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ففعل بنقل الطائف إليه من الشام وكان أفقر
 بلا زرع ولا ماء ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ﴾ تعالى ﴿و﴾ أرزق ﴿مَنْ كَفَرَ
 فَأَمْتَعُهُ﴾ بضم الهمزة وإسكان الميم وكسر التاء وضم العين لابن عامر، والباقون أمتعه
 بفتح الميم وتشديد التاء وكسرها، والمعنى: أنه يبقى في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة
 حياته ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ﴾ أي: ألجأه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها مفر
 ﴿وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ العذاب أو المرجع هي.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا
 مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ
 يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَبُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
 وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٣٠].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ [البقرة: 127] جمع قاعدة وهي الأساس ورفعها
 البناء عليها ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ أي: يرفع قواعده بالإعلاء معنى بالدعاء إلى الحج وحسًا
 بالبناء ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ معه وكان يناوله الحجارة يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بنانا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ
 السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بفعلنا ونياتنا ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ [البقرة: 128]
 من الإخلاص والاستسلام ﴿و﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً
 لَّكَ وَأَرِنَا﴾ قرأ ابن كثير ويعقوب «أرنا» و«أرني» حيث وقع بإسكان الراء وافقهما في
 فصلت ابن ذكوان وأبو بكر والحلواني عن ابن هشام واختلف عن أبي عمرو فروى
 كثير من العراقيين عنه في الروایتين كذلك وروى الآخرون عنه الاختلاس، وروى
 الداني ومن وافقه من المغاربة الإسكان للسوسي والاختلاس للدوري، والباقون
 بالكسر، والمراد: عرفنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ هي مناسك الحج أو شرائع العبادة ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿﴾ سألاه ذلك تواضعًا منهما وتعليمًا لغيرهما.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ [البقرة: 129] أي: في ذريتنا ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وهو محمد

ﷺ إذ لم يبعث من ذرية إسماعيل غيره ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هل هي فهم القرآن أو مواظبه أو العلم والعمل لأن الرجل لا يكون حكيماً حتى يجمعهما أو السنة أو الفقه؟ أقوال، أقربها الرابع ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ هل المراد أنه يطهرهم من الشرك أو يأخذ منهم الزكاة أو يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة؟ أقوال، أقربها الأول ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يوجد مثله ﴿الْحَكِيمُ﴾ * وَمَنْ ﴿[البقرة: 129 - 130] أي: لا ﴿يَزْغَبُ عَنْ مِلَّةٍ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: يتركها والرغبة في الشيء أخذه وعن الشيء تركه ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ خسرها، وقيل: ضل من قبلها، وقيل: أهلكتها، وقيل: جهلها أو جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتنها ﴿وَلَقَدْ اضْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة والرسالة والخلة وإن جميع الأنبياء بعده من ولده ﷺ ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا

إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: 131 - 134].

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتَ﴾ [البقرة: 131] أي: استقم أو أخلص ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ * وَوَصَّى ﴿[البقرة: 131 - 132] قرأ المدنيان وابن عامر «وأوصى» بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد، والباقون بتشديد الصاد من غير همز ﴿بِهَا﴾ عائد على ملته، وقيل: على كلمة الإخلاص التي هي ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ﴾ أي: ووصى بها يعقوب بنه أيضًا ﴿يَا بَنِي﴾ أي: قال يا

بني ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهى عن تركه وأمر بدوامه للموت ومعنى مسلمون مخلصون، وقيل: مؤمنون، وقيل: محسنون،

ولما قال اليهود لمحمد ﷺ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ يَوْمَ مَاتَ أَوْصَىٰ بِنِيهِ بِالْيَهُودِيَّةِ نَزَلَ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ [البقرة: 133] حَضُورًا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي بَعْدِي﴾ بعد موتي وأراد بالسؤال تقريرهم على الإسلام ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وعد إسماعيل من الأب؛ لأن العم كالأب أو هو من باب التغليب أو هو من الوفار ﴿إِلَٰهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون ومنقادون والاستفهام للإنكار.

﴿تَلَّكَ﴾ [البقرة: 134] أي: إبراهيم ويعقوب وبنيهما ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَّكَ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل أي: جزأه ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ منه ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولا يسألون عن عملكم.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفِرُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ [البقرة: ١٣٥ - ١٣٨].

﴿وَقَالُوا﴾ [البقرة: 135] أي: أهل الكتاب ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ أو للتفصيل وقال: الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿تَهْتَدُوا﴾ جواب الأمر ﴿قُلْ بَلْ﴾ تتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ فقط ﴿حَنِيفًا﴾⁽¹⁾ هو المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ﴿وَمَا

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان المكروهة إلى الحق دين إبراهيم، وهو في موضع نصب على الحال، قاله الزجاج؛ أي: بل نتبع ملة إبراهيم في هذه الحالة، وقال علي بن سليمان: هو منصوب على أعني، والحال خطأ، لا يجوز جاءني غلام هند مسرعة، وسمي إبراهيم حنيفاً؛ لأنه حنف إلى دين الله وهو الإسلام، والحنف: الميل، ومنه رجل حنفاء، ورجل أحنف، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها، وقال قوم: الحنف =

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ غرض فيه بالرد على من زعم أنه اتبعه في الشرك.

﴿ قُولُوا ﴾ [البقرة: 136] أيها المؤمنون ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ القرآن ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الصحف العشر ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ﴾ جمع سبط وهو الحافد وهم من حفدة يعقوب أي: ذراري أبنائه الاثني عشر والسبط من بني إسرائيل كالقبيلة من ولد إسماعيل ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ التوراة ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ وهو الإنجيل ﴿ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ من الكتب والآيات ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ فنؤمن بالكل بخلاف اليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ * فَإِنِ آمَنُوا ﴿ [البقرة: 136 - 137] أي: اليهود والنصارى ﴿ بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ أي: إيماناً مثل إيمانكم أو آمنوا بما آمنتم به ﴿ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ خلاف لكم ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ يا محمد أي: يكفيك شقاقهم ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم.

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾⁽¹⁾ [البقرة: 138] دينه أو هدايته أو تطهيره أي: صبغة الله وسمي ما ذكر بذلك لظهور أثره على صاحبه ﴿ وَمَنْ ﴾ لا أحد ﴿ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ ولما قال اليهود للمسلمين نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبياً لكان منا فنزل تهديداً لهم.

﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ

الاستقامة، فسمي دين إبراهيم حنيفاً لاستقامته، وسمي المعوج الرجلين أحنف تفاعلاً بالاستقامة، كما قيل للديع سليم، وللمهلكة مفازة، في قول أكثرهم.

(1) أي: هيئة صبغ الملك الأعلى التي هي حلية المسلم وفطرته كما أن الصبغة حلية المصبوغ حالاً تقاضاها معنى الكلام، وعاب على النحاة كونهم لا يعرفون الحال إلا من الكلم المفردة ولا يكادون يفهمون الأحوال من جملة الكلام، وقال: الصبغة تطوير معاجل بسرعة وحيه، وقال: فلما كان هذا التلقين تلقيناً وحيماً سريع التصيير من حال الضلال المبين الذي كانت فيه العرب في جاهليتها إلى حال الهدى المبين الذي كانت فيه الأنبياء في هدايتها من غير مدة جعله تعالى صبغة كما يصبغ الثوب في الوقت فيستحيل من لون إلى لون في مقابلة ما يصبغه أهل الكتاب باتباعهم المتبعين لهم في أهوائهم في نحو الذي يسمونه الغطاس. [نظم الدرر للبقاعي (1) /

وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ مَا أَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَرَ
شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَيَقُولُ
السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ [البقرة: ١٣٩ - ١٤٢].

﴿قُلْ﴾ [البقرة: 139] لهم ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾⁽¹⁾ تجادلوننا ﴿في الله﴾ أي: من جهة أن
اصطفى نبياً من العرب ﷺ ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فيصطفي من شاء ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء.

﴿أَمْ﴾ [البقرة: 140] بل ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء من تحت لكل القراء إلا ابن عامر
وحمزة والكسائي فقرأوا بالتاء من فوق ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم ﴿أَلَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ﴾ أي: هو أعلم وقد نفاه
عن إبراهيم والمذكور معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى ﴿شَهَادَةَ عِنْدَهُ﴾ كائنة
﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه وكتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ليجازيكم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴿[البقرة: 141 - 142] أي: اليهود ومن تابعهم في إنكار

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قال الحسن: كانت المحاجة أن قالوا: نحن أولى بالله منكم، لأننا أبناء
الله وأحباؤه، وقيل: لتقدم آبائنا وكتبنا، ولأننا لم نعبد الأوثان، فمعنى الآية: قل لهم يا محمد؛
أي: قل لهؤلاء اليهود والنصارى الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنهم أولى بالله منكم
لقدّم آبائهم وكتبهم: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ أي: أتجادبوننا الحجة على دعواكم والرب واحد، وكل
مجازي بعمله، فأبي تأثير لقدّم الدين، وقراءة الجماعة: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا﴾ وجاز اجتماع حرفين مثلين
من جنس واحد متحركين؛ لأن الثاني كالمنفصل، وقرأ ابن محصين «أتحاجونا» بالإدغام
لاجتماع المثليين، قال النحاس: وهذا جائز إلا أنه مخالف للسواد، ويجوز «أتحاجون» بحذف
النون الثانية، كما قرأ نافع: ﴿فبم تبشرون﴾.

التحويل في القبلة ﴿مَنْ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ﴾ أي شيء صرفهم ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمْ﴾ بيت المقدس ﴿الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ في الصلاة والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فالجهات له يوجه من شاء لما شاء ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ زَرَى نَفْسُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٣ - ١٤٥].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [البقرة: 143] أي: كما أنعمت عليكم بالهداية إلى صراط مستقيم أنعمنا عليكم بالمذكور بقوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا أمة محمد ﷺ ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١) عدلاً أو

(1) قال العلامة ابن عادل: قال الجوهري في «الصحاح»: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلاً، وهو الذي قاله الأخفش، والخليل، وقطرب، فالقرآن والحديث والشعر يدلون على أن الوَسْطَ: خيار الشيء. وأما المعنى فمن وجوه. أحدها: أن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين، ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رذيلتان، فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين، فكان معتدلاً فاضلاً. وثانيها: إنما سمي العدل وسطاً؛ لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين. وثالثها: أن المراد بقوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ طريقة المدح لهم؛ لأنه لا يجوز أن يذكر الله - تعالى - وصفاً، ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهوداً له ثم عطف على ذلك شهادة الرسول، وذلك مدح، فثبت أن المراد بقوله: «وَسَطًا» ما يتعلّق بالمدح في باب

خيارًا، وقيل: أهل دين وسط بين الغلو والتقصير وكلاهما مذموم في الدين ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ في الدار الآخرة ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ تبلغ أسبابهم لهم الدال على ذلك قراءتهم القرآن ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ إن بلغكم أو شهيدًا لكم بالعدالة ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ عند تحوله عنها فيصدقه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ أن يردد عن دينه فيرجع للكفر شكًا في الدين وظنًا إن النبي ﷺ في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة، أو المراد الكعبة أي: ما صرنا لك الآن الجهة التي كنت عليها أولاً أي: ما حولناك لها إلا لذلك؛ لأنه ﷺ كان يصلي للكعبة بمعنى جعلها متوسطة بينه وبين بيت المقدس وهو بمكة فلما هاجر أمره باستقبال بيت المقدس تألفًا لليهود فصلى إليه ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا ثم حول ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي: التحويلة عن بيت المقدس إلى الكعبة ﴿لِكَبِيرَةٍ﴾ ثقيلة شديدة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ صلاتكم عند البيت أو غيره إلى بيت المقدس بل يثيكم عليه؛ لأنها نزلت في سؤال من حول إلى الكعبة عن قوم ماتوا مؤمنين قبل التحويل ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قرأ البصريان والكوفيون سوى حفص لرءوف حيث وقع بقصر الهمزة من غير واو، والباقون بواو بعد الهمز والرافة شدة الرحمة.

﴿قَدْ﴾ [البقرة: 144] للتحقيق ﴿نَزَى تَقَلُّبٌ﴾ تردد أو تصرف ﴿وَجْهَكَ﴾ بصرك ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ في جهتها لطلب تحويل القبلة، وكان يريد ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنه ادعى لإسلام قومه ﴿فَلَنُؤَلِّبَنَّكَ﴾ نحولناك ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ تحبها وتهواها ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ﴾ استقبال في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾ جهة ﴿الْمَشْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المحرم على الناس الظلم فيه والتعرض لصيده والتقاط لقطته للتملك ﴿وَخَيْثُمَا كُنْتُمْ﴾ خطاب للأمة ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُ﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَي: التحويل للكعبة ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿مَنْ رَبِّهِمْ﴾ لما وجدوا في كتبهم في نعت النبي ﷺ

الدين، ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم شهداء لا بكونهم عدولاً؛ فوجب أن يكون المراد من الوسيط العدالة. ورابعها: أن الأوساط محمية بالأطراف، وحكمها مع الأطراف على حدّ سواء، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد، والوسط عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهةٍ دون جهة. [تفسير اللباب لابن عادل (2/ 153)].

من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح بن الخطاب، والباقون بالياء.

﴿وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ [البقرة: 145] معجزة على صدقك في أمر القبله ﴿مَا تَبِعُوا﴾ أي: لا يتبعون ﴿قِبَلَتِكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ قطع لطمعه في إسلام كلهم ولطمعهم في عوده ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: اليهود قبله النصرى وبالعكس ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ آرائهم الفاسدة التي يدعونك إليها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من الحق والوحي في أمر القبله وغيرها ﴿إِنَّكَ إِذَا﴾ أي: إن اتبعتهم ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الواضعين الأمر في غير موضعه وهذا على سبيل الفرض وإن كان محالاً.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦) ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ (١٤٧) ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًّا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأْتِمَّ بِنِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٠) [البقرة: ١٤٦ - ١٥٠].

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 146] اليهود وغيرهم ممن أوتيه ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمداً ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لنعته في كتابهم، قال: ابن سلام لقد عرفته حين رأته كما أعرف ابني ولمعرفتي بمحمد أشد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾ أي: من علمائهم ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ من الإقرار بنبوته أو نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه.

﴿الْحَقُّ﴾ [البقرة: 147] كائناً ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه ﴿وَلِكُلِّ﴾ [البقرة: 148] أي: لكل أمة فالتنوين عوض عن أمة ﴿وِجْهَةٍ﴾ جهة متوجهة إليها ﴿هُوَ مُوَلِّيًّا﴾ قرأ ابن عامر بفتح اللام وألف بعدها، والباقون بكسر اللام وياء

بعدها ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾ بادروا إلى ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ الطاعات وإلى قبولها ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [البقرة: 148 - 149] لسفر أي: من أي مكان ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء لأبي عمرو وبتاء الخطاب لغيره وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: 150] كررت للتأكيد ﴿لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ اليهود والمشركون ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره أي: لتتفي مجادلتهم لهم من قول اليهود بجحد ديننا وتتبع قبلتنا وقول المشركين يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فإنهم يحتجون بحجة داحضة أو المعنى إلا المعاندون فإنهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلاً إلى دين آباءه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ لا تخافوهم وجادلهم في التولي إليها وخافوني ﴿وَلَا تَمُوتُوا﴾ أي: اخشوني لأحفظكم ولأتم أو ولوا وجوهكم شطره ليلاً ولأنتم ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم أو بالموت على الإسلام ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ للحق.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْفُتُوحِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: 151 - 157].

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ [البقرة: 151] أي: لأتم كما أرسلنا والمعنى إتمامها كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ﴾ يا معشر العرب أو يا معشر الناس أو يا معشر الإنس والجن ﴿رَسُولًا

مِنْكُمْ ﴿١٥٢﴾ وَإِمَا مِنَ الْعَرَبِ أَوْ النَّاسِ أَوْ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى الْأَقْوَالِ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾
الْقُرْآنَ ﴿وَيُزَكِّيْكُمْ﴾ يَطَهِّرُكُمْ مِنَ النَّقَائِصِ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾
السُّنَّةَ أَوْ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ *
فَاذْكُرُونِي﴾ [البقرة: 151 - 152] بِالطَّاعَةِ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بِالثَّوَابِ وَفِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ:
«مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْ
مَلَأْتُهُ»⁽¹⁾ ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ نِعْمَتِي بِالطَّاعَةِ ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بِالْمَعْصِيَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ [البقرة: 153] عَلَى مَا أَمَرْتُمْ بِهِ مِنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ
﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبَلَاءِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِتَكَرُّرِهَا
وِعَظْمَتِهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَفْضَلُ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بِمَعُونَتِهِ وَحِفْظِهِ
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: 154] أَي: هُمْ فِي
الْبِرْزَخِ أَحْيَاءٌ أُرْوَاهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ﴿وَلَكِنْ
لَا تَشْعُرُونَ﴾ بِذَلِكَ نَزَلَتْ فِي أَنَسٍ مَاتُوا عَلَى الشَّهَادَةِ، قَلِيلٌ: هُمْ أَمْوَاتٌ ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ﴾
[البقرة: 155] لِنَحْتَبِرْكُمْ فَتَنْظُرَ تَصْبِرُونَ أَمْ لَا ﴿بَشْيٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ هُوَ خَوْفُ اللَّهِ
﴿وَالْجُوعِ﴾ هُوَ صَوْمُ رَمَضَانَ ﴿وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ بِالزُّكُوتِ ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بِالْأَمْرَاضِ
﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بِمَوْتِ الْأَوْلَادِ هَكَذَا فَسَّرَهُ الشَّافِعِيُّ ﴿وَقِيلَ: الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ وَالْجُوعُ
الْقَحْطُ وَنَقْصُ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ بِالتَّلْفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ﴾ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ عَلَى
الْبَلَاءِ بِالْجَنَّةِ.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ [البقرة: 156] بَلَاءٌ ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ مَلَكَ وَعَيْدًا
يَفْعَلُ بِنَا مَا يَشَاءُ ﴿وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ فَيَجَازِينَا وَمَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا
وَأَخْلَفَ عَلَيْهِ خَيْرًا وَلَوْ كَانَ بِنَحْوِ طِفْئِ مَصْبَاحٍ مِنْ كُلِّ مَا أَدَى وَلَوْ قُلَّ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ﴾ [البقرة: 157] بَرَكَاتٍ وَرَحْمَاتٍ وَمَغْفِرَةٌ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نِعْمَةٌ ﴿وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ إِلَى الْحَقِّ.

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا

(1) رواه أحمد في «مسنده» (414/18)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (75/7).

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ
 أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا
 فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
 أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
 عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُكَرِيمُ ﴿١٦٣﴾ [البقرة: ١٥٨ - ١٦٣].

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ [البقرة: 158] هما جبلان بمكة ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام
 دينه الواحدة شعيرة والمراد بها هنا المناسك والصفاء جمع «صفاء» وهي الصخرة
 الملساء الصلبة والمروة الحجر الرخو جمعها مروات هذا أصلهما ثم غلب على
 المكانين المشهورين ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: فليس بأحدهما ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾
 إثم ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قال ذلك؛ لأنهما في الجاهلية كانا في محل تعبد الكفار إذ
 كان صنم على الصفا وآخر على المروة، الأول «نائلة» على وزن فاعلة، والثاني
 «إساف» على وزن إكاف فتخرج الناس في الإسلام لذلك فنزلت والسعي واجب بيان
 السنة ولا بد من سبع ذهابه من الصفا إلى المروة مرة وعوده منها إليه أخرى فإن شك
 أحد بالأقل ويبدأ بالصفاء للبدء به في الآية وضح عنه ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: أتى
 خيرًا، وقرأ حمزة والكسائي وخلف يطوع خيرًا هنا وفي قوله: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ
 خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: 184] بسكون العين وتثقل الطاء والياء من تحت في أولهما وافقهم
 يعقوب في الأول، والباقون بقاء مثناة من فوق وتخفيف الطاء في الموضعين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
 شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ونزل في اليهود.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: 159] الدلالات على نبوة
 محمد ﷺ ﴿وَالْهُدَىٰ﴾ الهادي إلى اتباعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ وهو
 التوراة ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ وأصل اللعن الطرد، ومعناه هنا الإبعاد
 عن الخير والرحمة، واختلف في اللاعنين فقليل جميع الخلائق قاله ابن عباس، وقيل

غير ذلك مما ذكر في الأصل ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [البقرة: 160] رجعوا عن ذلك ﴿وَأَضَلُّوهُمُ﴾ عملهم ﴿وَيَبِينُوا﴾ ما كنتموا ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: 160 - 161] أي: هم مستحقون ذلك دنيا وأخرى والناس عام أو هم المؤمنون ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البقرة: 162] أي: في اللعنة أو في النار كناية عن غير مذكور وحسن؛ لأن اللعنة تدل على النار ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو غيرها ونزل لما قالوا: صف لنا ربك ﴿وَالْهَكْمُ﴾ [البقرة: 163] أي: المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَنْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ أَمْوَالَنَا لَمَا حَكَّمُوا وَلَكِنَّا كُنَّا لَكُمْ قَبْرًا وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رَأَوْا تَنَادَوْا لِئَظْهَرْنَا هَهُنَا وَتَظْهَرْنَا هُنَا وَتَلَاوَدُّوا فِيهَا جُثَاثًا لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَمْ تُنَالُوا ﴿١٦٧﴾ [البقرة: 164 - 167].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: 164]

تعاقبهما فكل يخلف الآخر ﴿وَالْفَلَكَ﴾ السفن واحدة وجمع سواء ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ موقرة ولا ترسب ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارات وغيرها ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَنْجَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أي: فرق ونشر في الأرض بالماء الدواب؛ لأن حياتهم بالخصب الناشئ عنه عبادة الله تعالى ﴿وَتَصْرِيفِ﴾ تقلاب ﴿الرِّيَّاحِ﴾ في مهابها وأحوالها ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم

﴿المُسْحَر﴾ المذلل ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة لا ينزل إليها ولا يذهبه الريح ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات واضحات على وحدانية الله تعالى ورحمته ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ذلك بالفكر والنظر الصحيح، ونزلت لما طلبوا آية على الواحدانية، وقيل: الأرياح ثمانية أربعة للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات ومثلها للعذاب العقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف الأول بالعين والثاني بالقاف في البحر.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: 165] أصنامًا أو رؤساء ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ في امتثال الأمر والتعظيم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لعدم انقطاعها وانتفاء العدول في الشدة إلى غير محبوبهم ومحبة الكفار الكفار تنقطع في الآخرة وهم يعذبون في الشدائد إلى الله في الدنيا أيضًا ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وعيسى بن وردان بخلاف عنه بالخطاب، والباقون بالغيب ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾ لندموا ندمًا شديدًا، أو لرأيت أمرًا عظيمًا، وقرأ بضم الياء من يرون ابن عامر، والباقون بالفتح ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وقرأ بالكسر في «إن القوة» و«إن الله» أبو جعفر ويعقوب، والباقون بالفتح.

﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: 166] أي: الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ والمعنى انكروا أضلالهم ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَنَقَطَتْ بِهِمْ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابَ﴾ الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من قرابة وصداقة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [البقرة: 167] رجعة إلى الدنيا ﴿فَتَبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ﴾ مثل حالهم القطيع في رؤية العذاب وتبرأ البعض من البعض ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسْرَاتٍ﴾ الحسرة الندامة ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ إشارة إلى الخلود بعد الدخول، ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كَلْبًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكًا طَيْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٣٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ

لَا يَغْفِرُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ
 إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ
 الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرَ بَآغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٧٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: 168] حلالاً جمع
 بينهما للتأكيد أو المعنى مما تستلذه الشهوة فالمعنى كلوا الحلال وإن علا نوعه وجنسه
 ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وزلاته وترينه كالنذر في المعصية ومحقرات
 الذنوب، وهو ساكن الطاء لنافع وإلى عمرو وحمزة وخلف وأبي بكر والبزي من طريق
 أبي ربيعة وللباقيين الضم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ مظهر العداوة.
 ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ [البقرة: 169] الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ المعاصي ومنه الزنا
 والبخل ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأنداد وتحريمه ما لم يحرم
 ونحوهما.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 170] أي: الكفار ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد
 وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الكفر
 وتحريم السوائب والبحائر يتبعونهم ﴿أُولَئِكَ﴾ الاستفهام للتوبيخ ﴿كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا
 يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من الحق ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه وجواب لو محذوف أي: لا يتبعوهم.
 ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 171] ومثلك يا محمد ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ﴾
 والمنعوق به؛ أي: مثل محمد ﷺ كمثل الناعق ومثل الكفار كمثل المنعوق به فهم مع
 محمد ﷺ كغنم لا تفهم صوته ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا
 يَعْقِلُونَ﴾ ما تخاطبهم به ولا يتفكرون فيه حتى يظهر لهم أنه الحق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ [البقرة: 172] حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ
 وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وأخرج البيهقي عن عمارة بن حمزة أنه قال: إذا
 وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا بقله الشكر.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: 173] أي: أكلها؛ لأنه المتكلم فيه وكذا
 الباقي، قرأ أبو جعفر هنا وفي المائدة والنحل ويس و«ميتة» في موضعي الأنعام،

«ميتاً» فيها والفرقان والزخرف والحجرات «ولبلد ميت»، «وإلى بلد ميت»، «والحي من الميت والميت من الحي» بتشديد الياء في ذلك كله ووافقه نافع في «الميتة» في يس، و«ميتاً» في الأنعام والحجرات، و«بلد ميت» وافقهما يعقوب في الحجرات، وروى بعضهم عنه التخفيف فيه، ووافقهما أيضاً حمزة وخلف والكسائي، وحفص «في بلد ميت» و«الميت» ووافقهما يعقوب «في الميت» والباقون بالتخفيف، وتحريم الميتة ليست بها وبجلدها ولو بعد الدبغ بأكل أو غيره والسّمك والجراد، لكن وردت السنة بإباحة الجلد المدبوغ إذا كانت حاسة بالموت، ويحل السمك والجراد والحق بالميت ما أبين من حي نحو صوف وشعر وريش انفصل لا على جزء من الحيوان ﴿وَالدَّم﴾ المسفوح ﴿وَلَحْمِ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ﴾ أي: رفع الصوت ﴿بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ والمراد ذبح لغيره ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾⁽¹⁾ الحاجة الضرورة لأكل شيء من المذكور فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾

(1) قال القاضي أبو بكر: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾، تصريفه: اضطر من الضرر، كافتتن من الفتنة، أي أدركه ضرر: وقد تقدم أن الضرر: هو الألم الذي لا نفع يوازيه أو يربي عليه؛ ولهذا لم يوصف شرب الأدوية الكريهة، ولا العبادات الشاقة بالضرر، لما في ذلك من النفع الموازي له؛ ثم المضطر قد يطلق على المحتاج، كما ورد في الآية، ويطلق على الملجأ إلى الشيء كالمرتعش والمحموم؛ لكن الملجأ مضطر حقيقة، والمحتاج مضطر مجازاً. والمراد بقوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ أي خاف التلف؛ فسماه مضطراً وإن قدر على تناول؛ ثم الضرر تارة يلحق بإكراه من خالم، وتارة بجوع من مخمصة، فيرتفع التحريم، ويباح الممنوع؛ فأما الإكراه، فيبيح ذلك إلى آخر الإكراه. وأما المخمصة، فإن كانت دائمة، فلا خلاف في جواز الشبع؛ وإن كانت نادرة، فقليل: يشبع، قاله مالك، وقيل: يأكل بمقدار سد الرمق، قاله ابن حبيب؛ لأن الإباحة ضرورة، فتقدر بقدرها.

المسألة الخامسة: من اضطر إلى خمر، فإن أكره على شربه، أو كان لعطش؛ فقال مالك: لا يشربها، لأنها لا تزيده إلا عطشاً، ولأن الله حرم الخمر مطلقاً، والميتة بشرط عدم الضرورة. قال الأبهري: إن ردت عنه جوعاً أو عطشاً شربها، فقد قال تعالى في الخنزير إنه رجس، ثم أباحه للضرورة. وقد قال في الخمر إنه رجس، فيباح للضرورة كالخنزير؛ فلو غص ببقمة، قال ابن حبيب: يسبغها بالخمر للضرورة، وقيل لا، سداً للذريعة. وقال العلماء: من اضطر إلى أكل محرم فلم يفعل، دخل النار لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾. واعلم أن البيهقي لغة الطلب، خيراً أو شراً، ومن طلب الشر: الخارج عن إمام الأمة المفارق للجماعة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ بَغْتُمْ إِخْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى﴾، وأما العادي، فهو من جاوز ما يجوز إلى ما لا يجوز، والمراد به هنا: قاطع الطريق.

وقال قتادة: الباغي: أكل الميتة فوق الحد، والعادي: آكلها مع وجود غيرها؛ والمعنى: فمن

قاصد للفساد بسفره ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بمجاوزته لما حل له أكله، وقيل: غير خارج عن المسلمين ولا متعدد بقطع الطريق عليهم ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تناوله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وحكم المسألة أن العاصي بسفره لا يحل له تناول الميتة ما لم يتب، فإن كان طائفاً به واضطر بأن خاف على نفسه محذور يتمم أكل وجوباً ما يسد الرمق فقط إن رجا حلالاً، وإلا زاد إن خشي بالاعتصار على سدِّ الرمق التلف ويجوز له التزود منها رجا الحلال أم لا، وعليه أكل الميتة في الحضر إن لم يجد غيرها وشبعة كما سبق، وقرأ أبو جعفر «فمن اضطر» بكسر الطاء حيث وقع، واختلف عن عيسى بن وردان في «اضطرا تم إليه» والباقون بالضم على الأصل، وقرأ عاصم وحمزة «فمن اضطر»، و«إن أحكم»، و«إن أسكر» بكسر النون، وكذلك الدال من «ولقد استهزئ»، والتاء من «وقالت اخرج»، والتونين من «مَحْظُوراً * انْظُرْ» و«غَيُونٍ * ادْخُلُوها» ونحوه، واللام من «قل ادعوا» ونحوه، والواو من نحو «أو انقص» مما اجتمع فيه ساكنان وبدأ الفعل الذي يليه بالضم، وكان الثالث أيضاً مضموماً، وافقهما يعقوب في غير الواو وأبو عمرو

اضطر غير طالب شراً، ولا مجاوز حداً؛ فيدخل في ذلك كل خارج عن الإمام، وقاطع الطريق. وقد ثبت أن الصحابة شبعوا من ميتة الحوت وتزودوا، وفي الحديث: إنهم ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فأخبرهم ﷺ أنه حلال، وقال: «هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟». المسألة السادسة: يؤخذ من الآية أن العاصي بسفره لا يستبيح رخصة، ولا تباح له بحال حتى يتوب، لأن الله تعالى أباح ذلك عوناً، والعاصي لا تجوز إعانته؛ ومن أباح له الترخيص، فقد أخطأ قطعاً؛ وإذا وجد المضطر ميتة، ودماً، ولحم خنزير، وحمراً، وصيداً حرمياً، وهو محرم؛ فإنه يقدم الميتة، لأنها تحل حية بخلاف الخنزير؛ ولأن التحريم المخفف، أولى من المثقل؛ كما لو أكره أن يطأ أخته أو أجنبية، فإنه يطأ الأجنبية، لأنها تحل له في وقت؛ فإن وجد ميتة وحمراً، فقال ابن القاسم: يأكل الميتة، لأنها أحلت لحليتها حية؛ وكذلك لو وجد ميتة وبعيراً ضالاً، فإنه يأكل الميتة كما تقدم؛ فلو وجد ميتة وكنزاً، أكل الكنز؛ فإن وجد ميتة ولحم آدمي، أكل الميتة، لأنها تحل حال الحياة. وقال الشافعي: يأكل لحم ابن آدم، لأنه ميتة لم ينص على تحريمها؛ فإن وجد المحرم ميتة وصيداً، أكل الصيد؛ لأن تحريمه مؤقت، فهو أخف؛ فإن احتاج إلى التداوي بالميتة، فإن تغيرت بالحرق، جاز التداوي بها والصلاة، قاله ابن حبيب، لأن الحرق تطهير وتغيير للصفات. وقال مالك في العتبية في المرهم يصنع من عظام الميتة، إذا جعله في جرحه لا يصلح به حتى يفسله. قال القاضي أبو بكر: والصحيح أنه لا يتداوى بالنجس؛ لأن الأعيان النجسة لا تطهر إلا بالماء الذي جعله الشرع مطهراً لها. وفي مسلم أن رسول الله ﷺ سئل عن الخمر يتداوى بها، قال: «ليست بدواء ولكنها داء». [الأحكام الصغرى ص 35].

واقفهما في غير الواو «وقل، وقد» واختلف عن ابن ذكوان في التنوين فكسر الأخفش وضم الصوري واستثنى بعضهم عن ابن الأحرم برحمة «ادخلوا» في الأعراف، وحيثية «اجشت» في إبراهيم، واختلف عن قنبل في التنوين المكسور نحو «ميت ادخلوها» فكسره ابن شنبوذ، وضمه ابن مجاهد، وكذلك قرأ الباقون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٤ - ١٧٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: 174] نزلت في اليهود لكتمهم صفة محمد ﷺ المذكورة في التوراة ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا وهو المأخوذ من السفلة فلا يظهرونه خوف قوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها ماله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في النار بالخلود.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175] تعجب لنا من شأنهم حيث ارتكبوا موجهاً بلا مبالاة وإلا فأي صبر لهم.

﴿ذَلِكَ﴾ [البقرة: 176] العذاب ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ بسبب أن الله ﴿نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فاختلّفوا فيه إيماناً وكفرًا وإظهارًا وإخفاءً ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ يقول بعضهم سحر وبعضهم شعر وكهانة أو في الكتب فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلافاً وضللاً ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
 الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا كُنِبْ عَلَيْكُمُ الْفِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ
 عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَلْيَبِيعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ
 رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴿البقرة: ١٧٧ -
 ١٧٨﴾.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: 177] أي: ليس
 الفعل المرضي التوجه للقبلة وحده نزلت رداً على أهل الكتاب حيث زعموا ذلك فأمر
 أهل الإيمان أن لا يقتصروا على ذلك قرأ حمزة وحفص ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بالنصب بمعنى:
 ليس يوليكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر، والباقون بالرفع ولكن البر من آمن
 أي: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ أي: ولكن البر الذي يعتني به من آمن، وقرأ نافع وابن عامر
 ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ [البقرة: 189] في الموضعين بتخفيف
 لكن ورفع البر، والباقون بالتشديد ونصب البر ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾
 المراد به الجنس أي: بسائر الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ﴾ مع ﴿حُبِّهِ﴾ للمال أو
 لله أو الآية ﴿ذَوِي﴾ أصحاب ﴿الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم وهو صغير لا
 أب له ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ جمع مسكين وهو من ملك شيئاً يقع هو موقعاً من كفايته ولا
 يكفيه كأن احتاج إلى عشرة فوجد ثمانية وهو خلاف الفقير؛ لأن الفقير من لم يملك
 شيئاً أو ملك ما لا يقع موقعاً من كفايته كأن احتاج إلى عشرة فوجد خمسة هذا إن
 اجتمعا في محل، فإن ذكر كل وحده فهما بمعنى واحد ومن ثم قيل: إذا افترقا اجتمعا
 وإذا اجتمعا افترقا ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الطريق وهو منشع سفر أو مجتاز سمي بذلك؛ لأنه
 ملازم للطريق.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ هم المكاتبون والأسرى، وليست الآية
 في الزكاة ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة وما قبله في التطوع ﴿وَالْمُوفُونَ﴾
 بعهدهم إذا عاهدوا ﴿الله والناس﴾ والصابرين في البأساء ﴿والضراء﴾

المرضى والزمان ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ وقت مجاهدة العدو ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ مع الله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ [البقرة: 178] فرض وأثبت، وقيل: هو إخبار عما

كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القص ﴿عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾⁽¹⁾ المماثلة ﴿فِي الْقَتْلَى﴾ وصفاً وفعلاً والأطراف كذلك إلا ما استثني في الفروع، ونزلت في حين بينهما دماً فقالوا: نقتل في ﴿الْحُرِّ﴾ عبداً وفي الأثني ذكراً الحر يقتل ﴿بِالْحُرِّ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَثْنَى بِالْأَثْنَى﴾ ويقتل الذكر بالأثني لما صح أن النبي ﷺ قتل من رض رأس جارية حتى ماتت، وتعتبر المماثلة ديناً فلا يقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حرّاً كما بيته السنة ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهْ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول أي: صاحبه ﴿شَيْءٍ﴾ من العفو وأتى بشيء؛ لأن العفو عن بعض القصاص كالعفو عن كله والعفو عن بعض الورثة كعفو كلهم ﴿فَاتِّبَاعٍ﴾ أي: فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِالْمَغْرُوفِ﴾ فلا يطالبه بالدية بالعنف ولا بأكثر منها والواجب القود عيناً والدية بدل عند سقوطه فلو عفى، ولم يسمها لم يجب شيء وذكر الاتباع مرتباً على العفو لبيان أن المطالبة بالدية لا تكون إلا عند العفو عليها وعلى القاتل ﴿وَأَذَاءَ إِلَيْهِ﴾ إلى العافي وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بلا مظل ولا ظلم ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من جواز العفو على المال والقصاص ﴿تَخْفِيفٍ﴾ تسهيل ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةً﴾ حيث أجازها ولو شاء لحتم القتل كما حتمه على اليهود أو الدية كما حتمها على النصارى ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العفو أو بعد ما أنزل الله فيه فخالف أمر الله كان قتل القاتل بعد العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽²⁾ في الدنيا

(1) قال النسفي: كلام فصيح لما فيه من الغرابة، إذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل طرفاً للحياة. وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بيّنة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأي حياة. أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل؛ لأنه إذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين. [تفسير النسفي (93/1)].

(2) قال القرطبي في «تفسيره» فيها سبع عشرة مسألة:

الأولى: روى البخاري والنسائي والدارقطني عن ابن عباس قال: «كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فقال الله لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ

بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَالْعَفْوُ أَنْ يَقْبَلَ الدِّيةَ فِي الْعَمْدِ ﴿فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ مما كتب على من كان قبلكم ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلُهُ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ قتل بعد قبول الدية، هذا لفظ البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو، قال: سمعت مجاهدًا، قال: سمعت ابن عباس يقول، وقال الشعبي في قوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾ قال: أنزلت في قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا فقالوا، نقتل بعبدنا فلان بن فلان، وبأمتنا فلانة بنت فلان، ونحوه عن قتادة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ ﴿كُتِبَ﴾ معناه فرض وأثبت، وقد قيل: إن ﴿كُتِبَ﴾ هنا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضاء، والقصاص مأخوذ من قص الأثر وهو اتباعه، ومنه القاص لأنه يتبع الآثار والأخبار، وقص الشعر اتباع أثره، فكان القاتل سلك طريقًا من القتل فقص أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك، ومنه ﴿فَارْتَدًّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قِصَصًا﴾ وقيل: القصاص القطع، يقال: قصصت ما بينهما، ومنه أخذ القصاص؛ لأنه يجرحه مثل جرحه أو يقتله به، يقال: أقص الحاكم فلانًا من فلان وأباه به فأمثله فأمثل منه؛ أي: اقتص منه. الثالثة: صورة القصاص هو أن القاتل فرض عليه إذا أراد الولي القتل الاستسلام لأمر الله والانقياد لقصاصه المشروع، وأن الولي فرض عليه الوقوف عند قاتل وليه وترك التعدي على غيره، كما كانت العرب تعدى فتقتل غير القاتل، وهو معنى قوله ﷺ: «إن من أعتى الناس على الله يوم القيامة ثلاثة رجل قتل غير قاتله ورجل قتل في الحرم ورجل أخذ بذحول الجاهلية»، قال الشعبي وقاتله وغيرهما: إن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة للشيطان، فكان الحي إذا كان فيه عز ومنعة فقتل لهم عبد، قتله عبد قوم آخرين، قالوا: لا نقتل به إلا حراً، وإذا قتلت منهم امرأة قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً، وإذا قتل لهم وضيع قالوا: لا نقتل به إلا شريقاً، ويقولون: «القتل أوقى للقتل» بالواو والقاف، ويروى «أبقى» بالباء والقاف، ويروى «أنفى» بالنون والفاء، فنهاهم الله عن البغي فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ... الآية﴾، وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، وبين الكلامين في الفصاحة والجزل بون عظيم.

الرابعة: لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر، فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك؛ لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص، ثم لا ينهياً للمؤمنين جميعاً أن يجتمعوا على القصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود، وليس القصاص بلزوم إنما اللازم ألا يتجاوز القصاص وغيره من الحدود إلى الاعتداء، فأما إذا وقع الرضا بدون القصاص من دية أو عفو فذلك مباح، على ما يأتي بيانه، فإن قيل: فإن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ معناه فرض وألزم، فكيف يكون القصاص غير واجب؟ قيل له: معناه إذا أردتم، فاعلم أن القصاص هو الغاية عند التشاح، والقتلى جمع قتيل، لفظ مؤنث تأنيث الجماعة، وهو مما يدخل على الناس كرهاً، فلذلك جاء على هذا البناء كجرحي وزمى وحمقى وصرعى وغرقى، وشبههن.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْمَبْدُ بِالْمَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى... الآية﴾، اختلف في تأويلها، فقالت طائفة: جاءت الآية مبينة لحكم النوع إذا قتل نوعه، فبينت حكم الحر إذا قتل حرًا، والعبد إذا قتل عبدًا، والأنثى إذا قتلت أنثى، ولم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر، فالآية محكمة وفيها إجمال بيّنه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، وبينه النبي ﷺ بسنته لما قتل اليهودي بالمرأة، قاله مجاهد، وذكره أبو عبيد عن ابن عباس، وروي عن ابن عباس أيضًا أنها منسوخة بآية المائدة وهو قول أهل العراق.

السادسة: قال الكوفيون والثوري: يقتل الحر بالعبد، والمسلم بالذمي، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصَ فِي الْقَتْلِ﴾ فعم، وقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، قالوا: والذمي مع المسلم متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص وهي حرمة الدم الثابتة على التأيد، فإن الذمي محقون الدم على التأيد، والمسلم كذلك، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام، والذي يحق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي، وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال المسلم، فدل على مساواته لدمه إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكة، واتفق أبو حنيفة وأصحابه والثوري وابن أبي ليلى على أن الحر يقتل بالعبد كما يقتل العبد به، وهو قول داود، وروي ذلك عن علي وابن مسعود - رضي الله عنهما -، وبه قال سعيد بن المسيب وقتادة وإبراهيم النخعي والحكم بن عيينة، والجمهور من العلماء لا يقتلون الحر بالعبد، للتنوع والتقسيم في الآية، وقال أبو ثور: لما اتفق جميعهم على أنه لا قصاص بين العبيد والأحرار فيما دون النفوس كانت النفوس أخرى بذلك، ومن فرق منهم بين ذلك فقد ناقض، أيضًا فالإجماع فيمن قتل عبدًا خطأ أنه ليس عليه إلا القيمة، فكما لم يشبه الحر في الخطأ لم يشبهه في العمد، وأيضًا فإن العبد سلعة من السلع يباع ويشترى، ويتصرف فيه الحر كيف شاء، فلا مساواة بينه وبين الحر ولا مقاومة، قلت: هذا الإجماع صحيح، وأما قوله أولاً: «ولما اتفق جميعهم - إلى قوله - فقد ناقض» فقد قال ابن أبي ليلى وداود بالقصاص بين الأحرار والعبيد في النفس وفي جميع الأعضاء، واستدل داود بقوله ﷺ: «المسلمون تنكأفأ دماؤهم» فلم يفرق بين حر وعبد، وسيأتي بيانه في النساء إن شاء الله تعالى.

السابعة: والجمهور أيضًا على أنه لا يقتل مسلم بكافر، لقوله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر» أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب، ولا يصح لهم ما رووه من حديث ربيعة أن النبي ﷺ قتل يوم خيبر مسلمًا بكافر؛ لأنه منقطع، ومن حديث ابن البيلمي وهو ضعيف عن ابن عمر عن النبي ﷺ مرفوعًا، قال الدارقطني: لم يسنده غير إبراهيم بن أبي يحيى وهو متروك الحديث، والصواب عن ربيعة عن ابن البيلمي مرسل عن النبي ﷺ، وابن البيلمي ضعيف الحديث لا تقوم به حجة إذا وصل الحديث، فكيف بما يرسله. قلت: فلا يصح في الباب إلا حديث البخاري، وهو يخص عموم قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ... الآية﴾، وعموم قوله: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾.

الثامنة: روي عن علي بن أبي طالب والحسن بن أبي الحسن البصري أن الآية نزلت مبينة حكم المذكورين، ليدل ذلك على الفرق بينهم وبين أن يقتل حر عبدًا أو عبد حرًا، أو ذكر أنثى أو أنثى

ذكرًا، وقالوا: إذا قتل رجل امرأة فإن أراد أولياؤها قتلوا صاحبهم ووفوا أولياءه نصف الدية، وإن أرادوا استحيوه وأخذوا منه دية المرأة، وإذا قتلت امرأة رجلاً فإن أراد أولياؤه قتلها قتلوها وأخذوا نصف الدية، وإلا أخذوا دية صاحبهم واستحيوها، روى هذا الشعبي عن علي، ولا يصح؛ لأن الشعبي لم يلق عليًا، وقد روى الحكم عن علي وعبد الله قالوا: إذا قتل الرجل المرأة متعمداً فهو بها قود، وهذا يعارض رواية الشعبي عن علي، وأجمع العلماء على أن الأعور والأشل إذا قتل رجلاً سالم الأعضاء أنه ليس لوليه أن يقتل الأعور، ويأخذ منه نصف الدية من أجل أنه قتل ذا عينين وهو أعور، وقتل ذا يدين وهو أشل، فهذا يدل على أن النفس مكافئة للنفس، ويكافئ الطفل فيها الكبير، ويقال لقائل ذلك: إن كان الرجل لا تكافئه المرأة ولا تدخل تحت قول النبي ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» فلم قتلت الرجل بها وهي لا تكافئه ثم تأخذ نصف الدية، والعلماء قد أجمعوا أن الدية لا تجتمع مع القصاص، وأن الدية إذا قبلت حرم الدم وارتفع القصاص، فليس قولك هذا بأصل ولا قياس، قاله أبو عمر رضي الله عنه، وإذا قتل الحر العبد، فإن أراد سيد العبد قتل وأعطى دية الحر إلا قيمة العبد، وإن شاء استحيا وأخذ قيمة العبد، هذا مذكور عن، علي والحسن، وقد أنكر ذلك عنهم أيضاً.

التاسعة: وأجمع العلماء على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، والجمهور لا يرون الرجوع بشيء، وفرقة ترى الاتباع بفضل الديات، قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والثوري وأبو ثور: وكذلك القصاص بينهما فيما دون النفس، وقال حماد بن أبي سليمان وأبو حنيفة: لا قصاص بينهما فيما دون النفس بالنفس وإنما هو في النفس بالنفس، وهما محجوجان بالحق ما دون النفس بالنفس على طريق الأخرى والأولى، على ما تقدم.

العاشرة: قال ابن العربي: ولقد بلغت الجهالة بأقوام إلى أن قالوا: يقتل الحر بعبد نفسه، ورووا في ذلك حديثاً عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل عبده قتلناه»، وهو حديث ضعيف، ودليلنا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلطاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ والولي ها هنا السيد، فكيف يجعل له سلطان على نفسه، وقد اتفق الجميع على أن السيد لو قتل عبده خطأ أنه لا تؤخذ منه قيمته لبيت المال، وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً قتل عبده متعمداً فجلده النبي ﷺ ونفاه سنة ومحا سهمه من المسلمين ولم يقده به، فإن قيل: فإذا قتل الرجل زوجته لم لم تقولوا: ينصب النكاح شبهة في درء القصاص عن الزوج، إذ النكاح ضرب من الرق، وقد قال ذلك الليث بن سعد، قلنا: النكاح يتعقد لها عليه، كما يتعقد له عليها، بدليل أنه لا يتزوج أختها ولا أربعا سواها، وتطالبه في حق الوطئ بما يطالبها، ولكن له عليها فضل القوامة التي جعل الله له عليها بما أنفق من ماله؛ أي: بما وجب عليه من صداق ونفقة، فلو أورث شبهة لأورثها في الجانبين، قلت: هذا الحديث الذي ضعفه ابن العربي وهو صحيح، أخرجه النسائي وأبو داود، وقال البخاري عن علي بن المدني: سماع الحسن من سمرة صحيح، وأخذ بهذا الحديث، وقال البخاري: وأنا أذهب إليه، فلو لم يصح الحديث لما ذهب إليه هذان الإمامان، وحسبك بهما!، ويقتل الحر بعبد نفسه، قال النخعي والثوري في أحد قولييه وقد قيل: إن الحسن لم يسمع من سمرة إلا حديث العقيقة، والله أعلم، واختلفوا في القصاص

بين العبيد فيما دون النفس، هذا قول عمر بن عبد العزيز وسالم بن عبد الله والزهري وقران ومالك والشافعي وأبو ثور، وقال الشعبي والنخعي والثوري وأبو حنيفة: لا قصاص بينهم إلا في النفس، قال ابن المنذر: الأول أصح.

الحادية عشرة: روى الدارقطني وأبو عيسى الترمذي عن سراقه بن مالك قال: حضرت رسول الله ﷺ يقيد الأب من ابنه، ولا يقيد الابن من أبيه، قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه من حديث سراقه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بصحيح، رواه إسماعيل بن عياش عن المثني بن الصباح، والمثني يضعف في الحديث، وقد روى هذا الحديث أبو خالد الأحمر عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عمر عن النبي ﷺ، وقد روي هذا الحديث عن عمرو بن شعيب مرسلًا، وهذا الحديث فيه اضطراب، والعمل على هذا عند أهل العلم أن الأب إذا قتل ابنه لا يقتل به، وإذا قذفه لا يحد، وقال ابن المنذر: اختلف أهل العلم في الرجل يقتل ابنه عمدًا، فقالت طائفة: لا قود عليه وعليه دية، وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، وروي ذلك عن عطاء ومجاهد، وقال مالك وابن نافع وابن عبد الحكم: يقتل به، وقال ابن المنذر: وبهذا نقول لظاهر الكتاب والسنة، فأما ظاهر الكتاب فقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾، والثابت عن رسول الله ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم» ولا نعلم خبرًا ثابتًا يجب به استثناء الأب من جملة الآية، وقد روينا فيه أخبارًا غير ثابتة، وحكى الكيا الطبري عن عثمان البتي أنه يقتل الوالد بولده، للعمومات في القصاص، وروي مثل ذلك عن مالك، ولعلمهما لا يقبلان أخبار الأحاد في مقابلة عمومات القرآن، قلت: لا خلاف في مذهب مالك أنه إذا قتل الرجل ابنه متعمدًا مثل أن يضجعه ويذبحه أو يصره مما لا عذر له فيه ولا شبهة في ادعاء الخطأ، أنه يقتل به قولاً واحدًا، فأما إن رماه بالسلاح أدبًا أو حقًا فقتله، ففيه في المذهب قولان: يقتل به، ولا يقتل به وتغلظ الدية، وبه قال جماعة العلماء، ويقتل الأجنبي بمثل هذا، ابن العربي: سمعت شيخنا فخر الإسلام الشاشي يقول في النظر: لا يقتل الأب بابنه؛ لأن الأب كان سبب وجوده، فكيف يكون هو سبب عدمه؟ وهذا يبطل بما إذا زنا بابنته فإنه يرجم، وكان سبب وجودها وتكون هي سبب عدمه، ثم أي فقه تحت هذا، ولم لا يكون سبب عدمه إذا عصى الله تعالى في ذلك، وقد أثروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقاد الوالد بولده» وهو حديث باطل، ومتعلقهم أن عمر ﷺ قضى بالدية مغلظة في قاتل ابنه ولم ينكر أحد من الصحابة عليه، فأخذ سائر الفقهاء ﷺ المسألة مسجلة، وقالوا: لا يقتل الوالد بولده، وأخذها مالك محكمة مفصلة فقال: إنه لو حذفه بالسيف وهذه حالة محتملة لقصد القتل وعدمه، وشفقة الأبوة شبهة منتصبة شاهدة بعدم القصد إلى القتل تسقط القود، فإذا أضجعه كشف الغطاء عن قصده فالتحق بأصله، قال ابن المنذر: وكان مالك والشافعي وأحمد وإسحاق يقولون: إذا قتل الابن الأب قتل به.

الثانية عشرة: وقد استدل الإمام أحمد بن حنبل بهذه الآية على قوله: لا تقتل الجماعة بالواحد، قال: لأن الله سبحانه شرط المساواة ولا مساواة بين الجماعة والواحد، وقد قال تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾. والجواب أن المراد بالقصاص في الآية قتل من قتل كائنًا من

كان، ردًا على العرب التي كانت تريد أن تقتل بمن قتل من لم يقتل، وتقتل في مقابلة الواحد مائة، افتخارًا واستظهارًا بالجاه والمقدرة، فأمر الله سبحانه بالعدل والمساواة، وذلك بأن يقتل من قتل، وقد قتل عمر رضي الله عنه سبعة برجل بصنعاء وقال: لو تمالا عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعًا، وقتل علي رضي الله عنه الحرورية بعدد الله بن خباب، فإنه توقف عن قتالهم حتى يحدثوا، فلما ذبحوا عبد الله بن خباب كما تذبح الشاة، وأخبر علي بذلك قال: «الله أكبر! نادوهم أن أخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب، فقالوا: كلنا قتله، ثلاث مرات، فقال علي لأصحابه: دونكم القوم، فما لبث أن قتلهم علي وأصحابه» خرج الحديثين الدارقطني في «سننه»، وفي الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتروا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار»، وقال فيه: حديث غريب، وأيضًا فلو علم الجماعة أنهم إذا قتلوا الواحد لم يقتلوا لتعاون الأعداء على قتل أعدائهم بالاشتراك في قتلهم وبلغوا الأمل من التشفي، ومراعاة هذه القاعدة أولى من مراعاة الألفاظ، والله أعلم، وقال ابن المنذر: وقال الزهري وحبيب بن أبي ثابت وابن سيرين: لا يقتل اثنان بواحد، روينا ذلك عن معاذ بن جبل وابن الزبير وعبد الملك، قال ابن المنذر: وهذا أصح، ولا حجة مع من أباح قتل جماعة بواحد، وقد ثبت عن ابن الزبير ما ذكرناه. الثالثة عشرة: روى الأئمة عن أبي شريح الكعبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إنكم معشر خزاعة قتلتم هذا القتل من هذيل وإني عاقله فمن قتل له بعد مقاتلي هذه قتل فاهله بين خيرتين أن يأخذوا العقل أو يقتلوا» لفظ أبي داود، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وروي عن أبي شريح الخزاعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل له قتل فله أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية»، وذهب إلى هذا بعض أهل العلم، وهو قول أحمد وإسحاق.

الرابعة عشرة: اختلف أهل العلم في أخذ الدية من قاتل العمدة، فقالت طائفة: ولي المقتول بالخيار إن شاء اقتص وإن شاء أخذ الدية وإن لم يرض القاتل، يروى هذا عن سعيد بن المسيب وعطاء والحسن، ورواه أشهب عن مالك، وبه قال الليث والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وحجتهم حديث أبي شريح وما كان في معناه، وهو نص في موضع الخلاف، وأيضًا من طريق النظر فإنما لزمته الدية بغير رضاه؛ لأن فرضًا عليه إحياء نفسه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وقوله: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: ترك له دمه، في أحد التأويلات، ورضي منه بالدية ﴿فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: فعلى صاحب الدم اتباع بالمعروف في المطالبة بالدية، وعلى القاتل ﴿وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ أي: من غير مطاطة وتأخير عن الوقت ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أي: أن من كان قبلنا لم يفرض الله عليهم غير النفس بالنفس، فنفضل الله على هذه الأمة بالدية إذا رضي بها ولي الدم، على ما يأتي بيانه، وقال آخرون: ليس لولي المقتول إلا القصاص، ولا يأخذ الدية إلا إذا رضي القاتل، رواه ابن القاسم عن مالك وهو المشهور عنه، وبه قال الثوري والكوفيون، واحتجوا بحديث أنس في قصة الربيع حين كسرت ثية المرأة، رواه الأئمة قالوا: فلما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص وقال: «القصاص كتاب الله، القصاص كتاب الله» ولم يخبر المجني عليه بين القصاص والدية ثبت بذلك أن الذي يجب بكتاب الله وسنة رسوله في العمدة هو القصاص، والأول أصح، لحديث أبي شريح المذكور،

وروى الربيع عن الشافعي قال: أخبرني أبو حنيفة أن سماك بن الفضل الشهابي قال: وحدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال عام الفتح: «من قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين إن أحب أخذ العقل وإن أحب فله القود»، فقال أبو حنيفة: فقلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا يا أبا الحارث ف ضرب صدري وصاح علي صياحاً كثيراً ونال مني وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به! نعم أخذ به، وذلك الفرض علي وعلى من سمعه، إن الله ﷻ ثناؤه اختار محمداً ﷺ من الناس فهدهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختاره له وعلى لسانه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك، قال: وما سكت عني حتى تمنيت أن يسكت.

الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ غَفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ اختلف العلماء في تأويل «من» و«عفي» على تأويلات خمس: أحدها: أن «من» يراد بها القاتل، و«عفي» تتضمن عافياً هو ولي الدم، والأخ هو المقتول، و«شيء» هو الدم الذي يعفى عنه ويرجع إلى أخذ الدية، هذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة من العلماء، والعفو في هذا القول على بابة الذي هو الترك، والمعنى: أن القاتل إذا عفا عنه ولي المقتول عن دم مقتول وأسقط القصاص فإنه يأخذ الدية ويتبع بالمعروف، ويؤدي إليه القاتل بإحسان، الثاني: وهو قول مالك أن «من» يراد به الولي «وعفي» يسر، لا على بابها في العفو، والأخ يراد به القاتل، و«شيء» هو الدية، أي: أن الولي إذا جنح إلى العفو عن القصاص على أخذ الدية فإن القاتل مخير بين أن يعطيها أو يسلم نفسه، فمرة تيسر ومرة لا تيسر، وغير مالك يقول: إذا رضي الأولياء بالدية فلا خيار للقاتل بل تلزمه، وقد روي عن مالك هذا القول، ورجحه كثير من أصحابه، وقال أبو حنيفة: إن معنى «عفي» بذل، والعفو في اللغة: البذل، وقال قوم: وليؤد إليه القاتل بإحسان، فندبه تعالى إلى أخذ المال إذا سهل ذلك من جهة القاتل، وأخبر أنه تخفيف منه ورحمة، كما قال ذلك عقب ذكر القصاص في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ فندب إلى رحمة العفو والصدقة، وكذلك ندب فيما ذكر في هذه الآية إلى قبول الدية إذا بذلها الجاني بإعطاء الدية، ثم أمر الولي باتباع وأمر الجاني بالأداء بالإحسان، وقد قال قوم: إن هذه الألفاظ في المعينين الذين نزلت فيهم الآية كلها وتساقطوا الديات فيما بينهم مقاصة، ومعنى الآية: فمن فضل له من الطائفتين على الأخرى شيء من تلك الديات، ويكون «عفي» بمعنى فضل، روى سفيان بن حسين بن شوعة عن الشعبي قال: كان بين حيين من العرب قتال، فقتل من هؤلاء وهؤلاء، وقال أحد الحيين: لا نرضى حتى يقتل المرأة الرجل وبالرجل المرأة، فارتفعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «القتل سواء» فاصطلحوا على الديات، ففضل أحد الحيين على الآخر، فهو قوله: ﴿كُتِبَ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنْ غَفِي لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ يعني: فمن فضل له على أخيه فضل فليؤده بالمعروف، فأخبر الشعبي عن السبب في نزول الآية، وذكر سفيان العفو هنا الفضل، وهو معنى يحتمله اللفظ، وتأويل خامس: وهو قول علي ﷺ والحسن في الفضل بين دية الرجل والمرأة والحر والعبد؛ أي: من كان له ذلك الفضل فاتباع بالمعروف، و«عفي» في هذا الموضوع أيضاً بمعنى فضل.

بالقتل وفي الآخرة بالنار.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧٦) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿ ١٨٠ ﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنبَأَ إِيَّاهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ ١٨١ ﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ ١٨٢ ﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٧٩ - ١٨٣].

السادسة عشرة: هذه الآية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب، وحسن القضاء من المؤدي، وهل ذلك على الوجوب أو الندب، فقراءة الرفع تدل على الوجوب؛ لأن المعنى فعلية اتباع بالمعروف، قال النحاس: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ﴾ شرط والجواب، ﴿فَاتَّبَاعٌ﴾ وهو رفع بالابتداء، والتقدير فعلية اتباع بالمعروف، ويجوز في غير القرآن «فاتباعاً»، و«أداء» بجعلهما مصدرين، قال ابن عطية: وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة «فاتباعاً» بالنصب، والرفع سبيل للواجبات، كقوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾ وأما المندوب إليه فيأتي منصوباً، كقوله: ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابَ﴾. السابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأن أهل التوراة كان لهم القتل ولم يكن لهم غير ذلك، وأهل الإنجيل كان لهم العفو ولم يكن لهم قود ولا دية، فجعل الله تعالى ذلك تخفيفاً لهذه الأمة، فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بِغَدِّ ذَلِكَ فَلَهُ﴾ شرط وجوابه، أي: قتل بعد أخذ الدية وسقوط الدم قاتل وليه، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال الحسن: كان الرجل في الجاهلية إذا قتل قتيلاً فر إلى قومه فيجئ قومه فيصالحون بالدية فيقول ولي المقتول: إني أقبل الدية، حتى يأمن القاتل ويخرج، فيقتله ثم يرمي إليهم بالدية، واختلف العلماء فيمن قتل بعد أخذ الدية، فقال جماعة من العلماء منهم مالك والشافعي: هو كمن قتل ابتداء، إن شاء الولي قتله وإن شاء عفا عنه وعذابه في الآخرة، وقال قتادة وعكرمة والسدي وغيرهم: عذابه أن يقتل البتة، ولا يمكن الحاكم الولي من العفو، وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أعفي من قتل بعد أخذ الدية»، قال الحسن: عذابه أن يرد الدية فقط ويبقى إثمه إلى عذاب الآخرة، وقال عمر بن عبد العزيز: أمره إلى الإمام يصنع فيه ما يرى، وفي «سنن» الدارقطني عن أبي شريح الخزاعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أصيب بدم أو خيل - والخيل عرج - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه بين أن يقتص أو يعفو أو يأخذ العقل فإن قبل شيئاً من ذلك ثم عدا بعد ذلك فله النار خالداً فيها مخلداً».

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179] عظيمة؛ لأن القاتل إذا علم أنه يقتل انزجر فحصلت الحياة له ولمن أراد قتله ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذا الحكم.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: 180] أي: أسبابه ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالا ﴿الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ هكذا كان في مبدأ الإسلام، ونسخ بآية الموارث وبحديث لا وصية لوارث ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ العدل فلا يخص غنيا ولا يفضله ولا يجاوز الثلث ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ [البقرة: 181] غيره من شاهد أو وصي ﴿بِعَدَمِ سَمْعَةٍ﴾ أو وصل إليه ثابتا ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أي: الإيذاء المبدل ﴿عَلَى الَّذِينَ يَبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ﴾ [البقرة: 182] قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿مَوْصٍ﴾ بفتح الواو وتشديد الصاد، والباقون بالإسكان والتخفيف ﴿جَنَفًا﴾ ميلا عن الحق وخطأ في الوصية ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ تعمدًا لذلك بمخالفة المأمور به من المعروف السابق ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الموصي لهم بإجرائهم على الحكم الشرع ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في هذا التبديل؛ لأنه تبديل باطل إلى حق أو المعنى علم جورًا في الوصية فأمر بالعدل فيها فلا إثم عليه في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 183] يعني الأنبياء والأمم، وهو لغة الإمساك وشرعًا إمساك عن المفطرات على وجه مخصوص ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الشهوات بالصوم إذ هي تتولد عن تركه مع الشبع.

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَإِنْ تَصَوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ

عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ وَلَلَّذِينَ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٤ - ١٨٦].

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾^(١) [البقرة: 184] موقنات بعدد معلوم وهل كتب على من قبلنا رمضان أو صوم في الجملة؟ قولان، الأكثر على الأول لكنهم غيروا ﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ يضره الصوم ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: راكب سفر فصبر وأجهد الصوم في المرض ولم يرد في السفر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عليه يقضي بها ما فاته ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: الصوم ﴿فَدْيَةٌ طَعَامٍ مِّنْ مِّسْكِينٍ﴾ فإن شاءوا صاموا وإن شاءوا فطروا، وأخرج كل عن كل يوم مدًا من غالب قوت البلد، قرأ المدنيان وابن ذكوان فدية بغير تنوين طعام بالخفض والباقون بالتنوين والرفع، وقرأ المدنيان وابن عامر مساكين بالجمع بفتح النون بلا تنوين، والباقون بالإفراد والخفض منوبًا ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ﴾ أي: من زاد في الفدية فهو خير له ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصوم من الفضل أو إن كنتم تعلمون أنه خير من تلك الأيام فافعلوه، وهذا كان في أول الإسلام ثم نسخ بوجوب الصوم على المطيق غير المسافرين بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ كما يأتي قال ابن عباس رضي الله عنهما إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما، ومنهم من يقول هي محكمة، والمراد بها من كان يطيقه ثم عجز عنه لهرم فيقول التقدير وعلى الذين لا يطيقونه.

﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: 185] جملة واحدة من اللوح

(1) أي: حاصل لهم بسبب هذا القول الذي رسخ اعتقادهم له وهونوا به الخطوب ولم يبالوا معه بارتكاب المعاصي والذنوب، والمراد بالأيام المعدودات أيام عبادتهم العجل، وجاء هنا ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ بصيغة الجمع دون ما في البقرة فإنه ﴿مَّعْدُودَةٌ﴾ بصيغة المفرد تفننًا في التعبير، وذلك لأن جمع التكسير لغير العاقل يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنثة تارة ومعاملة جمع الإناث أخرى فيقال: هذه جبال راسية، وإن شئت قلت راسيات، وجمال ماشية وإن شئت ماشيات، وخص الجمع هنا لما فيه من الدلالة على القلة كموصوفه وذلك أليق بمقام التعجب والتشعير. [تفسير الألوسي (2/ 464)].

المحفوظ ليست بعده في سماء الدنيا ليلة القدر أو أنزل في تعظيمة القرآن، قرأ ابن كثير بنقل حركة همزة قرآن والقرآن إلى الراء قبلها وحذف الهمزة، والباقون بإثباتها وإسكان الراء ﴿هُدًى﴾ أي: هادياً من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ دلالات لهم ﴿مَنْ هُدًى﴾ الهادي للحق من الأحكام ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ الفارق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَضْمَمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تخصيص لمن شهد وسبق مثله وكرر لثلاثتهم نسخة بعموم شهد ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾ الرخصة ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ بالزام المريض ونحوه، وضم السين من اليسر والعسر كيف وقع نحو لليسرى وللعسرى أبو جعفر والباقون بالإسكان، واختلف في الذاريات في قوله تعالى: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ [الذاريات: 3] عن عيسى بن وردان ﴿وَلِتُكْمَلُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: عدة رمضان علة لمحذوف تقديره شرع ما ذكر في صوم الشاهد والقضاء لمن ذكر ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم في دينه ومنه الرخصة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فضله في عدم إرادة العسر وسأل جماعة النبي: أقرب ربنا لناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزل.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ [البقرة: 186] يا محمد ﴿عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ إليهم بعلمي ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ بإنالة السؤال ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ يجيبوا ﴿لِي﴾ بالطاعة، وقيل: يستدعوا مني الإجابة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أمر بالثبات والمداومة أو المعنى يدعوا إلى الإيمان بي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ﴾ عِلْمُ اللَّهِ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْتَنَّ بِنِسْوَتِهِمْ وَأَتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِنَّاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧٨﴾ [البقرة: ١٨٧ -

﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾⁽¹⁾ [البقرة: 187] الجماع، عُدي بـ«إلى» في قوله ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ لتضمه معنى الإقضاء نزلت ناسخة لتحريم الجماع بعد العشاء أو بعد النوم وإن كان قبلها إلى انتهاء الصوم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن عدم استغناء كل عن صاحبه ولاشتمال كل على صاحبه سُمي لباسًا، وقيل: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن أو فراش لكم وأنت لحاف لهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنتُمْ﴾ قبل نزول هذه الآية ﴿تَخْتَانُونَ﴾ تخوفون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع بعد العشاء كما وقع لعمر وجمع من الصحابة ﴿وَنَزَلَتِ الْآيَةُ لَمَّا شَكُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ﴾ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ مما مضى ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ فإنزال الالتزام بذلك نسحًا لبدله هو الأحق عليكم ﴿فَالآنَ﴾ إذا حل لكم ﴿بِأَشْرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ﴾ قدر أو أباح ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾ اطلبوا الولد، وقيل: ليلة القدر في الشهر المذكور، وقيل: الرخصة والتوسعة ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ وإن نمتم قبل الأكل أو لم تأكلوا قبل العشاء ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي: بياض النهار من ظلام الليل، وقوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف تقديره من الليل ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ الذي هو آخر وقته والمراد غروب الشمس ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي: نسائكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون والعكوف والاعتكاف لغة الإقامة، وشرعًا الإقامة في المسجد بنية القربة، ويحصل عندنا بلبث قدر يسمى عكوفًا ولو وقفة لطيفة ولا يشترط فيه الصوم ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ نزلت نهيا لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ظنًا أن الجماع لا يبطله ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ لا تأتوها وأصل الحد في اللغة المنع ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا التبيين ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ «ليلة» نصب على الظرف، وهي اسم جنس فلذلك أفردت، والرفث: كناية عن الجماع؛ لأن الله ﷻ كريم يكني، قاله ابن عباس والسدي، وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته، وقاله الأزهري أيضًا، وقال ابن عرفة: الرفث ها هنا الجماع، والرفث: التصريح بذكر الجماع والإعراب به، وتعدى: «الرفث» بـ«إلى» في قوله تعالى: ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ وأنت لا تقول: رفثت إلى النساء، ولكنه جيء به محمولاً على الإقضاء الذي يراد به الملابس في مثل قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 188] أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق ولا ﴿وَتُدْلُوا﴾ تلقوا مأخوذ من أدلى بحجته وأدلى دلوه وناسب التعبير به؛ لأنه يطلب بها الحاجة كما يطلب بإدلاء الدلو لما ﴿بِهَا﴾ أي: بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بسبب ذلك ﴿فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ قطعة وجزءًا من أموالهم متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الظلم والتعدي ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: 189 - 193].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: 189] يا محمد ﴿عَنِ الْأَهْلِ﴾ إذ قال معاذ وغيره: ما للهِلال يبدو رقيقًا ثم يزيد حتى يمتلي نورًا ثم يعود كما بدى ولا يكون على حال واحد كالشمس ﴿قُلْ﴾ لهم جوابًا ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات وهو الزمان المفروض لأمر والزمان مدة مقسومة، والمدة امتداد حركة الفلك من مبتدأها إلى منتهاها ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الآجال ونحوها ﴿وَالْحَجِّ﴾ فيعلم بها وقته وهذا جواب لإعلامهم بأن حقهم معرفة ذلك أي: فلو استمرت على حال واحد لم يعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: صاحب البر ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ المعاصي نزلت في أناس كانوا في الحج لا يأتون بيتا من بابه بل ينقبون نقبًا للدخول والخروج ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ لتخالفوا طريق الجاهلية وتوافقوا الشرع، وقرأ أبو جعفر والبصريان وحفص وورش ﴿الْبُيُوتَ﴾ وبيوت حيث وقع بضم الباء، والباقون بكسرها، وكذا كسر حمزة الغين من الغيوب وكسر ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان الغين من

الغيوب وكذا أبو بكر، والشين من ﴿شُيُوخًا﴾ [غافر: 67] في غافر، والحيم من ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31] في النور، إلا أنه اختلف عن أبي بكر في ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ والباقون بضم ذلك كله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ولما صد ﷺ عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل، ويخلوا له مكة ثلاثة أيام ويجهز لعمرة القضاء وخافوا ألا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل.

﴿وَقَاتِلُوا﴾ [البقرة: 190] جاهدوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ من الكفار دون عنهم ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بقتال غيرهم أو عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين ما حد لهم وهذا منسوخ بآية برأة وبقوله: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: 191] وجدتموهم وأصل الثقافة الحدق والبصر بالأمر ﴿وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ فأخرج المسلمون يوم فتح مكة من لم يسلم منها ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ المراد بها الشرك هنا ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فشرکهم أشد من قتلكم لهم في الحرم والإحرام الذي استعظموه ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: في الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ فيه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: قتلهم وإخراجهم ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي وخلف «ولا تقتلوهم»، «حتى يقتلوكم»، «فإن قتلوكم» بحذف الألف فهن، والباقون بإثباتها.

﴿فَإِنْ انْتَهَوْا﴾ [البقرة: 192] عن الكفر والقتل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ ﴿البقرة: 192 - 193﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا﴾ عن شركهم ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه والعدوان السبيل بالقتل وغيره سمي عدواناً باسم مقابله.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِذْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا

أَمِنْتُمْ مَن تَمَنَعَ بِالْمَعْرَةِ إِلَىٰ أَنْ تُخْرَجَ مَا سَيَسَّرَ مِنَ الْأَهْدَىٰ مَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي
لَيْلٍ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣٦﴾ [البقرة: ١٩٤ - ١٩٦].

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾^(١) [البقرة: 194] أي: ذو القعدة الذي دخلتم
مكة فيه وقضيتم عمرتكم سنة سبع بالشهر الحرام وهو ذو القعدة أيضاً الذي صدقتم
فيه عن البيت سنة ست أو المعنى كما قاتلوكم فيه قاتلوهم فيه فهو رد لاستعظام
المسلمين ذلك ﴿وَالْحُرْمَاتُ﴾ جمع حرمة جمعها؛ لأنه أراد حرمة الإحرام والشهر
الحرام والبلد الحرام ويضبطها كل ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ مساواة ومماثلة وهو
أن يفعل بالفاعل مثل الذي فعل ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ
عَلَيْكُمْ﴾ من غير زيادة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالحفظ والنصر.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 195] هو الجهاد إذا أطلق وكل خير سبيل الله؛
لأنه في الطريق التي أمر بها ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أنفسكم ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بترك الجهاد
والإنفاق في سبيل الله؛ لأنه يقوي عدوكم عليكم أو بالإسراف والتهلكة كل شيء صير
عاقبته إلى الهلاك، وقيل: ما يمكن الاحتراز عنه ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ باتباع الأمر ومنه النفقة

(1) فيها مسألتان: المسألة الأولى في سبب نزولها: قيل: نزلت سنة سبع حين قضى ﷺ عمرته في ذي
القعدة، ودخل مكة وقضى نسكه. والمعنى: شهر بشهر، وحرمة بحرمة؛ وذلك أصل في كل
مكلف عاقه عذر عن عبادة ثم قضاها، فإن الحرمة واحدة، والثواب سواء وقيل: إن المشركين
قالوا: يا محمد، نهيت عن القتال في الشهر الحرام؟ قال: نعم؛ فأرادوا قتاله فيه، فنزلت الآية أي
إن استحلوا قتالك فيه فقاتلهم، فإن الحرمة بالحرمة مكافأة.

تنبية: قال علماؤنا: هذا يدل على أن لك أن تبيع دم من أباح دمك وعرض من أباح عرضك،
ومال من أخذ مالك؛ لكن من أباح دمك فلا تأخذه إلا بحكم حاكم، لا باستطانتك وأخذك بيدك؛
وأما من أخذ مالك فخذ ماله إذا تمكنت منه، إن كان من جنس مالك: إن ذهباً فذهب، أو طعاماً
فطعام، إذا أمنت أن تعد سارقاً؛ فإن لم يكن من جنسه، فالصحيح أنه يتحرى القيمة بقدر ذلك؛
وإما إن أخذ عرضك، فخذ عرضه ولا تتعداه لأبويه ولا إلى قريبه؛ ولا تكذب عليه، وإن كذب
عليك، فإن المعصية لا تقابل بمثلها؛ فلو قال لك: يا كافر، فقل له: أنت الكافر، وإن قال لك: يا
زان، فقل له: يا كاذب، يا شاهد زور؛ فإن قلت له: يا زان، كنت كاذباً وشاهد زور وأثمت، وإن
مطلق، وهو غني، فقل له: يا ظالم؛ قال رسول الله ﷺ: «لِيُغْنِيَ يَحُلُّ عِرْضَهُ وَعَقُوبَتَهُ»، أما
عرضه فيما فسرناه؛ وأما عقوبته فبالسجن حتى يؤدي. [الأحكام الصغرى ص 53].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196] بالإتيان بمناسكهما وحدودهما وسننهما ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ من نعيم الإتمام والإحصار المبيح للتحلل منع العدو ومثله شرط التحلل بالمرض في عقد الإحرام فإن لم يشترط لم يتحلل ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: فعليكم ذلك فيذبح شاة أو بدنة أو بقرة أو سبع واحدة منهما بأن يشترك فيها قوم ويذبحون ويفرق لحم ما ذبح بالموضع الذي أحضر فيه فإن عجز المشتري بقيمة الشاة طعامًا وتصدق به، فإن عجز صام عن كل مد يومًا ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي: لا تتحللوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ هو اسم لكل ما يهدى إلى بيت الله تعالى تقريبًا إليه، والمراد به هاهنا ما يذبح من النعم ﴿مَجْلَهُ﴾ أي: يصل إلى المحل الذي يحل ذبحه فيه وذلك حيث أحصر في الحل أو الحرم فلا يجوز للمحصر تقديم الحلق على الذبح، ويجب أن ينوي التحلل عند الذبح وعند الحلق ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كقمل وصداع فحلق في الإحرام خشية محذور تيمم من تلف عضو أو منفعة أو بطيء البرء، أو شين فاحش في عضو ظاهر ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي: فعليه فدية يخير فيها بين ما ذكره بقوله ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ وهو ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٌ﴾ بثلاثة أصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع الصاع أربعة أمداد المد رطل وثلاث بالبغدادي، هو مائة وثمانين وعشرون درهمًا وأربعة أسباع درهم ﴿أَوْ نُسْكَ﴾ وهو ذبح شاة بصفة الأضحية أو الحلق بغير عذر كذلك بل هو أولى بالتكفير، وكذا كل أسمع كصيب ولبس وذهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَا أُمِيتُمْ﴾ الإحصار بأن ذهب العدو أو لم يكن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ بأن أحرم بها في أشهر الحج ثم بعد فراغها حج من سنته ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليه أي شاة بصفة الأضحية أو سبع بدنة أو سبع بقرة ووقت الذبح بعد التحلل من العمرة والأفضل بعد الإحرام بالحج ويوم النحر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الهدى بأن عجز عن تحصيله أو وجدته بأكثر من ثمن المثل ﴿فَصِيَامٌ﴾ أي: فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في أيامه فيجب أن يصومها بعد الإحرام والأولى أن يحرم قبل يوم السادس ويصومه ويصوم السابع والثامن والتاسع يفطره؛ لأنه يوم عرفة ويكره صومه للحاج الذي لم يؤخر الوقوف إلى الليل ولا يجوز يوم النحر وأيام التشريق ﴿وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم فإن جاز بمكة صامها فيها مفرقًا بقدر تفريق الأداء وهو أربعة أيام

ومدة إمكان السير إلى أهله غالباً ﴿تِلْكَ﴾ الأيام عشرة كاملة ﴿عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ﴾ أي: لزوم الدم والبدل عند العجز عنه ﴿لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وحاضروه من هو على دون مرحلتين من الحرم وذكر الأهل مشعر بالاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه الدم والحق بالتمتع في الدم القارن، وهو من أحرم بالحج والعمرة معاً أو أدخل الحج عليها قبل الطواف كما بينته السنة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَافَتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: 197 - 199].

﴿الْحَجُّ﴾ [البقرة: 197] أي: وقته ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ معروفات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليالٍ من ذي الحجة عندنا وسمي بعض الشهر شهراً إقامة للبعض مقام الكل ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ على نفسه أي: أحرم به ويحصل بمجرد النية ولا يشترط التلبية ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ لا جماع ولا مقدماته ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾⁽¹⁾ لا خروج من حدود

(1) قال ابن العربي المعافري: يقال: رفث يرفث بضم الفاء في المستقبل وكسرهما، والرفث كل قول يتعلق بذكر النساء من جماع وغيره، والمراد: أنه لا رفث مشروع في الحج، لا أنه لا يوجد، بدليل وجود الرفث المفسد للحج، فيكون المنهى عبارة عن مشروعيته وإن كان موجوداً حساً، فمن جامع في الحج، فسد حجه، ولو باشر، لم يبطل، كما لو مس طيباً، لأن تحريم المباشرة تحريم وسائل، فهي أخف من تحريم المقاصد، وقد قال ﷺ: «لا يَنْكَحُ الْمُحْرَمَ وَلَا يُنْكَحُ، وَلَا يَخْطُبُ». فلو فعل، لم يفسد حجه. وقوله: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾، قيل: المراد: جميع المعاصي، لقوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، وقال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». قال الفقهاء: المبرور هو الذي لم يعص الله في أثناءه. وقال الفقهاء: هو الذي لم يعص الله بعد أدائه.

الشريعة، ومنه السباب والتنازب بالألقاب ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ لا مرء ولا مخاصمة مع الرفقاء والخدم وشبههم وإنما أمر باجتناب ذلك ﴿فِي الْحَجِّ﴾ مع أنه واجب الاجتناب في كل حال؛ لأنه مع الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة والمراد بالنفي وجوب ابتغائها وحقيقته ألا تكون ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا﴾ وأمر بالزاد؛ لأن قومًا من اليمن كانوا يحجون مع عدمه ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ويفهم من الآية النهي عن الإلحاح في السؤال؛ لأن الحج بلا زاد سبب له ﴿وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [البقرة: 198] حرج ﴿أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا﴾ عطاء وتجارة في مواسم الحج إذ نزلت لقولهم هل علينا جناح في ذلك ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ دفعتم ﴿مِنْ عَرَافَاتٍ﴾ بعد الوقوف بها قيل هو جمع عرفة جمعت وإن كانت شيئًا واحدًا باعتبار ما حولها من المشاعر سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم ﷺ فعرفها لما أبصرها وقيل غير ذلك مما ذكر في الأصل ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ وهو قرح جبل في آخر المزدلفة فإنه أفضل من غيره، وإن كانت مزدلفة كلها موقفًا وفي الحديث أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جدًا ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي: ذكرًا حسنًا كما هداكم أو بهدايتكم ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين.

﴿ثُمَّ﴾ [البقرة: 199] للترتيب في الذكر ﴿أَفِيضُوا﴾ من عرفات إلى المزدلفة ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: العرب كلهم؛ لأن الحمس وهم قطان مكة من قريش وغيرهم المحالفين لهم كانوا يقفون بجمع ويقولون نحن قطان حرم الله وأهله فلا نخرج من الحرم فأمرهم الله بالوقوف بعرفات مع غيرهم من الناس والإفاضة المذكورة معهم ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَنَا فِي الْأٰخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْأٰخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ * وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٤].

﴿فَإِذَا قُضِيْتُمْ﴾ [البقرة: 200] أدبتم ﴿مَنَاسِكُكُمْ﴾ حجكم وذبائحكم، فإن رميتم
جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذَكَرْتُمْ آبَاءَكُمْ﴾
أو أشدَّ ذِكْرًا﴾ أي: وذكروه ذكراً أشد من ذكركم لأبائكم أمروا بذلك لأنهم كانوا
يذكرون مفاخرهم عند انقضاء المناسك بين المسجد والجبل من حسب ونسب ﴿فَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ لأنه يريد الدنيا ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾ نصيباً ﴿فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلَاقٍ﴾ حظ ونصيب.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: 201] نعمة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً﴾ ففي الدنيا الصحة والكفاية والتوفيق ومن ذلك الزوجة الصالحة الحسنة والعلم
والعمل به وفي الآخرة الجنة والثواب والرحمة ومنه الحور العين ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
بالعفو والمغفرة والحفظ من الشهوات، وهذا بيان لما كان عليه المشركون والحال
والمؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد الثواب عليه بقوله:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ [البقرة: 202] حظ وثواب ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي: من أجله
﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيحاسب الخلق كلهم في آن واحد في قدر لمحة، في قدر
نصف نهار من أيام الدنيا.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: 203] هي أيام التشريق والذكر فيها
بالتكبير وخصوصاً عند رمي الجمار، فالحاج يكبر من ظهر النحر ويختم بصبح آخر
آخر التشريق وغيره يكبر من صبح عرفة ويختم بعصر آخر التشريق ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي:
استعجل بالنحر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ﴾ بذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ بأن راعى ما يجب في الحج أو راعى الحدود
كلها والأول أقرب، والرمي المتعلق بالتحلل يدخل بمضي نصف ليلة النحر وهو أن
يرمي سبع حصيات إلى جمرة العقبة وأما غيره فهو في اليوم الثاني إلى الجمرات
الثلاث كل جمرة سبع حصيات وفي اليوم الثالث كذلك بعد الزوال فيهما ثم إن شاء
نفر فجاء إلى مكة أو أي محل شاء، وهذا متعجل لأنه عجل لنفسه الفراغ من الرمي

ومن تأخر إلى غروب الشمس ليلة آخر أيام التشريق لزمه المبيت بمنى والرمي في اليوم الذي يليها وليس بمتعجل؛ لأنه أتى بالأكمل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: 204] فتستحسنه ويعظم في قلبك ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله فيقول والله إنني بك مؤمن ولك محب ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك بعداوته لك، نزلت في الأخنس بن شريف كان منافقاً حلوا الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدني مجلسه فأكذبه الله في ذلك ومر بزرع وحمير لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾
 وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهَا
 جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
 مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِينَ ﴿٢٠٧﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي
 السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
 فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
 ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ
 الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ [البقرة: ٢٠٥ - ٢١٠].

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ [البقرة: 205] أدبر وأعرض عنك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ عمل فيها وقيل سار ومشى ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بأكاذيبه وأفعاله ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ وهو على بابه وقيل هو النساء ﴿وَالنَّسْلَ﴾ هو نسل كلما يدب على وجه الأرض لدلالة إهلاك بعضه عمداً على إرادة إهلاك الكل، وقيل: المعنى إذا تولى ولاية سوء ظلم كثيراً فمنع الله بسبب ظلمه الفطر فهلك الحرث والنسل ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ لا يرضى به.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [البقرة: 206] في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ المنعة وشدة النفس ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الظلم والعدوان، وقيل: المعنى أخذته العزة مع الإثم والمراد حملته

الأنفة والحمية على العمل بالإثم الذي أمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه عاقبة وجزاء ﴿جَهَنَّمَ﴾
وَلِبَسَسِ الْمِهَادِ﴾ الفراش.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ [البقرة: 207] يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ من الكفار أو يبذلها في طاعة الله، سمي الأول بيعاً؛ لأنه بمعناه نزلت في صهيب أراد الهجرة من مكة إلى مدينة رسول الله ﷺ فأبت عليه قريش فقال لهم إن أخذتم ما لي تتركوني فرضوا ففعل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح البيع صهيب مرتين»⁽¹⁾ ﴿اِئْتِغَاءً﴾ طلب ﴿مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه، ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الإثم بعد الإسلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ [البقرة: 208] الإسلام بفتح السين للكسائي والمدنيان وابن كثير والباقون بكسرهما ﴿كَافَّةً﴾ أي: ادخلوا في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طريق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ آثاره في التفريق بينكم وتزيينه تفريق شرائع الإسلام ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ [البقرة: 208 - 209] ضللتهم، وقيل: ملتم عن الدخول في الإسلام أو في جميع شرائعه.

﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: 209] الحجج الصحيحة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 210] أي: ينتظر التاركون الدخول في الإسلام ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره والمعنى أنهم لا ينتظرون إلا إتيانه ﴿فِي ظُلُلٍ﴾ جمع ظلة وهو المظل من فوق ﴿مِنَ الْعَمَامِ﴾ وهو السحاب الأبيض هنا؛ لأنه مظنة الرحمة فإذا جاءهم العذاب فيه كان أقطع، وقيل: غيره فقيل كهيئة الضباب، وقيل: هو كناية عن الستر عن الخلق فلا يرونه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ﴾ تم ﴿الْأَمْرُ﴾ هلاكهم ﴿وَالِإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع ابن عامر والأخوان.

﴿سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَبْدَلِ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٣١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَسِعَّرُونَ مِنْ

(1) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (564/1).

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾
 كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ
 أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا
 اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴿البقرة: ٢١١ - ٢١٣﴾.

﴿سئل﴾ [البقرة: 211] يا محمد ﴿بني إسرائيل﴾ تبيكتنا لهم ﴿كم آتيناكم من آية
 بينة﴾ دلالة واضحة فبدلوها كفراً ﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾ وصلت إليه
 ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ له وهل النعمة الإسلام أو القراءة أو عهد الله؟ أقوال متقاربة.
 ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 212] من أهل مكة ﴿الحياة الدنيا﴾ بالتمويه
 فأحبوها ﴿و﴾ هم ﴿يسخزون﴾ يضحكون ويستهنئون ﴿من الذين آمنوا﴾ لفقدهم
 كبلال وصهيب وعمار ويتعالون بالمال عليهم ﴿والذين اتقوا﴾ الشرك ﴿فوقهم يوم
 القيامة﴾ لأنهم هم الناجون ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ في الدنيا والآخرة أو
 الدنيا بأن يملك المسخور منه مال الساخر ورقبته.

﴿كان الناس أمة واحدة﴾ [البقرة: 213] أي: على الإيمان ثم آمن بعضهم وكفر
 بعضهم، وقيل: المراد آدم، وقيل: المراد أن العرب كانوا على ملة إبراهيم إلى أن غيرها
 عمرو بن يحيى ﴿فبعث الله النبيين﴾ إليهم ﴿مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب﴾
 أي: الكتب ﴿بالحق﴾ بالصدق ﴿ليحكم﴾ قرأ أبو جعفر هنا وفي آل عمران وموضعي
 النور بضم الياء وفتح الكاف، والباقون بفتح الياء وضم الكاف ﴿بين الناس فيما اختلفوا
 فيه﴾ من أمورهم ﴿وما اختلف فيه﴾ أي: في الكتاب ﴿إلا الذين أوتوه﴾ فآمنوا ببعض
 وكفروا ببعض ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد ﴿بغياً﴾
 حسداً من الكفار ﴿بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ بقضائه
 وأمره وإرادته ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ﴿إلى صراط مستقيم﴾ طريق حق، ونزل
 في جهد أصاب المسلمين.

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم

مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ
 أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ
 فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
 بِهِ عَلَيْهِ ﴿٢١٥﴾ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرَةٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
 وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
 تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٤ - ٢١٦].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [البقرة: 214] خطاب للنبي ﷺ وصحبه ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: حال الذين مضوا في الشدة فتصبروا كما صبروا
 وبينها بقوله: ﴿مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض ﴿وَزُلْزَلُوا﴾ أزعجوا
 بأنواع البلايا والرزايا تخويفًا ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ برفع اللام لنافع وينصبها للباقيين ﴿الرَّسُولُ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وعدناه قالوه فأجيبوا من قبل الله ﴿أَلَا
 إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ * يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: 214 - 215] يا محمد ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي
 ﴿يُنْفِقُونَ﴾ نزلت لأن عمرو بن الجموح الأنصاري كان شيخًا كبيرًا وله مال فسأل
 رسول الله ﷺ أين يضع ماله وفي رواية أنه قال ماذا أنفق وعلى من ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد
 ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مال، وهذا المنفق وأما المتفق عليه فبين بقوله: ﴿فَلِلَّذِينَ
 وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾
 إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿كُتِبَ﴾ [البقرة: 216] فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ﴾ الجهاد للكفار ﴿وَهُوَ كُرَةٌ﴾
 مكروهه ﴿لَكُمْ﴾ طبعًا؛ لأنه شاق عليكم ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١)

(1) قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرَةٌ لَكُمْ﴾ أخبر سبحانه أن مقاومة النفس ومخالفتها
 صعب على صاحبها؛ لكن في درب كل خلقٍ دنا في نيران المجاهدة انفتاح كثر من كنوز
 الحقائق من الفرائد والكرامات والمناجاة والمكاشفات والمشاهدات؛ لأن النفس الحجاب
 الكلي يحجب القلب عن مشاهدة الملكوت، ورؤية أنوار الجيروت، وسنة الله قد مضت بأن من
 خالف نفسه وهواه فقد استنَّ محجة المثلى وأدرك ممالك العلياء، ورتقي مدارج المكاشفات،
 وبلغ معارج المشاهدات؛ لأن مخالفة النفس هي موافقة للقلب، ومن وافق قلبه أنس سعادة

الجهاد ونحوه ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ وهو الشهوات ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لما في ذلك من عار الدنيا وعقاب الآخرة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مصالحكم وما هو خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ شيئاً منها فبادروا إلى ما يأمركم به.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَفْعُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ [البقرة: ٢١٧ - ٢١٩].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ﴾ [البقرة: 217] لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي ذنب كبير ونسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ﴾ دين ﴿اللَّهُ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: وصد عنه وهو مكة

الكبرى، ونال منزلة الأعلى؛ لأن من باشر أنوار القلب فقد باشر أمر الحق، ومن أدرك الحق بوصف الإلهام باشر سره نور الحكمة، ومن أدرك نور الحكمة فقد أبصر نور معرفته، ومن أبصر نور معرفته عاين حقيقة الكل بالكل، وقد استمسك بالعروة الوثقى، وهي مشاهدة مولاه، فأين هذه المنزلة والمرتبة في هوى حسن حظوظ البشرية، وحصول النفس عند توقانها نفائس الشهوة؛ بل الأمر المعظم في قتال النفس، وقمع شهواتها، وقلع صفاتها عنها حتى تصير مطمئنة ساكنة تحت قضاء الحق، وبقي القلب فارغاً عن وساوسها، وسرِّ عالم الملكوت بنور البصيرة، كما قال ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء».

﴿وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مما سألتهم عنه في أمر الشهر الحرام نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ لعير قريش مع عبد الله بن جحش قلعوا العير فأخذوه وقتلوا ابن الحضرمي، وكان ذلك غرة رجب من غير علم من السرية إذ ظنوه آخر جمادى الآخرة؛ فلامت قريش على ذلك؛ فأُنزل الله إنما فعلوه عمداً أكبر مما فعلته السرية خطأ، وقيل: إنما فعلوا ذلك آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم رجب؛ فنزلت نافية لظنهم ومفيدة أنه لو وقع لكان فعلهم أشد ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك وإخراج أهل الدور منها ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ﴾ كي ﴿يَزِيدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إخبار عن دوام عداوة الكفار ﴿إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِيدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ الإسلام ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطل نفعها ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ومن لم يمت على الردة لم يحبط عمله فلا يعيد نحو الحج السابق عليها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [البقرة: 218] من مكة إما للحبشة أو المدينة أو لهما ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ثوابه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في السرية أيضاً إذ ظنوا أنهم سلموا من الإثم ولا أجر لهم فنزلت مشبهة للأجر بإثبات رجاء الرحمة، ونزل لما قال عمر: اللهم بين في الخمر بيانا شافيا.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ [البقرة: 219] حكم ﴿الْخَمْرِ﴾ وهي عصير العنب إذا اشتد وغلا ويلحق به كل مسكر ﴿و﴾ عن حكم ﴿الْمَيْسِرِ﴾ وهو القمار ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيم، وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء المثناة، والباقون بالباء الموحدة ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ من الطرب واللذة في الخمر وكسب المال في القمار بلا تعب ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ بعد التحريم ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ قبله أو المفاسد الناشئة عن ذلك من زوال العقل والفقير أكبر من النفع الحاصل بالطرب وغنى الغير ولما نزلت شربها قوم وحرماها آخرون إلى أن نزلت آية المائدة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: ما قدره قبل هو سؤال عمرو بن الجموح أيضاً ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قرأ أبو عمرو بضم الواو، والباقون بفتحها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم في الإنفاق ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَيُؤَنِّقُكَ عَنِ الْمَتَمِّ قُلْ إِصْلَاحٌ لِّمَنْ حَيَّرَ وَإِن تَخَاطَبْتَهُمْ فَاخْوَانِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ إِنَّ

اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۖ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَاللَّهُ يُدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴿البقرة: ٢٢٠ - ٢٢٢﴾.

﴿في﴾ [البقرة: 220] أمر ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ لما نزل أن الذين يأكلون أموال اليتامى فاعتزلوهم وتركوا أمورهم فشق عليهم؛ لأن إن آكلوهم أثموا وإن عزلوهم وضعوا لهم طعاماً وحدثهم خرج فسألوهم ﴿فَنَزَلَتْ﴾ ﴿قُلْ إِضْلَاحٌ لَهُمْ﴾ في أموالهم بالتنمية ومداخلتهم ﴿خَيْرٌ﴾ من اعتزالهم وترك أمورهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: يخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَأَخْوَانُكُمْ﴾ في الدين ومن شأن الأخ مخالطة أخيه أي: فلکم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَغْلُمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُضْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْتَنَّاكُمْ﴾ كلکم ما يستو علیکم، قرأ البزي «لاعتکم» بتسهيل الهمزة بين بين بخلاف عنه والباقون بتحقيقها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾ [البقرة: 221] تتزوجوا أيها المؤمنون ﴿الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ فلا يجوز لمسلم نكاح كتابية ولا غيرها وكان ذلك في صدر الإسلام، فخص هذا العموم بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: 5] ﴿وَلَأُمَّةٌ﴾ رقيقة ﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ حرة، وإنما كان المعنى ذلك لورودها على سبب وهو العيب على من تزوج أمة والترغيب في نكاح حرة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الحسن والمال ﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾ تتزوجوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الكفار المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ فيحرم على المسلمة زواج كل كافر كتابياً كان أو غيره ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ ولو كان حراً ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ ماله أو حسنه ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المشركون والمشركات ﴿يُدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ لدعائهم للعمل الموجب لها فلا يليق مناكرتهم ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو﴾ على لسان رسوله ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ بتوفيقه وقضائه فيجب اجابته بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢٢﴾ فَيَتَعَذَّبُونَ.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222] أي: حكم الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه وسببه عدم مخالطتهم للحيض في الجاهلية حتى في المأكل والحيض والمحيض مصدران كالسير والمسير وأصله الانفجار والسيلان ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: الحيض ﴿أَذَى﴾ مستقذراً ومحله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: مجامعتهن فيه وكذا الاستمتاع بما بين السرة والركبة ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ بما ذكر ﴿حَتَّىٰ يَظْهَرْنَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بفتح الهاء والطاء وتشديدهما، والباقون بتخفيفهما ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ اغتسلن ﴿فَأَتُوهُنَّ﴾ جامعوهن في القبل ﴿مِنْ﴾ في ﴿حَيْثُ﴾ مكان ﴿أَمْرُكُمْ﴾ الله إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿هم المتزهدون من الفواحش والأقذار ومنه مجامعة الحائض وإتيان المرأة في دبرها.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
 وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً
 لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾
 لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُودٌ حَلِيمٌ
 ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُودٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾
 وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴿البقرة: ٢٢٣ - ٢٢٧﴾.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 223] مواضع حرثكم أي: وليكم والمعنى يحل زرعكم الولد ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: محله ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ كيف شئتم فيما عدا الدبر من قيام وقعود وإقبال وإدبار؛ لأنها نزلت لقول اليهود من جامع في القبل فمن جهة الدبر جاء ولده أحول ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ هل هو التسمية قبل الجماع أو طلب الولد أو التزويج بالعفاف أو موت الأولاد؟ أقوال، وتصح إرادة الكل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالكرامة من الله والتنعيم الدائم.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: 224] العظيم ﴿عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ فتحلفون به على أي شيء شئتم قيل لما حلف الصديق كرم الله وجهه أن لا ينفق على مسطح ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: فافعلوا ذلك من غير حلف به والحلف بغيره

مكروه أو المعنى لا تحلفوا لثلاثا تبروا إلى آخره فتكره اليمين على ترك الخير ويسن الحنث والتكفير مقدماً أيهما شاء بخلافها على فعل البر ونحوه على طاعة يكره الحنث فيها ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225] وهو قول الرجل من غير قصد اليمين لا والله بلى والله وكلا والله فلا إثم فيه ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ﴾ عزمت وقصدت ﴿فَلَوْ بُئِيكُمْ﴾ فهو متعلق بالحنث والكفارة ونحو ذلك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [البقرة: 226]، المعنى يحلفون يميناً ولو بطلاق أو عتاق أو صوم ونحوه على الامتناع من الوطء فوق أربعة أشهر أو مطلقاً بشيء يلزم بعدها ﴿تَرْبُضٌ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾ رجعوا إلى الممتنعين عنه من الوطء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بالمولى حيث لم يؤاخذه بذلك ولا يحثه إذا كفر.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ [البقرة: 227]، أي عليه بأن لم يفيتوا وأوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق.

﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَسَىٰ بِرِزْقِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ يَدًا تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُعِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨ - ٢٣٠].

﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: 228] يتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ القرء

الطهر المحوش بدمين عندنا، فإذا طلقت في طهر سبقه دم فانقضت عدتها بحيضتين ثم الطعن في الثالثة وإن لم يسبقه دم فثلاثة والطعن في الرابعة كما إذا طلقت في حيض والمذكور فيمن دخل بها فغيرها لا عدة عليها وفي غير الستة وصغيره فلها ثلاثة أشهر وحامل فيعتد بوضع الحمل وإلا ما عدتهن قرآن بالسته أو شهر ونصف لليايسة والصغيرة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ بطونهن قيل هو الحيض وقيل هو الولد ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوَلْتَهُنَّ﴾ أزواج المطلقات ﴿أَحَقُّ﴾ أي: هم أصحاب الحق وإلا فلا مشارك لهم في ذلك ﴿بِرَدَّهِنَّ﴾ رجعتهن ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: زمان العدة قبل انقضائها وإن لم يرد الرجعة ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بذلك لا ضرر للزوجة وهو حث على ذلك وإلا فلا حرج عليهم في ذلك من حيث صحة النكاح ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الزوج ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً من حسن عشرة وترك ضرر ونحوه ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ في الفضل والتوقير والتعظيم، وهل هو بالمهد والإنفاق أو الجهاد أو الفضل أو بالشهادة أو بالطلاق أو بالرجعة أو بالإمامة أو بالميراث أو بالدية أو فضيلة في الحق؟ أقوال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: 229] أي: والتطليق الذي ثبت فيه الرجعة مرتان ﴿فَأَمْسَاكَ﴾ بالمراجعة قبل انقضاء العدة ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ أي: بأداء حقها إليها أو إيذائها له منه والتسريح أن يتركها بعد الطلاق إلى أن تنقضي عدتها ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أي: لا يجوز لكم ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من الصداق ﴿شَيْئًا﴾ نزلت لما كرهت جميلة زوجة ثابت بن قيس زوجها ودفعت إليه حديقة ليطلقها، والخطاب للأزواج أو الحكام ليناسب قوله فإن خفتم إلى آخره ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ قرأ حمزة وأبو جعفر ويعقوب بضم الياء أي: يظن ذلك منهما، والباقون بالفتح فهو راجع للزوجين ﴿أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام ﴿أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ﴿عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ فللزوجة بذله وللزوج أخذه ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ لا تتجاوزوها للمخالفة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ * فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ [البقرة: 229 - 230] ثنتين ثم أتى بالثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فيعقد عليها ويغيب حشفته في قبلها بشرط الانتشار ويقوم قدر الحشفة من مقطوعها مقامه ودل على اشتراط الوطاء الستة ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ من تزوجها ثانياً ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ﴿عَلَيْهِمَا﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى ما

كانا عليه من النكاح بعد انقضاء عدة الثاني ﴿إِنْ ظَنَّا﴾ غلب على ظنهما ﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ويقومون بمقتضى العلم وهو العمل.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكُرُ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ [البقرة: ٢٣١ - ٢٣٢].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: 231] وهو ما قارب انقضاء عدتهن أي: قبيل فراغها ﴿فَأُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالمراجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بترك الظلم من الحق ونحوه ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا﴾ بالظلم بذلك أو بالجلاء إلى الافتداء ومن المنهي أن يطول عليها العدة ويراجعها في آخرها ثم يطلق ونحوه ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الإمساك المنهي ونحوه ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا﴾ مهزوعًا بها بمخالفتها بل أقبلوها بجذ واجتهاد ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام والبيان ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ السنة والعلم والعمل ومواعظ القرآن ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي: بالمتزل عليكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: 232] انقضاء العدة ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تمنعهن أيها المخاطبون من الأولياء وغيرهم ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن أو غيرهم، وإن كان سبب نزولها إن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل إذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿إِذَا تَرَاضُوا﴾ أي: الخطاب والنساء ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالنكاح على الوجه الشرعي ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تقدم من سائر الأحكام ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

ذَلِكُمْ ﴿ المذکور من العلم والاتعاظ ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ أنمی فی أحوالکم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لنفوسکم من الرذائل النفسية أو المراد ترك الفصل أطهر لكم وللنساء لما يخشى من الرية بسبب الرضى والمنع بعده ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فاتبعوا أمره.

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا وَسَعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۚ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۚ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ [البقرة: ٢٣٣ - ٢٣٥].

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: 233] خبر بمعنى الأمر ﴿حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ وهو الأب ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ أي: المرضعات ولو كانت المرضعة أمًا فكذلك عندنا وإن لم تطلق إذا أبت إلا بأجرة ولم يوجد متطوع أو من يرض بأقل والمراد أن ذلك أجرة فلا بد من شروطها ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الذي توافقا عليه من غير إضرار بأحدهما ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا وَسَعَهَا﴾ طاقتها ولا يلزم الزوج أكثر من أجرة المثل وليس ظاهر الآية مراد ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا﴾⁽¹⁾ قرأ ابن كثير والبصريان «لا تضار» برفع الرء، والباقون بنصبها واسكن الرء

(1) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبان، عن عاصم: لا تضار، بالرفع أي: برفع الرء المشددة، وهذه القراءة مناسبة لما قبلها من قوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا مَا وَسَعَهَا﴾ لاشتراك الجملتين في

الرفع، وإن اختلف معناهما؛ لأن الأولى خبرية لفظاً ومعنى، وهذه خبرية لفظاً نهيية في المعنى. وقرأ باقي السبعة: لا تضار، بفتح الراء، جعلوه نهياً، فسكنت الراء الأخيرة للجزم، وسكنت الراء الأولى للإدغام، فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التي قبل الراء؛ لتجانس الألف والفتحة، ألا تراهم حين رخموا: أسحازا، وهم اسم نبات، إذا سُمي به حذفوا الراء الأخيرة، وفتحوا الراء الساكنة التي كانت مدغمة في الراء المحذوفة؛ لأجل الألف قبلها، ولم يكسروها على أصل التقاء الساكنين، فراعوا الألف وفتحوا، وعدلوا عن الكسر وإن كان الأصل؟ وقرأ: لا يضارَ بكسر الراء المشددة على النهي، وقرأ أبو جعفر الصفار: لا تضار، بالسكون مع التشديد، أجرى الوصل مجرى الوقف، وروي عنه: لا تضار، بإسكان الراء وتخفيفها، وهي قراءة الأعرج من ضار يضير، وهو مرفوع أجرى الوصل فيه مجرى الوقف، وقال الزمخشري: اختلس الضمة فظنه الراوي سكوناً. انتهى وهذا على عادته في تغليب القراء وتوهمهم، ولا نذهب إلى ذلك. ووجه هذه القراءة بعضهم بأن قال: حذف الراء الثانية فراؤا من التشديد في الحرف المكرر، وهو الراء، وجاز أن يجمع بين الساكنين: إما لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف، ولأن مدة الألف تجري مجرى الحركة. انتهى. وروي عن ابن عباس: لا تضار، بفك الإدغام وكسر الراء الأول وسكون الثانية، وقرأ ابن مسعود: لا تضار، بفك الإدغام أيضاً وفتح الراء الأولى وسكون الثانية، قيل: ورواها أبان عن عاصم، والإظهار في نحو هذين المثليين لغة الحجاز، فأما من قرأ بتشديد الراء، مرفوعة أو مفتوحة أو مكسورة، فيحتمل أن يكون الفعل مبيئاً للفاعل، ويحتمل أن يكون مبيئاً للمفعول كما جاء في قراءة ابن عباس، وفي قراءة ابن مسعود؛ ويكون ارتفاع: والدة ومولود، على الفاعلية إن قدر الفعل مبيئاً للفاعل، وعلى المفعولية إن قدر الفعل مبيئاً للمفعول، فإذا قدرناه مبيئاً للفاعل، فالمفعول محذوف تقديره: لا تضار والدة زوجها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر، ولا يضار مولوداً له زوجته بمنعها ما وجب لها من رزق وكسوة، وأخذ ولدها مع إيثارها إرضاعه، وغير ذلك من وجوه الضرر، والباء في: بولدها، وفي: بولده، باء السبب.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون يضار بمعنى: تضر، وأن تكون الباء من صلته لا تضر والدة بولدها، فلا تسيء غذاءه وتعهدده، ولا تفرط فيما ينبغي له، ولا تدفعه إلى الأب بعدما ألّفها، ولا يضر الوالد به بأن ينزعه من يدها، أو يقصر في حقها، فتقصر هي في حق الولد، ويعني بقوله: أن تكون الباء من صلته، يعني متعلقة بتضار، ويكون ضار بمعنى أضر، فاعل بمعنى أفعال، نحو: باعدته وأبعثته، وضاعفته وأضعفته، وكون فاعل بمعنى أفعال هو من المعاني التي وضع لها فاعل، تقول: أضرّ بفلان الجوع، فالجار والمجرور هو المفعول به من حيث المعنى، فلا يكون المفعول محذوفاً، بخلاف التوجيه الأول، وهو أن تكون الباء للسبب، فيكون المفعول محذوفاً كما قدرناه، قيل: ويجوز أن يكون الضرار راجعاً إلى الصبي؛ أي: لا يضار كل واحد منهما الصبي، فلا يترك رضاعه حتى يموت، ولا ينفق عليه الأب أو ينزعه من أمه حتى يضر بالصبي، وتكون الباء زائدة معناها: لا تضار والدة ولدها ولا مولود له ولده. انتهى فيكون: ضار، بمعنى: ضر، فيكون مما وافق فيه فاعل الفعل المجرد الذي هو: ضر، نحو قولهم: جاوزت الشيء

مخففة أبو جعفر بخلاف عنه، وكذا خفف «ولا يضار» كانت والمعنى علمًا الأول أن
الوالدة لا تضار الزوج بسبب ولدها فتطلب منه زيادة على أجره المثل أو أجره عند
وجود من يرضعه بلا شيء أو أجره المثل مع وجود من ترضعه بأقل أو يقول لا أرضعه
بعد أن استأجرها لإرضاعه أو نحو ذلك ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ فالزوج لا يضار
الزوجة بأن يطلب إرضاعه بلا أجره أو بدون أجره المثل مع وجود من ترضعه بها أو
نحو ذلك، وكذا لا يكرهها على إرضاعه إلا إذا لم توجد ظئر فتلزم به ولدها أجره
المثل والمعنى على الثاني النهي عن أن يلحقها الضرر من قبل الزوج وأن يلحق
بالزوج الضرر من قبلها بسبب الولد فيهما ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ المراد به
الصبي؛ لأنه الذي يؤول إليه المال فعلى الولي في مال الصبي أجره إرضاعه فإن لم
يكن له مال فعلى الأم ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الأبوان ﴿فَصَالًا﴾ فطامًا ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا
وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما في أن الرضاع أو العظام هل هو مضر أم لا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في
ذلك لا إثم فيه أي: إذا كان الصبي يجتزي بغير اللبن وكان الفصل معتدلاً بحيث لا
يخشى عليه من ترك الرضاع ضرر كما هو مفهوم من السنة ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للآباء
﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ المراضع ﴿أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه فلکم استرضاع غير
الوالدة بالشرط السابق ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ دفعتم للمراضع ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ اعطيتموهن من
الأجرة، قرأ ابن كثير «ما آتيتم بالمعروف» هنا وفي الروم «وأما آتيتم من رياء» بقصر
الهمزة أي: فعلتم بعده أو تعجيله، والباقون بمدها ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مطل ولا ترك
لبعض الحق ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ﴾ [البقرة: 234] يموتون ﴿مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَاجًا
يَتَرَبِّصْنَ﴾ أي: ينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ لا فرق فيه

وجزته، وواعدته ووعدته، وهو أحد المعاني التي جاء لها فاعل، والظاهر أن الباء للسبب، وبين
ذلك قراءة من قرأ لا تضارز، براءين، الأولى مفتوحة، وهي قراءة عمر بن الخطاب.

وتأويل من تأول في الإدغام أن الفعل مبني للمفعول، فإذا كان الفعل مبنيًا للمفعول تعين كون
الباء للسبب، وامتنع توجيه الزمخشري أن: ضارٌّ به في معنى: أضرَّ به، والتوجيه الآخر أن: ضارٌّ
به بمعنى: ضره، وتكون الباء زائدة، ولا تنقاس زيادتها في المفعول، مع أن في التوجيهين إخراج
فاعل عن المعنى الكثير فيه، وهو كون الاسمين شريكين في الفاعلية والمفعولية من حيث
المعنى، وإن كان كل واحد منهما مرفوعًا والآخر منصوبًا.

بين المسلمة والكتائية والأمة على النصف من ذلك كما دلت عليه السنة والحامل أجلها وضع الحمل إجماعاً كما سيأتي إن شاء الله تعالى ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ من أمر موافق للشرع من خطبة أو عقداً نحو ذلك من ترين وتفرض للخطاب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: 235] التعريض ما أفهم المراد من غير إتيان تحقيقه ذلك اللفظ ولا بمجازه كقوله جئت زائراً لكم ونحوه ﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ التماس نكاحهن ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ﴾ أضمرتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن فلم تظهره ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ﴾ أيها المخاطبون ﴿سَتَذَكَّرُوهُنَّ﴾ للنكاح فأباح التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تواعدهن مواعدة السر وهو الجماع فالتصريح بالخطبة لمعتدة الوفاة وغيرها حرام والتعريض للتباين والمتوفي عنها جائز وللرجعية حرام إلا من صاحب العدة ومنه أنك لجميلة ومن يجد مثلك ورب راغب فيك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وهو التعريض فيجوز ولو في الخفاء أو هو استثناء من محذوف أي: لا تواعدهن مواعدة إلا مواعدة بمعروف ﴿وَلَا تَعْرُضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب ﴿أَجَلَهُ﴾ فتنقضي العدة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَغْلِبُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم على المخالفة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ تأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى اللُّوْصِيعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٧) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٣٨) وَالصَّكَاوَةُ وَالصَّكَاوَةُ أَلْوَسَطُ وَتَوَمُّوا لِلَّهِ قَنِينَيْنِ (١٣٩) فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٤٠) [البقرة:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ﴾ [البقرة: 236] أي: لا إثم ولا مهر لهن كما بين في السنة ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ بالجماع وقرأ حمزة والكسائي وخلف ما لم تماسوهن في الموضوعين هنا وفي الأحزاب بضم التاء وألف بعد الميم، والباقون بفتح التاء من غير ألف ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ هي الصداق وهذا في المفوضة وهي رشيدة، قالت لوليتها: زوجني بلا مهر أو سكتت عنه فزوج كذلك، فإذا طلقت قبل الدخول فلا شيء لها كغيرها إن كان الفراق قبله من جهتها والمعنى لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ إذا طلقتموهن قبل الوطء إذا لم يجب لهن شطر مهر وكذا إن طلقتموهن بعده عند الشافعي فلها المتعة ويفرضها القاضي إذا لم يتوافقا على شيء معتبراً حالهما ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ الغني ﴿قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الفقير ﴿قَدْرَهُ﴾ فلا يزداد كل على حاله، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص بفتح الدال فيهما، والباقون بالإسكان ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ كما سبق ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإعطاء.

﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: 237] سميت لهن مهراً ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يكون لهن وجواباً ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَغْفُونَ﴾ أي: المطلقات فلا يأخذن شيئاً ﴿أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزوج فيترك للزوجة جميع ما سماه لها فضلاً منه هذا مذهب الشافعي، روى رويس بيده عقدة النكاح بيده فشرّبوا بيده ملكوت في سورة المؤمنين ويس بكسر الهاء بلا إشباع والباقي بالإشباع ﴿وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا يفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿حَافِظُوا﴾ [البقرة: 238] واطبوا ﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ وهي العصر على المعتمد عند الشافعي، وقيل: الصبح وهو قوله الثاني وعليه كثير من أصحابه وقيل الظهر وقيل غير ذلك كالضحى ﴿وَقَوْمُوا﴾ في الصلاة ﴿لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ هل هو طول القيام فيها أو الطاعة أو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة أو الدعاء أو الخشوع؟ أقوال، أقربها الأول.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ [البقرة: 239] من عدو أو غيره كسبع ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل أي: مشاة ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب فتجوز صلاة الماشي والراكب في الخوف كيف أمكن، ولو بلا استقبال وقيام ﴿فَإِذَا أَمِتْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلوا ﴿كَمَا

عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ قبل تعليمه من فرائض الصلاة وآدابها.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٠ - ٢٤٥].

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً ﴾ [البقرة: 240] قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص «وصية» بالنصب، والباقون بالرفع ﴿ لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾ يعطوهم ﴿ مَتَاعًا ﴾ ما يتمتعن به ﴿ إِلَى الْحَوْلِ ﴾ أي: تمامه ﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ فلا تخرج من المسكن، وهذه الآية منسوخة بالاقْتِصَارِ على أربعة أشهر وعشرًا في آية العدة السابقة وضْعًا المتأخرة نزولاً ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ ﴾ عن المنزل بأنفسهن زمن العدة ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها المخاطبون ومنهم أولياء الميت ﴿ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ ﴾ كترك الأحرار ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فلا يعترض عليه.

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَاعٌ ﴾ [البقرة: 241] يعطينه ﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ بقدر الإمكان ﴿ حَقًّا ﴾ على الْمُتَّقِينَ ﴿ سبق تفسيره في غير الممسوسة وأعيد هنا في الممسوسة أيضًا ليفهم أنها مطلقة إلا التي وجب لها شطر المهر فقط. ﴿ كَذَلِكَ ﴾ [البقرة: 242] كما بين لكم ما ذكر ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ [البقرة: 243] نيته إلى علمك والقصد بمثله التسويق لما يذكر ﴿ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ أهل داوردان إما أربعون أو ثمانية أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة أو ثلاثون أو بضع وثلاثون أو سبعون ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ من الطاعون

﴿قَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا حقيقة ثمانية أيام ﴿ثُمَّ أَخْيَاهُمْ﴾ لاستيفاء آجالهم وأرزاقهم بسبب دعوة النبي حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي، فعاشوا دهرًا بعد ذلك عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبًا إلا عاد كالكفن وبقي ذلك في أسباطهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله عليهم، ومن جملة ما أريد بهذا تثبيت الناس على القتال فمن ثم جاء بعده.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [البقرة: 244] لأقوالكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأحوالكم فيجازيكم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: 245] المراد التمثيل للعمل الذي يطلب ثوابه بالقرض أي: بقرضه بالإفناق في سبيله ﴿قرضًا حسنًا﴾ طيبة به نفسه من مال حلال بلا منة ولا أذى ولا رياء ولا سمعة مع طلب وجه الله لا لإحسان المعطي ولا لجأه ﴿فِيضَاعُهُ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب هنا وفي الحديد بنصب الفاء فيهما، والباقون بالرفع وشدد العين مع حذف الألف منها ومن سائر الباب كيضعف، ومضعفه ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب والباقون بالتخفيف والألف ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لا تنتهي لها باعتبار دوامها في الجنة، وقيل: سبعمائة ضعف فأكثر في المقرين وبعشرة في غيرهم ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ قرأ خلف لنفسه وعن حمزة والدوري عن أبي عمرو وهشام ورويس «يسط» وفي الخلق بسطة، وكذا في الأعراف بالسين واختلف فيهما عن قنبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاد والباقون بالصاد في الحرفين، وانفرد ابن سوار عن شعيب عن يحيى عن أبي بكر وأبو العلاء عن أبي الطيب عن النمار عن رويس بالسين هنا والصاد في الأعراف ﴿وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا مَلِكًا نقاتلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦١﴾﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ

يُوتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً
فِي الْعِلْمِ وَالْجَسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ [البقرة: 246 - 247].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكِ﴾ [البقرة: 246] الجماعة من الناس ويقال عرفاً لوجوه القوم
وأشرافهم ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي: بعد وفاته ﷺ ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لِهْمُ﴾
هو شمويل، وقيل: يوشع بن نون، وقيل شمعون ﴿أَبْعَثْ﴾ اقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ﴾ معه
﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ﴾ النبي لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين هنا وفي القتال نافع،
والباقون بالفتح ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ أي: أنه لا مانع منه مع وجود مقتضيه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا
كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا أو جنبوا عنه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا
النهر مع طالوت كما يأتي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ والآية نزلت في قول بني إسرائيل
لنبيهم يوشع بن نون، وقيل: شمعون، وقيل: شمويل ما ذكر فيها لما عدت العمالقة
عليهم بإخراجهم من ديارهم وسبي ذراريهم من قوم جالوت فأجيبوا فخالفوا إلا
القليل.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: 247] لما أرادوا ملكاً يقاتل بهم وسأل ربه إرسال
ملك فأجابه بإرسال طالوت ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى﴾ من أين أو
كيف ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ قالوه؛ لأن النبوة لم تكن في بيته
ولا الملك بل الأول في بيت لاوي، والثاني في بيت يهوذا وإنما كان صباغاً، وقيل:
راعيًا ﴿وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ لهم نبيهم ﴿إِنَّ
اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ سعة، روى قنبل من طريق ابن
شبنوذ بالصاد، وانفرد به صاحب العنوان عن أبي بكر والأهوازي عن روح ﴿فِي
الْعِلْمِ﴾ لأنه كان أعلم بني إسرائيل ﴿وَالْجِسْمِ﴾ لأن كان كامل الجسم جميلاً فلم يكن
فيهم إذ ذاك من يماثله، وقيل: كان طويلاً ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إيتاه فلا يعترض
﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ﴾

سَكِينَةً مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
 الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ
 طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي
 وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
 مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
 بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ
 قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَرُوا
 لِرَبِّهِمْ وَجُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَسَبَتْ آقْدَامُنَا
 وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ [البقرة: ٢٤٨ - ٢٥٠].

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: 248] لما طلبوا منه آية ملكه ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ أي:
 علامته ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ﴾ وكان صندوقاً من عود طوله نحواً من ثلاثة أذرع في
 ذراعين فيه صور الأنبياء كان عند آدم، ثم عند شيث بعده إلى أن بلغ إبراهيم، ثم صار
 لموسى ثم تركه عند يوشع، ويقال إن العمالقة غلبتهم وأخذوه وكانوا يستفتحون به
 على عدوهم ويسكنون إليه ويقدمونه في القتال كما قال تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ هي أشياء
 كانت من آثار الأنبياء تسكن إليها النفوس؛ أي: تطمئن بها، وقيل إنها نعل موسى
 وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورضاض الألواح ﴿مِنْ
 رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ﴾ هل هي عصاة موسى ورضاض الألواح أو غير ذلك مما ذكر في الأصل؟
 أقوال ﴿مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ﴾ عمران؛ المراد موسى و﴿هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾
 فأقبلت به الملائكة حتى وضعت في بيت طالوت وأصبح في داره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾
 علامة ﴿لِّكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ فأقروا بفضل ملكه وسارعوا للجهاد
 فاختر من شبابهم سبعين ألفاً.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ [البقرة: 249] خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ عن بلده ﴿قَالَ﴾ بعد أن
 خرج بهم في شدة حر من بيت المقدس، وطلبوا منه المال ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم
 ﴿بِنَهَرٍ﴾ يظهر من أطاع من غيره وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من

مائة ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: لا من أشياعي ولا أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ والمعنى المسامحة بالقليل دون الكثير، قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمر ﴿غُرْفَةً﴾ بفتح الغين والباقون بضمها ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ شرباً كثيراً بأن كرعوا فيه لما جاؤه ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ فاقترضوا على الغرفة، ومن اقتصر عليها كفته لشربه ودوائه ومن زاد لم يحصل له ري ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة، وعدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما سبق ﴿قَالُوا﴾ أي: الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ لا قوة لنا ﴿الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ لأنها كبيرة فلا نقدر على قتالهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يعلمون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ إلى وجهه الكريم ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ فرقة لا كثرة لها ﴿غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ [البقرة: 250] صاروا إلى البراز وهو الأفح المتسع من الأرض ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهوروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّثْ أَقْدَامَنَا﴾ قلوبنا وارزقنا الوقوف مع الثبات لقتالهم ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسًا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥١ - ٢٥٤].

﴿فَهَرَمُوهُمْ﴾ [البقرة: 251] غلبوهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ﴾ الضمير لداود ﴿الْمُلْكَ﴾ العلم والرئاسة ولم يجتمع بنو

إسرائيل قبله على ملك نبي بل كان الملك في سبط والنبوة في آخر ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ العمل أو النبوة أو الزبور وكان إيتاؤه ذلك بعد موت شمويل وطالوت ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ هو نسج الدروع أو منطق الطير أو غير ذلك مما ذكر في الأصل ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ قرأ المدنيان ويعقوب «دفاع» بكسر الدال وألف بعد الفاء هنا وفي الحج، والباقون بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ إما بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد أو بهلاك الناس أو ظلمهم لبعضهم فالمراد يفسد أهلها ونسب إليها لوقوعه فيها ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بدفع بعضهم ببعض، والدفع إما أن يكون بالقتال أو بالبركة كما أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لن تخلوا الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون»⁽¹⁾.

﴿تِلْكَ﴾ [البقرة: 252] أي: ما ذكر في هذه السورة أو هنا من القصص ﴿آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ نقصها عليك بالوجه المطابق للواقع ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ [البقرة: 253] الإشارة لكل رسول أو لمن ذكر في السورة ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل شيء ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ وهو موسى على الطور ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ بأن فضله على غيره ﴿دَرَجَاتٍ﴾ كأولي العزم أو البعض هنا محمد صلى الله عليه وسلم فضله بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته إلى غير ذلك ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل للسير معه حيث سار ﴿وَلَوْلَا شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد الرسل من الأمم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلالات الواضحات على الحق ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ باتباع الحق أو ثبت عليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ لمخالفته كالنصارى بعد عيسى ﴿وَلَوْلَا شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 254] في طاعة الله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا حُلَّةَ﴾ صداقة ﴿وَلَا شَفَاعَةَ﴾ أي: إلا لمن أذن له الرحمن ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (247/4)، رقم (4101)، قال الهيثمي (63/10): إسناده حسن.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: 255 - 256].

﴿الله لا إله إلا هو﴾ [البقرة: 255] أي: لا معبود بحق في الوجود إلا هو ﴿الحي﴾ الدائم الباقي ﴿القيوم﴾ والقيام والقيم لغات معناها واحد، وهو المبالغة في القيام على الخلق بتدبيرهم ﴿لا تأخذه﴾ لا يقع عليه ولا يناله ﴿سنة﴾ نعاس النوم الخفيف ﴿ولا نوم﴾ وهو الثقل المزيل للقوة والشعور، وقيل: السنة في الرأس والنوم في القلب ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿من ذا الذي﴾ أي: لا أحد ﴿يشفع عنده إلا بإذنه﴾ له في الشفاعة ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ أي: الخلق ﴿وما خلفهم﴾ ما مضى في الدنيا وما يأتي في الآخرة ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ أن يعلموه بنحو أخبار الرسل ﴿وسع﴾ ضم ﴿كرسيه السماوات والأرض﴾ والكرسي: شيء أمام العرش أعظم منه، وقيل المراد به العلم، وقيل الملك وشهد لأول حديث: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا قدر دراهم سبعة ألقيت في ترس»⁽¹⁾ ﴿ولا يؤوده﴾ لا يثقله ﴿حفظهما وهو العليُّ﴾ المتعالي عن الند والشبيه ﴿العظيم﴾ الكبير.

﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة: 256] نزلت لأن نساء من الأنصار كن تبدرن قبل مجيء الإسلام تهويد أولادهن إذا قتلوا، فلما جاء الإسلام وأمر بإجلاء بني النضير كان

(1) ذكره الطبري في التفسير (5 / 399)، ورواه محمد بن أبي شيبة في كتاب «العرش»، وعزاه ابن كثير لابن مردويه، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات»: (2 / 149) وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني: متروك كذبه أبو حاتم وأبو زرعة، وطرق الحديث كلها واهية، فلا تعضد لضعفها، انظر: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص 283.

فيهم من أبناء الأنصار ونحوهم فقالوا: لا نترك آبائنا وإخواننا؛ أي: فمن شاء منهم أسلم ومن شاء لا يسلم إذ هم ممن أمر بإجلاله، أو نزلت فيمن له أولاد من الأنصار أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾ بالآيات البينات ﴿الرُّشْدُ﴾ الإيمان ﴿مَنْ﴾ الغي ﴿الكفر﴾ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاعُوتِ ﴿هو كل ما عبد من دون الله﴾ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ ﴿استمسك﴾ تَمَسَّكَ وَاعْتَصِمَ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ القصد المحكم، والوثقى تأنيث الأوثق ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧ - ٢٥٨].

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 257] ناصرهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان وكلما في القرآن من النور والظلمة فهو بمعنى الكفر والإيمان إلا قوله في الأنعام ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] فإن المراد منه الليل والنهار ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ والمراد أنهم يثبتون على الكفر من أجل الطاغوت ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وعلم من مقابله أن الذين آمنوا أصحاب الجنة هم فيها خالدون.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ [البقرة: 258] وهو نمروذ خاصم أو جادل ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ فِي رَبِّهِ أَنْ ﴿لأن آتاه الله الملك﴾ فكانت المخاصمة من نظر الملك وطغيانه ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما قال له النمروذ: من ربك الذي تدعوننا إليه؟ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ النمروذ ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بقتل واحد وترك آخر، ودعا برجلين فقتل واحداً وترك آخر، قرأ المدنيان «أنا أحيي» بإثبات ألف أنا عند الهمزة المضمومة كما هنا حيث جاء وكذا عند المفتوحة نحو ﴿أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163] واختلف عن قالون عند الهمزة المكسورة نحو ﴿إِن أَنَا إِلَّا

نذِيرٌ ﴿ الشعراء: 115 ﴾ وصح الوجهان جميعاً عنه من طريق أبي نسيط وبها قرأ الداني على أبي الفتح وبالقصر على أبي الحسن وبذلك قرأ الباقون عند الهمزات الثلاث ولا خلاف بينهم في الوقف على الجميع بالألف، وفي ترك الألف في الوصل فيما لم يقع بعده همزة نحو ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾ [النازعات: 24] ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ [الأنبياء: 56] ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ عدل إبراهيم عن معارضته في ﴿أَنَا أَحِبُّهُ وَأُمِيتُ﴾ إلى ما لا يمكن أن يموه فيه منتقلاً إلى الأوضح والأشهر ﴿فَبُهِتَ﴾ تحير ﴿الَّذِي كَفَرَ﴾ وهو نمرود وإنما بهت مع أنه كان يمكنه أن يقول له: سل أنت ربك ذلك؛ لأنه خشي أن يخيبه فتزداد فضيحة نمرود قال بعضهم: الصحيح أن الله تعالى صرفه عن ذلك إظهاراً للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم ﷺ وعلى سائر الأنبياء ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فلا يوصلهم للجنة ولا لحجة الاحتجاج.

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٥٩ - ٢٦٠].

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: 259] التقدير: رأيت مثل الذي حاج إبراهيم أو مثل الذي مر على قرية ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها لما خربها بختنصر، والمعنى أن السقوف سقطت ثم سقطت عليها الحيطان ﴿قال أنى﴾ أي: كيف ﴿يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله﴾ وألبته ﴿مائة عام ثم بعثه﴾ حياً ﴿قال كم لبثت﴾

مكثت هاهنا ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قاله ظنًا لجهله بالمدة؛ لأنه نام أول النهار فقبض وأحى عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ وهو التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ وهو العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير، قرأ حمزة والكسائي يتسن بلا هاء في حال الوصل وإثباتها في حال الوقف، والباقون بإثباتها فيهما ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو فرآه تفرقت عظامه وأجزاؤه ﴿وَلَنَجْجَعَكَ﴾ أي: فعلنا لتعلم ولنجعلنك ﴿آيَةً﴾ دلالة عظيمة على البعث ﴿لِلنَّاسِ﴾ من بعدك ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ وهي عظام حماره المتفرقة على الصحيح ﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾ قرأ الكوفيون وابن عامر «نشرها» بالراء المنقوطة أي: نرفع بعضها على بعض، والباقون بالزاي أي: نحياها ﴿ثُمَّ نَكْشُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إلى عظام حماره وقد تركبت وكسيت لحماً ونفخ فيها الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ إحياء الله للموتى بالمشاهدة ﴿قَالَ أَغْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقرأ حمزة والكسائي «قال اعلم» بوصل الهمزة وجزم الميم على الأمر والابتداء بكسر الهمزة، والباقون بالقطع والرفع.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ [البقرة: 260] بقدرتي على الإحياء وإنما قال ذلك مع علمه بإيمانه ليعلم الناس من جوابه عرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألت ذلك ﴿لِيُطَمِّنَ قَلْبِي﴾ بزيادة علم العيان إلى الوحي والاستدلال، وذكر عن ابن وردان تسهيل همزة «يطمنن» ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَضُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس بكسر الصاد أي: قطعهن، والباقون بضمها أي: أملهن إليك ووجهن وأمر بتمزيقهن وخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ يليك ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ سكن الزاي من جزء المنسوب وجزء المرفوع حيث وقع كل القراء غير أبي بكر، وشددها أبو جعفر وحذف الهمزة، وسكن كاف «أكلها» فقط، وسكن عين «الرعب» و«رعب» حيث أبي نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة وخلف، وسكن سين «رسلنا» و«رسلهم» و«رسلكم» مما وقع مضافاً إلى ضمير إلى حرفين أبو عمرو، وسكن حاء «السحت» كيف جاء في المائدة نافع وابن عامر وحمزة وخلف، وسكن ذال «الإذن» و«إذن» كيف جاء نافع، وسكن راء «قربة» في التوبة كل القراء سوى ورش، وسكن راء «حرف» في التوبة أيضاً حمزة وخلف وأبو بكر وابن ذكوان وهشام بخلاف عنه، وسكن باء «سبلنا» حيث وقع أبو عمرو، وسكن قاف «عقبى» في الكهف عاصم وحمزة وخلف، وسكن كاف «نكرا» في

الكهف والطلاق وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وهشام وحفص، وسكن حاء «رحما» نافع وابن كثير وأبو عمرو والكوفيون، وسكن كاف «نكر» في القمر ابن كثير، وسكن راء «عربا» في الواقعة حمزة وخلف وأبو بكر، وسكن شين «خشب» في المنافقون ابن مجاهد عن قنبل، وسكن حاء «سحقا» كل القراء سوى ابن جماز واختلف على الكسائي في روايته وعن عيسى بن وردان من طريقه، وسكن لام «ثلثي الليل» في المزمّل هشام، وسكن ذال «عذرا» في المرسلات كل القراء سوى روح، وسكن ذال «ندرا» فيها أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وحفص، وقرأ الباقون بضم عين الفعل من ذلك كله ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا بُنَيَّ كَلِمَةً طَيْرَانًا أَوْ الْمَرَادُ شِدَّةُ السَّرْعَةِ ﴿وَاعْلَمْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فلما أمر بذلك أخذ طاووسًا ونسرًا وغبابًا وديكًا وفعل بهن ما ذكر وأمسك رءوسهن عنده فسعت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رءوسها فالتأمت بها.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾
 الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَى وَاللَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: 261 - 264].

﴿مَثَلٌ﴾ [البقرة: 261] صفة نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو جميع الخيرات ومنها الجهاد ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ﴾ أخرجت ﴿سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ فيضاعف الحبة إلى سبعمئة، وذلك موجود في الدخن بكثرة والقمح والشعير مثله، معنى المثل إن الله تعالى يقبل الصدقة ويضاعفها إلى سبعمئة ضعف إلى ما لا نهاية له ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ ذلك النوع من المضاعفة أو أكثر منه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾

بفضله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كل خلقه ﴿عَلَيْمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَثًّا﴾ [البقرة: 262]، على المنفق عليه نحو قد أحسنت إليه ﴿وَلَا أَدَى﴾ للمنفق عليه أيضاً بذكر ذلك لمن لا يحب ذكره له ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [البقرة: 263] وهو رد السائل برفق ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ من الله أو مغفرة للسائل في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَى﴾ بالمن ونحوه كالتعبير بالسؤال ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقات المتصدقين ﴿حَلِيمٌ﴾ فلا يعجل بالعقوبة على المان والمؤذي ويقبل توبته إذا تاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ [البقرة: 264] أي: أجورها ﴿بِالْمَنْ وَالْأَدَى﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مراثياً لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ﴾ لا يؤمن بوجود ﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي: المنفق رياء ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ﴾ هو الحجر الأملس ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ وهو المطر الكثير ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أملساً ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف لبيان المثل ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا أي: لا يجدرون له ثواباً في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اتِّبَاعًا مَرْضَاتٍ لِلَّهِ وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَمٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾ أَيُّدٌ أَحَدَكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِصَاحِبِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْنِصُوا فِيهِ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٣٦٧﴾

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا
وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٥﴾ [البقرة: ٢٦٥ - ٢٦٨].

﴿وَمَثَلٌ﴾ [البقرة: 265] نفقات ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءً﴾ طلب ﴿مَرْضَاةَ
اللَّهِ وَتَثْبِيَةً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ احتساباً وتصديقاً بالثواب ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ هي
المكان المرتفع المستوي تجري عليه الأنهار فلا تغطيه الماء فيمتنع عنه الزرع بسبب
علو الماء ولا يذهب عنه فتزول بهجته، قرأ ابن عامر وعاصم هنا بفتح الراء والباقون
بضمها ﴿أَصَابَهَا وَاِبِلٌ﴾ مطر عظيم ﴿فَأَتَتْ أَكْلَهَا﴾ ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: حملت في
السنة مرة ما يحمله غيرها في السنة مرتين، وقيل حملت في السنة مرتين ﴿فَإِنْ لَّمْ
يُصِبْهَا وَاِبِلٌ فَطَلٌّ﴾ هو المطر الضعيف الخفيف يكون الماء فيقوم مقام الوايل أو المراد
أن المنفق لله بركة عمله كثر أو قل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم.

﴿أَيُّودٌ﴾ [البقرة: 266] أوجب ﴿أَحَدُكُمْ﴾ أي: لا يود ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان
﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد
﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ في سنه فضعف عند الكسب ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾ أولاد ﴿ضِعْفَاءٌ﴾ صغار
عاجزون عن الكسب ﴿فَأَصَابَهَا إِغْصَارٌ﴾ وهو الريح العاصف الذي يرتفع إلى السماء
كأنه عمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تُبْطَلُوا...﴾ الآية وهو مثل آخر لعمل المنافق المرابي عمله في حسنه كالحجة المذكورة،
فلما عجزوا واحتاج إليها لإصلاح نفسه وذويه احترقت أي: بطل ثوابه عند احتياجه
الشديد إليه وعن ابن عباس هو الرجل عمل بالطاعات لم بعث له الشيطان فعمل
بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما بين لكم ما ذكر ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في هذه الأمثال فتلزموا أنفسكم العمل بمقتضاها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا﴾ [البقرة: 267] زكوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتٍ﴾ من حلالات أو
خيار ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا﴾ أي: ومن طيبات ما ﴿أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الحبوب
والثمار ﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾ قرأ بتشديد تاء «تيمموا» في الوصل البزي وكذلك أخواتها مما
يأتي في الفعل المستقبل ويحسن مجيء ما أخرى معها وجملته أحد وثلاثون موضعاً
هذا أوله، وفي آل عمران: «ولا تفرقوا»، وفي النساء: «الذين توفاهم الملائكة»، وفي
المائدة: «ولا تعاونوا»، وفي الأنعام: «تفرق بكم»، وفي الأعراف: «هي تلفف»،

وكذلك في طه والشعراء وفي الأنفال: «ولا تولوا» وفيها: «ولا تنازعوا»، وفي التوبة: «هل تربصون»، وفي هود: «وإن تولوا»، «لا تكلم»، وفي الحجر: «ما تنزل الملائكة»، وفي النور: «إذ تلقونه» وفيها «وإن تولوا»، وفي الشعراء: «على من تنزل» وبها أيضاً «تنزل»، وفي الأحزاب: «ولا تبرجن» وبها «ولا أن تبدل»، وفي الصافات: «لا تناصرون»، وفي الحجرات: «ولا تنابزوا» «ولا تتجسسوا» «لتعارفوا»، وفي الممتحنة: «أن تولاهم»، وفي الملك: «تكاد تميز»، وفي نون: «لما تخيرون»، وفي عبس: «عنه تلهى»، وفي الليل: «نارا تلهى»، وفي القدر: «تنزل الملائكة»، فإن كان قبلها حرف مد زيد فيه لالتقاء الساكنين وإذا ابتداء خففت، وروى جماعة العراقيين تخفيفهن كالباقى، ووافقه أبو جعفر في تشديد «لا تناصرون»، ووافقه رويس على: «نارا تلهى»، وانفرد ابن فارس في «جامعه» بتشديدهن كلهن عن قبل، وروى الداني ومن تبعه عن البري بتشديد تاء: «كنتم تمنون» في آل عمران، و«ظلمتم تفكهن» في الواقعة، والمعنى: لا تقصدوا.

﴿الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ أي: من الخبيث ﴿تَنْفِقُونَ﴾ في الزكاة والخبيث الرديء من كل شيء كالخشف من التمر ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ﴾ أي: إذا كان لكم على أحد حق لا تأخذون الخبيث ﴿إِلَّا أَنْ تُعْطُوا﴾ تساهلوا وتجاوزوا ﴿فِيهِ﴾ فكيف ترضون لله ما لا ترضونه لأنفسكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ فلا يحتاج إلى أعمالكم ومنها الصدقات ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: 268] البخل عن المطلوبات شرعاً، وقيل: كل ما ورد في القرآن من لفظ الفحشاء فالمراد به الزنا إلا هنا ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمُ﴾ على الإنفاق ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلاً﴾ رزقاً وخلفاً ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ يسعكم فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فيجازيكم عليها.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٢٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٣٠﴾﴾ إن تبدوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفَقْرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ

عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴿٢٧٠﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْتِئَاءِ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ [البقرة: ٢٦٩ - ٢٧٣].

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 269] العلم والعمل ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ﴾ قرأ يعقوب بكسر التاء، ونقف بالتاء على أصله، والباقون بفتح التاء ﴿الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ بمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا أُولَئِكَ﴾ أصحاب ﴿الْأَبْيَابِ﴾ العقول.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ [البقرة: 270] زكاة أو صدقة قلت أو كثرت أخلصتم فيها أم لا ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ في طاعة أو معصية وفيم به أم لا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بوضع المال من غير حقه أو منع ما وجب عليهم ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ما تعين لهم من عذابه.

﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 271] أي: النوافل ﴿فَنِعْمًا هِيَ﴾ إذ تعم شيئًا إيدؤها، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ﴿نِعْمًا﴾ بفتح النون هنا وفي النساء، والباقون بكسرها وقرأ أبو جعفر بإسكان العين، وكذا روى الجمهور عن أبي عمرو وقالون وأبي بكر وروى الآخرون من المغاربة عنهم الاختلاس وروى الوجهين عنهم جميعًا الداني وصحهما، وقرأ الباقر بكسرها واتفقوا على تشديد الميم ﴿وَإِنْ تُحْفُوا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا﴾ تعطوها ﴿الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من إظهارها وإتيانها الأغنياء والأفضل إظهار صدقة الفرض عند جمع؛ ليقتنى به ولثلا يتهم إلا لخوف ظالم ونحوه وإيتاؤها الفقراء وبقية مستحقيها متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ قرأ ابن عامر وحفص بالياء، والباقون بالنون وقرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بالجزم والباقون بالرفع ﴿عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه وظاهره ولما منع ﴿﴾ من

التصدق على المشركين ليسلموا نزل:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: 272] أي: إيصال الناس للحق يا محمد إنما عليك البلاغ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته للدخول في الإسلام ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال في معروف ﴿فَلَا نُنْفِسُكُمْ﴾ أي: فالخير لها أو يصل لكم ثوابه ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: لا تنفقوا إلا لطلب رضاه وثوابه لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾ لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 273] أي: الصدقات للفقراء إلى آخره، والمراد بهم من حبس نفسه في طاعة الله أو على الجهاد نزلت في أهل الضفة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفرًا لتجارة وطلب معاش ﴿فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ عن السؤال وتركه لأجل القناعة، قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿يَحْسَبُهُمْ﴾ كيف وقع مستقبلاً بفتح السين، والباقون بكسرها ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ أيها المخاطب ﴿بِسِمَاهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهاد ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئاً فيلحفون ﴿إِلْحَافًا﴾ والإلحاف: المبالغة في السؤال، والمراد نفي الإلحاف لنفي السؤال ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ [البقرة: 274 - 277].

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274] نزلت في رباط الخيل في سبيل الله والعبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275] خص الأكل بالذكر؛ لأنه أعظم المنافع ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم يوم القيامة ﴿إِلَّا﴾ قيامًا ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ يصصره ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ وهو الجنون بهم، والربا لغة الزيادة، وفي الشرع زيادة مخصوصة في شيء مخصوص على وجه معين وهو ثابت في التقد الذهب والفضة، والمطعوم وهو سائر المقتات اختيارًا كالماء العذب، فإذا باع جنسًا بجنس اشترط الحلول والمماثلة والتقابض قبل التفرق وإلا اشترط ما عدا التماثل إن اتفقا في العلة، وإن اختلفا فيها كتمر بذهب لم يشترط واحد منهما ومن الربا ربا النسبة وهو الزيادة في الدين للزيادة في الأجل ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ في الجواز فقال تعالى ردًا عليهم: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ تذكير وتخويف ﴿فَأَنْتَهَى﴾ رجع عن فعل ما نهى عنه ومنه أكل الربا ﴿فَلَمَّا سَلَفَ﴾ أي: يغفر الله له ما سلف أو لا يسترد منه ما أخذه قبل النهي ﴿وَأَمْرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى تحليل الربا أو أكله مع تحليله ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: 276] يذهب بركته وينقصه ﴿وَيُزِيهِ﴾ ينمي ﴿الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مصر على الكفر ﴿أَيْمٍ﴾ فاجر بارتكاب الإثم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 277] ونزل لما طالب بعض الصحابة بر ما كان له.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانِ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ

فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٨١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾ [البقرة: 278] اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ أي: غير رأس المال لما يأتي ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 279] المأمور به ﴿فَأَذْنُوا﴾ قرأ حمزة وأبو بكر بقطع الهمزة ومدّها وكسر الذال والباقون بالقصر ووصل الهمزة والمعنى على الأول اعلّموا غيركم، وعلى الثاني اعلّموا أنتم ﴿بِحَزْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وحرب الله النار وحرب رسوله القتال، ولما نزلت قالوا: لا بد لنا بحربه ﴿وَإِنْ تُبْتِئُوا﴾ من الربا أو استحلاله ﴿فَلَكُمْ رُءُوسٌ﴾ أصول ﴿أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ زائد ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بتقص ومطل من موسر.

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ [البقرة: 280] وقع غريم ﴿ذُو عُشْرَةٍ﴾ صاحب إيسار ﴿فَنظَرَةٌ﴾ أي: إنظار له عليكم فتؤخرون مطالبته ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ يسار أي: وقته، وقرأ نافع بضم سين ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ والباقون بفتحها ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالإبراء، قرأ عاصم بتخفيف الصاد، والباقون بتشديدها ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أخذ رءوس الأموال أي: أكثر ثواباً فهو حث على الإبراء من الدين ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما فيه من الخير في الدنيا والآخرة فافعلوه، وفي الحديث: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»^(١).

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 281] تردون أو تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاؤه من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بتقص حسنة أو زيادة سيئة وهذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَٰهٌ أَجَلِي مُسَمًّى فَاصْتَبُوا﴾
 ﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾
 ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ عَلَىٰ الْحَقِّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن

(١) رواه مسلم (108/19)، وأحمد (359/2)، رقم (8696)، والترمذي (599/3)، رقم (1306) وقال:

حسن صحيح غريب.

كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْمَلَ لَهُ فَيُعْمَلُ وَإِلَيْهِ بِالْعَدْلِ وَأَنْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُوبُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدَقُّ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: 282] تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسلم أو قرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ مدة معلومة الأول والآخر ﴿فَاكْتُبُوا﴾ أي: الدين استحباباً للوثوق ودفع النزاع ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتاب ذلك ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحق في كتابته فلا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ويصف المدين ومن له الدين بما ينفي اللبس ﴿وَلَا يَأْبُ﴾ لا يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذا دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ كما شرع له ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ما علمه الله له ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: يمل أو المعنى إن الذي عليه الحق يشهد على إقراره فهو مملي الكاتب أو كما فصله بالكتابة فلا يبخل بها ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ لا ينقص ﴿منهُ﴾ أي: من الحق ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ غير صالح لأمر دينه ودنياه ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ لصغر أو كبر عن الإملاء ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْمَلَ﴾ هو لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك من غيبة أو حبس أو عي ﴿هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَّهُ﴾⁽¹⁾ أي: ولي ماله أو متولي أمره من والد أو وصي

(1) الضمير في «وليه» عائد على أحد هؤلاء الثلاثة، وهو الذي عليه الحق، وتقدم تفسير ابن عطية للولي، وقال الزمخشري: الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيهاً أو صبيهاً، أو وكيل إن كان غير مستطيع، أو ترجمان يمل عنه وهو يصدق، وذهب الطبري إلى أن الضمير في «وليه» يعود على الحق، فيكون الولي هو الذي له الحق، وروي ذلك عن ابن عباس والربيع، قال ابن عطية: ولا يصح عن ابن عباس، وكيف تشهد البينة على شيء ويدخل مالا في ذمة السفیه، بإملاء الذي له

أَوْ قِيمٍ أَوْ مَرْتَجِمٍ ﴿بِالْعَدْلِ﴾ بِالْحَقِّ ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾ أَشْهَدُوا عَلَى الدِّينِ ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شَاهِدَيْنِ ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أَي: مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْبَالِغِينَ الْأَحْرَارِ ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أَي: فَإِنْ لَمْ تَشْهَدُوهُمَا ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أَي: فَالْمُسْتَشْهَدُ أَوْ فليشهد، وهذا متفق عليه في المال عند الشافعي والجمهور وما يطلع عليه النساء غالبًا كولادة يثبت بأربع نسوة فبرجلين أو رجل وامرأتين أولى ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أَي: تَعْلَمُونَ عَدَالَتَهُمْ وَتَعَدُّدَ النِّسَاءِ النَّاقِصَاتِ عَقْلًا وَضَبْطًا لِأَجْلِ ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تَنْسَى ﴿إِخْدَاهُمَا﴾ الشَّهَادَةَ لِنَقْصِ عَقْلِهِنَّ وَضَبْطِهِنَّ ﴿فَتَذَكَّرَ إِخْدَاهُمَا﴾ الذَّاكِرَةُ ﴿الْأُخْرَى﴾ النَّاسِيَةُ أَي: لِتَذَكَّرَ إِنْ ضَلَّتْ، قَرَأَ حِمْزَةً ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ ﴿فَتَذَكَّرَ﴾ بَرَفَعَ الرَّاءَ، وَالْبَاقُونَ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَنَصَبِ الرَّاءِ ﴿وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ إِلَى تَحْمِيلِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا ﴿وَلَا تَسْمَأُوا﴾ تَمَلَّوْا مِنْ ﴿أَنْ تَكْتُوبُوهُ﴾ أَي: مَا شَهِدْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِكَثْرَةِ وَقُوعِ ذَلِكَ ﴿صَغِيرًا أَوْ﴾ كَانِ ﴿كَبِيرًا﴾ أَي: قَلِيلًا كَانِ أَوْ كَثِيرًا ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ وَقْتُ حُلُولِهِ ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿أَقْسَطُ﴾ أَعْدَلُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أَعُونَ عَلَى إِقَامَتِهَا ﴿وَأَذْنَى﴾ أَقْرَبُ إِلَى ﴿الْأَلَا تَرْتَابُوا﴾ تَشَكَّوْا فِي قَدْرِ الْحَقِّ وَالْأَجْلِ ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ تَقَعُ ﴿تَجَازَةً حَاضِرَةً﴾ قَرَأَ عَاصِمٌ بِنَصْبِهِمَا، وَالْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ فِي الْمَجْلِسِ أَي: تَقْبِضُونَهَا وَلَا أَجَلَ فِيهَا، وَالْمَرَادُ الْبَيْعَ يَدِ بِيَدٍ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ وَالْمَرَادُ بِهَا الْمَتَجَرَّ فِيهِ ﴿وَأَشْهِدُوا﴾ هُوَ اسْتِحْبَابٌ ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عَلَى الْبَيْعِ فَإِنَّهُ أَدْفَعٌ لِلْاِخْتِلَافِ ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ وَإِضْرَارُهُمَا لِغَيْرِهِمَا بِتَرْكِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْكِتَابَةِ وَنَحْوِهَا وَالْإِضْرَارُ بِهِمَا أَنْ يَسْتَطَالَ وَيَسْتَخْفَ بِشَأْنِهِمَا وَنَحْوِ ذَلِكَ ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ لِاحْتِقَاقِ ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۗ﴾

الدين، هذا شيء ليس في الشريعة، قال الراغب: لا يجوز أن يكون ولي الحق كما قال بعضهم؛ لأن قوله لا يؤثر إذ هو مدع، و: بالعدل، متعلق بقوله: فليملل، ويحتمل أن تكون الباء للحال، وفي قوله: بالعدل، حث على تحريره لصاحب الحق، والمولى عليه، وقد استدل بهذه الآية على جواز الحجر على الصغير، واستدل بها على جواز تصرف السفيه، وعلى قيام ولاية التصرفات له في نفسه وأمواله.

وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ
 فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ
 الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
 وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا
 وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
 اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا
 كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ
 عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴿

[البقرة: ٢٨٣ - ٢٨٦].

﴿وَأَنْ كُتِّمْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: 283] أي: مسافرين حال المعاملة بالدين ﴿وَلَمْ
 تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فرهن» بضم الهاء والراء بلا ألف،
 والباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها وكلاهما جمع: رهن ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ والمعنى
 فالذي يستوثق به رهن ولا يلزم من جهة الراهن إلا بالقبض وبينت السنة جواز الرهن
 في الحضر ومع وجود الكاتب فالتقييد بما ذكر فيهما؛ لأن التوثق فيه أشد ويكفي قبض
 المرتهن المرهن أو وكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ فاستغنى بالأمانة عن الارتهان
 ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ أي: يدفع من عليه الدين الحق لصاحبه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا
 تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذ ادعيتم لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ﴾ عاص ﴿قَلْبُهُ﴾ قيل المراد
 بذلك: مسخه فلا يقبل ضراً وخص بالذكر لتبعية غيره له، ولأنه ممل الشهادة ﴿وَاللَّهُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا﴾ [البقرة: 284] تظهروا ﴿مَا
 فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من السوء والفرح عليه ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ تكتمونه ﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾ يجزئكم في
 الآخرة ﴿بِهِ اللَّهُ﴾ أخبر أنه يؤاخذ بحديث النفس، وإن لم يصمم عليه بالعزم ثم نسخه
 بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الغفران له

﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه، وقرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ﴿فَيَغْفِرُ﴾
﴿وَيُعَذِّبُ﴾ برفع الراء، والباقون بجزمها ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿آمَنَ﴾ [البقرة: 285] صدق ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه وشهادة لهم من الله بذلك ﴿كُلُّ﴾ من الرسول والمؤمنين ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف «وكتابه» بالتوحيد، والباقون بالجمع ﴿وَرُسُلِهِ﴾ فآمنوا بصدقهم وبنسخ شرائعهم بما جاء به محمد ﷺ وعليهم يقولون ﴿لَا نَفَرَقُ﴾ قرأ يعقوب «يفرق» بالياء، والباقون بالنون ﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فتؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا مَا أَمَرْنَا بِهِ سَمَاعٍ قَبُولَ﴾ ﴿وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ﴾ اغفر غفرانك أو نسألك غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بعد الموت، ولما نزلت الآية قبلها شكوا المسلمون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل:

﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] مقدورها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الإثم أي: وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه ﴿رَبَّنَا﴾ أي: قولوا ربنا ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِنْ نَسِينَا﴾ سهونا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تعمدنا فعل خلاف الصواب جهلاً بالحكم كما أخذت به من قبلنا وسؤالهم بذلك المرفوع عنهم الاعتراف بالنعمة ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ عهداً ثقیلاً فلا يستطيع القيام به ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ من الأمم وهم بنو إسرائيل حملت عليهم مشاق كقتل النفس للتوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة أي: قطعه ونحو ذلك ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ أمحُ ذنوبنا ﴿وَاعْفُ لَنَا﴾ استر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة ﴿وَازْحَمْنَا﴾ تعطف علينا بالنعمة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا ﴿فَانصُرْنَا﴾ أجمعين ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بأسرهم بإقامة الحججة والغلبة في قتالهم، إذا شأن المولى نصر واليه على أعدائهم، وفي الخبر لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وفيه: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفَّاهُ»⁽¹⁾ أي: عن قيام الليل.

(1) رواه البخاري (498/16)، ومسلم (248/5).

سورة آل عمران
١٤٤ آيات
عمران

مدنية وهي مثنان أو إلا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ ﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ ٣ ﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿ ٤ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿ ٥ ﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ٦ ﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ ٧ ﴾ ﴿ آل عمران: ١ - ٧.﴾

﴿الم﴾ [آل عمران: 1]، وقرأ أبو جعفر ﴿الم﴾ ﴿المص﴾ [الأعراف: 1] في كل الحروف المقطعة أوائل السور بتقطيع الحروف مع سكتة ويقف أيضاً على ﴿ص﴾ [ص: 1] و﴿ق﴾ [ق: 1] و﴿ن﴾ [القلم: 1] وقفة يسيرة وعن المفضل الوقف على ﴿الم﴾ وقطع الهمزة والوصل به باقٍ مع فتح الميم.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 2] القائم على كل نفس بما كسبت ومصالح العباد ومنها إنزال القرآن.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: 3] القرآن منجماً ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: متلبساً بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من الكتب ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ﴾ على موسى أمال التوراة إمالة كبرى ابن ذكوان والكسائي وأبو عمرو وخلف عن قالون

﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ على عيسى جملة.

﴿مَنْ قَبْلُ﴾ [آل عمران: 4] أي: من قبل تنزل القرآن ﴿هُدَى لِلنَّاسِ وَأُنزِلَ الْفُرْقَانَ﴾ الكتب الفارقة بين الحق والباطل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالخلود في النار ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 5] كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [آل عمران: 6] البطن ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من بياض وسواد وذكر وأنثى وخنثى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الذي وضع الأشياء في محلها.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: 7] يا محمد ﴿مِنهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي يعول عليه من الأحكام ﴿وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ﴾⁽¹⁾ جعل الله

(1) مناسبة هذا لما قبله أنه: لما ذكر تعديل البنية وتصويرها على ما يشاء من الأشكال الحسنة، وهذا أمر جسماني، استطرد إلى العلم، وهو أمر روحاني. وكان قد جرى لوفد نجران أن من شُبِّهَهُمْ قوله: ﴿زُرُوعٌ مِّنْهُ﴾ فبين أن القرآن منه محكم العبارة قد صينت من الاحتمال، ومنه متشابه، وهو ما احتمل وجوهاً، ونذكر أقاويل المفسرين في المحكم والمتشابه، وقد جاء وصف القرآن بأن آياته محكمة، بمعنى كونه كاملاً، ولفظه أفصح، ومعناه أصح، لا يساويه في هذين الوصفين كلام، وجاء وصفه بالتشابه بقوله: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ معناه يشبه بعضه بعضاً في الجنس والتصديق، وأما هنا فالتشابه ما احتمل وعجز الذهن عن التمييز بينهما، نحو: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا﴾، ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أي: مختلف الطعوم متفق المنظر، ومنه: اشتبه الأمران، إذا لم يفرق بينهما، ويقال لأصحاب المخاريق: أصحاب الشبه، وتقول: الكلمة الموضوعية لمعنى لا يحتمل غيره نص، أو يحتمل راجحاً أحد الاحتمالين على الآخر، فبالنسبة إلى الراجح ظاهر، وإلى المرجوح مؤول، أو يحتمل من غير رجحان، فمشارك بالنسبة إليهما، ومجمل بالنسبة إلى كل واحد منهما، والقدر المشترك بين النص والظاهر هو المحكم، والمشارك بين المجمل والمؤول هو المتشابه؛ لأن عدم الفهم حاصل في القسمين، قال ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة، والربيع، والضحاك: المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ، وقال مجاهد، وعكرمة: المحكم: ما بين تعالى حلاله وحرمة فلم تشبه معانيه، والمتشابه: ما اشتبهت معانيه، وقال جعفر بن محمد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، والشافعي: المحكم ما لا يتحمل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجهها، وقال ابن زيد: المحكم: ما لم تكرر ألفاظه، والمتشابه: ما تكررت، وقال

القرآن كله محكمًا في بعض الآيات؛ لأنه كله حق حسن لا غيب فيه وفي بعضها متشابهًا؛ لأنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن وفرقه هنا فاختلف في ذلك والأرجح أن المحكم ما اتضح معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، وقد يطلع عليه بعض أصفائه كأوائل السور ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ بالتأويل الباطلة ﴿ابْتِغَاءً﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةَ﴾ ومن فتنة الجهال بالإيقاع في الشبهات واللبس ﴿وَابْتِغَاءً تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره على شهوتهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره تغير معنى المتشابه ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ المتمكنون ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمون معناه أيضًا ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا أُولُو﴾ أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾ العقول مدح لهم ويقولون أيضًا إذا رأوا من يتبع المتشابه⁽¹⁾.

جابر بن عبد الله، وابن رثاب، وهو مقتضى قول الشعبي والثوري وغيرهما: المحكم ما فهم العلماء تفسيره، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه: كقيام الساعة، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج عيسى، وقال أبو عثمان: المحكم، الفاتحة، وقال محمد بن الفضل: سورة الإخلاص، لأن ليس فيها إلا التوحيد فقط، وقال محمد بن إسحاق: المحكمات ما ليس لها تصريف ولا تحريف، وقال مقاتل: المحكمات خمسمائة آية؛ لأنها تسط معانيها، فكانت أم فروع قيست عليها وتولدت منها، كالأم يحدث منها الولد، ولذلك سماها: أم الكتاب، والمتشابه: القصص والأمثال، وقال يحيى بن يعمر: المحكم الفرائض، والوعد والوعيد؛ والمتشابه: القصص والأمثال، وقيل: المحكم ما قام بنفسه ولم يحتج إلى استدلال، والمتشابه ما كان معاني أحكامه غير معقولة، كأعداد الصلوات، واختصاص الصوم بشهر رمضان دون شعبان، وقيل: المحكم ما تقرر من القصص بلفظ واحد، والمتشابه ما اختلف لفظه، كقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيْثُ تَسْمَعُ﴾ ﴿فَإِذَا هِيَ نُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ و﴿قُلْنَا احْمِلْ﴾ و﴿فَاسْأَلُكَ﴾، وقيل: المتشابهات ما لا سبيل إلى معرفته، كصفة الوجه، واليدين، واليد، والاستواء، وقيل: المحكم ما أمر الله به في كل كتاب أنزله، وقال أكثر الفقهاء: المحكمات التي أحكمت بالإبانة، فإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويلها؛ لأنها ظاهرة بينة، والمتشابهات: ما خالفت ذلك، وقال بن أبي نجيع: المحكم ما فيه الحلال والحرام.

(1) قال الشريف الرضي: فبين العلماء فيه اختلاف: فمنهم من جعل الوقف عند اسم الله تعالى، واستأنف قوله سبحانه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، فمن ذهب إلى هذا المذهب منهم يُخرج العلماء عن أن يعلموا كنه التأويل وحقيقته، ويطلعوا طلعهم ويستنبطوا غوامضه، ويستخرجوا كوامنه، وحطهم بذلك عن رتبة قد استحقوا الإنفاء عليها وإطلاع شرفها، لأن الله سبحانه قد أعطاهم من نهج السبيل وضيء الدليل ما يفتحون به المبهم ويصدعون المظلم، وكل ذلك بتوفيق الله إياهم ونصب منار الأدلة لهم، فعلمهم بذلك مستمد من علم الله سبحانه، فلا

معنى للوقوف بهم دون هذه المنزلة، والإحجام عن إيصالهم إلى أقصى هذه الرتبة. وأما الذين يجعلون الوقف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتْلُم تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيوقون الاستثناء حقه بإدخال العلماء فيه، ويجعلون لهم منزلة العلم بتأويل القرآن، ومعرفة مداخلة ومخارجه، وسلوك محاجته ومناهجه، وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد والربيع.

فأما المحققون من العلماء فيقفون في ذلك على منزلة وسطى وطريقة مثلى، فلا يخرجون العلماء هاهنا عن أن يعلموا شيئاً من تأويل القرآن جملةً، ولا يعطونهم منزلة العلم بجميعة، والاستيلاء على قليله وكثيره، بل يقولون: إن في التأويل ما يعلمه العلماء، وفيه ما لا يعلمه إلا الله تعالى، من نحو تعيين الصغيرة ووقت الساعة، وما بيننا وبينها من المدة، ومقادير الجزاء على الأعمال، وما أشبه ذلك.

وهذا قول جماعة من متقدمي العلماء: منهم الحسن البصري وغيره، وإليه ذهب أبو علي الجبائي؛ لأنه يجعل المراد بالتأويل في هذه الآية مصائر الأمور وعواقبها، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: 53]: أي مصيره وعاقبته؛ لأن أصل التأويل من قولهم: آل يؤول، وإذا رجع، ومما يؤكد ذلك أن مجاهدًا قال في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]: إنه سبحانه أراد بالتأويل هاهنا الجزاء على الأعمال، فهذا المعنى يلامح ما نحن في ذكره؛ لأن الجزاء إنما هو الشيء الذي ألوا إليه وحصلوا عليه. وقد قيل أيضًا: إن المراد. وما يعلم تأويله عن التفصيل إلا الله تعالى، أو لا يعلم تأويله بعينه إلا الله؛ لأن كثيرًا من المتشابه يحتمل الوجوه الكثيرة، وكلها غير خارج عن أدلة العقول، فيذكر المتأولون جميعها، ولا يقع الفزع منهم على مراد الله تعالى بعينه منها، ولا يعلم ذلك إلا الله؛ لأن الذي يلزم المكلف من ذلك أن يعلم في الجملة أنه سبحانه لم يرذ ما يخالف أدلة العقول، ولأنه ليس من تكليفنا أن نعلم أن المراد من ذلك بعينه، وإن كان العلماء يعلمونه على الجملة وعلى الوجه الذي يمكن أن يعلم عليه. وفي قول الراسخين في العلم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7] دلالة على استسلامهم فيما لم يعلموا من تأويل المتشابه، وما استبد الله بعلمه من قبيل ما ذكرنا: كوقت القيامة وتميز الضعائر من الكبار، إلى ما أشبه ذلك، فقد بان أن في تأويل المتشابه ما لا يعلمونه، وإن كانوا يعلمون كثيرًا منه، وقال قاضي القضاة أبو الحسن بعد ذكره طرفًا من الخلاف في هذه الآية: "وما يقوله من حمل العطف على حقيقته وجعل للعلماء نصيبًا من علم التأويل على تفصيله أو جملة إنما أن يكون المراد بذلك عنده: وما يعلم تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم، ومع علمهم بتأويله ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، أو يكون المراد أنهم يعلمون تأويله في حال قولهم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، ومن قال بذلك استدلالًا بظاهر العطف، وأنه يقتضي مشاركة الثاني للأول فيما وُصف به الأول وأُخبر به عنه، وقال: إذا أمكن ذلك وأمكن حمل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ على الحال أو على خبر ثانٍ وجب القول بذلك، ولكلا الوجهين مسرّح في طريق اللغة، وإنما ينبغي أن ننظر من جهة المعنى، فإن ثبت بالدليل صحة

أحد المعنيين قُضي به، وإلا لم يُفتمن أن يرادا جميعاً إذا لم يقع بينهما تناقض.

قلت أنا: وهذه طريقة لأبي علي فيما ورد من القراءات متغايراً فإنه يقول: "إذا كان يمكن حمل الكلام على القراءتين المختلفتين فإنهما جميعاً مرادتان، إذا صححت القراءة بهما جميعاً، نظير ذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَدَهَا تُغْرِبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86]، وقد قرئ (حامية)، فيقول: إنّه يجب أن تكون العين على الصفتين معاً، فتكون حمئة من الحمأة، وحامية من الحمي، فتكون هناك حرارة وحمأة، وإلا كان يجب ألا تجوز إحدى القراءتين؛ لأن من أصله أن كل كلام احتمل حقيقتين ولم يكن هناك دلالة على أن المراد به إحدى الحقيقتين دون الأخرى فواجب حمل الكلام عليهما جميعاً حتى يكونا مرادين بذلك، ومتى لم يكن حمل الكلام عليهما جميعاً فلا بُد من أن يُبين الله تعالى مراده منهما بدلالة، وإلا خرج من أن يكون فيه فائدة. فأما من قرأ حمئة من الحمأة، فإني قرأت بذلك على شيوخ القراءة لابن كثير ونافع وأبي عمرو وحفص عن عاصم، وأما من قرأ حامية من الحمي فإني قرأت به لحمزة والكسائي وأبي بكر بن عياش عن عاصم وعبد الله بن عامر، وقد ظن بعض الناس أنه لا يجوز إلا أن يكون تمام الكلام ومقطعه عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعلَمُ تَأويلَهُ إِلا اللّهُ﴾ [آل عمران: 7]، وأن الواو للاستقبال دون الجمع، قال: "لأنها لو كانت للجمع لقال: ويقولون أمانة به فيستأنف الواو كما استأنف الخبر"، واحتج على هذا القول من قال بالقول الأول، بأن قال: "هذا جائز، وقد وجد مثله في القرآن وهو قوله تعالى في معنى قسم الفيء: ﴿مَا أَفاءَ اللّهُ عَلَي رَسولِهِ مِن أَهلِ القُرَى فَلِلّهِ وَلِلرَّسولِ وَلِذي القُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكينِ وَابْنِ السَّبيلِ كَئِى لا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنكُمُ وما آتاكمُ الرُّسولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللّهُ إِنَّ اللّهُ شَديدُ العِقابِ﴾ [الحشر: 7]، ثم أعقب ذلك بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء، فقال: ﴿لِلْفُقراءِ الْمَهاجِرِينَ الَّذينَ أُخْرِجُوا مِن ديارِهِمُ وَأموالِهِمُ يَتَتَعونَ فَضلاً مِنَ اللّهِ وَرِضواناً وَيَنصُرُونَ اللّهُ وَرِسالَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصّادِقونَ وَالَّذينَ تَبَوَّأوا الدّارَ وَالإيمانَ مِن قَبلِهِمُ يُحِبونَ مَن هاجَرَ إِلَيْهِمُ وَلا يَجِدونَ في صُدورِهِمُ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَيؤثِرُونَ عَلَي أَنفُسِهِمُ وَلَوْ كانَ بِهِمُ حِصانَةٌ وَمَن يوقِ شِئْنَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحونَ وَالَّذينَ جاءوا مِن بَعدِهِمُ يَقولونَ﴾ [الحشر: 8، 9، 10]، وهؤلاء لا شك داخلون في مستحقي الفيء كالأولين، والواو هاهنا للجمع، ثم قال سبحانه: ﴿يقولون رَبِّنا اغفِرْ لنا وَإِخوانِنا الَّذينَ سَبَقونا بِالإيمانِ﴾ [الحشر: 10]، ومعناه قائلين: ربنا اغفر لنا وإخواننا، فكذلك قوله سبحانه: ﴿وَالرّاسِخونَ فِي العِلْمِ يَقولونَ آمَنّا بِهِ﴾ يكون معناه: والراسخون في العلم يعلمون تأويل ما نصبت لهم عليه الدلائل، ونحيت لهم إليه المذاهب من المتشابهة قائلين: أمانة به.... وإذا كان ذلك سائغاً في اللغة وجب حمله على موافقة دلالة الآية في وجوب ردّ المتشابهة إلى المحكم، فيعلم الراسخون في العلم تأويله إذا استدلوا بالمحكم على معناه، ولو كان العلماء لا يعلمون شيئاً من تأويل المتشابهة البتة ما كان لما روي أن رسول الله ﷺ علّم أمير المؤمنين عليه السلام التفسير معنى، لأن معنى التفسير والتأويل إنما يكون لما غمض ودق ولم يعلم بظاهره، وهذه صفة المتشابهة، وأما المحكم الذي يعلم بظاهره فلا حاجة بأحدٍ إلى تعليمه؛ لأن أهل اللسان فيه

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

﴿ ٨ ﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ لَا يَخْلِفُ أَلَيْمَكَادُ ﴿ ٩ ﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ

وَقُودُ النَّارِ ﴿ ١٠ ﴾ كَذَّابٌ ءَالِي فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ

بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ ١١ ﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ

سواء، ولولا أن الأمر على ذلك لما كان لدعاء النبي ﷺ لابن عباس بأن يعلمه الله التأويل معنى؛ لأننا نعلم أنه لم يرد ﷺ تعليمه الظاهر الواضح، فلم يبق إلا الغامض الباطن.

ومن وجه آخر: أن حقيقة الواو الجمع، فوجب حملها على سنن حقيقتها ومقتضاها، ولا يجوز حملها على الابتداء إلا بدلالة، ولا دلالة هاهنا توجب صرفها عن الحقيقة، فوجب حملها على الجمع، حتى تقوم الدلالة، وكان أبو حاتم السجستاني يقول: "إن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7]؛ لأنه قد حذف من الكلام أمّا، وكأنه تعالى قال: وأما الراسخون في العلم فيقولون أمّا به، وزعم أنه إنما جاز حذفها؛ لأنه قد جرى ذكرها وهو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 7]، قال: "و(أما) لا تكاد تجيء في القرآن مفردة حتى تنسى أو تثلث أو تزداد على ذلك، كقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10]، وكقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةَ فَكَانَتْ لِمْسَاكِينٍ﴾ [الكهف: 79]، ﴿وَأَمَّا الْعُلَامَ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾ [الكهف: 80]، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ [الكهف: 82]، فلما قال سبحانه: ﴿فَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: 7]، قدرنا أن "أما" مرادة مع (الراسخين في العلم)، فكانه تعالى قال: وأما الراسخون في العلم". وكلام أبي حاتم في ذلك غير سديد ولا مطرد؛ لأنه قدر في الكلام حذف (أما)، وذكر أنها تقع في القرآن كثيرًا مكررة، ولعمري إن الأمر كما قال من وقوعها مكررة في القرآن، وما علمناها جاءت فيه مرادة محذوفة، وكان ينبغي أن يُرينا من القرآن موضعًا هي فيه مرادة وقد حذفت ليكون شاهدًا على ما ذكره، فأما أن يستشهد بتكريرها على حذفها فذلك غير مستقيم، ولو كان الأمر على ما قال لكان وجه الكلام أن يقول تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7]، كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فيعلم أن الموضع لأمّا، وإلا لم تكن على ذلك دلالة، ولا يجوز الوقف على العلم في الوجهين جميعًا؛ لأن ما بعد العلم يكون حالًا في أحد الوجهين وخبرًا في الآخر، والوقف التام على (به)، وقد أوردنا في هذه المسألة ما فيه بلاغٌ مقنعٌ بتوفيق الله تعالى. [حقائق التأويل ص 163] بتحقيقنا.

جَهَنَّمَ وَيَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَعَثَىٰ ذَاتَ الْقُرْبَىٰ
سَبِيلَ اللَّهِ وَأَخْرَجَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ
يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ [آل عمران: ٨ - ١٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: 8] لا تملها عن طلب الحق باتباع تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ للإيمان به ﴿وَهَبْ لَنَا﴾ أعطنا ﴿مَنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ ﴿آل عمران: 9﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في وقوعه وهو يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ وأما ما وعد به الفساق فمشروط بعدم العفو كما علم من دلائل كثيرة كما هو مشروط بعدم التوبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي﴾ [آل عمران: 10] تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ حطبها.

﴿كَذَّابٍ﴾ [آل عمران: 11] أي: دأبهم أي: فعلهم كفعل أو سنة أو عادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أتباعه والمعنى لن تغني عنهم كما لم تغني عن آل فرعون ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كعاد وشمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكتهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسببها ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ونزل لما أمر رسول الله ﷺ اليهود بالإيمان عند رجوعه من بدر فقالوا له: لا يغرنك إن قتلت نفرًا من قريش أعمارًا لا يعرفون القتال.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ﴾ [آل عمران: 12] في الدنيا بقتل وغيره ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ تجمعون وتساقون في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش جهنم، قرأ حمزة والكسائي وخلف تغلبون وتحشرون بالياء والباقون بالتاء المثناة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [آل عمران: 13] عبرة ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ طائفتين ﴿الَّتَقَاتَا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تَقَاتَلَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعة الله ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم المشركون ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ أي: المشركون يرون المؤمنين ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ وكان المؤمنون ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً معهم فرسان وستة أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم مشاة والمشركون قريب ألف ﴿رَأَى الْعَيْنُ﴾ رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قتلهم، وقرأ يعقوب والمدنيان «ترونها» بالخطاب فمعناه: أن المؤمنين رأوا الكفار مثلهم، والباقون بالياء

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ نصره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ عظة واعتبار ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أصحاب البصائر السليمة أو لمن أبصرهم⁽¹⁾.

﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النُّسْكَ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ ﴿قُلْ أُوَيْبِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْوَكَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَكَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّكِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَدِينِ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفْزِعِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهَد

(1) أما قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 13]، فربما تعلق به متعلق، فقال: إذا أضاف تعالى النصر إلى نفسه فيجب أن يكون من فعله، حتى أن الغالب تكون غلبته بنصر الله، والمغلوب تكون صرعته بخذلان الله، وهذا خلاف مذهبكم.

فالجواب: أنا قدمنا في صدر هذا الكتاب من الكلام في حقيقة النصر والخذلان ما يغني عن تكلف إعادة شيء منه، إلا أننا لا نخلي هذا الموضوع من يسير من القول في ذلك: يبلغ قدر الكفاية، وقيم عمود الحجّة بتوفيق الله، فنقول: إن النصرة قد تكون بالحجّة إذا ظهرت للمؤمن على عدوّه عند المنازعة، وقد تكون بما يحصل له من التعظيم والكرامة، وللكافر من الإذالة والإهانة، وقد تكون في الحرب بالظفر والغلبة، وقد تكون بتحمل المشقة فيما يؤدي إلى الأجر والمثوبة، فلذلك قلنا: إن المؤمنين إذا غلبوا في الدنيا لم يخرج الكفار مع ذلك من أن يكونوا مخذولين، من حيث كان ما فعلوه مؤدياً إلى عظم النكال وأليم العقاب، ولم يخرج المؤمنون من أن يكونوا منصورين، من حيث كانوا يستحقون من الله تعالى الثواب الجزيل والمقام الشريف، والله تعالى يؤيد المؤمنين في حروب الأعداء، وينصرهم بضروب من الألفاظ؛ فتارة ينصرهم بأن يمدّهم بالملائكة، وتارة ينصرهم بأن يخطر ببالهم ما أعدّ لهم من نعيم الجنة، فتقوى بذلك أنفسهم، وثبت أقدامهم، ويتضاعف إقدامهم، وقد يؤيدهم أيضاً بإلقاء الخوف في قلوب أعدائهم، فيكون ذلك سبباً لتمكين المؤمنين من نواصيهم، وإنزالهم من صياصيهم، وربما علم تعالى في بعض المواطن أن الصلاح في ألا يؤيدهم بشيء من ذلك، فيحتلهم التكليف الصعب، ويلزمهم الشاق من الأمر، إذا علم تعالى أن فيه الصلاح لهم، فلا يكون مؤيداً لهم في باب الظفر والغلبة، وإن كان فاعلاً بهم الأولى في باب المصلحة، وما ذكرناه في هذه المسألة كافٍ بتوفيق الله تعالى. [حقائق التأويل 184].

اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٤ - ١٨].

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 14] ابتلاء ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ المنهيات وهي ما تدعوا النفس إليه ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالبَيْنِ﴾ والأولاد المذكور ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ من الأموال الكثيرة جمع قنطار وهو المال الكثير ﴿الْمُقَنْطَرَةَ﴾⁽¹⁾ المحكمة، وقيل: الكثيرة المتعدد

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ القناطر جمع قنطار، كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ وهو العقدة الكبيرة من المال، وقيل: هو اسم للمعيار الذي يوزن به، كما هو الرطل والربع، ويقال لما بلغ ذلك الوزن: هذا قنطار، أي: يعدل القنطار، والعرب تقول: قنطر الرجل إذا بلغ ماله أن يوزن بالقنطار، وقال الزجاج: القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، تقول العرب: قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة لإحكامها، واختلف العلماء في تحرير حده كم هو على أقوال عديدة، فروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية» وقال بذلك معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر وأبو هريرة وجماعة من العلماء، قال ابن عطية: وهو أصح الأقوال، لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الأوقية، وقيل: اثنا عشر ألف أوقية، أسنده البستي في مسنده الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية الأوقية خير مما بين السماء والأرض»، وقال بهذا القول أبو هريرة أيضًا، وفي مسند أبي محمد الدارمي عن أبي سعيد الخدري قال: «من قرأ في ليلة عشر آيات كتب من الذاكرين، ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ بخمسمائة آية إلى الألف أصبح وله قنطار من الأجر» قيل: وما القنطار؟ قال: «ملء مسك ثور ذهبًا»، موقوف، وقال به أبو نضرة العبدوي، وذكر ابن سيده أنه هكذا بالسريانية، وقال النقاش عن ابن الكلبي أنه هكذا بلغة الروم، وقال ابن عباس والضحاك والحسن: ألف ومائتا مثقال من الفضة، ورفع الحسن، وعن ابن عباس: اثنا عشر ألف درهم من الفضة، ومن الذهب ألف دينار دية الرجل المسلم، وروي عن الحسن والضحاك، وقال سعيد بن المسيب: ثمانون ألفًا، قتادة: مائة رطل من الذهب أو ثمانون ألف درهم من الفضة، وقال أبو حمزة الثمالي: القنطار بإفريقية والأندلس ثمانية آلاف مثقال من ذهب أو فضة، السدي: أربعة آلاف مثقال، مجاهد: سبعون ألف مثقال، وروي عن ابن عمر، وحكى مكي قولاً أن القنطار أربعون أوقية من ذهب أو فضة، وقاله ابن سيده في المحكم، وقال: القنطار بربر ألف مثقال، وقال الربيع ابن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وهذا هو المعروف عند العرب، ومنه قوله: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِخْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾ أي: مالا كثيرًا، ومنه الحديث: «إن صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه» أي: صار له قنطار من المال، وعن الحكم هو ما بين السماء والأرض، واختلفوا في معنى ﴿الْمُقَنْطَرَةَ﴾ فقال الطبري وغيره: معناه المضعفة، وكان القناطر ثلاثة والمقنطرة تسع، وروي عن الفراء أنه قال:

بعضها فوق بعض ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور كله ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾ المرجع في الجنة.

﴿قُلْ﴾ [آل عمران: 15] يا محمد لقومك ﴿أُوذِبْتُكُمْ﴾ أخبركم استفهام تقرير ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾ المذكور من متاع الحياة الدنيا ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من نحو حيض كما سبق ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ روى أبو بكر «رضوان» حيث وقع بضم الراء إلا الثاني في المائة وهو من اتبع رضوانه فإنه كسره من طريق العليمي، واختلف عنه من طريق يحيى، والباقون بالكسر حيث وقع ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ عليم ﴿بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [آل عمران: 16] يا ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا﴾ بك وبرسلك ﴿فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 17] على التقوى ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ في طاعة الله تعالى ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله ﴿بِالْأَشْحَارِ﴾ أواخر الليل خصها بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

﴿شَهِدْ﴾ [آل عمران: 18] بَيْنَ ﴿اللَّهِ﴾ لخلقه بالدلائل ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود إلا هو ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أقرؤا بذلك وشهدوا به ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين كذلك بالاعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ويستحب لمن قرأ هذه الآية أن

القناطير جمع القنطار، والمقنطرة جمع الجمع، فيكون تسع قناطير، السدي: المقنطرة المضروبة حتى صارت دنائير أو دراهم، مكي: المقنطرة المكملة، وحكاة الهروي، كما يقال: بدر مبدرة، وآلاف مؤلفة، وقال بعضهم: ولهذا سمي البناء القنطرة لتكاتف البناء بعضه على بعض، ابن كيسان والفراء: لا تكون المقنطرة أقل من تسع قناطير، وقيل: المقنطرة إشارة إلى حضور المال وكونه عتيذاً، وفي صحيح البستي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين.

يقول: وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة⁽¹⁾.

(1) قال الشريف الرضي: ومن سأل عن معنى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، فقال: هذه شهادة منه سبحانه لنفسه، وقد استقر العرف بيننا على أن الشهادة إنما تكون لمن ادعى حقًا من الحقوق، أو أمرًا من الأمور، بأن يشهد له غيره، لا أن تشهد له نفسه، وبعد فمنزلة الشاهد فيما يتعارف أنقض من منزلة المشهود عنده!

فالجواب: أن في هذه المسألة أقوالاً:

1 - أحدها، أن تكون شهادته تعالى بذلك، ليعلم عباده به، ويبينه لهم ويحققه عندهم؛ لأن الشاهد إنما يعلم غيره الشيء المشهود به، ويحقق عنده صحته، وكذلك البينة إنما سميت: بينة؛ لأنها تبين الحق، وتكشف اللبس، والشهادة في الأصل: طريقٌ للعلم، ويوصف المؤدّي بأنه شاهدٌ، إذا كان أداءه طريقاً للعلم الحاصل لغيره، وأما شهادة الملائكة وأولي العلم فهي أيضاً إعلام لمن سواهم من الخلق: أن الله تعالى واحدٌ، وأنه عادلٌ، ليقرّوا بذلك، ويعلموا أن الله تعالى وملائكته وأولي العلم لا يشهدون إلا بالحق، ولا يقولون غير الصدق، ومما يبين ما قلنا أنه خص سبحانه أولي العلم بهذه الشهادة؛ لأنهم الذين يعلمون الله على حقيقته، فيلزمهم تبيين ما علموه من ذلك لمن دونهم في طبقة العلم، لأنهم القدوة وبهم الأسوة، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، وإنما خص العلماء بذلك، وإن كان غيرهم يخشى الله سبحانه، لأنهم أعرف به تعالى من غيرهم، فخشيتهم له على قدر معرفتهم به.

2 - وقال بعض العلماء: شهادة الله تعالى بأنه لا إله إلا هو إنما يراد بها: ما بيّن عليه الخلق من الحاجة إليه والسكينة والخضوع له، وكل ضعيف وقوي، وفقير وغني، يدل من الوجه الذي ذكرناه على توحيد الله تعالى.

3 - وقال المؤرّج: أراد تعالى بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 18]، قال الله بلغة قيس عيلان، لأن الشهادة في الأصل هي: قولٌ مخصوص.

وفي هذا القول نظرٌ، لأن في القرآن مواضع ذكرت فيها شهادة الله تعالى، ولا يجوز أن تُحمل على أن المراد بها القول، لأن الكلام يفسد على هذا التأويل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]، فلا يصح أن يقال ههنا: إن المراد بذلك لكن الله يقول بما أنزل، لفساد المعنى.

4 - وقال بعضهم: معنى ذلك: شهد الله عند خلقه بتدبيره العجيب، وصنعه اللطيف، وحكمته البالغة، وقدرته الباسطة: أنه لا إله إلا هو يدبر الأمر ويصرف الخلق، وشهدت الملائكة بذلك عند الرسل بما أبانت لهم من الحجج النيرة والأعلام القاهرة، وشهد أولو العلم بذلك عند سائر الخلق بما أوضحوا لهم من البينات، وأظهروا من الدلائل والأمارات.

5 - وقال بعضهم: معنى شهد الله: قضى الله أنه لا إله إلا هو، ولن يخلو أن يكون قضى ههنا بمعنى: أعلم وبين، أو يكون بمعنى: حكم وألزم، فإن كان بمعنى: أعلم وبين فهو بمعنى: شهد

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا

على ما ذكرناه، وقد جاء في التنزيل قضى بمعنى أعلم، في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوَالَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 66]، وإن كان بمعنى: حكم وألزم فالتقدير: أن الله سبحانه حكم بأن لا إله إلا هو وألزم خلقه أن يعتقدوا ذلك بالدلالات القائمة، والبيانات الواضحة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]: أي ألزم ذلك وحكم به.

ويكون على الوجه الأول رفع الملائكة وأولى العلم بما ارتفع به اسم الله تعالى، وهو أنهم أعلموا من سواهم من الخلق من لم يعلم كعلمهم أنه لا إله إلا الله، ويكون رفع الملائكة وأولى العلم على الوجه الآخر أيضًا على نحو من ذلك المعنى، فكان الملائكة وأولى العلم ألزموا من دونهم من الخلق بما أظهره لهم من واضح الدلائل، وعادل الشواهد، أن يعتقدوا أنه لا إله إلا الله، فالمعنيان متقاربان، والذي ذهب إلى أن معنى شهد ههنا معنى قضى من المتقدمين أبو عبيدة، وهو قول فيه نظر.

6 - وقال بعضهم: إن في ذلك تقديمًا وتأخيرًا، فكأنه سبحانه قال: شهد الله قائمًا بالقسط: أنه لا إله إلا هو، ومعنى ذلك: أنه أعلم الخلق بعدله عليهم وإحسانه إليهم أنه لا إله غيره يفعل ذلك بهم.

7 - وقال قاضي القضاة أبو الحسن: "قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يجب أن يُحمل على ما تعود فائدته على العباد، وهو أنه تعالى أودع خلقه الأدلة على أنه لا إله إلا هو، ولا تحقَّ العبادة إلا له، فمن حيث دلَّ على ذلك، وبيَّنه لجميع ما خلق من الخلق العجيب، بإكمال العقول والتكليف، صار شاهدًا بأنه كذلك، فأما الملائكة فلا يجب أن تكون شهادتها على هذا الوجه؛ لأنها لا يصح أن تكون دالة على حدِّ ما دلَّ تعالى به على نفسه وتوحيده، فالمراد أنه اعترفت بذلك وعلمته وبيَّته للأنبياء عليهم السلام بالتبنيهِ على الأدلة وإلقاء الحجج البيِّنة، وشهادة أولى العلم من الأنبياء والمؤمنين لغيرهم بعد البصيرة والمعرفة، كشهادة الملائكة، وإذا شهد الله تعالى بأن لا إله إلا هو خيرًا، فذلك توكيدٌ منه لما ذكرناه؛ لأن المعرفة بذلك من جهته إنما تقع بالأدلة دون الخبر، وإن كان الخبر يحقِّق ذلك ويوضحه وبيَّنه عليه ويؤكدّه، ويدل على أن المراد ما ذكرناه، أنه تعالى خصَّ أولى العلم بالشهادة بذلك مع الملائكة، ولو كان المراد الإقرار لكان غيرهم بمنزلتهم، وإنما خصَّهم بذلك إذ كانوا لأجل ما أوتوا من العلم يتمكنون من البيان لغيرهم، ولمن ينحط في العلم عن درجتهم. وفي هذا القول أيضًا تبيُّنة من الله تعالى للخلق، وبعث لهم على معرفة التوحيد بالعقل، لتصحَّ الشهادة بأن لا إله إلا الله؛ لأن الشهادة لا تحسن إلا مع المعرفة بما تتضمنه، وإلا كانت قبيحة، كان المؤدي لها لا يؤمن أن يكون كاذبًا فيها، وفيما ذكرناه من ذلك كفاية بتوفيق الله سبحانه.

مِنْ بَدَأَ مَا جَاءَهُمْ أَوْلَمُمْ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهَ اللَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةِينَ ءَأَسَلَمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
 الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ
 بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
 بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ [آل عمران: ١٩ - ٢٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ [آل عمران: 19] المرضي ﴿عند الله الإسلام﴾ أي: الشرع المبعوث
 به الرسل المبني على التوحيد، قرأ الكسائي بفتح «أن»، والباقون بالكسر ﴿وَمَا اخْتَلَفَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بأن وحد بعض وكفر بعض وهم اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغِيًّا﴾ حسد من الكفار ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وحبًا للرئاسة ﴿وَمَنْ
 يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ [آل عمران: 20] خاصموك في الدين ﴿فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهَ
 اللَّهِ﴾ انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجوارحي خص الوجه؛ لأنه أكرم الجوارح ﴿وَمَنْ
 اتَّبَعَنِي﴾ كذلك ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيَّةِينَ﴾ كفار العرب
 ﴿أَسَلَمْتُمْ﴾ أي: أسلموا ﴿فَإِنْ أَسَلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ للحق ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن
 الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ وهذا قبل الأمر
 بالقتال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ﴾ [آل عمران:
 21] قرأ حمزة «ويقاتلون»، والباقون «يقتلون» ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنْ
 النَّاسِ﴾ وهم اليهود جاء أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيًا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم
 فقتلوهم في يومهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وذكر البشارة تهكم بهم.
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ﴾ [آل عمران: 22] بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه من خير
 صدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فلن تقبل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ فلا ثواب لهم بل لهم النار

والماء بطلت لعدم الاعتداد بها لانتفاء شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّمُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَالِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٣ - ٢٧].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [آل عمران: 23] تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا﴾ حظًا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود أوتوا التوراة ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ﴾ الكتاب ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن قبول حكمه نزلت في اليهود زنا منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا.

﴿ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 24] الولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّمُوا﴾ الغرور الطمع فيما لا يحصل منه شيء ﴿فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون من قولهم ذلك.

﴿فَكَيْفَ﴾ [آل عمران: 25] حالهم ﴿إِذَا جُمِعْتَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم وهو يوم القيامة ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب ومن غيرهم ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاء ما عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تظلمون بنقص حسنة ولا زيادة سنة، ونزلت لما وعد النبي ﷺ أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون: هيهات.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ [آل عمران: 26] بالله ﴿مَالِكُ الْمُلْكَ تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ من خلقك ممن أردته له ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ﴾ ياتيانه أو في

الدنيا بالنصر والتوفيق وفي الآخرة بالثواب ﴿وَتُؤَدُّنَّ مِنْ تَشَاءُ﴾ بنزعه أو بالإدبار والخذلان في الدنيا وفي الآخرة بالعذاب ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك ﴿الْخَيْرُ﴾ أي: والشر ذكر الخير وحده تعليماً للأدب في ألفاظهم في خطابه تعالى ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: 27] المعنى تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمسة عشرة ساعة والليل تسع ساعات وتدخل النهار حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما زاد في الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي: يخرج الحي من النطفة وهي ميت والنطفة وهي ميت من الحي ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بلا ضيق ولا تقدير.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُشِرْتُمْ بِمَا يَخْفَىٰ مِنْكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْتَصَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: 28 - 32].

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [آل عمران: 28] أصحاباً وأوداءً يوالونهم ﴿مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: يواليهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من دينه ﴿فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ بفتح التاء وكسر القاف ثم ياء مشددة كما قرأ به يعقوب، والباقون «تقاة» أي: إلا أن تخافوا منهم مخافة فلکم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجري في بلد ليس فيها قوى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ عقابه والمعنى يحذركم أن يغضب عليكم أن واليتموهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع فيجازيكم.

﴿قُلْ﴾ [آل عمران: 29] لهم ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [آل عمران: 30] أي: عملته ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ طاعة ﴿مُخَضَّرًا﴾ أي ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ أي: عملته ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ عصيان ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ غاية شديدة البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ونزل لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبا لله ليقربونا إليه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 32] فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْتَ الَّذِي كَلَّلْتُهَا وَإِنِّي لَهُ لَمُرِيَّةٌ وَإِنِّي أَكِيدُهَا بِالْكُفْرِ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَيْ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: 33 - 37].

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ [آل عمران: 33] اختار ﴿آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما ومنهم محمد ﷺ ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾ موسى وهارون أو المراد إبراهيم وعمران أنفسهما بجعل الأنبياء من نسلهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 34] في التناصر والتعاون أو بعضهم من ولد بعض ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ [آل عمران: 35] أي: اذكر ﴿امْرَأَةً عِمْرَانَ﴾ حنة بالمهمله والنون

وليس عمران هذا أبا موسى ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ عتيقًا خالصًا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وهلك عمران وهي حامل.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ [آل عمران: 36] الضمير لمريم أي: ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلامًا إذ لم يكن يحزر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معتردة ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَا وَضَعْتَ﴾ أي: بالشيء الذي وضعته على قراءة فتح الواو والعين وإسكان الفاء، وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب بإسكان العين وضم التاء على كونه من كلام أم مريم، قالت: تسلية لنفسها لعل الله يحدث فيه خيرًا ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنْثَىٰ﴾ التي وضعت في خدمة الكنيسة؛ لأن الإناث لا تصلح لذلك؛ لأنهن في ضعف وعورة نظرًا لهن الحيض ونحوه ﴿وَلِإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ معناه في لغتهم العابدة ﴿وَلِإِنِّي أُعِيدُهَا﴾ أجبرها ﴿بِكَ﴾ بقوتك ﴿وَوَدَّرَيْتُهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الطريد اللعين ﴿الرَّجِيمِ﴾ المرمي بالشهب وفي الحديث: «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارحًا إلا مريم وابنها»⁽¹⁾.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ [آل عمران: 37] من أمها مكان الذكر ﴿بِقَبُولِ حَسَنٍ﴾ فسلك بها مسالك السعداء ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أمها الأحبار سدنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم، فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا لا حتى نقترع فانطلقوا - وهم تسعة وعشرون - إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها، فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء للكوفيين أي: كفَّلها الله أي: ضمها، والباقون بالتخفيف ﴿زَكْرِيَّا﴾ نصبه أبو بكر والباقون بالرفع وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص زكريا حيث وقع بالقصر من غير همز، والباقون بالمد والهمز ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس أو المسجد ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي﴾ من أين ﴿لَكَ هَذَا قَالَتُ﴾ وهي صغيرة

(1) رواه البخاري (60/15)، ومسلم (417/15).

﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقدير ولا ضيق ولا تبعه.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَأِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَةُ رَبِّكَ آيَةُ الْفَجْرِ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَةُ رَبِّكَ آيَةُ الْفَجْرِ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٢﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَةُ رَبِّكَ آيَةُ الْفَجْرِ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٣﴾

﴿هُنَالِكَ﴾ [آل عمران: 38] أي: لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على أن القادر على إتيان الشيء في غير حينه قادر على إتيان الولد على الكبر فكان أهل بيته انقرضوا في ذلك الوقت ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ في جوف الليل لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً﴾ تقع على الواحد والجمع ﴿طَيِّبَةً﴾ صالحة ﴿إِنَّكَ سَمِيعٌ﴾ مجيب ﴿الدُّعَاءِ﴾

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَأِكَةُ﴾ [آل عمران: 39] المراد جبريل ذكره بلفظ الجمع؛ لأنهم من جنسهم، وقرأ حمزة والكسائي وخلف فناده بألف بعد الدال مماله على أصولهم ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ المسجد ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ قرأ حمزة وابن عامر «إن الله» بكسر الهمزة، والباقون بفتحها وقرأ حمزة والكسائي بفتح ما قبل الياء هنا وفي «بشر» في الكهف وتحفيف الشين وضمها، وكذا حمزة وحده في «بشرهم» في التوبة و«إنا نبشرك» في عباده في الشورى، والباقون بالضم وكسر الشين مشددة ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ والمراد عيسى أي: أنه روح الله سمي كلمة؛ لأنه خلق بكلمة كن ﴿وَسَيِّدًا﴾ في الدين ﴿وَحَضُورًا﴾ لا يأتي النساء مع قدرته على ذلك ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطية ولم يهم بها.

﴿قَالَ رَبِّ أُنَى﴾ [آل عمران: 40] من أين ﴿يَكُونُ لِي غَلَامٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبِيرُ﴾ أي: أدركني الكبر، فبلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَأَمْرَاتِي غَاقِرٌ﴾ لا تلد؛ لأنها بلغت ثمانية وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [آل عمران: 41] علامة أعرف بها الحبل ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ علامتك عليه ﴿أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ بلياليها أي: لا تقدر على كلامهم ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة بنحو يد أو رأس ﴿وَأَذْكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ صلي ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ ما بين الزوال إلى الغروب ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ ما بين صلاة الفجر إلى الضحى أمر بذلك في الأيام الثلاثة.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: 42] أي: جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك ﴿وَوَطَّهَّرَكِ﴾ من الحيض والنفاس ومسيس الرجال ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ في زمنك.

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي﴾ [آل عمران: 43] أطيعي ﴿لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ٤٤ ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ ٤٥ ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ٤٦ ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ ٤٧ ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ٤٨ ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنحَى الْمَوْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنشِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ٤٩ [آل عمران: ٤٤ - ٤٩].

﴿ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 44] المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿الْغَيْبِ﴾ الذي غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ سهامهم في الماء يظهر لهم ﴿أَتَيْهِمْ يَكْفُلُ﴾ يربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها فنفرق ذلك فتخبر به.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: 45] أي: جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أي: ولدا ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾⁽¹⁾ سمي مسيح من كل قدر وريية ما مسح ذا عاهة إلا شفي ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبه إليها إعلاناً بولادتها إياه ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة والرفعة إلى السماء به ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ [آل عمران: 46] هو المكان الذي يوضع فيه الطفل أي: طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ فعلم أنه يبقى إلى الكهولة، أو المراد بكلمهم طفلاً وكهلاً، بكلام الأنبياء بلا تفاوت ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: لم يقل اسمها لأن معنى كلمة معنى ولد، والمسيح لقب لعيسى ومعناه الصديق، قاله إبراهيم النخعي، وهو فيما يقال معرب وأصله الشين وهو مشترك، وقال ابن فارس: والمسيح العرق، والمسيح الصديق، والمسيح الدرهم الأطلس لا نقش فيه والمسح الجماع، يقال مسحها، والأمسح: المكان الأملس، والمسحاء المرأة الرسحاء التي لا إست لها، وبفلان مسح من جمال، والمسائح قسي جياذ، واحدتها مسيحة، واختلف في المسيح ابن مريم مماذا أخذ، فقيل: لأنه مسح الأرض، أي: ذهب فيها فلم يستكن بكن، وروي عن ابن عباس أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، فكأنه سمي مسيحاً لذلك، فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل، وقيل: لأنه ممسوح بدهن البركة، كانت الأنبياء تمسح به، طيب الرائحة، فإذا مسح به علم أنه نبي، وقيل: لأنه كان ممسوح الأخصمين، وقيل: لأن الجمال مسح، أي: أصابه وظهر عليه، وقيل: إنما سمي بذلك لأنه مسح بالطهر من الذنوب، وقال أبو الهيثم: المسيح ضد المسيح، يقال: مسحه الله أي خلقه خلقاً حسناً مباركاً، ومسحه أي خلقه خلقاً ملعوناً قبيحاً، وقال ابن الأعرابي: المسيح الصديق، والمسيح الأعور، وبه سمي الدجال، وقال أبو عبيد: المسيح أصله بالعبرانية مشيحاً بالشين فعرب كما عرب موسى بموسى، وأما الدجال فسمي مسيحاً؛ لأنه ممسوح إحدى العينين، وقد قيل في الدجال مسيح بكسر الميم وشد السين، وبعضهم يقول كذلك بالخاء المنقوطة، وبعضهم يقول مسيح بفتح الميم وبالخاء والتخفيف، والأول أشهر، وعليه الأكثر، سمي به لأنه يسبح في الأرض أي يطوفها ويدخل جميع بلدانها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، فهو فعيل بمعنى فاعل، فالدجال يمسح الأرض محته، وابن مريم يمسحها منحة، وعلى أنه ممسوح العين فعيل بمعنى مفعول.

﴿قَالَتْ رَبِّ أُنَى﴾ [آل عمران: 47] من أين أو كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يتزوج ولا غيره ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ تقديره الأمر كذلك من خلق ولد منك بلا أب ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ [آل عمران: 48] قرأ المديان وعاصم ويعقوب «ويعلمه» بالياء والباقون بالنون ﴿الْكِتَابِ﴾ الخظ ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

﴿وَ﴾ [آل عمران: 49] يجعله ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ والمراد أنه جعله رسولاً في الصبا أو بعد البلوغ فنسخ جبريل في جيب درعها فحملت وسيأتي بقية شأنها في مريم فلما بعث إليهم قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ علامة على صدق ﴿مَنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ﴾ أصور، قرأ المديان بكسر همزته، والباقون بفتحها ﴿لَكُمْ﴾ لأجلكم إظهاراً للمعجزة لتؤمنوا ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فالإحياء منه لا مني فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً، وقرأ أبو جعفر في الموضوعين هنا وفي المائدة بألف بعدها همزة مكسورة على الأفراد وافقه نافع ويعقوب في طائر في الموضوعين، والباقون بياء ساكنة من غير ألف ولا همزة في الأربعة ﴿وَأَبْرِي﴾ أشفي ﴿الْأَكْمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وخصاً لإعيائهما الأطباء، وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفاً بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأَخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته وممن أحياه عازر صديقاً له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم، وسام بن نوح ومات في الحال ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبثون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما غاب عني ولا تشكون فيه فكان يخبر بما أكل وما يؤكل بعد ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالحق وجنتكم.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا جِئَلْ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١ ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ

فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥١﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ
 إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ
 مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ [آل عمران: ٥٠ -
 ٥٥].

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ﴾ [آل عمران: 50] قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا جِلَّ لَكُمْ بَعْضُ
 الَّذِي هَزَمَ عَلَيْكُمْ﴾ في شريعة موسى ﷺ من الشحوم والعمل في السبت وأن يأكلوا من
 السمك ما لا شوكة له، وقيل: أكل الكل فهو معنى بعض ﴿وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ [آل عمران: 51] الذي دعوتكم إليه
 ﴿صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ لا عوج فيه فكذبوه ولم يؤمنوا به.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ [آل عمران: 52] عرف ﴿عِيسَى مِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿الْكُفْرَ﴾ به
 وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أعواني ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى دينه ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾
 جمع حوارى وهم: خاصة الرجل التي يستعين بها فيما ينوبه ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ وكانوا
 اثني عشر، وهم أخصاء عيسى وأول من آمن به وهم مأخوذون من الحور؛ أي: البياض
 الخالص أو سموا به؛ لأنهم كانوا يحورون؛ أي: يقصرون الشباب ﴿أَمَّنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾ يا
 عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ [آل عمران: 53] من الإنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى
 ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك بالوحدانية ولأنبيائك بالرسالة أو هم أمة محمد ﷺ الذين
 هم شهداء على الناس.

﴿وَمَكْرُؤًا﴾ [آل عمران: 54]، أي: الذين أحس عيسى منهم الكفر فأرادوا قتله
 غيلة ﷺ ووكلوا في ذلك ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ بهم أي: جازاهم بمكرهم ومن ذلك أن ألقى
 شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ مكرًا أي:
 أقواهم على الانتقام أو أعلمهم به.

﴿إِذْ﴾ [آل عمران: 55] أي: اذكر إذ ﴿قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ﴾ في آخر

الدنيا ﴿وَرَأَيْتَكَ إِلَىٰ﴾ قبل موتك، والمراد إلى محل يتسبب إلي أكثر من غيره وهو محل الملائكة ﴿وَمُطَهَّرُكَ﴾ منجيك أو مبعذك ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك وهم اليهود يعلنونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ والمراد من آمن به ثم آمن بنبينا ﷺ إذ من لم يؤمن بأحدهما لم يتبعه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ الضمير لعيسى ومن آمن ممن أرسل إليه ومن كفر ﴿فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في أمر النبوة وغيرها⁽¹⁾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ط خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٥٦ - ٦١].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 56] بالقتل

(1) قال سيدي سهل بن عبد الله التستري (455/1): فإنه إذا مات فيتزع عنه لطيف نفس الروح النوري من لطيف نفس الطبع الكثيف الذي به يعقل الأشياء ويرى الرؤيا في الملكوت، وإذا نام نزع عنه لطيف نفس الطبع الكثيف لا لطيف نفس الروح النوري، فيستفيق النائم نفساً لطيفاً، وهو من لطيف نفس الروح الذي إذا زايله لم تكن له حركة، وكان ميتاً. ولنفس طبع الكثيف لطيفة، ولنفس الروح لطيفة، فحياة لطيف نفس الطبع بنور لطيف نفس الروح، وحياة روح لطيف نفس الروح بالذكر، كما قال: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169] أي يرزقون الذكر بما نالوا من لطيف نفس النوري، وحياة الطبع الكثيف بالأكل والشرب والتمتع، فمن لم يحسن الإصلاح بين هذين الضدين، أعني نفس الطبع ونفس الروح حتى يكون عيشهما جميعاً بالذكر والسعي بالذكر، فليس بعارف في الحقيقة. وقال عمر بن واصل: وكان المبرد النحوي يقول: الروح والنفس شيان متصلان لا يقوم أحدهما بدون الآخر. قال: فذكرت ذلك لسهل، فقال: أخطأ، إن الروح يقوم بلطفه في ذاته بغير نفس الطبع الكثيف، ألا ترى أن الله تعالى خاطب الكل من الذر بنفس روح وفهم عقل وفطنة قلب وعلم لطيف بلا حضور طبع كثيف.

والسبي ﴿وَالْأَخْزَةَ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ [آل عمران: 57] بالياء في

رواية حفص ورويس وروي عن روح، والباقون بالنون ﴿أَجُوزَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ لا يشب ﴿الظَّالِمِينَ﴾ فيعاقبهم قيل: إن الله أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها: إن القيامة تجمعنا وكان ذلك في ليلة توافق ليلة القدر عندنا بيت المقدس وعمره ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين وثبت أنه ينزل قبل الساعة ويحكم بشرية نبينا محمد ﷺ ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويكن سبع سنين، وقيل: أربعين سنة.

﴿ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 58] المذكور من شأن عيسى ﷺ وغيره ﴿نَتَلَّوْهُ عَلَيْكَ﴾ يا

محمد ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ العلامات الدالة على النبوة ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم وهو القرآن.

﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى﴾ [آل عمران: 59] شأنه القريب ﷺ ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾⁽¹⁾

كشأنه في خلق كل بلا أب ﴿خَلَقَهُ﴾ أي: آدم أي: قلبه ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ لا من أب ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بشراً ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكان ومعنى ثم الترتيب في الإخبار، فكذلك عيسى

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: دليل على صحة القياس، والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب، والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد، فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب، ولأن أصل خلقتهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طيناً ثم جعله صلصالاً ثم خلقه منه، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال، ثم جعله بشراً من غير أب، ونزلت هذه الآية بسبب وفد نجران حين أنكروا على النبي ﷺ قوله: «إن عيسى عبد الله وكلمته» فقالوا: أرنا عبداً خلق من غير أب، فقال لهم النبي ﷺ: «آدم من كان أبوه أعجبت من عيسى ليس له أب؟ فأدم ﷺ ليس له أب ولا أم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: في عيسى ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ في آدم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]، روي أنه ﷺ لما دعاهم إلى الإسلام قالوا: قد كنا مسلمين قبلك، فقال: «كذبتكم يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولكم اتخذ الله ولداً، وأكلكم الخنزير، وسجودكم للصليب»، فقالوا: من أبو عيسى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَجْعَلُ لُغْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61]، فدعاهم النبي ﷺ فقال بعضهم لبعض: إن فعلتم اضطرم الوادي عليكم ناراً، فقالوا: أما تعرض علينا سوى هذا؟ فقال: «الإسلام أو الجزية أو الحرب» فأقروا بالجزية على ما يأتي.

قال له: كن من غير أب فكان.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [آل عمران: 60] أي: ما تلوناه الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُنْ مِنْ الْمُؤْمَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ [آل عمران: 61] خاصمك ﴿فِيهِ﴾ أي: في عيسى فادعي ألوهيته ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ تنصرع بالدعاء ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ بل نقول اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا محمد ﷺ وقد نجران لذلك لما حاجوه فيه، فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك، فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا؛ فأتوه وقد خرج معه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: «إذا دعوت فأمنوا»؛ فأبوا أن يلاعنوه فصالحوه على الجزية⁽¹⁾، وفي حديث: «أهمم صالحوه على ألفي حلة النصف في صفر والبقية في رجب وثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من أصناف السلاح»⁽²⁾ وعن ابن عباس: «لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا»⁽³⁾، وروى: «لو خرجوا لاحترقوا»⁽⁴⁾.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلِلَّهِ اللَّهُ لَهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَدْوَةٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ هَكَانُمْ هُوَ لَوْلَا حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ

(1) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (275/2).

(2) رواه أبو داود (177/9).

(3) رواه الطبري في «تفسيره» (297/3).

(4) التخريج السابق.

فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿آل عمران: ٦٢ - ٦٦﴾.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [آل عمران: 62]، المذكور ﴿لَهُوَ الْقِصْصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [آل عمران: 63] أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فيجازيهم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 64] اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ هي قوله لا نعبد إلا آخره ﴿سِوَاءِ﴾ أي: مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: فيها بصفة ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ لا عيسى ولا عزير ولا الملائكة ولا الأصنام ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون ونزل لما قال اليهود إبراهيم يهودي ونحن على دينه وقالت النصارى كذلك.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ﴾ [آل عمران: 65] تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ يزعمكم أنه على دينكم ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بزمن طويل وحدثت اليهودية والنصرانية بعد نزولهما فكيف يكون يهوديًا أو نصرانيًا ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم.

﴿هَا﴾ [آل عمران: 66] للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ قرأ أهل المدينة وأبو عمرو «هيه» و«وهيه الله» عن زيد عن يعقوب «هانتهم» بتخفيف الهمزة، وقرأ قبل وورش بهمزة بعد الهاء بوزن ضربتم، والباقون خففوا الهمزة حيث كان وأتوا قبلها بألف ﴿هُؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر موسى وعيسى بزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ وهو دعوى ما ادعيتهم في إبراهيم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَاتَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَاللَّهُ وَرَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَتَّهَلَّ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ

تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّاهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ أَلْحَقَ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ أَلْحَقَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بآخِرِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ [آل عمران: ٦٧ - ٧٢].

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: 67] موحدًا ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾ [آل عمران: 68] أحقهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ﴾ في الحجّة والمعونة والنصر ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه وماتوا على دينه قبل أن ينسخ ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ يعني محمد ﷺ لأنه وافقه في أكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته فهم الذين ينبغي قولهم نحن على دينه ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم ومعينهم وحافظهم ونزل لما دعا اليهود معاذًا وحذيفة وعمار إلى دينهم.

﴿وَدَّتْ﴾ [آل عمران: 69] أرادت وأحبت ﴿طَائِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بني قريظة والنضير وبني قينقاع ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ عن دينكم بالارتداد ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ فيه إخبار بحفظ هذه الأمة، والمراد ما يعودوا الضلال إلا عليهم؛ لأن المؤمنين لا يطيعونهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 70] وهي القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون نبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ﴾ [آل عمران: 71] تخلطون ﴿أَلْحَقَ﴾ وصف محمد ﷺ الذي في التوراة ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تفترونه ﴿وَتَكْفُمُونَ أَلْحَقَ﴾ وصفه ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الحق خلاف قولكم.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 72] المراد كعب بن الأشرف وقوم من اليهود قالوا لقومهم ﴿آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد من القرآن ﴿وَجَهَ النَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَكَفَرُوا بآخِرِهِ لَعَلَّهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم بذلك؛ إذ يقولوا ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولوا علم إلا للعلم ببطلانه، وقالوا أيضًا.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ

مَثَلُ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ *
 وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٧].

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ﴾ [آل عمران: 73] وافق ﴿دينكم﴾ أي: لا تصدقوا وتقرؤا إلا لأهل دينكم ﴿قل﴾ لهم ﴿إنَّ الهدى﴾ وهو الإسلام ﴿هدى الله﴾ وما عداه باطل ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ التقدير قالت اليهود: لا يؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتي أحد مثل ما أُوتيتم من الآيات كفلق البحر ونحوه ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم؛ لأنكم أصح ديناً منهم، وقيل المعنى: قالت اليهود لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتي أحد مثل ما أُوتيتم من العلم أي: لثلاث يؤتي أحد، وقرأ ابن كثير «أن يؤتى» بمد الهمزة على الاستفهام والمعنى عليه أن يؤتي أحد مثل ما أُوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أن لا يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم على الأول أو فمن أين لهم أن يؤمنوا مثلكم معشر المؤمنين ﴿والله واسعٌ عليهم﴾.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ [آل عمران: 74] النبوة أو الإسلام والقرآن ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران: 75] أي: بمال كثير ﴿يؤدِّهِ إِلَيْكَ﴾ ومن المعلوم أمانته منهم عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتين أوقية ذهب فأداها إليه ﴿ومِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ ملحاً في الطلب لا تفارقه فمعنى فارقه أنكرك، ككعب بن الأشرف أودعه قريشي دينار

فجحدته ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عدم الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ إثم و حرج لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه قال تعالى رداً عليهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

﴿بَلَى﴾ [آل عمران: 76] رد لقولهم ليس علينا فيهم سبيل أي: بلى لهم عليكم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله عليه فأمّن بمحمد ﷺ وأداء الأمانة ﴿وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي وعهد الله إليهم في التوراة أو فيمن حلف كاذباً في أو بيع سلعة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 77] يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ في أمر محمد ﷺ وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ الكاذبة في قولهم لنؤمنن به ولننصرنه؛ لأن الرسل أخذت عليهم ذلك فلم يفوا لهم وفي غير ذلك ﴿ثُمَّناً قَلِيلاً﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: لا يرحمهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم بالعذاب المنقطع إلى النعيم بل يخلدهم في النار دل عليه بقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: 78 - 81].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ [آل عمران: 78] أي: من أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ طائفة ككعب بن الأشرف ﴿يَلُودُونَ﴾ يفتلون ﴿أَلْسِنَتَهُمْ﴾ ويعطفونها ﴿بِالْكِتَابِ﴾ عن الحق إلى غيره

بالتغيير والتحريف ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ لتظنوه أي: المحرف ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الذي أنزل الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم لكاذبون ونزل لما قال نصارى نجران إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ.

﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِيُشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [آل عمران: 79] أي: الفهم في الشريعة أو الحكم بين الناس بما أنزل عليه ﴿وَالْتَبَوْهُ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ جمع رباني وهو العالم العامل الذي يربي الناس بعلمه على التدرج⁽¹⁾ ﴿بِمَا كُتِّبْتُمْ﴾ بسب ما كتتم ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة لابن عامر والكوفيين، والباقون بفتح اللام والتاء وتخفيف العين ساكنة ﴿الْكِتَابِ وَبِمَا كُتِّبْتُمْ﴾ وبسبب ما كتتم ﴿تُدْرُسُونَ﴾ أي: تدرسونه فإن فائدته تعملوا.

﴿وَلَا يَأْمُرْكُمْ﴾ [آل عمران: 80] قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب بنصب الرءاء، والباقون بالرفع وأبو عمرو على أصله في الإسكان والاختلاس ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصائبة الملائكة واليهود عزيزاً والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرْكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هو خطاب للمؤمنين مقول على طريقة التعجيب من حال غيرهم أي: لا ينبغي ذلك.

(1) قال البيهقي في «تفسيره»: اختلفوا فيه قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء وقال قتادة: حكماء وعلماء وقال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقهاء معلمين، وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء: علماء حكماء نُصحاء لله في خلقه، قال أبو عبيدة: سمعت رجلاً عالمًا يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العالم بأبناء الأمة ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأحرار، والأحرار: العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس، قال المؤرخ: كونوا ربانيين تدينون لربكم، من الربوية، كان في الأصل رَبِّي فأدخلت الألف للتخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني، وقال المبرد: هم أرباب العلم سُموا به؛ لأنهم يربون العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربّه يربه، واحدها: «ربان» كما قالوا: ريان وعطشان وشبعان وعُريان ثم ضُمّت إليه ياء النسبة كما قالوا: لحيانى ورقباني، وحكي عن علي ﷺ أنه قال: هو الذي يرب علمه، بعمله قال محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة.

﴿وَ﴾ [آل عمران: 81] اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَّا آتَيْنَكُم﴾ قرأ حمزة: بكسر اللام، والباقون بفتحها، وقرأ المدنيان: «آتيناكم» بالنون والألف على الجمع، والباقون بتاء مضمومة بلا ألف ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة ﴿لِتُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلِتَنْتَضِرْنَ﴾ إن أدركتموه، وأمامهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ أَفَرَزْتُمْ﴾ أيها الأنبياء ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَىٰ ذُلِّكُمْ﴾ المشار إليه من التصديق بمحمد ﷺ ونصره ﴿إِضْرِي﴾ عهدي الثقيل ﴿قَالُوا أَفَرَزْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا﴾ هل الخطاب بالشهادة للملائكة أو لمن أخذ عليه العهد أمرهم أن يشهدوا على أنفسهم؟ قولان، الأقرب الثاني ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.

﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران: ٨٢ - ٨٦].

﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ [آل عمران: 82] أعرض، ولم يفعل مقتضى الميثاق ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد وجوده ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن الدين.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ﴾ [آل عمران: 83] يطلبون بالياء من أسفل لحفص والبصريين، والباقون بالخطاب ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كسجود المؤمن ﴿وَكَرْهًا﴾ كسجود ظل الكافر، أو الكره ما كان عند المعاينة ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ قرأ يعقوب وحفص بالغيب، والباقون بالخطاب، ويعقوب على أصله بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿قُلْ﴾ [آل عمران: 84] لهم يا محمد ﴿ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ﴿١٠﴾ أولاده ﴿وَمَا أوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة وغيرها من المعجزات ﴿وَعِيسَى﴾ من الإنجيل وغيره من المعجزات ﴿وَالنَّبِيِّونَ﴾ أي: وبما أوتي النبيون ﴿مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن بالكل ولا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿وَنُحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ متقادون أو مخلصون خير العبادة، ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ [آل عمران: 85] يطلب ويحب ﴿عَمِيرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ما دام عليه فإذا رجع إلى الإسلام قبل ﴿وهو﴾ أي: من ابتغى غير الإسلام ﴿في الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لأنفسهم بالخلود في النار.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾ [آل عمران: 86] لفظه الاستفهام وهو للتوبيخ؛ ومعناه: لا يهدي الله من كانت هذه صفته ما دام كذلك ﴿فَوَمَا كَفَرُوا بِغَدِّ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ أي: وشهادتهم ﴿أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلالات الواضحة على نبوته، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فلا يدخلهم الجنة.

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّالُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٨٧ - ٩٢].

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: 87] حتى الكافر؛ إذ هو يلعن من لا يتبع الحق.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: 88] في اللعنة والعقوبة أو جهنم، المذكور⁽¹⁾

(1) في نسخة: المدلول.

باللعنة عليها ﴿لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون.
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 89] عن ارتدادهم ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ [آل عمران: 90] هل نزلت في اليهود كفروا ببعيسى ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء؟ أو اليهود والنصارى كفروا به ﷺ ثم ازدادوا ذنباً حال كفرهم بإقامتهم عليه إلى الممات؟ أو المراد كل كافر والازدياد بتجدده بنزول الآيات؟ أو الازدياد بقولهم: نترىص بمحمد ريب المنون؟ أقول متقاربة، وأقربها الأول ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لأنهم لا يتوبون أو لأنهم لا يؤمنون إلا حال طلوع الروح، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ عن الحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 91] أي: قدر ملئها أو مثله ﴿ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ في الآخرة لم يقبل أيضاً ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ [آل عمران: 92] الجنة أو الطاعة أو ثواب الطاعة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾ تتصدقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من المال والجاه وغيرهما ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه.

وروي أنها لما نزلت قال أبو طلحة: «إن أحب أموالي إليَّ بئرحاء»⁽¹⁾ وأمره النبي ﷺ أن يجعلها في الأقربين لما علم أنه يريد أن يجعلها في سبيل الله، ونزل لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا يأكل لحم الإبل وألبانها كمن قبله من الأنبياء.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَاتَّوَا بِالْتَّوْرَةِ فَاَتَّوَرَتْهُ فَأَتَتْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ

(1) رواه البخاري (1014/3)، رقم (2607)، ومسلم (693/2)، رقم (998)، وأحمد (141/3)، رقم (12461)، والنسائي في «الكبرى» (311/6)، رقم (11066)، وابن حبان (129/8)، رقم (3340).

صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ
لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ
دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ
اللَّهَ عَنِّي وَعَنْ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى
مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا
عَوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ
تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ آتَوْا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴿آل عمران: ٩٣ - ١٠٠﴾.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا﴾ [آل عمران: 93] حلالاً ﴿لِبنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَائِيلَ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، والذي
حرم على نفسه لحمه الإبل والبياتها، وقيل: الأنعام، وقيل: كان به عرق النساء - بالفتح
والقصر - فنذر أنه إن شفي لا يأكل عرقاً، فحرم ذلك عليهم ﴿قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم ذلك، فلم يأتوا بها خشية الفضيحة.

﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 94] أي: وضوح
الحجة بأن التحريم من جهة يعقوب لا على زمن إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ إذ
لم ينصفوا أو لم يتبعوا الحق.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 95] الحق في هذا الجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي ملة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فيه
تعريض بشرك اليهود، ونزل لما قالوا: قبلتنا قبل قبلكم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 96] في الأرض؛ لأجل العبادة
﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ هل هي مكة أو بكة موضع البيت؟ ومكة كله أو مكة موضع البيت
والمطاف والباقي بكة؟ أقوال، وبناء الملائكة البيت قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى
وبينهما أربعون سنة، وفي حديث: «إنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق

السموات والأرض بيضاء فدحيت الأرض من تحته»⁽¹⁾ وسميت بكة؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة؛ أي: تدقها لقصمها لهم، ومكة بالميم؛ لأنها تمك قواهم أو القوى كما تمك الفصيل ضرع أمه ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير ذا بركة ﴿وَهُدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبله كثير منهم كأمة محمد ﷺ.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [آل عمران: 97] كالحجر والحطيم وزمزم؛ ومن آياته أن الشخص إذا قصد الصيد التجأ إليه فأمّن، وأن الجارحة إذا قصدت خارجه يحتمى منها به ﴿مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: منها مقام إبراهيم؛ والمقام: الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت، فأثر قدماه فيه، وبقي إلى الآن مع تطاول الزمن وتداول الأيدي، ومن الآيات تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا تعلق البيت؛ أي: لا تجلس عليه، قيل: إلا للتداوي ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ أي: البيت ﴿كَانَ آمِنًا﴾ من عذاب الله على الأشهر؛ أي: إن دخله مسلمًا ومات على ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بالزاد والراحلة، فإن عجز استتاب وجوبًا، وتفاصيل ذلك في الفروع ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وعن عبادتهم بأسرهم. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 98] القرآن ﴿والله شهيدٌ علىٰ ما تعملون﴾ أي: مطلع فيجازيكم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ [آل عمران: 99] تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ﴾ دين ﴿اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ أي: الذي آمن وصددهم عنه بكتهم صفة محمد ﷺ، وتكذيبهم له ﴿تَبْعُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل؛ أي: التوراة ﴿عَوَجًا﴾ معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ عالمون أن محمد ﷺ خير الأنبياء والرسل، وأنه يلزمهم اتباعه كما في كتابكم ﴿وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من كُفر وتكذيب، وإنما يؤخر المجازاة للوقت الذي أرادها فيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 100] نزلت؛ لأن شاس بن قيس رأى تآلف الأوس والخزرج فأمر من ذكرهم بوقعة سبقت لهم كان النصر فيها للأوس، فثاروا وهما للقتال، فحضر رسول الله ﷺ وسكن ذلك، فرجعوا واستغفروا وعانقوا بعضهم.

(1) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (30/4).

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۗ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠١ - ١٠٥].

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: 101] استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ ﴾ يتمسك بالله ﴿ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾⁽¹⁾ [آل عمران: 102] هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ولما نزلت شقت على المسلمين فأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: 16] ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ المراد: دوام الإسلام، وضم إليه حسن الظن بالله عند الموت.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 103] دينه ﴿ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين عليه ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ عن الإسلام كتفرقكم في الجاهلية ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ ﴾ إنعام ﴿ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ قبل الإسلام ﴿ فَأَلَّفَ ﴾ جمع ﴿ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾

(1) قال سيدنا أبو عبد الرحمن السلمي: ﴿ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ تلف النفس في مواجهه. وقال القاسم: بذل المجهود، واستعمال الطاعة، وترك الرجوع إلى الراحة، ولا سبيل إليه؛ لأن أوائل طرف الوصول التلف. وقال الواسطي: هو إتلاف النفس في مواجهه. وقال ابن عطاء: ﴿ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ هو صدق قول لا إله إلا الله، وليس في قلبك شيء سواه. وقال بعضهم: إرادته أن يعرفنا مواضع فضله فيما رغمنا فيه من استعمال مواجهه؛ لأن واجب الحق لا يتناهى، والعمل لا يتناهى.

به ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ ليس بينكم وبينها إلا الموت على الكفر ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بالإسلام ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا البيان ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تثبتون.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 104] وهو كل ما أمر الله به ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ خصه بعد ما سبق إشارة إلى فضله، وعلم من الآية أن الأمر بالمعروف وما معه من فروض الكفايات؛ إذ لا يصلح له جاهل، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالبقاء الدائم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 105] عن دينهم ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وهم: اليهود والنصارى ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىٌ وَإِنْ يُعَذِّبْكُمْ يُولُوكُمْ الْآدِبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ [آل عمران: 106 - 111].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106] وذلك يوم القيامة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم: الكفار فيلقون في النار، ويقال لهم توبيخًا: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يوم ﴿الْأَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] أو هم: المنافقون والخوارج وأهل البدع ﴿فَذُوقُوا﴾ أمر إهانة ﴿الْعَذَابِ بِمَا﴾ بسبب ما ﴿كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: 107] وهم: المؤمنون ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ وهي: الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿تِلْكَ﴾ [آل عمران: 108] أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾

أي: متلبسة به ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بلا جرم.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ [آل عمران: 109]

تصير ﴿الْأُمُورُ﴾.

﴿كُنْتُمْ﴾ [آل عمران: 110] يا أمة محمد ﷺ في اللوح المحفوظ أو في علم الله

تعالى أو أنتم ﴿خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ من الكفر، وما هم عليه ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الكافرون.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ [آل عمران: 111] أي: اليهود - يا معشر المسلمين - بشيء

﴿إِلَّا أَذَى﴾ هو استثناء متصل؛ والمراد: إنه لا يصل لنا منهم ضرر إلا الأذى باللسان من سب ووعيد، أو هو منقطع؛ والمعنى: لكن يؤذون أنفسهم بكلمة الكفر بالعذاب في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار، ﴿وَإِنْ يَفَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يَنْضُرُونَ﴾ عليكم بل النصر بكم عليهم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ

بِفَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً

مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ

يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ [آل عمران: 112 - 115].

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ﴾ [آل عمران: 112] الجزية أو الأسر والقتل ﴿أَيْنَ مَا

تُقِفُوا﴾ حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿بِحَبْلِ﴾ بسبب ﴿مِنَ اللَّهِ﴾

وهو: الإيمان به وبنبيه محمد ﷺ وحبل من الناس ببذل جزية أو أمان، قالوا: ﴿و﴾

بمعنى: أو ومنهم من حمل ذكر الله على التبرك ﴿بِحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ ما ذكر ﴿وَبَاءُ

بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴿١١٤﴾ فغالبهم فقير من المال ذليل؛ لفقره من الدين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بآيات الله وَيَثْقُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا ﴿أَي: بسبب عصيانهم﴾ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٥﴾ يتعدون الحدود.

﴿لَيْسُوا﴾ [آل عمران: 113] أي: أهل الكتاب ﴿سَوَاءٌ﴾ متساويين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ بالعدل؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ﴾ ساعات، واحداها: إنِّي ﴿اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ﴾ [آل عمران: 114] بما ذكر ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك فليسوا صالحين.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: 115] تعدموا ثوابه، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بالياء في «تفعلوا» و«تكفروه» على الغيب، والباقون بالخطاب، لكن اختلف عن الدوري عن أبي عمرو ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ فيجازيهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلَادَ مُجِبُّوهُمْ وَلَا يُجِيبُونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْآنَابِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: 116 - 119].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾ [آل عمران: 116] تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ﴿مَثَلُ﴾ [آل عمران: 117] صفة ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الكفار في عداوة محمد ﷺ

أو في الصدقات ونحوها ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَزْثًا﴾ زرع ﴿قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكْتَهُمْ﴾ والريح نياتهم الفاسدة أهلكت أعمالهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضباع نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾⁽¹⁾ [آل عمران: 118] أولياء وأصفياء تطلعونهم على أسراركم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: من غير المسلمين كاليهود والمنافقين ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ خَبْرًا﴾ لا يقصرون في الفساد ﴿وَوَدُّوا﴾ أحبوا ﴿مَا عَشْتُمْ﴾ ما شق عليكم ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَقْوَاهِهِمْ﴾ بالوقية فيكم، وإطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ﴾ مما اطلعت عليه ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هَا﴾ [آل عمران: 119] تنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ كناية المخاطبين ﴿أَوْلَاءُ﴾ أنتم للمشار إليه ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ للقربة ونحوها ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ للمخالفة في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ المراد به: الجنس ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنْ﴾ شدة ﴿الْعَيْظِ﴾ لما يرون من [الحق]⁽²⁾ ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ قلة وذلة؛ لنصر الله الإسلام وأهله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها؛ والمراد القلوب، ومنه ما يضمه هؤلاء.

﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ نَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾⁽¹³⁰⁾

(1) نزلت في رجال من المؤمنين يواصلون رجالاً من يهود للجوار والحلف والرضاع قاله: ابن عباس، وقال أيضاً هو وقتادة والسدي والربيع: نزلت في المنافقين، نهى الله المؤمنين عنهم شبه الصديق الصدق بما يباشر بطن الإنسان من ثوبه، يقال: له بطانة ووليعة، وقوله: من دونكم في موضع الصفة لبطانة، وقدره الزمخشري: من دون أبناء جنسكم، وهم المسلمون، وقيل: يتعلق من بقوله: «لا تتخذوا» وقيل: «من» زائدة، أي: بطانة دونكم، والمعنى: أنهم نهوا أن يتخذوا أصفياء من غير المؤمنين، ودل هذا النهي على المنع من استكتاب أهل الذمة وتصريفهم في البيع والشراء والاستبانة إليهم، وقد عتب عمر أبا موسى على است كتابه ذمياً، وتلا عليه هذه الآية، وقد قيل لعمر في كاتب مجيد من نصارى الحيرة: ألا يكتب عنك؟ فقال: إذن اتخذ بطانة.

(2) بياض في الأصل.

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ إِذْ
 هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٧﴾
 وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٨﴾ إِذْ تَقُولُ
 لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ رِجْلَكُمْ بِرِجْلِكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١١٩﴾
 بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠ - ١٢٥].

﴿إِنْ تَمَسَّسْتُمْ﴾ [آل عمران: 120] تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسْؤُهُمْ﴾
 تحزنهم ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُضِيبُوا﴾ على عداوتهم
 وآذاهم وما أمرتم به ﴿وَتَتَّقُوا﴾ ما حرم عليكم ومنه موالاتهم ﴿لَا يُضْرَبُكُمْ﴾ قرأ ابن
 عامر والكوفيون وأبو جعفر بضم الضاد ورفع الراء مشددة، والباقون بكسر الضاد وجزم
 الراء مخففة ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ لأن الله يحفظكم ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَ﴾ [آل عمران: 121] اذكر يا محمد ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ خرجت ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾
 المراد به هنا: عائشة؛ لأنه خرج من بيتها لذلك، أو المراد: المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل
 ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ﴾ مواطن يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ نزلت في غزوة أحد.
 قال سعد بن معاذ والحصين بن عبد الرحمن وقتادة وغيرهم: كان يوم أحد يوم
 بلاء وتمحيص اختبر الله المؤمنين، ومحص به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه
 وهو مستخفيه بالكفر، ويوم أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته، وكان
 مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية من آل عمران فيها صفة ما كان في يومه
 ذلك، ومعاتبة من عاتب منهم يقول لنبيه: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ وخرج الرسول ﷺ في تلك
 الغزوة بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت
 سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكر عسكره إلى أحد، وسوى
 صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الحبل وقال ﷺ:
 «انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا غلبنا أو نُصرنا»⁽¹⁾.

(1) ذكره البغوي في «تفسيره» (112/2).

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: 122] تجبنا أو تضعفنا، والطائفتان: بنو سلمة وبنو حارثة من الأوس والخزرج، وكانا جناحي العسكر فلما تحول ابن أبي المنافق مع أصحابه بثلت الناس، وقالوا عند ذلك: نقتل أنفسنا أولادنا، وقال لأبي حاتم السلمي القائل له: أشدكم بالله نبيكم وأنفسكم ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْغِنَاكُمْ﴾ [آل عمران: 167] هموا بالانصراف فبثبهما الله ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ معيتهما وناصرهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: 123] موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقله العدد والسلاح ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 124] أي: توعدهم تطميناً ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ ونزلت؛ لأن المسلمين بلغهم ﴿أَنْ﴾ كُرز المحاربي يمد المشركين فشق عليهم أن ﴿يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ قال قتادة: أمدوا أولاً بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، والكل في بدر، وقرأ ابن عامر «منزليين» بالتشديد للتكثير، والباقون بالتخفيف.

﴿بَلَى﴾ [آل عمران: 125] أي: بلى يكفيكم ذلك ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على القتال ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في المخالفة ﴿وَيَأْتُواكُمْ﴾ الكفار ﴿مِنْ فُورِهِمْ﴾ وقتهم ﴿هَذَا﴾ أي: من غضبهم في هذه الساعة أو من ساعتهم ﴿يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم بكسر واو ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ والباقون بفتحها؛ أي: معلمين بعمام بيض أو صفر بعدبات مرخاة بين أكتافهم، وقد صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنَافِلُوهُمُ خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ مَصْرَفًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ [آل عمران: ١٢٦ - ١٣٢].

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 126] أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بالنصر، ﴿وَلتَطْمَئِنَّنَّ﴾ لتسكن ﴿قُلُوبِكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقتلكم ﴿وَمَا التَّضَرُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿لَيَقْطَعَنَّ﴾ [آل عمران: 127] يهلك ﴿طَرَفًا﴾ طائفة ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْتَبْتُهُمْ﴾ يذلهم ويهزمهم ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ بلا نيل طلب.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 128] نزلت لما كسرت ربايعته ﷺ يوم أحد وشج في وجهه، فقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ»⁽¹⁾ وورد أنه أراد أن يدعو عليهم فنزلت لترك ذلك ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على ﴿أَوْ يَكْتَبْتُهُمْ﴾ وقيل: ﴿أَوْ﴾ بمعنى: إلا أن؛ أي: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتسرب به ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتشتفي منهم ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 129] ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه فلا حجر عليه ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: 130] نزلت؛ لأنهم كانوا يزيدون على المدين بعد حلول الأجل بسبب تأخر القضاء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ﴾ [آل عمران: 131] هيئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132].

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْفَيْضِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا قَالُوا

(1) رواه الترمذي في «السنن» (242/11)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فَنَحِشَةٌ أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ
إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَقَمُّ أَجْرُ الْعَامِلِينَ
﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴿آل عمران: 133-138﴾.

﴿وسارِعوا﴾ [آل عمران: 133] عن المدنيان وابن عامر «سارِعوا» بغير واو قبلها، والباقون بالواو، ونزلت؛ لأن المسلمين قالوا لرسول الله: بنو إسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح كفارة ذنبه مكتوبة في عتبه بأنه اجده أنفك اجده أذنك، افعل كذا أو كذا فسكت، فنزل عليه هؤلاء الآيات إلى قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 135] فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلكم»⁽¹⁾ ثم تلا هؤلاء الآيات ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ المراد الأعمال التي يقتضيها ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: كعرض ما ذكر لو وصل بعضه ببعض، فهو بيان لسعتها العظيمة عرضاً فما ظنك بها طولاً؟! ﴿أَعَدَّتْ﴾ هيئت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لله بعمل الطاعات وترك المعاصي.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ [آل عمران: 134] في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ العسر واليسر والشدة والرخاء ﴿وَالكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ يمتلئ أحدهم غيظاً فيرده في جوفه ولا يظهره؛ والمراد: الكف عن إِمضائه ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ عمن ظلمهم بترك العقوبة ﴿وَالله يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [آل عمران: 135] قبيحة خارجة عما أذن الله فيه من الكبائر ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بأي دين كان ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: وعيده ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ يقيموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ بل أقبلوا عنه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قبح ذلك الذنب أو أن ما أتوه معصية.

(1) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (56/4).

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 136] بالطاعة، هذا الأجر ونزل في هزيمة أحد.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ [آل عمران: 137] مضت ﴿مَنْ قَبْلِكُمْ سُنَّ﴾ وقائع في الأمم السالفة من الكفار بامهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ نظر اعتبار ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الرسل؛ أي: آخر أمرهم إذ العاقبة آخر الأمر؛ لتعتبروا بذلك، وتعلموا أن آخر أمرهم للهلاك، فلا تحزنوا لغلبتهم فإننا أمهلناهم لوقتهم.

﴿هَذَا﴾ [آل عمران: 138] القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ رشد ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ عظة واعتبار ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ منهم.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٦) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٧﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٣٨﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٠﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤١﴾ [آل عمران: 139 - 144].

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [آل عمران: 139] تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ لما حصل لكم بأحد ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾⁽¹⁾ الغالبون ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني؛ إذ أي: أنتم

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي: لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بصدق وعدي، وقيل: «إن» بمعنى «إذ»، قال ابن عباس: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد فيبيناهم كذلك؛ إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل، من المشركين، يريد أن يعلو عليهم

الأعلون لإيمانكم.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ [آل عمران: 140] يصيبكم ﴿قَرْحٌ﴾ يوم أحد؛ وهو: الشيء المؤذي، قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: «قُرْح» بضم القاف في الموضعين هنا وكذا في أصابهم القرح، والباقون بالفتح في الثلاثة ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الكفار ﴿قَرْحٌ﴾ يوم بدر ﴿مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نصرها ونجعلها دولا فيوم لهذا ويوم لهذا ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ الأمراء وغيرهم، فللحق دولة وللباطل دولة، وللمؤمنين الدولة على الكفار يوم بدر، وللكفار دولة يوم أحد، وكل ذلك للعة والاعتبار ﴿وَ﴾ كانت الدولة ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهري في الخارج ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: يمت قوما على الشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ﴿الظَّالِمِينَ﴾ والنعم عليهم استدرج.

﴿وَلِيَمَّحَصَّ﴾ [آل عمران: 141] يظهر ﴿اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمَحَقَّ﴾ يهلك ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [آل عمران: 142] تقديره: بل أحسبتم ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، وهو علم الظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ من الذين لم يجاهدوا ﴿وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ منكم في الشدائد ممن لم يصبروا. ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّونَ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران: 143] أي: تودون القتال ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: أسبابه من الحرب ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ بأعينكم ومتأملين الحال

الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر»، فأنزل الله هذه الآيات، وثاب نفر من المسلمين رماه فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزمهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ﴾ يعني: الغالبين على الأعداء بعد أحد، فلم يخرجوا بعد ذلك عسكرا إلا ظفروا في كل عسكر كان في عهد رسول الله ﷺ، وفي كل عسكر كان بعد رسول الله ﷺ وكان فيه واحد من الصحابة كان الظفر لهم، وهذه البلدان كلها إنما افتتحت على عهد أصحاب رسول الله ﷺ، ثم بعد انقراضهم ما افتتحت بلدة على الوجه كما كانوا يفتتحون في ذلك الوقت، وفي هذه الآية بيان فضل هذه الأمة؛ لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبياءه، لأنه قال لموسى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 68] وقال لهذه الأمة: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ﴾ وهذه اللفظة مشتقة من اسمه الأعلى فهو سبحانه العلي، وقال للمؤمنين: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ﴾.

كيف هي فلم انهزمتم؟ ونزلت؛ لأن جمعًا من الصحابة لما فاتهم يوم بدر تمنوا وجود يوم يحضرون فيه القتال لينالوا ما نال شهداء بدر، فلما تمنوا وحضروا وقعة أحد انهزموا.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [آل عمران: 144] مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ نزلت؛ لأن عمر سمع يهوديًا يوم أحد يقول: قُتل محمد، فقال: لا أسمع من يقول ذلك إلا ضربت عنقه، قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه، أو نزلت؛ لأن بعض المنافقين لما أشيع موته ﷺ يومئذ قال: إن كان قُتل فارجعوا لديكم ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ تمثيل معناه في الكلام: ارتددتم كفارًا بعد إيمانكم، فالكافر راجع عما كان عليه كالراجع يمشي إلى خلفه؛ والمعنى: ما كان معبودًا فترجعوا ﴿وَمَنْ يَنْفَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾
 ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ [آل عمران: ١٤٥ - ١٥٠].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 145] بقضائه وعلمه ﴿كِتَابًا﴾ أي: كتب الله ذلك ﴿مُؤَجَّلًا﴾ لوقت لا تقدم فيه ولا تأخر ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ قيل: هو الغنيمة، وقيل: عام هو أقرب ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي: من يعمل لها يعط ثوابها

﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيٍّ﴾ [آل عمران: 146] قرأ ابن كثير وأبو جعفر: «وكائُن» حيث وقع بألف ممدودة بعد الكاف بعدها همزة مكسورة، والباقون بهمزة مفتوحة بعدها ياء مشددة، وسهل الهمزة أبو جعفر، ووقف أبو عمرو بغير النون، وروى الكسائي والباقون بالنون، والتقدير: وكم من نبي؟ ﴿فَاتَّلَ مَعَهُ﴾ قرأ نافع وابن كثير والبصريان: «قُتِلَ مَعَهُ» بضم القاف وكسر التاء من غير ألف، والباقون بفتح القاف وألف بعدها وفتح التاء ﴿رَبِّيُونَ﴾ جموع ﴿كَثِيرٍ﴾ أو ألوف أوقفها علماء أو أتباع كثير ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جبنوا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من جرحهم وقتل أبنائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن جهاد عدوهم ﴿وَمَا اسْتَكَاثَرُوا﴾ ما ذلوا وما خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل: قُتِلَ النَّبِيُّ وَاللَّهُ يُحِبُّ ﴿يُثِيبُ﴾ الثَّابِرِينَ ﴿عَلَى الْبَلَاءِ﴾.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ [آل عمران: 147] أي: ما كان قول المؤمنين عند قتل أنبيائهم مع ثباتهم وصبرهم، أو ما كان قول الأنبياء الذين قتل معهم من ذكر من قومهم المؤمنين ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ هي: الصغائر، ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ وهو: تجاوز الحد أو الكبائر؛ والمراد بذلك: ذنوب أمتهم، على القول بأن الدعاء من الأنبياء وعلى أن المؤمنين دعوا به فذكر ذلك للاعتراف بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمًا لأنفسهم، ﴿وَوَبَّئْتَ أَفْئَادَنَا﴾ على الدين وفي قتال العدو، ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 148] وهو: النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ وهو: ما أعد لهم في الجنة، وحسنة الفضل فوق حسنة الاستحقاق، وإن كان الكل فضلاء ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيثيبهم ثوابًا عظيمًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 149] فيما يأمرونكم به ﴿يَزِدْكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ [آل عمران: 150] ناصركم وحافظكم ومعينكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

﴿سَتَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٥١)

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ
مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ
لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٣﴾ * إِذْ
نُصِبُوتُمْ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي
أَخْرَجَكُمْ فَأَتَيْتُمْكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥١ - ١٥٣].

﴿سُنِّلِي﴾ [آل عمران: 151] ندخل ﴿فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف
نزلت؛ لأن الكفار لما رجعوا من أحد قالوا: قتلتموهم ولم يبق منهم إلا الشريد، ثم
تركتموهم ارجعوا، فأنزل الله في قلوبهم الرعب فرجعوا ولم يرجعوا ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾
بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً؛ وهو: عبادة الأصنام
﴿وَمَا وَاهُمْ النَّارُ وَبُئْسَ مَثْوًى﴾ مقام ﴿الظَّالِمِينَ﴾ النار.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [آل عمران: 152] إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُونَهُمْ﴾
تقتلونهم قتلاً ذريعاً ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بقضائه وإرادته ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جثتم عن القتال،
﴿وَتَنَزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمره ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي، فقال
بعضهم: نذهب فقد نصر أصحابنا، وبعضكم لا يخالف أمر النبي، ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أمره
فتركتكم المركز لطلب الغنيمة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ﴾ الله ﴿مَا تُحِبُّونَ﴾ الغلبة في أول الأمر
يوم أحد، وجواب «إذا» حذف للدلالة ما قبله عليه؛ أي: منعكم نصره ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ
الدُّنْيَا﴾ الغنيمة، فترك المركز، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الشهادة والأجر فثبت به حتى
قتل؛ كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي: بعد أن استوليتهم عليهم
﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليختبركم بذلك فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فلم
يستأصلكم بالهلاك.

والخطاب للرماة الذين خالفوا ما أمروا به، وكانت في ذلك أن النبي ﷺ جعل
على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، ووضعهم موضعاً وقال: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَحْطِفْنَا الطَّيْرُ
فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، فهزموهم، قال: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ

خَلَّاهُمْ وَأَسْوَفُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فقال أصحاب عبد الله: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون، قال عبد الله بن جبير: أفنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: إنا والله لتأتينَّ الناس فلنصيبنَّ من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك الذي يدعوهم رسول الله ﷺ في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثنا عشر رجلاً فأصابوا سبعين من التجار، وكان رسول الله ﷺ أصاب يوم بدر من المشركين أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً و﴿والله ذو فضلٍ عظيمٍ﴾ ﴿على المؤمنين﴾.

اذكر [إذ تُضْعَدُونَ] ﴿آل عمران: 153﴾ ترتفعون في الوادي يوم أحد فراراً ﴿ولاً تلؤون﴾ ﴿ترجعون﴾ ﴿على أحدٍ﴾ ممن معكم ﴿والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ من ورائكم أو آخركم، فيقول لكم: إلي عباد الله ارجعوا عن الانهزام وترادوا للقتال ﴿فَأَنَابَكُمْ﴾ جازاكم ﴿عَمَّا بَعِمَ﴾⁽¹⁾ أي: عمًا على غم؛ الأول: القتل والجرح، والثاني: إرجاف الشيطان بقتل النبي ﷺ، أو عمًا بسبب ما أدخلتم من الغم على المؤمنين بالهزيمة ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: جازاكم ﴿عَمَّا بَعِمَ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ ﴿فلا زائدة، أو المعنى: عفا عنكم لكيلا تحزنوا﴾ ﴿على ما فاتكم﴾ من الغنيمة ﴿ولاً ما أصابكم﴾ من الهزيمة والقتل ﴿والله خيرٌ بما تعملون﴾ فيجازيكم به.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: الغم في اللغة: التغطية، غممت الشيء غمته، ويوم غم ليلة غمة إذا كانا مظلمين، منه غم الهلال إذا لم ير، وغمي الأمر يغمني، قال مجاهد وقتادة وغيرهما: الغم الأول القتل والجرح، والغم الثاني الإرجاف بقتل النبي ﷺ إذ صاح به الشيطان، وقيل: الغم الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والثاني ما أصابهم من القتل والهزيمة، وقيل: الغم الأول الهزيمة، والثاني إشراف أبي وسفيان وخالد عليهم في الجبل، فلما نظر إليهم المسلمون غمهم ذلك، وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم، فعند ذلك قال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلن علينا» كما تقدم، والباء في ﴿بَعِمَ﴾ على هذا بمعنى على، وقيل: هي على بابها، والمعنى أنهم غموا النبي ﷺ بمخالفتهم إياه، فأتابهم بذلك غمهم بمن أصيب منهم، وقال الحسن: ﴿فَأَنَابَكُمْ عَمَّا﴾ يوم أحد ﴿بَعِمَ﴾ يوم بدر للمشركين، وسمي الغم ثوابًا كما سمي جزاء الذنب ذنبًا، وقيل: وقفهم الله على ذنبهم فشغلوا بذلك عما أصابهم.

هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا
يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي
بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي
صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ
الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا
مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ
خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿آل عمران: ١٥٤ - ١٥٧﴾.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: 154] حتى قال
الزبير بن العوام: رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم أحد إلا وهو يميل تحت
جحفته من النعاس، فكانت السيوف تسقط منهم من شدة النعاس ﴿يَغْشَى طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾
هم: المؤمنون، قرأ حمزة والكسائي: «تغشي» بالتاء المثناة فوق، والباقون بالياء من
تحت، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ هم: المنافقون؛ والمعنى: حملتهم أنفسهم على
الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه فلم يناموا ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنًّا غَيْرَ﴾
الظن ﴿الْحَقُّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أي: كظن أهلها، وهو ظن عدم نصره ﷺ أو ظن قتله
﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ليس لنا من الأمر الذي وعدنا به محمد
شيء، أو يقولون: ليس لنا من أمر الخروج شيء إنما خرجنا كارهين، يطيبون بذلك
قلوب الكفار عليهم ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له، قرأ البصريان
«كله» بالرفع والباقون بالنصب ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الكفر والنفاق ﴿مَا لَا
يُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا
هُنَا﴾ والمعنى: لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل، لكن أخرجنا كرهاً، ﴿قُلْ﴾
لهم: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ لخرج ﴿الَّذِينَ

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا ولم ينجمهم قعودهم؛ لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ﴾ المعنى: كتب عليكم القتال ليبتلي ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والتفان ﴿وَلِيُمَخِّصَ﴾ يخرج ويظهر أو يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ والله عليم بذات الصدور ﴿بِمَا فِي الْقُلُوبِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: 155] عن القتال خطاب للمؤمنين ﴿يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانَ﴾ جمع المؤمنين وجمع الكفار في يوم أحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ﴾ طلب زلتهم أو أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: بسبب بعض ما كسبوا من الذنوب، وهو مخالفة أمر النبي ﷺ أو غير ذلك من ذنوبهم.

ونزلت في عثمان ورافع بن المعلّى وخارجة بن زيد والوليد بن عتبة وأبي حذيفة بن عتبة، وسعد بن عثمان وعتبة بن عثمان - أخوين من زريق - ولقد لام بعض الناس السيد عثمان على تخلفه يوم أحد، فقال له: كيف تلومني وقد عفا الله عني؟ وهذا جار في بقية أصحابه ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل على من عصاه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 156] من المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سافروا فيها فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرَىٰ﴾ يعني: غزاة جمع غاز، فقتلوا ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ فهو نهى للمسلمين أن يقولوا مثل قول عبد الله بن أبي ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ﴾ المعنى: لا يكونوا مثلهم ليجعل أو قالوا ﴿ذَلِكَ﴾ ليجعل الله ذلك القول الذي قالوه في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ ندامة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ على ما يفوتهم من الظفر والغنيمة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بالياء من تحت في ﴿تعملون﴾ والباقون بالخطاب.

﴿وَلئن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [آل عمران: 157] من غير قتل فيه قرأ حمزة والكسائي وخلف «متم وميتا وميت» حيث وقع بكسر الميم، وافقهم حفص في غير موضعين هذه السورة، والباقون بالضم ومعهم حفص هنا ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لذنوبكم، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم ﴿خَيْرٌ﴾ على ذلك ﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الذنب، وقرأ حفص عن عاصم «يجمعون» بالياء من أسفل والباقون بتاء الخطاب.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَىٰ اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَ﴾

لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
 وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٨﴾ إِنْ
 يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى
 اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ
 اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَاؤُهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
 اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ [آل عمران: ١٥٨ - ١٦٣].

﴿وَلَنْ مَثْمٌ أَوْ قَتَلْتُمْ﴾ [آل عمران: 158] في الجهاد أو غيره ﴿لِإِلَى اللَّهِ﴾ لا غيره
 ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون بعد البعث من القبور فيجازيكم.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159] أي: فبرحمة من الله ﴿لَنْتَ﴾
 لهم^(١) أي: سهلت أخلاقك وكثر احتمالك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ جافياً سيئاً

(1) متعلق الرحمة المؤمنون، فالمعنى: فبرحمة من الله عليهم لنت لهم، فتكون الرحمة امتن بها عليهم؛ أي: دمتم أخلاقك ولان جانبك لهم بعدما خالفوا أمرك وعصوك في هذه القراءة، وذلك برحمة الله إياهم، وقيل: متعلق الرحمة المخاطب ﷺ أي: برحمة الله إياك جعلك لين الجانب موطأ الأكناف، فرحمتهم ولنت لهم، ولم تؤاخذهم بالعصيان والفرار وإفراذك للأعداء، ويكون ذلك امتناناً على رسول الله ﷺ ويحتمل أن يكون متعلق الرحمة النبي ﷺ بأن جعله على خلق عظيم، وبعثه بتسميم محاسن الأخلاق والمؤمنين، بأن لينه لهم، و«ما» هنا زائدة للتأكيد، وزيادتها بين الباء وعن ومن والكاف، وبين مجروراتها شيء معروف في اللسان، مقرر في علم العربية، وذهب بعض الناس إلى أنها منكرة تامة، ورحمة بدل منها. كأنه قيل: فبشيء أبهم، ثم أبدل على سبيل التوضيح، فقال: رحمة، وكان قائل هذا يفر من الإطلاق عليها أنهار زائدة، وقيل: ما هنا استفهامية، قال الرازي: قال المحققون: دخول اللفظ المهمل الموضع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز، وهنا يجوز أن تكون «ما» استفهامية للتعجب تقديره: فبأي رحمة من الله لنت لهم، وذلك بأن جنابهم لما كانت عظيمة ثم أنه ما أظهر البتة تغليظاً في القول، ولا خشونة في الكلام، علموا أن هذا لا يتأتى إلا بتأييد رباني قبل ذلك انتهى كلامه، وما قاله المحققون: صحيح، لكن زيادة «ما» للتوكيد لا ينكره في أماكنه من له أدنى تعلق بالعربية، فضلاً عن من يتعاطى تفسير كلام الله، وليس ما في هذا المكان مما يتوهمه أحد مهملاً فلا يحتاج ذلك إلى تأويلها بأن يكون استفهاماً للتعجب، ثم إن تقديره ذلك: فبأي رحمة، دليل على أنه جعل ما

الخلق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه ﴿لَا نَفْضُوا﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ تجاوز عن ذنوبهم ومنه ما أحدثوه يوم أحد ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾ أي: سل الله المغفرة ﴿لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ المشاورة: استخراج الرأي وعلمك ما عند غيرك، وأمر ﴿بِهَا﴾ فيما ليس عنده فيه من الله علم، وكان ﴿كثير المشاورة لهم﴾ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء الأمر الذي شاورتهم فيه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 160] يعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ من الناس ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ أي: يترككم من معونته كيوم أحد ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ليشق ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ﴾ [آل عمران: 161] ما ينبغي ﴿لنبي أن يغلب﴾ يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «يغلب» بفتح الياء وضم العين، والباقون بضم وفتح الغين، وسبب نزولها أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال منافق: لعل رسول الله أخذها، ﴿وَمَنْ يَغْلِبْ﴾ يخن في شيء من الغنيمة ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملاً له على ظهره أو عنقه ﴿ثُمَّ تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يظلمون﴾ لا ينقص لهم أجر، ولا يزداد عليهم عذاب⁽¹⁾.

مضافة للرحمة، وما ذهب إليه خطأ من وجهين: أحدهما: أنه لا تضاف «ما» الاستفهامية، ولا أسماء الاستفهام غير أي بلا خلاف، وكم على مذهب أبي إسحاق، والثاني: إذا لم تصح الإضافة فيكون إعرابه بدلاً، وإذا كان بدلاً من اسم الاستفهام فلا بد من إعادة همزة الاستفهام في البدل، وهذا الرجل لحظ المعنى ولم يلتفت إلى ما تقرر في علم النحو من أحكام الألفاظ، وكان يغنيه عن هذا الارتباك والتسلسل إلى ما لا يحسنه والتسور عليه، قول الزجاج في ما هذه؟ إنها صلة فيها معنى التوكيد بإجماع النحويين.

(1) للآية تفسيران: الأول أزلنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا بتصفية الطباع وإسقاط الوسواس ومنعه من أن يرد على القلوب، فإن الشيطان مشغول بالعذاب، فلا يتفرغ لإلقاء الوسواس فلم يكن بينهم إلا التوادد والتعاطف. عن علي كرم الله وجهه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم. الثاني: أن درجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص، فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى إن صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا في مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرئ بعض أهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضاً وليس هذا ببديع ولا بعيد من حال أهل الجنة، فإن أولياء الله تعالى في دار الدنيا

﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ﴾ [آل عمران: 162] رجع ﴿بَسْخَطٍ﴾ غضب ﴿مَنْ اللَّهِ﴾ والمراد به: إنكار استوائهم ﴿وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع جهنم أو مصيره.

﴿هُم دَرَجَاتٌ﴾ [آل عمران: 163] أي: الطائعون لهم درجات، والعصاة لهم دركات فافتى بذكر الأول عن ذكرهم، أو المعنى: هم أصحاب درجات ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَغْمَلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مَّصِيبَةً قَدِ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّا هَذَا قَوْلَ هُوَ مِن عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤ - ١٦٧].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164] لا أعجمياً ولا ملكاً ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من النقائص، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن﴾ أي: أنهم ﴿كَانُوا مِن قَبْلُ﴾، أي: قبل الرسالة لهم ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ بعد عن الحق ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهر.

﴿أَوْلَمَّا﴾ [آل عمران: 165] الألف للاستفهام الإنكاري، والواو للعطف

أيضاً بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته، وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه إلى زوجة لغيره أحسن من زوجته ولا إلى لا مشتتهى ألد مما رزقه الله، وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لأمر رب الأرض والسماء، فيموتون كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة أولئك الكرام.

﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ المراد: القتل يوم أحد؛ إذ قتل من الصحابة سبعون؛ من المهاجرين أربعة والبقية من الأنصار، وكانوا يوم بدر أصابوا مثليها لقتلهم سبعين وأسرهم مثلهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين ﴿أَتَى هَذَا﴾ من أين لنا الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟! ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بسبب مخالفة الرماة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: 166] في يوم أحد ﴿فِيَا ذُنِ اللَّهِ﴾ قضائه وإرادته وعلمه، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [آل عمران: 167] ﴿وَالَّذِينَ﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن القتال؛ وهم: عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ إن لم تقاتلوا بكثرة السواد ﴿قَالُوا﴾ تهكمًا أو جوابًا بالظاهر مع إخفاء الكفر ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾ أي: أنكم تقاتلونهم أو نحسن قتالاً ﴿لَاتَّبِعْنَاكُمْ﴾ في سيركم وقاتلنا معكم ﴿هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمٌ﴾ أي: يومئذ أظهروا ذلك ﴿أَقْرَبَ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بسبب ما أظهروا من خذلانهم المؤمنين، وكانوا قبل ذلك أقرب للإيمان ظاهرًا ﴿يَقُولُونَ﴾ بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴿أي: فلو علموا قتالاً لم يتبعوكم﴾ والله أعلم بما يكتُمون ﴿من النفاق﴾.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٧٢﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٨ -

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [آل عمران: 168] في الدين ﴿و﴾ قد ﴿فَعَدُوا﴾، ولم يقاتلوا ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أحد أو إخواننا في نهينا لهم عن الخروج ففعدوا ﴿مَا قُتِلُوا﴾ قرأ هاشم «قتلوا» هنا بالتحديد، والباقون بالتحفيف ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَاذْرُوا﴾ ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذه الدعوى، وهم لا يقدرُونَ على دفعه فهم كاذبون.

ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ [آل عمران: 169] ولا تظنن، وقرأ: «يحسبن» هشام باختلاف عنه، يحسبن بالياء للغائب؛ أي: لا يحسبن حاسب ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ قرأ بتشديد التاء هنا ابن عامر، وفي الحج: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ [الحج: 58] والباقون بالتحفيف ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ وصح أن الشهيد لا يُبلى وإنه يأكل ويتنعم وإنه لا يسئل في قبره.

وروي في حديث: «إن أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت»⁽¹⁾ والمراد بذلك: من قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى وقتل في القتال بسببه.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: 170] ﴿و﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يموتوا من إخوانهم المؤمنين ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ممن تأخر موته عن موتهم ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: مستبشرون بألا خوف عليهم؛ أي: على الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ﴾ [آل عمران: 171] ثواب ﴿مَنْ اللَّهُ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: ويستبشرون بأن الله ﴿لَا يُضِيعُ﴾ يذهب ﴿أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل يأجرهم، وقرأ الكسائي «وإن» بكسر الهمزة، والباقون بالفتح.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 172] أجابوا ﴿وَالرَّسُولِ﴾ دعائه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود، وتواعدوا مع النبي بسوق بدر العام المقبل من يوم أحد، والمستجيبون: أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وسعد، وطلحة، وابن عوف، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو عبيدة بن الجراح،

(1) رواه البخاري (1035/3).

وجابر بن عبد الله في سبعين رجلاً ﴿مَنْ بَعْدَ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ نالهم الجرح بأحد، وهنا تم الكلام ثم استأنف فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَاتَّقُوا﴾ مخالفته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ عند الله بالجنة والخلود فيها مع رضوانه.

وقيل: نزلت؛ لأن المشركين رجعوا إلى قصد، فقال المسلمون بعد انصرافهم من أحد: إلى حمراء الأسد، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه فأجابوه فخرج بهم إلى حمراء الأسد يوم الأحد ثاني يوم أحد؛ وهي على ثمانية أميال من المدينة.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: 173] القائل: نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ أي: لقتالكم، وهل وقع ذلك في غزوة بدر الصغرى أو في غزوة أحد؟ قولان: الثاني لابن عباس وقتادة وهو أقرب لانتظام الكلام في قصة أحد، ومن قال: إنها في بدر، قال: خرج المسلمون لقتالهم فلم يلقوهم لما ألقى في قلوب الكفار من الرعب، وكان مع الصحابة تجاراً فباعوا وربحوا ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ خافوهم ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقاً ويقيناً وقوة ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ أي: كافينا الله أمرهم ﴿وَنَعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الموكل إليه الأمور.

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ وَفَضَّلِ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ رِجَالِهِ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
 ﴿١٧٣﴾ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
 ﴿١٧٤﴾ ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْبًا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
 ﴿١٧٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
 ﴿١٧٦﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾
 ﴿١٧٧﴾ ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَوَقَّعُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
 ﴿١٧٨﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
 ﴿آل عمران: ١٧٤ - ١٨٠﴾.

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ [آل عمران: 174] انصرفوا ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو: عدم بقاء العدو

﴿وَفَضَّلَ﴾ بمغفرته وثواب إجابة الرسول أو ربح وتجارة إن كانت ليدر ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته ورسوله ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمْ﴾ [آل عمران: 175] أي: القائل لكم: «إن الناس... إلى آخره» ﴿الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ﴾ الناس ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ يخوف المؤمن من الكافر ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ﴾ في ترك أمري ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

﴿وَلَا يَخْزِنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران: 176] يقعون فيه سريعًا بنصرته؛ وهم أهل مكة، وقيل: هم المنافقون، وقيل: من ارتد عن الإسلام؛ والمعنى: لا تهتم بكفرهم.

قرأ نافع: «يُحْزِنُكَ» بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك يحزنهم ويحزني وليحزن الذين آمنوا كيف وقع في القرآن، إلا قوله في الأنبياء: ﴿لَا يَخْزِنُهُمُ الْفِرْعَ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 103] فأبو جعفر عكس نافع فيه بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي في الجميع ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفعلهم وإنما يضررون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيبًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة فلذلك خذلهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بالخلود في النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا﴾ [آل عمران: 177] استبدلوا ﴿الْكَفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ فكفروا، ولم يؤمنوا ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ﴾ [آل عمران: 178] قرأ حمزة هنا: ولا تحسبن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ﴾ [آل عمران: 180] بالخطاب، والباقون بالغيب ﴿أَنَّمَا نُفْلِي لَهُمْ﴾ أي: نمهلهم في الحياة الدنيا ﴿خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُفْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ بسبب إمهالهم لكثرة معاصيهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالخلود في النار.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ [آل عمران: 179] ليرك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها الناس من اختلاط الصادق بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ يفصل، قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب: «يميزهن»، وفي الأنفال بضم الياء الأولى وتشديد الأخرى وكسرها، والباقون بالفتح والتخفيف ساكنة ﴿الْحَيِّثُ﴾ وهو الكافر والمنافق ﴿مَنْ الطَّيِّبُ﴾ وهو المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك ففعل ذلك يوم أحد، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ﴾ أيها

القائلون: إن كان محمد نبياً فيخبرنا عن الذي يموت مؤمناً والذي يموت كافراً ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ من ذلك، أو المراد: ما كان ليطلعمكم فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يصطفي ويختار ﴿مَنْ رُسُلِهِ مِنْ يَشَاءُ﴾ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ودعوا هذا التعتت، ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بالخلود في الجنة ورضوان الله.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا﴾ [آل عمران: 180] بركة، ما ﴿آتَاهُمْ﴾ رزقهم ﴿اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ للوعيد المذكور في قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ﴾ أي: بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كما في السنة من أن من لم يؤد بعيراً مثلاً من الزكاة جاء يحمل البعير على عنقه، وقيل: يحمل في عنقه حية تنهشه، كما ورد في حديث: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالكل آيل إليه في الدنيا بعد فناء الخلق وفي الآخرة أيضاً ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان بالغيب، والباقون بالخطاب.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكَ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَىٰ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِجَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨١ - ١٨٥].

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَا﴾ [آل عمران: 181] قائل ذلك فنحاص اليهودي لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الحديد: 11] فقال: لو كان غنيا ما استقرضنا فهو فقير، فسمعه الصديق وكان دعاه للإسلام فأبى

محتجاً بما قاله، فحينئذ ضربه الصديق على وجهه ضربة شديدة فجاء فشكاه للنبي ﷺ وأنكر أنه قال ذلك، فنزلت الآية تصديقاً لأبي بكر ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في صحائف أعمالهم، قرأ بالياء من تحت مضمومة وفتح التاء من فوق ورفع لام «قتلهم» حمزة، «ويقول» بالياء من تحت، والباقون بالنون وضم التاء وفتح اللام والنون، ونكتب أو يكتب ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ أي: يقول لهم الله ذلك على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: المحرق من عذاب النار.

ويقال لهم إذا القوا فيها: ﴿ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 182] العذاب ﴿بِمَا﴾ بسبب ما ﴿قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ ما فعلتم من الذنوب في الدنيا وعبر بهما عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما ﴿و﴾ بسبب ﴿أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ بذي ظلم ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ [آل عمران: 183] لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أي: أمر وأوصى في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ﴾⁽¹⁾ هو: كل ما يتقرب به العبد إلى الله ﷻ والمراد به هنا ما ﴿تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ لأنه المعهود في زمن بني إسرائيل فالمقبول تأكله نار بيضاء؛ أي: تحرقه، وغيره يبقى مكانه وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء؛ والمعنى: لا تؤمن لك حتى تأتينا بذلك ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ توبيخاً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ من القربان كزكريا ويحيى - صلى الله عليهما وسلم - فقتلتموهن، والخطاب لمن في زمن نبينا وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ادعائكم الإيمان عند الإتيان به.

﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [آل عمران: 184]

(1) قال الكعبي: نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهودا، وزيد بن مانوه، وفتحاص بن عازوراء، وحبي بن أخطب، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولاً، وأنزل عليك كتاباً، وأن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا تؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقتك وظاهر هذا القول أنه عهد إليهم في التوراة، فقيل: كان هذا في التوراة، ولكن كان تمام الكلام حتى يأتيتكم المسيح ومحمد، فإذا أتياكم فآمنوا بهما من غير قربان، وقيل: كان أمر القرايين ثابتاً، إلى أن نسخت على لسان المسيح، وقيل: ذكرهم هذا العهد هو من كذبهم على الله تعالى، وافترائهم عليه وعلى أنبيائه.

الحجج الواضحة ﴿وَالزُّبُرُ﴾ جمع: زبور؛ وهو الكتاب قرأ ابن عامر: «وبالزبور» بزيادة، والباقون بدونها ﴿وَالكِتَابُ﴾ قرأ هشام أيضاً بالباء، والباقون بدونها ﴿الْمُنِيرِ﴾ الواضح وهو التوراة والإنجيل؛ والمعنى: فاصبر كما صبروا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ [آل عمران: 185] التي هي جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ أزيل وبعد ﴿عَنِ النَّارِ﴾ فنجأ ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ فَقَدْ فَازَ ﴿ظَفَرَ﴾، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الباطل يتمتع فيها به يسير ويزول.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَكُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَمَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦ - ١٩٠].

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [آل عمران: 186] لتختبرن ﴿في أموالكم﴾ بما فرض فيها وما يصيبها من جائحة ﴿وأنفسكم﴾ بما تعبدتم به وما تلاقون من البلاء ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ وهم: اليهود والنصارى ﴿ومن الذين أشركوا﴾ هم كفار العرب ﴿أذى كثيراً﴾ من السب والظعن والتشيب بنسائكم، ﴿وإن تضربوا﴾ على ذلك ﴿وتتقوا﴾ ما نهيتم عنه مع فعل ما أمرتم به ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾ رشدتها وصلاحها؛ أي: من مفرداتها التي يعزم عليها لوجوبها.

﴿و﴾ اذكر ﴿إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ [آل عمران: 187] من اليهود والنصارى؛ أي: العهد عليهم في كتبهم ﴿لتبيننه﴾ أي: الكتاب ﴿للناس﴾

يظهرون ما فيه لهم، ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ عنهم، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر «ليبينته ولا يكتمونته» بالغيب فيهما مراعاة لما قبله، والباقون بتاء الخطاب ﴿فَبَدُّوهُ﴾ طرحوا الميثاق أو ألقوه ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ هي كناية عن الإعراض عنه فلم يعملوا به، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ أخذوا بدله من السفلة ﴿ثُمَّنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراهم هذا.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ [آل عمران: 188] من إضلال الناس، قرأ الكوفيون ويعقوب «تحسبن» بالخطاب والباقون بالغيب، ﴿وَيَحِبُّونَ أَنْ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من الخير منه التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء من تحت وضم الباء، والباقون بتاء الخطاب وفتح الياء ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ منجى؛ أي: مكان ينجون فيه ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة بل لهم مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها، نزلت في المنافقين يفرحون باعتذارهم الباطل لمحمد ﷺ ويحبون أن يحمداوا عليه، أو في أحبار اليهود يفرحون باجتماعهم على الكفر ومحبتهم أن يقال لهم: علماء وليسوا بعلماء، أو في قوم من اليهود سألهم النبي ﷺ شيئاً وكنموه وفرحوا بذلك وأحبوا الحمد عليه، أو في أهل خيبر كذبوا لما قالوا للنبي ﷺ: نحن على ما أنت عليه وفرحوا بذلك وأحبوا الحمد عليه، أقوال رابعها لابن عباس وأولها لأبي سعيد الخدري.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 189] خزائن المطر والرزق والنبات وغير ذلك، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فينجي المؤمنين ويعذب الكافرين. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190] وما فيهما من العجائب ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في المقادير والساعات والمجيء والذهاب والضياء والظلمة والحر والبرد ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات واضحة على عظم قدرة الله ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٣١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١٣٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَعَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّتِ بَحْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴿آل عمران: ١٩١ - ١٩٥﴾.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191] مضطجعين؛ أي: في سائر أحوالهم، وقيل: يصلون كذلك بحسب الطاقة، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا﴾ أي: يا ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بِاطِلًا﴾ عبثاً أي: بل دليلاً على قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فَقِنَا﴾ أي: خل بيننا واصرف عنا ﴿عَذَابِ النَّارِ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ [آل عمران: 192] أذلته، وهذا في حق من لا يخلد ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ شفعاء يمنعونهم من عذاب النار. ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: 193] أي: نادى منادٍ، وهل هو القرآن أو النبي ﷺ؟ قولان متقاربان ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ إليه ﴿أَنْ آمَنُوا﴾ بأن آمنوا ﴿يَرْبِكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ أي: أقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ [آل عمران: 194] أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ السنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من فضلك ورحمتك، سألوه مع علمهم إن الله لا يخلف وعده تذلاً لله واستكانه له، ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الموعد بالبعث والجزاء.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ [آل عمران: 195] أي: بسبب أني ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ فالكل سواء فيما يتعلق بالمقابلة على الأعمال، وإن فضل في بعض الأحوال الرجال ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ﴾ كائن ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: الذكور من الإناث، وبالعكس، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا﴾

في سبيلي ﴿أي: في دين الإسلام بالجهد ونحوه﴾ وَقَاتِلُوا ﴿الكفار﴾ وَقُتِلُوا ﴿قرأ حمزة والكسائي وخلف: وقتلوا وقاتلوا، بتقديم قتلوا، وكذلك في «التوبة»: ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: 111] بتقديم الفعل المجهول فيهما والباقون بتأخيره، قرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد التاء من «قتلوا» هنا.

وفي «الأنعام»: ﴿قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا﴾ [الأنعام: 140] والباقون بالتخفيف ﴿لَا كُفْرًا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: أسترها بالمغفرة، ﴿وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الجزء، ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد.

﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٣٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٣٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآزِرِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعِبَادَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٣٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: 146 - 200].

﴿لَا يَغْرَنَكَ﴾ [آل عمران: 196] رواه رويس بتخفيف النون وسكونها، وكذلك «يحطمنكم» في النمل، و«يستخفنك» في الروم، فإما تذهبن بك أو «نرينك»، وكذا «ينزغنك» في الأعراف، كما رواه أبو حاتم عن يعقوب وانفرد أبو العلاء بتخفيف ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ والباقون بشدها ﴿تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ في الأرض واكتسابهم فيها ونحو ذلك.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران: 197] أي: هو بلغة قليلة فانية ومتعة زائلة، يتمتعون به في الدنيا ويذهب ﴿ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي. ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾ [آل عمران: 198] جزاء وثواباً؛ وهو ما يعد للضيف ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآزِرِينَ﴾ من الدنيا وما فيها.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 199] نزلت في النجاشي أو عبد الله بن سلام وصحبه، قولان ﴿وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ﴾ وهو: القرآن ﴿وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِمْ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿خَاشِعِينَ﴾ متواضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت محمد ﷺ ﴿ثُمَّ نَأْتِيهِمْ﴾ من الدنيا بأن يكتموا خوفًا على الرئاسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفة ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه مرتين كما في القصص ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ [آل عمران: 200] على الدين ﴿وَاصْبِرُوا﴾⁽¹⁾ العدو من الكفار فلا يكونوا أشد صبرًا منكم ﴿وَرَابِطُوا﴾ داوموا وأثبتوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ بالنجاة من النار وتفوزون بالجنة.

(1) قال البغوي في «تفسيره»: قال الحسن: اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا رخاء، وقال قتادة: اصبروا على طاعة الله، وقال الضحاك ومقاتل بن سليمان: على أمر الله، وقال مقاتل بن حيان: على أداء وانقض الله تعالى، وقال زيد بن أسلم: على الجهاد، وقال الكلبي: على البلاء، و«صابروا» يعني: الكناز، وربطوا يعني: المشركين، قال أبو عبيدة، أي داوموا واثبتوا، والربط الشد، وأصل الرباط أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم، ثم قيل: لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه، وإن لم يكن له مرتب، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، نا أحمد بن عبد الله النعمي، نا أحمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا عبد الله بن منير، سمع أبا النصر، نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها» أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوزبدي، أنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني عبد الرحمن بن شريح، عن عبد الكريم بن الحارث، عن أبي عبيدة بن عقبة، عن شرحبيل بن السيمط عن سلمان الخير أن رسول الله ﷺ قال: «من رباط يومًا وليلة في سبيل الله كان له أجر صيام شهر مقيم، ومن مات رباطًا جرى له مثل ذلك الأجر، وأجري عليه من الرزق، وأمن من الفتان» وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يربط فيه، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، نا زاهر بن أحمد الفقيه، نا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، نا أبو مصعب، عن مالك، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط».

سورة النساء (1)

مدنية وهي مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْوَلِيَّةَ بِالطَّبِيبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَثِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ نِسَاءٍ مِثْلِيٍّ وَزِينَتٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَبُ

(1) الجمهور على أن هذه السورة مدنية إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، وقال النحاس: مكية، وقال النقاش: نزلت عند الهجرة من مكة إلى المدينة. انتهى. ولا خلاف أن فيها ما نزل بالمدينة. وفي البخاري: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين أولي الألباب، ونبه تعالى بقوله: ﴿أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ على المجازاة، وأخبر أن بعضهم من بعض في أصل التوالد، نبه تعالى في أول هذه السورة على إيجاد الأصل، وتفزع العالم الإنساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف، ولينبه بذلك على أن أصل الجنس الإنساني كان عابداً لله مفرداً بالتوحيد والتقوى، طائفاً له، فكَذلك ينبغي أن تكون فروعها التي نشأت منه، فتأدى تعالى: دعاء عاماً للناس، وأمرهم بالتقوى التي هي ملك الأمر، وجعل سبباً للتقوى تذكاره تعالى إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة، ومن كان قادراً على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع وإعدام هذه الأشكال والنفع والضرب فهو جدير بأن يتقوى، ونبه بقوله: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ على ما هو مركز في الطباع من ميل بعض الأجناس إلى بعض، وألف له دون غيره؛ ليتألف بذلك عباده على تقواه، والظاهر في الناس: العموم؛ لأن الألف واللام فيه تفيده، وللأمر بالتقوى وللعلة؛ إذ ليسا مخصوصين بل هما عامان، وقيل: المراد بالناس أهل مكة، كان صاحب هذا القول ينظر إلى قوله: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ لأن العرب هم الذين يتساءلون بذلك.

أَلَا تَعُولُوا ﴿٢﴾ وَآثَرُوا النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ مَقَرٍّ مِمَّنْ تَقَسَّ فِكْلُوهُمْ هَيْسًا مَرِيئًا ﴿١﴾ وَلَا تُوْثُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْفُوعًا ﴿٥﴾ [النساء: ١ - ٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: 1] أي: عقابه بطاعته ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء - بالمد - من ضلعه الأيسر ﴿وَبَثَّ﴾ نشر وفرق ﴿مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قرأ الكوفيون: «تسألون به» بالتخفيف والباقون بالتشديد، وهل المعنى: تعاطفون أو تعاهدون أو تخلفون أو تتناشدون به؟ أقوال متقاربة ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قرأ حمزة بالخفض؛ أي: وبالأرحام، والباقون بالنصب؛ أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظًا لأعمالكم فيجازيكم؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه.

﴿وَأْتُوا الْيَتَامَى﴾ [النساء: 2] الصغار الذين لا أب لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيِّثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أي: لا تأخذوا الحرام الذي هو الخبيث وتدفعوا مكانه الحلال الذي هو طيب ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم ﴿إِنَّهُ﴾ أي: المذكور في الآية من التمدد والضم ﴿كَانَ حُوبًا﴾ إثما ﴿كَبِيرًا﴾⁽¹⁾ عظيمًا، فتخرجوا من

(1) قال القرطبي في تفسيره: قال الله ﷻ: ﴿وَأْتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيِّثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ فيه خمس مسائل: الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ وأراد باليتامى الذين كانوا أيتامًا، كقوله: ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ ولا سحر مع السجود، فكذلك لا يتم مع البلوغ، وكان يقال للنبي ﷺ: «يتيم أبي طالب» استصحابًا لما كان، ﴿وَأْتُوا﴾ أي: أعطوا، والإيتاء الإعطاء، ولفلان أتوا، أي: عطاء، أبو زيد: أتوت الرجل آتوه إتاوة، وهي الرشوة، واليتيم من لم يبلغ الحلم، وقد تقدم في البقرة مستوفى، وهذه الآية خطاب للأولياء والأوصياء، نزلت في قول مقاتل الكلبي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه، فنزلت، فقال العم: نعوذ بالله من الحوب الكبير! ورد المال، فقال النبي ﷺ: «من يوق شح نفسه ورجع به هكذا فإنه يحل داره» يعني جنته، فلما قبض الفتى المال أنفقه في سبيل الله، فقال ﷺ: «ثبت الأجر وبقي الوزر»، فقيل: كيف يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده» لأنه كان مشركًا.

الثانية: وإيتاء اليتامى أموالهم يكون بوجهين: أحدهما: إجراء الطعام والكسوة ما دامت الولاية؛

إذ لا يمكن إلا ذلك لمن لا يستحق الأخذ الكلي والاستبداد كالصغير والسفيه الكبير، الثاني: الابتاء بالتمكن وإسلام المال إليه، وذلك عند الابتلاء والإرشاد، وتكون تسميته مجازًا، المعنى: الذي كان يتيماً، وهو استصحاب الاسم، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ أي: الذين كانوا سحرة، وكان يقال للنبي ﷺ: «يتيم أبي طالب»، فإذا تحقق الولي رشده حرم عليه إمساك ماله عنه وكان عاصياً، وقال أبو حنيفة: إذا بلغ خمسا وعشرين سنة أعطي ماله كله على كل حال؛ لأنه يصير جذا، قلت: لما لم يذكر الله تعالى في هذه الآية إناس الرشد وذكره في قوله تعالى: ﴿وَاتَّاتُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ قال أبو بكر الرازي الحنفي في أحكام القرآن: لما لم يقيد الرشد في موضع وقيد في موضع وجب استعمالهما، فأقول: إذا بلغ خمسا وعشرين سنة وهو سفيه لم يؤنس منه الرشد، وجب دفع المال إليه، وإن كان دون ذلك لم يجب، عملاً بالآيتين، وقال أبو حنيفة: لما بلغ رشده صار يصلح أن يكون جذاً فإذا صار يصلح أن يكون جذاً فكيف يصح إعطاؤه المال بعله اليتيم وباسم اليتيم؟ وهل ذلك إلا في غاية البعد؟ قال ابن العربي: وهذا باطل لا وجه له، لا سيما على أصله الذي يرى المقدرات لا تثبت قياساً وإنما تؤخذ من جهة النص، وليس في هذه المسألة، وسيأتي ما للعلماء في الحجر إن شاء الله تعالى.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أي: لا تبدلو الشاة السميئة من مال اليتيم بالهزيلة، ولا الدرهم الطيب بالزيف، وكانوا في الجاهلية لعدم الدين لا يتحرجون عن أموال اليتامى، فكانوا يأخذون الطيب والجيد من أموال اليتامى ويبدلونه بالرديء من أموالهم، ويقولون: اسم باسم ورأس برأس، فنهاهم الله عن ذلك، هذا قول سعيد بن المسيب والزهري والسدي والضحاك وهو ظاهر الآية، وقيل: المعنى لا تأكلوا أموال اليتامى وهي محرمة خبيثة وتدعوا الطيب وهو مالكم، وقال مجاهد وأبو صالح وبازان: لا تتعجلوا أكل الخبيث من أموالهم وتدعوا انتظاراً الرزق الحلال من عند الله، وقال ابن زيد: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث، عطاء: لا تريح يتيماً الذي عندك وهو غر صغير، وهذان القولان خارجان عن ظاهر الآية، فإنه يقال: تبدل الشيء بالشيء أي أخذه مكانه، ومنه البدل.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ قال مجاهد: وهذه الآية ناهية عن الخلط في الإنفاق، فإن العرب كانت تخلط نفقتها بنفقة أيتامها فنهوا عن ذلك، ثم نسخ بقوله: ﴿وَإِنْ تَخَالَطَوْهُمْ فَاخْوَانُكُمْ﴾ وقال ابن فورك عن الحسن: تأول الناس في هذه الآية النهي عن الخلط فاجتنبوه من قبل أنفسهم فخفف عنهم في آية البقرة، وقالت طائفة من المتأخرين: إن «إلى» بمعنى مع، كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ وقال الحذاق: «إلى» على بابها وهي تتضمن الإضافة؛ أي: لا تضيفوا أموالهم وتضموها إلى أموالكم في الأكل، فنهوا أن يعتقدوا أموال اليتامى كأموالهم فيتسلطوا عليها بالأكل والانتفاع.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ «إِنَّهُ» أي: الأكل «كَانَ حُوبًا كَبِيرًا» أي: إنما كبيراً، عن ابن عباس والحسن وغيرهما، يقال: حاب الرجل يحوب حوباً إذا أثم، وأصله الزجر

ولاية اليتامى عند نزولها.

وكان فيهم من تحته العَشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهم فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ [النساء: 3] تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَى﴾ إذا نكحتموهن ﴿فَأَنْكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى: مَنْ ﴿طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ أي: اثنين، وثلاثًا ثلاثًا إلى آخره؛ والمعنى: إما مثنى وإما ثلاث وإما رباع ولا زيادة على أربعة، وانعقد الإجماع على ذلك.

نزلت؛ لأن اليتيمة ربما كانت عند الرجل لها مال وجمال فيحب أن يتزوجها، ولا يعدل في مالها فنهوا عن زواجها إلا أن يعدلوا معها في المال والعشرة، وأمروا إذا خافوا من عدم العدل بنكاح سواها، وبين عددهن خشية الإلباس، واستفيد من اقتران ذكر اليتامى بنكاح النساء الأمر بالعدل؛ لأن الرجل كان تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهم؛ فكأن المعنى: وإن خفتم في اليتامى فتخرجتم من أمورهم فخافوا أيضًا ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، وفيه تسوية ما بين الحقين في لزوم العدل لضعف كل من المرأة واليتيم.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ إذا تزوجتم أكثر من واحدة بينهم بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِدَةً﴾ بالنصب لكل القراء؛ أي: فانكحوا واحدة، إلا أبو جعفر فقرأ بالرفع على معنى: فواحدة تكفي ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء فهن وإن كثرن أوفق من امرأتين ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأربعة فقط أو الواحدة أو التسري ﴿أَذْنَى﴾ أوب أن ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تميلوا عن الحق أو تجوروا غالبًا.

للإبل، فسمي الإثم حوبًا؛ لأنه يزجر عنه وبه، ويقال في الدعاء: اللهم اغفر حوبتي، أي: إثمي، والحوبة أيضًا الحاجة، ومنه في الدعاء: إليك أرفع حوبتي، أي: حاجتي، والحوب الوحشة، ومنه قوله ﷺ لأبي أيوب: «إن طلاق أم أيوب لحوب»، وفيه ثلاث لغات «حوبا» بضم الحاء وهي قراءة العامة ولغة أهل الحجاز، وقرأ الحسن «حوبا» بفتح الحاء، وقال الأخفش: وهي لغة تميم، مقاتل: لغة الحبش، والحوب المصدر، وكذلك الحيابة، والحوب الاسم، وقرأ أبي بن كعب «حوبا» على المصدر مثل القال، ويجوز أن يكون اسمًا مثل الزاد، والحوب بهمزة بعد الواو: المكان الواسع، والحوب ماء أيضًا، ويقال: ألحق الله به الحوبة أي المسكنة والحاجة، ومنه قولهم: بات بحية سوء، وأصل الياء الواو، وتحوب فلان أي تعبد وألقى الحوب عن نفسه، والتحوب أيضًا التحزن، وهو أيضًا الصباح الشديد، كالزجر، وفلان يتحوب من كذا أي يتوجع.

﴿وَأَتُوا﴾ [النساء: 4] أعطوا ﴿النِّسَاء﴾ الخطاب للأزواج، وقيل: للأولياء، نهوا أن يقتطعوا لأنفسهم شيئاً من صداق النساء إذا زوجهن، وهو صحيح أيضاً ﴿صُدُقَاتِهِنَّ﴾ جمع: صداق أو صداقة؛ والمراد: مهورهن ﴿نِخْلَةً﴾ عطية عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ أي: من الذي أتيموه لهن ﴿نَفْسًا﴾ أي: فإن طابت نفوسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبهن لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا﴾ سائغاً طيباً ﴿مَرِيئًا﴾ محمود العاقبة، لا ضرر عليكم فيه في الآخرة، ونزلت الآية رداً على من كره ذلك.

﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ [النساء: 5] أيها الأولياء ﴿السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: أموالهم التي في أيديكم، ويصح أن يراد أموالكم التي لكم؛ والمراد: كل من بلغ غير صالح لدينه ولا ديناه ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ أي: يقوم لمعاشكم؛ لأنهم يضعونها في غير وجهها، قرأ ابن عامر «قيماً» بلا ألف، وفي المائدة: «قيماً لِلنَّاسِ» كذلك، وافقه نافع هنا، والباقون بالألف ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ﴾ أي: أطعموهم ﴿فِيهَا﴾ منها ﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾ هذا غير واجب؛ لأن المال لاحق فيه سوى الزكاة والمنذور كما علم في السنة ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ هو العدة الجميلة بالصدقة عليهم، وعدوهم بإعطاء أموالهم إذا رشدوا.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبُرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِإِلَهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء: 6 - 8].

﴿وَابْتَلُوا﴾ [النساء: 6] اختبروا ﴿الْيَتَامَى﴾ قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أموالهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي: وقت النكاح؛ والمراد: الإنزال أو استكمال خمس عشرة سنة عندنا ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ﴾ عرفتم أو أبصرتهم ﴿رُّشْدًا﴾ صلاحاً في الدين والمال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ أمر وجوب، وهذا دليل قوي؛ لأن الآية في اليتامى ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ أي: بغير حق ﴿وَبِدَارًا﴾

أي: مبادرة إليها ﴿أَنْ يَكْبُرُوا﴾ ويبلغوا؛ أي: لا تبادروا كبرهم ورشدهم حذرًا أن يكبروا فيأتي لزوم التسليم إليهم، ﴿وَمَنْ كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَيِّبًا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ فلا يجوز له أن يأكل من مال اليتيم، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الحاجة.

فيجب على الولي حفظ مال الطفل، وصونه عن أسباب التلف واستنماؤه؛ لثلا يفنى من الزكاة والتفقة، وذلك بشراء ما يرجى فيه ربح من غير ركوب خطر، وإذا تضجر بحفظه رفع الأمر إلى القاضي؛ لينصب قيمًا بأجرة إن لم يجد متبرعًا، وله أن ينصب نفسه قيمًا بأجرة بشرط ألا يجد متبرعًا أيضًا، فإن كان فقيرًا وانقطع عن كسبه بسبب مال الطفل فله أن يأكل منه بالمعروف؛ وهو الأقل من كفايته وأجرة مثل عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها، وقد برئتم لثلا يقع اختلاف فيرجع للبينة وهو نذب، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ محاسبًا مجازيًا.

﴿لِلرِّجَالِ﴾ [النساء: 7] الأولاد الأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ نزلت هذه الآية؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يورثون الذكور دون الإناث فقررت إرثهما معًا قل المال أو كثر ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: من المتروك ﴿أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾⁽¹⁾ مقطوعًا بتسليمه لهم.

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ فيه خمس مسائل:

الأولى: لما ذكر الله تعالى أمر اليتامى وصله بذكر الموارث، ونزلت الآية في أوس بن ثابت الأنصاري، توفي وترك امرأة يقال لها: أم كجة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما: سويد وعرفجة، فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته وبناته شيئًا، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرًا، ويقولون: لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الحيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة، فذكرت أم كجة ذلك لرسول الله ﷺ فدعاهما، فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرسًا، ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوًا، فقال ﷺ: «انصرفا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن»، فأنزل الله هذه الآية رداً عليهم، وإبطالاً لقولهم وتصرفهم بجهلهم، فإن الورثة الصغار كان ينبغي أن يكونوا أحق بالمال من الكبار؛ لعدم تصرفهم والنظر في مصالحهم، فعكسوا الحكم، وأبطلوا الحكمة فضلوا بأهوائهم، وأخطأوا في آرائهم وتصرفاتهم.

الثانية: قال علماؤنا: في هذه الآية فوائد ثلاث: إحداهما: بيان علة الميراث وهي القرابة، الثانية: عموم القرابة كيفما تصرفت من قريب أو بعيد، الثالثة: إجمال النصيب المفروض، وذلك مبين في آية الموارث، فكان في هذه الآية توطئة للحكم، وإبطال لذلك الرأي الفاسد حتى وقع البيان الشافي.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء: 8] أي: قسمة التركات ﴿أَوْلُو الْقُرْبَى﴾ أصحاب القربات ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي: ادفعوا لهم من المتروك في التركة شيئاً قبل القسمة، ﴿وَقُولُوا﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي:

الثالثة: ثبت أن أبا طلحة لما تصدق بماله - بئر حاء - وذكر ذلك للنبي ﷺ قال له: «اجعلها في فقراء أقاربك» فجعلها لحسان وأبي، قال أنس: وكانا أقرب إليه مني، قال أبو داود: بلغني عن محمد بن عبد الله الأنصاري أنه قال: أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام يجتمعان في الأب الثالث وهو حرام، وأبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، قال الأنصاري: بين أبي طلحة وأبي ستة آباء، قال: وعمرو بن مالك يجمع حسان وأبي بن كعب وأبا طلحة، قال أبو عمر: في هذا ما يقضي على القرابة أنها ما كانت في هذا القعد ونحوه، وما كان دونه فهو أخرى أن يلحقه اسم القرابة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ أثبت الله تعالى للبنات نصيباً في الميراث ولم يبين كم هو، فأرسل النبي ﷺ إلى سويد وعرفجة ألا يفرقا من مال أوس شيئاً، فإن الله جعل لبناته نصيباً ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل ربنا، فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فأرسل إليهما «أن أعطيا أم كجة الثمن مما ترك أوس، ولبناته الثلثين، ولكما بقية المال».

الخامسة: استدل علمائنا بهذه الآية في قسمة المتروك على الفرائض إذا كان فيه تغيير عن حاله، كالحمام والبيت ويدير الزيتون والدار التي تبطل منافعها بإقرار أهل السهام فيها، فقال مالك: يقسم ذلك وإن لم يكن في نصيب أحدهم ما ينتفع به، لقوله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ وهو قول ابن كنانة، وبه قال الشافعي، ونحوه قول أبي حنيفة، قال أبو حنيفة: في الدار الصغيرة بين اثنين فطلب أحدهما القسمة وأبى صاحبه قسمت له، وقال ابن أبي ليلى: إن كان فيهم من لا ينتفع بما يقسم له فلا يقسم، وكل قسم يدخل فيه الضرر على أحدهما دون الآخر فإنه لا يقسم، وهو قول أبي ثور، قال ابن المنذر: وهو أصح القولين، ورواه ابن القاسم عن مالك فيما ذكر ابن العربي، قال ابن القاسم: وأنا أرى أن كل ما لا ينقسم من الدور والمنازل والحمامات، وفي قسمته الضرر ولا ينتفع به إذا قسم، أن يباع ولا شفعة فيه، لقوله ﷺ: «الشفعة في كل ما لا يقسم فإذا وقعت الحدود فلا شفعة»، فجعل ﷺ الشفعة في كل ما يتأتى فيه إيقاع الحدود، وعلق الشفعة فيما لم يقسم مما يمكن إيقاع الحدود فيه، هذا دليل الحديث، قلت: ومن الحجة لهذا القول ما خرجه الدارقطني من حديث ابن جريج أخبرني صديق بن موسى عن محمد بن أبي بكر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تعضية على أهل الميراث إلا ما حمل القسم»، قال أبو عبيد: هو أن يموت الرجل ويدع شيئاً إن قسم بين ورثته كان في ذلك ضرر على جميعهم أو على بعضهم، يقول: فلا يقسم، وذلك مثل الجوهرة والحمام والظيلسان وما أشبه ذلك، والتعضية التفريق، يقال: عضيت الشيء إذا فرقت.

عدوهم عدة جميلة إن كان الورثة صغاراً؛ كقولكم: هذه لصغار ولا نملكه، وقيل الضمير في ﴿ارزُقُوهُمْ﴾ عائذ على ذوي القربى، وفي ﴿وَقُولُوا لَهُمْ﴾ عائذ على اليتامى والمساكين، والأمر بإيتاء من لاحق له في التركة منسوخ بقوله: ﴿يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: 11].

﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأَبَائِهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُؤْصِي بِهَا أَوْ دِينٌ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: 9 - 11].

﴿وَلِيَخْشَ﴾ [النساء: 9] أي: ليخف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ أولاداً صغاراً ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ للميت، أو المراد ما هو أعم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صدقاً أو صواباً، نزلت في الحض على الوصية للفقراء قبل نزول آية الموارث ثم نسخت بها، وقيل: نزلت في القيام بأموال اليتامى وفي نهي ولاة أموالهم عن تضييعها، بل يفعلون معهم ما يحبون أن يفعل في أموال أولادهم بعدهم، وهو الأقرب. ويدل له قوله بعده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: 10] تعدياً ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ لأنه يصير إلى النار ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ يدخلون ويلزمون ناراً شديدة تحرقهم، قرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء والباقون بفتحها.

﴿يُؤْصِيكُمُ﴾ [النساء: 11] يأمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثِيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما نصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ليس

معهن ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ وكذا الابتان كالأختين بل أولى، وقيل: ﴿فَوْقَ﴾ صلة، أو تدفع توهم زيادة النصيبين بزيادة العدد؛ لأنه لما فهم استحقاق الثلثين للثلثين، وجعل الثلث للواحدة مع الذكر خشي من توهم ذلك.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ قرأ المدنيان برفع «واحدة» والباقون بالنصب ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي: الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكرنا أو أنثى كما دلت عليه السنة، وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: واحد منهما ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ أي: ثلث المال، أو ثلث ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب، قرأ حمزة والكسائي: «فلامه الثلث» «فلامه السدس» «في أمها رسولاً» في القصص، «في أم الكتاب» في الزخرف بكسر الهمزة في الأربعة اتباعاً لحركة الميم المدغم فيها، ولذلك لا يكسر أنها في الأخيرين إلا وصلأ فلو ابتداء ضمهاها، وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة وصلأ في «النحل» «في بطون أمهاتكم» و«الزمر» و«النجم» وقوله تعالى: «أو بيوت أمهاتكم» في النور، وكسر الكسائي الهمزة وحدها وصلأ، فإن ابتداء فبالضم، والباقون كذلك في الكلم الست.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ من أبوين أو أب وأم، وإن لم يرثا مع الأب كما دلت عليه السنة والأخوان كالأخوة حملاً لأقل الجمع على اثنين ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ معهم ﴿الشُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة، وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِن بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٌ يُوصِي بِهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿ذَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر: «يوصى بها» في الموضوعين بفتح الصاد، ووافقهم حفص في الأخير والباقون بكسر الصاد فيهما.

﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ أي: الوارثون آباؤكم وأبنائكم ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة، فقد يظن واحد أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس، وإنما العالم بذلك الله سبحانه ففرض لكم الموارث ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

﴿ * وَلكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ آزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَيْنَ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ﴾

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي
تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ
أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ
شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوَصَّى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةَ
مَنْ أَلَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمٌ ﴿١٣﴾ [النساء: ١٢].

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [النساء: 12] ذكر أو أنثى
منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوَصَّى بِهَا
أَوْ دَيْنٍ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن إجماعاً ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات تعددن أم لا
﴿الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ
الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وولد الابن كالولد في ذلك
إجماعاً.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ﴾ أي: أو امرأة تورث كلاله نزلت في
ميراث الإخوة للأُم، وفي آخر السورة فيمن سواهم من الإخوة، ولذلك قرأ ابن مسعود
هنا: «وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ» والقراءة الشاذة كخبر الأحاد ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
الشُّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ من
أخ وأخت ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ ذكرهم وأنثاهم سواء ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوَصَّى بِهَا﴾
الميت ﴿أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ أي: لا يضر الميت في وصيته الورثة بأن يوصي بأكثر من
الثلث ﴿وَصِيَّةَ مَنْ أَلَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمٌ﴾ وخصت السنة توريث من ذكر ممن ليس فيه
مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا
خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِمٌ ﴿١٥﴾ وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ
نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي

الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَادُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ [النساء: ١٣ - ١٦].

﴿تَلِكْ﴾ [النساء: 13] الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه التي حددها لعباده ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ قرأ المدينيان وابن عامر «ندخله جنات» و«ندخله نارًا» هنا، و«نعذبه» في الفتح، و«تكفر عنه» و«ندخله» في الطلاق بالنون، والباقون بالياء ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ﴾ الظفر ﴿الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: 14] له.

﴿وَاللَّاتِي﴾ [النساء: 15] هو اسم لجمع النسوة ﴿يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ أي: من المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعهن من الخروج ومخالطة الناس ﴿حَتَّى يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أن ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج، قال النبي ﷺ: «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيْبُ سَنَةٍ وَالثَّيْبُ بِالثَّيْبِ الرَّجْمُ»^(١) وكان في صدر الإسلام يحبس من زنا إلى أن يموت ثم نسخ بما ذكر.

﴿وَاللَّذَانَ﴾ [النساء: 16] قرأ ابن كثير: «اللذان» و«هذان» و«هاتين» و«فذانك» و«اللذين أضلانا» بتشديد النون في الخمسة، وافقه أبو عمرو ورويس في «فذانك» والباقون بالتخفيف فيهن ﴿يَأْتِيَانَهَا﴾ أي: الفاحشة؛ الزنا واللواط ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: من الرجال ﴿فَادُوهُمَا﴾ بالشتم والضرب كالتعزير ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ اتركوا أذاهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ونسخ ذلك كله إلى بدل أقل، وهو الحد السابق رعاية لمصلحة الناس، وإلا فسدت نساؤهم وأبناؤهم، وإن أريد بالآية اللواط فكذا عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجم وإن أحسن بل يجلد ويغرب.

(1) رواه مسلم (305/11).

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْهُنَّ إِحْدَثَهُنَّ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ءَاتَاخُذُوهُنَّ بِهَتَنًا وَإِنَّمَا مِيسِنَا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النساء: ١٧ - ٢٠].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: 17] أي: عنده ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ باختيار اللذة الفانية على الطاعة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل الغرغرة ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء: 18] الذنوب ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ بأن أخذ في النزع ووجدت الغرغرة ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فلا توبة لهم ولو تابوا عند معاينة عذاب الآخرة لم يقبل منهم؛ لأنهم مخلدون في النار ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين ماتوا على الكفر أو تابوا وقت الغرغرة ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا وأعدنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وما اقتضت الآية من أن مات ولم يتب يقطع له بالعذاب، نسخ بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].

﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ [النساء: 19] أي: ذاتهن فتصرفوا فيهن بما أردتم ﴿كَرْهًا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «كُرْهًا» هنا وفي التوبة والأحقاف بضم الكاف، وافقهم في الأحقاف عاصم ويعقوب وابن ذكوان وهشام بخلاف عنه، والباقون بالفتح في الثلاثة، نزلت؛ لأن الرجل كان إذا مات في الجاهلية عن زوجة وابن من غيرها أو قريب من العصابة أتى الابن أو القريب، ويلقي ثوبه على

تلك المرأة أو على خباثتها فيصير أحق بها، ويتخير القريب فإن شاء نكحها بما نكحها به الميت وإن شاء عضلها⁽¹⁾، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها حتى تفتدي بما ورثته، أو تموت فيرثها، فلما توفي أبو قيس الأنصاري خلف زوجته بنت معن فجاء ولده من غيرها ففعل ذلك، فشكت إلى رسول الله ﷺ فأمرها بالإقامة في بيتها حتى يأتي أمر الله، فنزلت.

﴿وَلَا أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأزواج ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَغْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر فهو نهي عن إساءة الرجل صحبة زوجته لتفتدي منه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة معلومة لكم؛ وهي: الزنا أو النشوز، وعليه للزوج أن يقول لها: إما أن ترضي بحالي أو تفتدي بشيء.

قرأ ابن كثير وأبو بكر: «مبينة» و«مبينات» حيث وقعا بفتح الياء وافقهما في «مبينات» المدنيان والبصريان، والباقون بالكسر ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإجمال في القول والمبيت والنفقة ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولعله يجعل ذلك فيهن بأن يرزقكم منهن ولدا صالحا.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء: 20] أي: امرأة بدل أخرى بأن طلقتموها، والزوج يستعمل في الذكر والأنثى ﴿و﴾ قد ﴿آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿قِنطَارًا﴾ صداقا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ﴾ أي: الشيء ﴿بِهَتَانًا﴾ باطلا وظلما ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ظاهرا بينا.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (١٦) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (١٧) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ أَلَّتِي

(1) أي: حبسها.

دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ [النساء: ٢١ - ٢٣].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ [النساء: 21] أي: بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ
إِلَى بَعْضٍ﴾ بالمجامعة المقدرة للمهر ﴿وَأَخَذَنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا﴾ عهدًا ﴿غَلِيظًا﴾ شديدًا؛
وهي كلمة النكاح التي استحل بها الفرج، أو ميثاقًا بالمعاشرة بالمعروف أو التسريح
بإحسان.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾ [النساء: 22] بمعنى من ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا﴾ لكن
﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من فعلكم ذلك فهو معفو عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نكاح ما نكحه
الآباء ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ والفاحشة أقبح الذنب ﴿وَمَقْتًا﴾ هو أشد البغض من الله ومن
الناس ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وبئس طريقًا ذلك.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: 23] أي: نكاح أمهاتكم؛ وهي كل أنثى
ولدتك أو ولدت من ولدك، فيشمل الجدات من قبل الأب والأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وهي كل
أنثى ولدتها أولدت من ولدها؛ كبنت بنت وبنت ابن وإن سفل كل من ذكر،
﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ من قبل الأب والأم ومن قبل أحدهما ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ أخوات آبائكم
وأجدادكم ﴿وَأَخَالَاتُكُمْ﴾ أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾ يدخل فيهن بنات
أولاد الأخ وإن سفلن ﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ يدخل فيهن بنات أولاد الأخت وإن سفلن
هذا ما يحرم من النكاح ويحرم من الرضاع ما ذكره بقوله: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾ بشرط أن يكون الرضاع قبل الحولين وإن توجد خمس
رضعات، وصح في السنة: «يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»⁽¹⁾ فيلحق بذلك
البنات من الرضاة والعَمَّاتُ والخَالَاتُ وبنات الأخ وبنات الأخت منها، وتفصيله في
الفروع.

ويحرم من المصاهرة ما ذكره بقوله: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ فتحرم أم الزوجة
بمجرد العقد على بنتها ﴿وَوَرِيَّاتِكُمْ﴾ جمع: ربيبة؛ وهي: بنت الزوجة من غيره ﴿اللَّاتِي

(1) رواه البخاري (433/9).

في حُجُورِكُمْ﴾ أي: في تربيتكم، وهذا القيد خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له عند الشافعي وغالب العلماء ﴿مَنْ نَسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ فإذا لم يدخل بأم امرأة بأن عقد عليها وطلقها قبل الدخول حلت بنتها، والفرق بينها وبين الأم أن البنت لا تسنح بالزوج لأمها بخلاف الأم ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا حرج في نكاح بناتهن إذ فارقتموهن ﴿وَحَلَائِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ وإن سفلوا؛ كابن الابن من ابن أو بنت، وقيد بالأصلاص إشارة إلى من تبنى ابن لا تحرم عليه زوجته، وتحرم حليلة الأب بنفس العقد، كما أن حليلة الولد تحرم على الأب بنفس العقد وإن علا كل واحد منهما.

والزنا لا يثبت به حرمة عند الشافعي والجمهور ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح؛ فيحرم ذلك ولو بالوطء بملك اليمين، فلا يجوز أن يطأهما معاً فيه، ويلحق بالأختين بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لكن ما قد مضى في الجاهلية من نكاحكم بعض من ذكر فهو معفو عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽¹⁾.

(1) قال القاضي أبو بكر بن العربي: فيها مسائل: المسألة الأولى: اعلم أن التحريم أو التحليل لا يتعلق بالأعيان، وإنما يتعلق بأفعال المكلفين من حركة وسكون؛ غير أن الأعيان لما كانت محلاً للأفعال، تعلق ذلك بهما على سبيل المجاز. قال ابن عباس: حرم الله تعالى في هذه الآية سبعاً من النسب، وسبعاً من الصهر، فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾. وثبت أن رسول الله ﷺ قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة». وثبت أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحرم المصاة ولا المصتان، ولا الإملاجة ولا الإملاجتان». وقالت عائشة كان فيما قيل من القرآن: عشر رضعات محرقات، نسخ ذلك خمس رضعات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرآن من القرآن، فقال به الشافعي.

وأخذ مالك وأبو حنيفة بمطلق القرآن وقالوا: إن المصاة تحرم، ولأنه أحوط للفروج، وأخذ بعموم الرضاع. وقد اعترض الجويني من الشافعية هذا العموم وقال: إنما يستدل باللفظ العام، إذا سيق قصداً للعموم، أما إذا سيق لبيان الشيء فقط، فلا يستدل به على التعميم؛ ألا ترى أن الآية إنما سيق لتبين وجه التحريم في المحرمات، ولم يقصد أن جميع ما ورد في الآية إنما ورد للعموم؛ وإلا لزم أن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، لا يتناول الجدات، وهو باطل.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتِكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾، يقتضي تحريم الرضاع في أي وقت وقع، فيتناول رضاع الكبير؛ وبه تمسكت عائشة، واستدلّت بأن سهولة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، كنا نرى سالمًا ولدًا، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد، وقد

أنزل الله ما علمت؛ فقال لها ﷺ: «أرضعيه خمس رضعات تحرمي عليه». فأرضعته فكان لها ولداً.

وجوابه: أن ذلك رخصة منه ﷺ لسهولة، وأيضاً فإن الله تعالى قد بين وقت الرضاع فقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّئَ الرِّضَاعَةَ﴾، فبين زمانه الكامل، فتعين أن ما زاد على ذلك لا يعتبر. وأيضاً ففي الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء». وأما لبن الفحل، فإن يحرم لقوله ﷺ لعائشة في عمها من الرضاعة أفلح «إنه عمك فليسلم عليك». وبذلك قال الجمهور؛ وقال ابن المسيب والنخعي: لبن الفحل لا يحرم، لأن الله تعالى قال: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾، والفحل ليس بأم.

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾، روي عن علي وجابر أن العقد على البنت لا يحرم الأم حتى يدخل بها، كما العكس. وقال الجمهور: العقد على البنت يحرم الأم، ولا تحرم البنت حتى يدخل بالأم.

تتبيه: قوله تعالى: ﴿اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، قال الكوفيون: هذا الوصف يرجع إلى نسائكم في قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، فعلى هذا لا تحرم البنت لمجرد العقد على الأم، ولا العكس، بل لا تحرم واحدة إلا بوطء الأخرى؛ وبذلك قال علي كما تقدم، وقال البصريون: هذا الوصف لا يعود إلا إلى أقرب مذكور، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، فبقي العقد على البنت محرماً للأم، لأن المرأة تسمى من النساء بمجرد العقد أيضاً؛ ولا تحرم البنت إلا بوطء الأم، لأن الله تعالى قرن الوصف في ذلك بالمرأة، وبه قال الجمهور؛ وتمسك البصريون بأن قالوا: رجوع الوصف إلى الموصوفين المختلفي العامل ممنوع، كالعطف على عاملين؛ وأجاز ذلك الكوفيون، ورأوا أن عامل الإضافة ليس كعامل الخفض؛ فإن عامل الإضافة اللام، وعامل الخفض هنا ((من)) فافترقا؛ وأيضاً فكلاهما عامل الخفض، وإنما يمتنع عندهم لو اختلف العاملان، فكان أحدهما عامل نصب والآخر عامل خفض؛ واعلم أن للخلاف هنا سبباً آخر، وهو أنه إذا تعارض التحليل والتحریم في الفروج، غلب التحريم؛ لكن لما انعقد الإجماع على أن تحريم البنت مشروط بوطء الأم، فرق الجمهور بين الأم والبنت.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾ واحدة ربيبة فعيلة بمعنى مفعولة.

مأخوذة من ربهأ يربهأ، إذا تولى أمرها؛ وذكر الحجر ليس شرطاً، فإنه خرج مخرج الغالب.

وقوله: ﴿اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، للدخول هنا الجماع، قاله الطبري والشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة: المراد به مبادئ الوطء؛ من لمس وتقبيل، وقال عطاء وعبد الملك بن مروان: هو النظر بلذة، وقد اتفقت الأمة على أن الفروج إذا تعارض فيها تحليل وتحريم، فإنه يغلب التحريم؛ واختلف في الأموال أيهما يغلب فيها؟ والتحليل فعيلة بمعنى محلة. قالوا: والأبناء ثلاثة: ابن صلب، وابن رضاع، وابن تبني؛ وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، وقد نسخ ابن التبني، بقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنبَائِكُمْ

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
 وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۗ فَمَا
 اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
 تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
 مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
 فَيَتَى كُمْ الْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۗ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ
 أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
 أَخْدَانٍ ۗ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ يَفْتَحِسْنَ ۗ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ
 الْعَذَابِ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَمَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا خَيْرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النساء: ٢٤ - ٢٥].

﴿و﴾ [النساء: 24] حرمت عليكم ﴿المُحْصَنَاتُ﴾ المزوجات ﴿من النِّسَاءِ﴾ لا
 يحل لكم أن تتزوجوهن ما دمن في عصم أزواجهن حرائر مسلمات كن أو لا؛ أي:
 وبعد الطلاق إلى انقضاء العدة كما فهم من «البقرة» قرأ الكسائي: «والمحصنات»
 و«محصنات» حيث وقع بكسر الصاد سوى الأول من هذه؛ وهو: المحصنات من
 النساء والباقون بالفتح ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بسبي في دار الحرب، فيجوز وطأهن
 بعد الاستبراء وإن كان لهن أزواج في دار الحرب؛ لأنه لا حرمة لذلك ونزلت لتجرح

الَّذِينَ مِنْ أَضْلَابِكُمْ ۗ

المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، تعلق أبو حنيفة بهذا فقال: لا يجوز
 نكاح الأخت في عدة أختها، ولا نكاح خامسة في عدة رابعة، فإن ذلك جمع في أسباب
 الزوجية؛ ألا ترى أن العدة من أسبابها، فكانها في حكم الزوجة، فيكون جامعاً بينهما في السبب،
 وإن لم يقع الجماع في الحل.

وجوابه: أن العدة براءة الرحم لسبب من أسباب الزوجية، وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، عند
 الجاهلية في نكاح أزواج الآباء؛ أما نكاح الأختين، فقد كان شرعاً لمن قبلنا ثم نسخ عندنا.

الصحابة في وطء السبايا ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: الزموا كتاب الله.

﴿وَأَجَلَ لَكُمْ﴾ أي: تتزوجوا من النساء ﴿مَا وَرَاءَ﴾ ما عدا ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكورات، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وحفص: «وأجل» بضم الهمزة وكسر الحاء، والباقون بفتحها ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تتطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بصدقات أو ثمن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ تقديره: فمن ﴿اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي فرضتم لهن، وهل المراد بالآية نكاح المتعة؟ كان حلالاً في الجاهلية فحرم ثم أحل ثم حرم واستمر التحريم، أو المراد النكاح الصحيح؟ قولان ﴿فَرِيضَةٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ فلا إثم على المرأة والرجل إذا تراضيا على الإبراء من الصداق أو من جزء منه، أو على الاعتياض عنه، ومن يقول: إن الآية في نكاح المتعة؛ يقول: المراد أنه إذا نكحها - أي: الرجل - جاز له الزيادة في الأجل والمال إذا توافقا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: 25] مهر حرة ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ جرى على الغالب فلا مفهوم له ﴿فَمَنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: إمائكم المؤمنات، ولا يجوز نكاح أمة كتابية عندنا، ويجوز وطئها بملك اليمين ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فلا تعرضوا للباطن وخذوا بالظاهر، وكلوا السرائر إليه، فإنه العالم بتفاصيلها، ورُبَّ أمة تفضل الحرة فيه، وفي هذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بِعَفْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ في الإيمان والنصرة.

وأتم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أوليائهن ﴿وَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير ضرر ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ زانيات جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع: خدن؛ وهو المتخذ للزنا سراً ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ﴾ تزوجن على قراءة من قرأه بفتح الهمزة والصاد وهو حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر، والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد؛ أي: زوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبيكار إذا زنين ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ الحد فيغربن نصف عام ويجلدن خمسين جلدة؛ والمقصود بالآية أن الرقيق لا يرحم وإن أحسن ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الإماء بشرطه ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ خاف ﴿الْعَنْتَ﴾ الزنا وأصله للمشقة، سمي به الزنا؛ لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنْكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار، فلا يحل له نكاحها وإن عدم، وكذا من استطاع طول

حرة ﴿وَأَنْ تَضِرُوا﴾ عن نكاح الإماء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ صونا لأولادكم عن الرق ﴿والله غفورٌ رحيمٌ﴾.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجِبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٩].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجِبَ لَكُمْ﴾ [النساء: 26] شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿ويهديكم سنن﴾ طريق ﴿الذين من قبلكم﴾ من الأنبياء في التحليل والتحرير فتبعوهم ﴿ويتوب عليكم﴾ من اتباع الشهوات وما كنتم تفعلونه في الجاهلية ﴿والله عليهم حكيم﴾.

﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ [النساء: 27] بأن لا يأخذكم إذا تبتم بالذنوب؛ لأنكم على الإسلام وكرره ليني عليه قوله: ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ اليهود أو النصارى أو المجوس أو الزناة أو كل من اتبع الباطل؟ أقوال؛ أقربها الأخير ﴿أن تميلوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ بارتكابكم المحرمات والخروج عن الدين فيكونوا مثلهم.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: 28] يسهل عليكم في شرعه لكم، وقد سهل بوضع الأخبار وغير ذلك ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ من ماء مهين، وتسميله شهوته وهواه ولا يصبر عن النساء والشهوات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: 29] كالقمار والربا والغصب والسرقة والنهب والعقود الفاسدة ﴿إلا﴾ لكن ﴿أن تكون تجارة﴾ قرأ الكوفيون بنصب «تجارة»، والباقون بالرفع ﴿عن تراضٍ منكم﴾ وطيب نفس فلکم أن تأكلوها ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ باتباع الباطل أو هو على بابه وكلاهما منهي عنه ﴿إن الله كان بكم رحيماً﴾.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهُ نَارًا وَكَانَ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ [النساء: ٣٠ - ٣٣].

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ [النساء: 30] المشار إليه من المعاصي ﴿عُدْوَانًا﴾ مجاوزة للحد ﴿ووظلمًا﴾ وضعًا للشيء في غير موضعه، وهو تأكيد ﴿فسوف نُضليهِ﴾ ندخله ﴿نارًا﴾ يحترق فيها ﴿وكان ذلك﴾ الإدخال ﴿على الله يسيرًا﴾ سهلاً هيناً. ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: 31] الكبيرة: كل معصية آذنت بقلة اكرثات مرتكبا بالدين؛ كالزنا والسرقة والربا والسعاية ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصغائر؛ كالجلوس عند الفساق إيناساً لهم بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا﴾ أي: إدخالاً أو موضعاً، قرأ المدنيان: «مدخلاً» هنا وفي الحج بفتح الميم، والباقون بضمها ﴿كريمًا﴾ هو: الجنة.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 32] من جهة الدنيا أو الدين؛ لئلا يؤدي للتباغض والتحاسد، لكن تمنى الشخص لحوقه من فوّه دنيا أو ديناً لا على الجهة المذكورة مطلوب في الأول جائز في الثاني، ونزلت؛ لتمني النساء منهن أم سليم الغزو والقوق بالرجال في الإرث ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب وحظ ﴿مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من حفظ الفروج وطاعة الأزواج والأجر ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: من رزقه وتوفيقه، ولم يأمر بالسؤال إلا ليعطي.

وقرأ ابن كثير والكسائي وأبان وخلف في اختياره: «وسلوا» «فسل» «وسل» إذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز ونقل حركة الهمز على السين، والباقون بسكون السين والهمز ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ مما طلب منه ومما لم يطلب ومنه محل

الفضل وسؤالكم.

﴿وَلِكُلِّ﴾ [النساء: 33] من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ عصبه يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ لهم من المال، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ﴾ قرأ الكوفيون: «عقدت» بغير ألف والباقون بالألف، ومعنى الأول عقدت لهم ﴿أَيْمَانِكُمْ﴾ وهم الحلفاء كانوا في الجاهلية يتعاقدون فيقول كل للآخر: دمي دمك ترثني وأرثك فإذا مات واحد ورث منه الآخر السدس ﴿فَاتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ حظهم من الإرث وهو السدس، وكان ذلك في ابتداء الإسلام أيضاً فسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75] ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ شُرُوهُنَّ فِعْظُهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِن أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّا اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٤ - ٣٥].

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ [النساء: 34] مسلطون ﴿على النساء﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن، نزلت لأن رجلاً زوج ابنته لآخر فلطهما، فرفع إلى النبي ﷺ فأمر بالقصاص فنزلت، فقال ﷺ: «أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير»⁽¹⁾ ورفع القصاص ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من الولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعة والإرث والدية والنبوة، وإن الطلاق بيده، وله نكاح أربع وغير ذلك ﴿و﴾ قوامون ﴿بِمَا أَنْفَقُوا﴾ بسبب الذي أنفقوه ﴿مِّنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ عليهن من مهر ونفقة ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ المطيعات الطيبات لله منهن ﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ وهو الفرج وغيره؛ لحق الزوج في غيبته أو لسرهه ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ قرأ أبو جعفر بنصب الجلالة؛ أي: بحفظهن الله؛ أي: دينه وأمره «ما» صلة، والباقون بالرفع؛

(1) رواه البغوي في «تفسيره» (207/2).

أي: بالذي حفظ الله ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن بأن ظهرت لكم أماراته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ خوفوهن الله أولاً بنحو: «لي عليك حق فاتق الله فيه» ﴿وَاهْجُزُوهُنَّ﴾ اتركوهن ﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾ منفردات بأن تنتقلوا إلى فراش آخر إن لم ينزجرن بالقول، وأظهرن النشوز واتركوا مع ذلك الجماع.

وقيل: المراد بالهجر هنا ترك الجماع فقط ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح إذا أصررن على ذلك بعد الهجر، وهذا الترتيب من تفسير ابن عباس، وتابعه جماعة من العلماء رضي الله عنهم.

﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً بأن تجنوا عليهن الذنوب أو تكلفوهن محبتكم بالقلب فإن ذلك بيد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: 35] علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين ﴿فَابْتَغُوا﴾ إليهما ﴿حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ﴾ أقارب الزوج ﴿وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: الزوجة وبعث الحكمين من عند القاضي، فإن قدرا على التوفيق فعلاه، ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه، وتوكل هي حكمها في الاختلاع، فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان إن رأياه، فإن لم يوكلها في ذلك رجعا وأعلما القاضي، ولا يجوز بعثهما إلا برضاء الزوجين، وشرطهما: ذكورة وحرية وعدالة ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي: الحكمان أو الزوجان ﴿إِضْلَاحًا يُوقِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين بأن يقدرهما على ما هو الطاعة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ بأحوالكم⁽¹⁾.

(1) قوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِضْلَاحًا﴾ قال ابن عباس: أي الحكمان إذا أرادا الإصلاح، ووفق الله بين الزوجين؛ والأولى أن يكون الحكمان من الأهل كما قال تعالى، فإن فقد ذلك، اختار الإمام حكمين مولين من المسلمين، ويستحب أن يكونا رجلين؛ فإن حكما بالفراق، فهو بائن، لأن كل طلاق ينفذه حاكم فهو بائن، ولأن علته الشقاق؛ فلو كان رجعيًا، لما زال الشقاق ببقاء العصمة فإن أوقعا أكثر من واحدة، نفذ عند ابن القاسم، لأن الحكم يجب إنفاذه. وقال مطرف: تقع واحدة، لأن الحاكم لا يقصد إلا واحدة؛ فيكون الحكمان كذلك، وقياساً على خيار الأمة تعتق تحت عبد؛ فلو حكم أحدهما بواحدة والآخر بثلاث، لنفذت واحدة وسقط الزائد قاله عبد الملك. وقال ابن حبيب: لا ينفذ شيء، لأنهما اختلفا؛ ولو أوقع أحدهما طلاقاً، والآخر اثنتين، للزمت طلقتان عند ابن القاسم كما سبق وسقط ذلك الزائد على الواحدة عند عبد الملك؛ لأن ذلك كالشاهدين يختلفان في العدد، فإنه ينفذ الأقل؛ فلو شهد أحدهما ببيع والآخر بهبة، فإنه لا

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنْبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
مُخْتَلًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ
مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ
الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ أَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [النساء: 36 - 39].

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [النساء: 36] وحده ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وأحسنوا
﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برًّا ولين جانب ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ صاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القريب منك جوارًا ونسبًا ﴿وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾ أي:
البعيد الذي لا قرابة له، أو له قرابة بعيدة ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجُنْبِ﴾ الرفيق في السفر أو
الصناعة، ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ الضيف أو المحترق المنقطع من سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾
أي: وأحسنوا لما ملكت إيمانكم من الأرقاء بإطعام وكسوة على قدر الحاجة من غير
ضرب ولا تكليفهم ما يغلبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ولا يرضى ﴿مَن كَانَ
مُخْتَلًا﴾ منكم متكبرًا ﴿فَخُورًا﴾ على الناس بما أوتي.

ينفذ اتفاقاً للتعارض؛ فلو علم الإمام شقاق الزوجين، لبعث إليهما الحكيمين وإن لم يطلب ذلك
منه، لأن ذلك من حقوق الله تعالى؛ قالوا: ويجزئ إرسال الحكم الواحد، لأن الله تعالى حكم
في الزنا بأربعة شهداء، ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة الزانية أنيساً وقال له: «إن اعترفت
فارجمها».

فلو أرسل الزوجان حكيمين لنفذ حكمها، إذ التحكيم عندنا جائز؛ هذا إذا كانا عدلين، فإن لم
يكونا عدلين، لتقض الحكم قال عبد الملك. قال القاضي أبو بكر: والصحيح نفوذه، لأنه إن كان
توكيلاً، ففعل الوكيل نافذ؛ وإن كان تحكيمياً، فقد قدماههما على أنفسهما. [الأحكام الصغرى
ص156].

﴿الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ﴾ [النساء: 37] يمنعون من أداء الواجبات ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به قرأ حمزة والكسائي وخلف هنا، وفي الحديد بفتح الباء والعاء والباقون بضم الباء وإسكان الخاء ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من العلم والمال، وخبر المبتدأ محذوف تقديره لهم وعيد شديد كما دل عليه قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة.

﴿وَالَّذِينَ يُتَفَقِّهُونَ أُمُورَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [النساء: 38] مرئيين لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ صاحبًا وخليلاً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فَسَاءَ﴾ فبئس ﴿قَرِينًا﴾ هو.

﴿وَمَا ذَا﴾ [النساء: 39] ما الذي ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي ضرر عليهم في ذلك؛ أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكُتُبِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء: ٤٠ - ٤٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ [النساء: 40] أحد ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن ذرة غلة صغيرة أو المراد: أصغر ما يكون من التراب بأن ينقصها من حسناته أو يزيدا في سيئاته ﴿وَإِنْ تَكَ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن، قرأ المدنيان وابن كثير «حسنة» بالرفع والباقون بالنصب ﴿يَضَاعَفْهَا﴾ يجعلها أضعافًا كثيرة من عشر إلى أكثر من سبعمائة ﴿وَيُؤْتِ مِنْ

لَدُنْهُ ﴿۱﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يستطيع أحد أن يقدر قدره.

﴿فَكَيْفَ﴾⁽¹⁾ [النساء: 41] حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ المكذبين أمهم ﴿شَهِيدًا﴾ ولا ينافي هذا ما في سورة البقرة من شهادة هذه الأمة على الأمم؛ لأن المراد: أنها تشهد، والنبي ﷺ يشهد بعد التهم ويشهد على المكذبين منهم، وأما الأنبياء فيشهدون على أمهم بما عملوا وهذه الأمة تشهد بتصديق الأنبياء.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [النساء: 42] أي: يوم المجيء ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿تُسَوَّى﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح التاء وتخفيف السين، وقرأ المدنيان وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين على معنى تسوى، والباقون بضم التاء وتخفيف السين؛ أي: لو سويت ﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ وصاروا معها شيئًا واحدًا أو انخرقت بهم أو لم يبعثوا لعظم الهول ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ أي: فما عملوه يظهر عليهم أو هو متعلق بما سبق على معنى: ودوا لو تسوى، وإنهم لا يكتُمون من أمر محمد ﷺ شيئًا وهذا في وقت، ووقت آخر يكتُمون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: 43] أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ

(1) «كيف» في موضع رفع إن كان المحذوف مبتدأ التقدير: فكيف حال هؤلاء السابق ذكرهم، أو كيف صنعهم، وهذا المبتدأ هو العامل في «إذا»، أو في موضع نصب إن كان المحذوف فعلاً أي: فكيف يصنعون، أو كيف يكونون، والفعل أيضًا هو العامل في إذا، ونقل ابن عطية عن مكّي: أن العامل في «كيف» جئنا، قال: وهو خطأ، والاستفهام هنا للتوبيخ، والتفريع، والإشارة بهؤلاء إلى أمة الرسول، وقال مقاتل: إلى الكفار، وقيل: إلى اليهود والنصارى، وقيل: إلى كفار قريش، وقيل: إلى المكذبين وشهادته بالتبليغ لأمته قاله: ابن مسعود، وابن جريج، والسدي، ومقاتل، أو بيايمانهم قاله أبو العالية، أو بأعمالهم قاله: مجاهد وقتادة، والظاهر أن الشهادة تكون على المشهود عليهم، وقيل: «على» بمعنى اللام؛ أي: وجئنا بك لهؤلاء، وهذا فيه بعد، وقال الزجاجي: يشهد لهم وعليهم، وحذف المشهود عليهم في قوله: ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ لجريان ذكره في الجار والمجرور فاختصر، والتقدير: من كل أمة بشهيد على أمته، وظاهر المقابلة يقتضي أن تكون الشهادة عليهم لا لهم، ولا يكون عليهم إلا والمشهود عليهم كانوا منكرين مكذبين بما شهد عليهم به، وروي أن رسول الله ﷺ: كان إذا قرأ هذه الآية فاضت عيناه، وكذلك حين قرأ عليه ابن مسعود ذرفت عيناه وبكاؤه والله أعلم هو إشفاق على أمته ورحمة لهم من هول ذلك اليوم، وظاهر قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ أنه معطوف على قوله: ﴿جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ وقيل: حال على تقدير قد؛ أي: وقد جئنا.

شَكَارَى ﴿ من الخمر، وقيل: من غلبة النوم، والأول أقرب؛ لأنها نزلت بسبب صلاة جماعة حال سكرهم، فدلّت على اجتناب السكر أوقات الصلاة، وهذا قبل تحريم الخمر ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ بأن تصحوا ﴿ وَلَا جُنُبًا يُنْزَلُ ﴾ أو إيلاج، وألحق بذلك الحائض والنفساء إن أمن التلوّث ﴿ إِلَّا عَابِرِي ﴾ مجتازي ﴿ سَبِيلِ ﴾ طريق؛ أي: مسافرين فلکم التيمم والصلاة مع الجنابة، أو المراد: لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم كذلك؛ لأن الجنب يجوز له دخول المسجد مجتازاً بالدخول من باب والخروج من آخر ﴿ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾ غاية للنهي، فإذا اغتسل صلى أو دخل المسجد على الخلاف في الآية، وعلى الأول استثنى المسافر؛ لأن له حكماً آخر كما يأتي.

ولو خشيت الحائض أو النفساء التلوّث حرم عليها العبور أيضاً ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى ﴾ مرضاً يضر معه إمساس الماء ولم ينظو البرء ﴿ أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ أي: مسافرين، والمراد: في محل يغلب فيه فقد الماء وأنتم جنب أو محدثون ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴾ أصله للمكان المظتمن من الأرض ثم نقل لقضاء الحاجة، والمعنى: أحدث.

﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «لمستم» هنا، وفي المائدة بلا ألف، والباقون بالألف، وهل المراد الجماع أو اللمس وهو التقاء بشرتي الرجل والمرأة؟ قولان: الثاني للشافعي ؓ ومالك على تفاصيل ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾ تطهرون به للصلاة، وفهم منه وجوب الطلب؛ أي: في غير نحو المريض؛ إذ لا يقال لمن لم يطلب لم يجد ﴿ فَتَيَمَّمُوا ﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿ ضَعِيدًا ﴾ تراباً، وقيل: كل ما صعد على وجه الأرض من جنسهما ﴿ طَيِّبًا ﴾ طاهراً، فلا يجوز التيمم بنجس ولا بمستعمل على قول الشافعي ؓ ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ إلى المرفقين، وذهب بعضهم إلى الاكتفاء بمسح الكفين إلى الكوعين فقط، وله شواهد صحيحة، ويجب ذلك بضربتين وبعدم مسح الوجه، وينوي عند النفل ومسح شيء من الوجه ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا ﴾ [النساء: 44] حظاً ﴿ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ وهو التوراة نزلت في يهود المدينة، منهم رفاعة بن زيد وحبي بن أخطب وغيرهما ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ ﴾ أي: يستبدلون بالهدى ﴿ وَيُرِيدُونَ ﴾ يجنون ﴿ أَنْ تَصَلُّوا ﴾ أي: ضلالكم ﴿ السَّبِيلِ ﴾ أي: عنه؛ أي: تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم.

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ ﴿ ٥٥ ﴾ مِنَ الَّذِينَ

هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ
وَرَاعِنَا لِيَا بِالسِّنِينَهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَتَأَيَّهَا
الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ
وُجُوهًا فَتَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٥ - ٤٨].

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَانِكُمْ﴾ [النساء: 45] منكم فيخبركم بالأعداء لأجل اجتنابكم
لهم ﴿وَوَكَّفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظاً ومعيناً ﴿وَوَكَّفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعاً لكم من كيدهم.
﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [النساء: 46] قيل: هو متصل بما قبله؛ أي: ﴿أُوْتُوا نَصِيًّا﴾
﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وقيل: هو ابتداء كلام آخر؛ أي: بينهم قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون
﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضع
عليها.

وقيل: المعنى ﴿وَوَكَّفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: ينصرون منهم
﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي عندما يأمرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾ قولاك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَسْمَعُ
غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: اسمع منا ولا نسمع منك؛ أي: نقبل، أو المعنى: الدعاء؛ أي: اسمع لا
سمعت، ويقولون له ﴿وَرَاعِنَا﴾ يريدون به الرعونة وقد سبق ﴿لِيَّا﴾ تحريفاً ﴿بِالسِّنِينَهِمْ﴾
عن معنى المراعاة ﴿وَوَطَعْنَا﴾ قدحاً ﴿فِي الدِّينِ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا﴾ بدل وعصينا ﴿وَأَسْمَعُ﴾ فقط ﴿وَأَنْظُرْنَا﴾ انظر إلينا بدل ﴿رَاعِنَا﴾ كما يقوله
المؤمنون ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ عند الله مما قالوه ﴿وَأَقْوَمَ﴾ أعدل وأصوب منه ﴿وَلَكِن
لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أبعدهم عن الرحمة ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كعبد الله بن سلام
وأصحابه ممن أسلم معه منهم، وقيل المعنى: إلا إيماناً قليلاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: 47] خطاب لليهود ﴿ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من
القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نمحو ما فيها من
عين وأنف وحاجب أو نجعلها منابت للشعر كوجوه القردة ﴿فَتَرَدَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا﴾ بأن

نجعلها كالأقفاء لوحًا واحدًا ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نمسخهم فردة ﴿كَمَا لَعْنَا﴾ مسخنا ﴿أَصْحَابِ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي: موجودًا، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام، فقيل: كان وعيدًا بشرط، فلما أسلم بعضهم رفع، وقيل: يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48] أي: الإشراف به ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ ما سوى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ﴾ اختلق ﴿إِثْمًا﴾ ذنبًا ﴿عَظِيمًا﴾ كبيرًا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾
 ﴿١٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن مَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ﴿٢٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٢٤﴾ [النساء: ٤٩ - ٥٤].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: 49] اليهود والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو يزكي بعضهم بعضًا قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 111] أي: ليس الأمر بتركيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي﴾ يظهر بالإيمان ﴿مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ هو الشيء الذي يكون في شق النواة.

﴿أَنْظُرْ﴾ [النساء: 50] يا محمد ﷺ متعجبًا ﴿كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾.

ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر، وحرصوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾ [النساء: 51] هل هو السحر أو الشيطان؟ أو أصله الجبس بالسين المهملة وهو الذي لا خير فيه فأبدلت سيئه تاء؟ أقوال متقاربة ﴿وَالطَّاغُوتِ﴾ كل معبود من دون الله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم: «أنحن أهدي سبيلاً ونحن ولاة البيت نسقي الحاج، ونفري الضيف، ونفك العاني ونفعل، أم محمد وقد خالف دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهْدَى﴾ أرشد ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ طريقاً؟

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: 52] من أهل الحق أو مانعاً من عذاب الله؟

﴿أَمْ﴾ [النساء: 53] بل ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾ أي: ليس لهم نصيب منه لعدم استحقاقهم بل لاستحقاقهم عدمه ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ هو ما في النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم.

﴿أَمْ﴾ [النساء: 54] بل ﴿يُحْسَدُونَ النَّاسَ﴾ النبي ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة والحكمة وكثرة النساء، ويقولون: لو كان نبياً لاشتغل عن النساء أو المراد: أنهم حسدوا العرب على وجود النبوة فيهم ببعث نبينا محمد ﷺ ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما، أو المراد بهم: داود وسليمان وموسى صلى الله عليهم وعلى نبينا محمد وسلم ﴿الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ كملك سليمان، وكان لداود تسع وتسعون امرأة وسليمان ألف مائتين حرة وسرية، والمعنى: لا تحسدوا على ما ليس لكم فقد آتينا آل إبراهيم ما ذكر وهذا شأننا في الأنبياء.

﴿فَمِنهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا تَضَعَتِ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ

إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٥ - ٥٩].

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ [النساء: 55] الضمير عائد على النبي ﷺ، والمراد بمن آمن به: عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ وقودًا وعذابًا لمن لم يؤمن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُضَلِّيهِمْ﴾ [النساء: 56] ندخلهم ﴿نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ غير الجلود المحترقة، والمراد بالغيرية أنه على غير الصفة الأولى، وإلا فهو الجلد الأول بعينه، قاله المفسرون دفعًا لمن قال: كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ﴿لِيَذُوقُوا﴾ أسوأ ﴿الْعَذَابِ﴾ أي: شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: 57] لا بنسخة الشمس فهو دائم غزير كثيف لا يؤذيهم معه برد ولا حر؛ لأنه ظل الجنة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ [النساء: 58] جمع أمانة وهي كل شيء أمنك غيرك عليه ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ نزلت أصحابها لما أخذ علي مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنفي سادنها قهراً؛ لما قدم رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، ومنه قال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر ﷺ برده وقال: هاك خالدة تالدة، فعجب من ذلك، فقرأ له علي ﷺ الآية فأسلم وأعطاه عند موته لابنه شيبه فبقي في ولده.

والآية وإن وردت على سبب، والعبرة بعموم اللفظ ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ القسط ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ العظيم لأمره ﴿نِعِمَّا﴾ أي: نعم شيئاً ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي﴾ [النساء: 59] أصحاب ﴿الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ﴾

إِلَى اللَّهِ ﴿ أَي: كتابه ﴿ وَالرَّسُولِ ﴾ مدة حياته إن كان، وإلا فإلى سنته؛ أي: اكشفوا عليه إن تأهلتُم لذلك، وإلا فارجعوا إلى العلماء ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ حقاً ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: الرد إليها ﴿ خَيْرٌ ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ مآلاً وعاقبة ونزلت لما اختصم يهودي ومنافق فدعي المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعي اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه، فقضا لليهودي فلم يرضى المنافق، وأتيا عمر فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق كذلك: قال: نعم فقتله، وهل المنافق معتب بن قشير أو رافع بن يزيد أو الجلاس بن الصامت؟ أقوال.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ [النساء: 60] الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ ولا يوالوه ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ عن طريق الحق.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ [النساء: 61] أي: قال لهم المسلمون ﴿ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنزَلَ اللَّهُ ﴾

في كتابه من الأحكام ﴿وَالِى الرُّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ الْمُتَافِقِينَ يَضُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ﴾ أي: غيرك ﴿ضُدُّوْا﴾ إعراضاً.

﴿فَكَيْفَ﴾ [النساء: 62] يصفون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ في عذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيْدِيهِمْ﴾ من الإعراض؛ أي: أيقدرّون على الإعراض والفرار منها؟ لا وهنا تم الكلام، وهو إعراض بين أول القصة وآخرها ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلُفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحاً ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفاً بين الخصمين بالتقريب في الحكم لا حملاً على أمر الحق.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: 63] من النفاق فكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ أي: عن عقوبتهم لثلاث يتحدث الناس أن النبي ﷺ يقتل أصحابه ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾ باللسان ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ وهو التخويف بالقتل وبالله أو أن يقول لهم: إن ظهر النفاق عليكم قتلتم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [النساء: 64] فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بعلمه وإرادته: أي: أرسلاته لذلك لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت، ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ دعا لهم بالاستغفرة ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65] اختلط والتبس من أمورهم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ شكاً، وقيل: ضيقاً ﴿مِمَّا قَضَيْتَ﴾ به لهم، أو عليهم به، ونفي الشك والضيق واجب في حكم الرسول ﷺ ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ لأمرك ﴿تَسْلِيمًا﴾ أي: يتقادوا إليه انقياداً تاماً.

والآية نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة ﷺ اختصما في ماء فقضى النبي ﷺ للزبير فهو تطيب لقلب حاطب بأن يعلم حقيقة العلم أنه لا اعتراض على الرسول في حكم؛ إذ هو الحق فيجب الرضا به.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ حَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْئًا﴾ (٦٦) ﴿وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٦٧) ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾

﴿٦٦﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٧﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٦٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُدُودًا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا نِبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٦٩﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٠﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ فَلْيَقْتُلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴿النساء: ٦٦ - ٧٤﴾.

﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [النساء: 66] كما أمرنا بالأول بني إسرائيل في قبول توبتهم وأمرناهم بالثاني في الخروج من مصر ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ وأشار إلى عبد الله بن رواحة: «لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل»⁽¹⁾ قرأ ابن عامر: «إلا قليلاً» بالنصب والباقون بالرفع، والمعنى: إنه ما كتب عليهم ذلك وإنما كتب عليهم طاعة الرسول ﷺ والرضا بحكمه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ تحقيقاً وتصديقاً لإيمانهم.

﴿وَإِذَا﴾ [النساء: 67] أي: ثبتوا ﴿لَا تَتَّبِعُهُمْ مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثواباً وافراً في الجنة ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: 68] أي: الصراط المستقيم والتنوين للتعظيم ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: 69] جمع صديق وهو من قوي وكثر تصديقه وبقينه ولما لم يكن في هذه الأمة بعد الأنبياء أفضل من جدنا أبي بكر بالإجماع ولا أعظم إيماناً

(1) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (353/2).

وتصديقًا وقيماً منه غلب عليه هذا الاسم فهو الصديق الكامل في هذه الأمة ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ جمع شهيد، وهو من قتل في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسَنٌ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في الجنة، والمراد بالمعية أنه يراهم ويجالسهم لا أنه يكون في مرتبتهم، نزلت لما قال ثوبان للنبي ﷺ: أنت يرفعك الله في الآخرة فمن أين لنا أن نراك؟ فقال: «المرء مع من أحب»⁽¹⁾.

﴿ذَلِكَ﴾ [النساء: 70] كونهم معهم ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ تفضل به عليهم؛ لأنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة وغيره فثقوا بما أخبركم به، وقيل: المراد بالصديق في الآية: أبو بكر كرم الله وجهه، وبالشهداء عمر وعثمان وعلي، وبالصالحين بقية الصحابة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71] من أعدائكم بالاحتراز واليقظ أو عدتكم والتام من السلاح ﴿فَانفِرُوا﴾ انقضوا لقتاله ﴿ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ متفرقين في السرايا سرية بعد أخرى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرن عن القتال ويأمر الناس بذلك، نزلت في المنافقين وهم عبد الله بن أبي، وقال: منكم باعتبار ظاهره وإن لم يكن في البطن منهم.

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ [النساء: 72] كقتل أو هزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاص: انصاب.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: 73] كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادماً ﴿كَأَن﴾ أي: كأنه ﴿لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وصداقة، وهذا راجع لقوله: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ قرأ ابن كثير وحفص ورويس: «تكن» بالثاء من فوق والباقون بالياء من تحت ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ بالغنيمة.

قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ [النساء: 74] يختارون ويستبدلون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ أي: يستشهد ﴿أَوْ

(1) رواه البخاري (2283/5)، رقم (5819)، ومسلم (2032/4)، رقم (2639)، وأبو داود (333/4)، رقم (5127)، والترمذي (595/4)، رقم (2385) وقال: صحيح. وعبد بن حميد (ص 377)، رقم (1265)، وأبو يعلى (270/5)، رقم (2888)، وابن حبان (308/1)، رقم (105)، والطبراني في «الأوسط» (267/7)، رقم (7465)، وفي «الصغير» (109/1)، رقم (154).

يَغْلِبُ ﴿ فَتَحْصِلُ لَهُ السَّلَامَةُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثَوَابًا جَزِيلًا.

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وِلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَىٰ الْقِتَالُ قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء: 75 - 79].

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ ﴾ [النساء: 75] أي: لا مانع لكم من القتال ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وَ﴿ فِي تَخْلِيصِ ﴾ ﴿ الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ بِمَكَّةَ وَهُمْ قَوْمٌ أَسْلَمُوا، عَذَرُوا عَنِ الْخُرُوجِ ﴿ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾ الَّذِينَ حَسِبَهُمُ الْكُفْرَ عَنِ الْهَجْرَةِ فَأَذَوْهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِنْهُمْ» ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ دَاعِينَ يَا ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾ مَكَّةَ ﴿ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ بِالْشُرْكِ ﴿ وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ ﴾ مِنْ عِنْدِكَ ﴿ وِلِيًّا ﴾ حَافِظًا مِنْهُمْ وَمَنْ أَذَاهُمْ الْكَثِيرُ، بَلَىٰ أَمْرُنَا ﴿ وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ يَنْصُرُنَا، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُمْ فَتَيْسِرَ لِبَعْضِهِمُ الْخُرُوجَ وَبَقِيَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ فَتَحِ مَكَّةَ، وَوَلَّى ﷺ عَتَابَ بَنِ أَسِيدٍ فَأَنْصَفَ مَظْلُومَهُمْ مِنْ ظَالِمِهِمْ.

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾

[النساء: 76] الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ وهم الكفار تغلبوهم؛ لقوتكم بالله تعالى ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ مكروه، وخداعه ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهناً دائماً لا يقاوم كيد الله بالكفار، ومن وهته أنه يوم بدر لما رأى الملائكة خاف من قبضهم له فهرب⁽¹⁾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: 77] عن قتال الكفار وهم جماعة من المؤمنين، منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وسعد بن أبي وقاص وقدامة بن مظعون، وجماعة كانوا بمكة يلقون أذى كثيراً من المشركين، فيلقونه ﴿فَيَقُولُونَ: لو أذنت لنا في القتال، فيقول لهم: كفوا أيديكم، فلما نزلت الآية بعد الهجرة وأمروا بقتال المشركين كرهوا ذلك، والذي كرهه إما مؤمن وتاب أو منافق لم يتب ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿النَّاسَ﴾ الكفار؛ أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشِيَةِ اللَّهِ﴾ كالخوف من عذاب الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً﴾ من خشيتهم له ﴿وَقَالُوا﴾ جزعاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ الجهاد ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: حتى نموت بلا قتال ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَاعٌ﴾ منفعة واستمتاع ﴿الدُّنْيَا لَقَلِيلٌ﴾ لفنائها ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾ الله ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون من أعمالكم، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وحزمة والكسائي وخلف بالغيب، والباقون بتاء الخطاب ﴿فَتَبَيَّلًا﴾ قدر قشرة النواة فجاهدوا.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: 78] نزلت في المنافقين الذين قالوا: لو كانوا عندنا ما ماتوا ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ قلاع وحصون ﴿مُسَيِّدَةً﴾ طويلة أو محصنة أو مجصصة؛ والمعنى: فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ نحو خصب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ نحو جذب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يا محمد ﴿نزلت لأن اليهود قالوا: ما زلنا نعرف نقص ثمارنا وزروعنا منذ قدم هذا الرجل ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلُّ﴾ من الأمرين ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ بقوة قهره ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ بمعنى: المنافقين أو اليهود ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون ﴿حَدِيثًا﴾ قولاً يأتي

(1) قال ابن عادل: فكيف وصف كيد المرأة بالعظيم، وأيضاً: فكيد الرجال قد يزيد على كيد النساء؟ فالجواب عن الأول: أن خلقة الإنسان بالنسبة إلى خلقة الملائكة، والسموات، والكواكب خلقة ضعيفة، وكيد النسوان بالنسبة إلى كيد البشر عظيم؛ ولا منافاة بين القولين، وأيضاً: فالنساء لهن من هذا الباب من المكر، والحيل، ما لا يكون للرجال؛ لأن كيدهن في هذا الباب، يورث من العار ما لا يورثه كيد الرجال. [تفسير اللباب لابن عادل (9/ 253)].

إليهم، وما: استفهام تعجبي.

﴿مَا أَصَابَكَ﴾ [النساء: 79] أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ﴿فَمِنْ اللَّهِ﴾ فضلاً
﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بلية ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ بسبب ذنبك ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﷺ
﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك.

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾
﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا
يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَنْتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُفُ إِلَّا نَفْسَكَ
وَخَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَى بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ
تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾ [النساء: ٨٠ - ٨٤].

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80] لأنه أمر بطاعته وجعل محبته في
اتباع السنة ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعته فلا يهمنك ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾
رقيبًا حافظًا لأعمالهم بل كل أمورهم إلى الله، نزلت عند قولهم لما قال ﷺ: «من
أطاعني فقد أطاع الله»⁽¹⁾ ما يريد محمد إلا أن نتخذه ربًا ثم نسخت بالأمر بالقتال.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [النساء: 81] أي: المنافقون إذا جاءوك أمرنا ﴿طَاعَةٌ﴾ لك ﴿فَإِذَا
بَرَزُوا﴾ أخرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لك، فهم
يبدلون ويغيرون ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ يأمر، يكتب ﴿مَا يُبَيِّنُونَ﴾ في صحائفهم ليجازيهم عليه

(1) رواه البخاري (1080/3)، رقم (2797)، ومسلم (1466/3)، رقم (1835)، والنسائي (154/7)، رقم

(4193)، وابن أبي شيبة (418/6)، رقم (32529)، وأحمد (252/2)، رقم (7428)، وابن ماجه (2/

954، رقم (2859).

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ناصراً وحافظاً وولياً ومفوضاً إليه.
 ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [النساء: 82] يتفهمون ويتأملون ﴿الْقُرْآنَ﴾ وما فيه من المعاني
 البدعية ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تفاوتاً وتناقضاً.
 ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: 83] أشاعوه وأفسوه،
 نزلت في المنافقين كانوا يستخبرون عن السرايا فإذا وقع لهم نحو هزيمة أشاعوه
 لإضعاف قلوب المؤمنين ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي: تركوا أمر الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ ﷺ حتى
 يخبر به ﴿وَالِى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي: ذوي الرأي من الصحابة كأبي بكر وعمر
 وعثمان وعلي حتى تخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا ﴿الَّذِينَ
 يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ يستخرجونه ويطلبون علمه، وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي
 الأمر ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالقرآن ﴿لَاتَّبَعْتُمْ﴾ جميعكم
 ﴿الشَّيْطَانَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من الناس لم يتبعه.

﴿فَقَاتِلْ﴾ [النساء: 84] يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ التاء متعلقة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ
 لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: 75] أو بقوله: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء:
 74] ﴿لَا تَكُلْفُ إِلَّا نَفْسُكَ﴾ فلا تهتم باختلافهم عنك، نزلت لمواعدة رسول الله ﷺ
 أبا سفيان غزوة بدر الصغرى، فكرهه قوم ﴿وَحَزْرٍ﴾ حث ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال
 ورغبتهم في ثوابه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسٍ﴾ قتال ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وكذلك بفضله وقع،
 فلم يقاتلوا وذلك لأن رسول الله ﷺ خرج لهم في سبعين راكباً، فكفاهم الله القتال،
 بإلقاء الرعب في قلوب الكفار ومنع أبي سفيان من الخروج ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ صولة
 ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ عقوبة منهم، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو
 وحدي»⁽¹⁾ فخرج وكفى القتال كما سبق.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِمَّا وَرَأَى وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً
 يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِمَّا وَرَأَى وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْبِلًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخْتٍ فَجِوْا
 بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(1) ذكره البغوي في «تفسيره» (137/2).

اقتلهم، ومن قائل يقول: اعف عنهم، وقيل: هم قوم أسلموا ولم يهاجروا وقصدوا مظاهرة المشركين، وقيل: هم قوم أسلموا وجاءوا المدينة ثم بدا لهم فخرجوا منتزهين حيلة ثم توجهوا للشام ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ لكسبهم، وبددهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بسبب أعمالهم القبيحة ﴿أَتْرِيدُونَ﴾ استفهام إنكاري كالذي قبله ﴿أَنْ تَهْدُوا﴾ ترشدوا ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أي: تعدوهم من جملة المهتدين ﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

﴿وَدُّوا﴾ [النساء: 89] الضمير لمن ذكر من المنافقين ﴿لَوْ تَكَفَّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَوَاءٌ﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصاراً وأعواناً وأصحاباً وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم، وهذه هجرة المنافقين التي يقبل بها توبتهم، وهجرة غيرهم الخروج من مكة، وهجرة كل مسلم ترك ما نهى الله ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أسارى ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الحل أو الحرم ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ صاحباً ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ معيناً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُعَانِدُوكُمْ وَوَلَّوْا شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسَمَ فَأَجَلَّ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿١٠﴾ سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَىٰ الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْزِلُوكُمْ وَيَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَمَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْفَتْهُمُ ۖ وَأُولَٰئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١١﴾ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ۖ فَإِن كَانِ مِنْ قَوْمِ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۖ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ [النساء: ٩٠ - ٩٢].

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [النساء: 90] استثناء من القتل لا من الموالاة؛ إذ لا تجوز موالاة الكافر بحال؛ والمعنى: اقتلوهم إلا الذين يلجئون ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ هدنة وعهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم، هل هم الأسلميون ومنهم هلال بن عويمر الأسلمي، أو بنو بكر بن زيد أو خزاعة؟ أقوال، أولها لابن عباس ﴿أَوْ﴾ الذين يصلون إلى قوم ﴿جَاءَكُمْ﴾ وقد ﴿حَصَرْتُمْ صُدُورَهُمْ﴾⁽¹⁾ قرأ يعقوب بفتح الحاء وكسر الصاد وفتح الراء ونصب التاء منونة - أي: ضيقة - أي: ويقف بالهاء والباقون بإسكان التاء؛ أي: ضاقت، وهم بنو مدلج لما عاهدوا المسلمين والمشركين على ترك القتال بين الفريقين ﴿أَنْ يِقَاتِلُوكُمْ﴾ المعنى: عن قتالكم مع قومهم ﴿أَوْ يِقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم؛ والمعنى: لا يقاتلونكم ولا يقاتلون قومهم فقلوبهم ضيقة لذلك فلا تتعرضوا لهم بأخذ ولا قتل، وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن تقوى قلوبكم ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ فأرعب قلوبهم ﴿فَإِنْ

(1) هذا استثناء من قوله: ﴿فَحُدُّوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾ والوصول هنا: البلوغ إلى قوم، وقيل: معناه يتسبون قاله أبو عبيدة، وقال النحاس: هذا غلط عظيم؛ لأنه ذهب إلى أنه تعالى حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب والمشركون قد كان بينهم وبين المسلمين السابقين أنساب؛ يعني: وقد قاتل الرسول ومن معه من انتسب إليهم بالنسب الحقيقي، فضلاً عن الانتساب، قال النحاس: وأشد من هذا الجهل قول من قال: إنه كان ثم نسخ؛ لأن أهل التأويل مجمعون على أن الناسخ له براءة، وإنما نزلت بعد الفتح، وبعد أن انقطعت الحروب، ووافقته على ذلك الطبري، وقال القرطبي: حمل بعض أهل العلم معنى يتسبون على الأمان، أو أن ينتسب إلى أهل الأمان، لا على معنى النسب الذي هو القرابة انتهى، قال عكرمة: إلى قوم هم قوم هلال بن عويمر الأسلمي، وادع الرسول على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن لجأ إليهم فله مثل ما لهلال، وروي عن ابن عباس: أنهم بنو بكر بن زيد مناة، والجمهور على أنهم خزاعة وذو خزاعة، وقال مقاتل: خزاعة وبنو مدلج، وقال ابن عطية: كان هذا الحكم في أول الإسلام قبل أن يستحكم أمر الطاعة من الناس، فكان رسول الله ﷺ قد هادن من العرب قبائل كرهط هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك بن جعشم، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف، فقضت هذه الآية أنه من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي ﷺ إلى هؤلاء أهل العهد، ودخل في عدادهم؛ وفعل فعلهم من الموادة، وفعل فعلهم من الموادة، فلا سبيل عليه، قال عكرمة والسدي وابن زيد: ثم لما تقوى الإسلام وكثر ناصره نسخت هذه الآية والتي بعدها بما في سورة براءة انتهى، وقيل: هم خزاعة وخزيمة بن عبد مناف، والذين حصرت صدورهم هم، بنو مدلج اتصلوا بقريش.

اغْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُفَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ولا منفردين ﴿وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ﴾ أي: انقادوا لكم بالصلح ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى قتلهم وقتالهم لأجل الهدنة.

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ [النساء: 91] هم غطفان عند الأكثر ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُامِنُوكُمْ﴾ حتى لا يقاتلونهم ﴿وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ﴾ حتى لا يقاتلونهم، وكانوا إذا لقوا الكفار قالوا: نحن على دينكم، وإذا لقوا المؤمنين قالوا: آمنا؛ لأجل قصدهم الأمان من الطائفتين ﴿كَلَّمَا رُدُّوا﴾ ودعوا ﴿إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ الشرك ﴿أُزْكِسُوا﴾ أرجعوا ﴿فِيهَا﴾ وقعوا في الكفر أشد وقوع ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَرَلُوكُمْ﴾ بترك القتال ﴿و﴾ لم ﴿يُلْفُوا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ﴾ الصلح ﴿و﴾ لم ﴿يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخَذَوْهُمْ﴾ أسرا ﴿وَأَقْتَلَوْهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَوْلَيْكُمْ﴾ الموصوفون بهذه الصفة ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ برهانًا ظاهرًا بالقتل والقتال لقدرهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: 92] أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له، نزلت في عياش آمن وذهب إلى المدينة ثم رجع بسبب أمه ثم آمن بعد وهاجر، وكان الحارث بن زيد كلمه كلمة أغضبه، فحلف في قتله، وكان قبل إيمان كل منهما فأسلم الحارث، فلقبه عياش فقتله من غير علم بإسلامه فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره لما قيل له أنه أسلم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿خَطَأً﴾ أي: مخطئًا في قتله بلا قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ بأن قصد رمي نحو صيد فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالبًا، أو سعد شجرة فنزل فسقط عليه فقتله ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مسلمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: إعتاقها عليها ﴿وَدِيَةٌ﴾ مؤجلة في ثلاث سنين كل سنة ثلث، وتكون مخمسة عشرون بنت مخاض، ومثلها من بنات اللبون والحقاق والجذاع وابن اللبون الذكور، فهي مائة على عاقلة القاتل، وهم عصبة إلا الأصل والفرع، وعلى الغني ما يعدل من الإبل نصف دينار، وعلى المتوسط ما يعدل منها ربع دينار كل سنة، فإن لم يفوا فمن بيت المال، فإن تعذر فعلى الجاني ﴿مُسْلَمَةً﴾ مؤداة ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ الوارثين منه يوم مات توزع عليهم بحسب الإرث ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليه بالعفو عن الدية فلا شيء ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ﴾ في ﴿قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة، ولا تجب الدية ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد ﴿فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ وهي ثلث دية مسلم، وإن كان يهوديًا أو نصرانيًا وثلثا عشرها إن كان مجوسيًا، والمرأة على النصف من الرجل ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله مع ذلك كفارة ﴿فَمَنْ لَمْ

يَجِدُ الرِّقَبَةَ أَوْ لَمْ يَجِدْ مَا يَشْتَرِيهَا بِهِ ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة، فإذا أفطر يوماً عمداً ألزمه الاستئذان، ولم يذكر تعالى الانتقال للطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أظهر قوله ﴿تَوْبَةٌ مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَلِيماً حَكِيماً﴾.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴿٩٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبْنَا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَبْنَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيماً ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: 93 - 95].

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً﴾ [النساء: 93] بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالمًا بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ دائماً إن قتله مستحلاً؛ لأن الآية نزلت في ذلك، وإذا وجد معنى في محل النص يصلح أن يناط به الحكم لم يجز العدول عنه ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ طرده وأبعده ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ بالخلود في النار، وبينت البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفا عنه، وبينت السنة أن بين الخطأ والعمد قتلاً يسمى شبه العمد، وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل، وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ [النساء: 94] سافرتم للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبْنَا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: فتبتنوا بالياء المثلثة ثم الباء الموحدة ثم التاء المثناة من فوق في الحرفين هنا، وفي الأحزاب من التثبت، والباقون بالياء الموحدة ثم الياء التحتية ثم النون من البيان ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر وحمزة وخلف بغير ألف بعد اللام، والباقون بألف بعدها؛ المراد: الانقياد بقول

كلمة الشهادة التي هي أمانة إسلامه ﴿لَسْتُ مُؤْمِنًا﴾ قرأ أبو جعفر بخلاف عنه: مؤمناً بفتح الميم الثانية؛ أي: أمانة منا بل نقتلك، وقرأ الباقون بكسرهما؛ أي: ليست من المؤمنين وإنما قلت: هذا تقية لنفسك ومالك، نزلت لأن النبي ﷺ أرسل جيشاً فيه أسامة بن زيد فلقي رجلاً من أهل فدك من بني سليم يقال له مرداس بن نهيك أمن وهرب إلى الجبل لظنه أن الجيش ليس من المسلمين، فلما سمع التكبير نزل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ السلام عليك يقول لأسامة، فقتله لما أنه ظن أن ذلك لا ينفعه واستاق غنمه، واشتد غضب رسول الله ﷺ في ذلك ثم استغفر لأسامة ثلاث مرات وأمره بإعتاق رقبة ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مسلم لماله ﴿كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن يقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم، فعلى الغزاة إذا رأوا في محل شعار الإسلام أن يكفوا عن أهله حتى يتبين الحال لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ * لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿[النساء: 94 - 95] من المؤمنين عن الجهاد غير أولي الضرر من زمانة أو عمى ونحوه نزلت؛ لأن ابن أم مكتوم لما سمع أول الآية قال: يا رسول الله لو أستطيع جهاد لجاهدت فيزل ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ وقرأ المدنيان وابن عامر والكسائي وخلف «غير أولي» بفتح الراء والباقون بالرفع، ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ للضرر ﴿دَرَجَةً﴾ أي: فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين المجاهد والقاعد من أولي الضرر ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ هي الجنة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ من غير ضرر ولا عذر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٦) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفَيْهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١٧) ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (١٨) ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٩) ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ يَمِيزُ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا
ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾ [النساء: ٩٦ - ١٠١].

﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ﴾ [النساء: 96] منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ونزل في قوم أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع
الكفار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: 97] بترك الهجرة، ومنهم:
علي بن أمية بن خلف والحارث بن زمعة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن
الفاكه وأبو العاص بن منبه بن الحجاج ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ سؤال توبيخ من
الملائكة؛ أي: في أي شيء كنتم من أمور دنياكم؟ أو كنتم من أصحاب محمد ﷺ أم من
المشركين؟ ﴿قَالُوا﴾ معتذرين ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة؛ أي: عن
الجهاد وإقامة الدين ﴿قَالُوا﴾ أي: الملائكة لهم توبيخًا ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً
فَتَهَاجَرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر لبلد آخر، قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا﴾ هي.

ثم استثنى المستضعفين بقوله: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ﴾
[النساء: 98] قال ابن عباس: كنت أنا وأمي ممن عذر الله، الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾
لا يقدر على ما ينفقونه ويخرجون به ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج.

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [النساء: 99] لهم، فإن
قيل: كيف جعل ذلك ذنبًا وأدخل فيه الولدان؟ فالجواب: إن المراد بعض من ذكر ممن
هو أهل للتكليف أو ذكره على سبيل تأكيد أمر الهجرة؛ أي: إن هؤلاء لو كتب عليهم
ذنب لعوملوا بذلك.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: 100] يخرج إلى المدينة من مكة أو يخرج
عن محل الكفر لمحل الإسلام ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا﴾ متحولاً ومترحلاً عن
المكروه ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق، وليس لأحد المقام بأرض يسب بها السلف ويعمل

فيها بغير الحق إلا لعذر ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ قبل بلوغه؛ أي: المحل الذي هاجر إليه كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ فلا بد من وصوله إليه فضلاً، وقيل: نزلت في حمزة بن جندب ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ [النساء: 101] سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إثم في ﴿أَنْ تَقْضُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ فتردوا الأربع إلى ركعتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ﴾ أي: ينالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ وضح في السنة بقاء الرخصة في حال الأمن أيضاً، وشرط السفر الذي تقصر فيه الصلاة أن يكون مباحاً مرتباً بقصد معلوم بلغ ذهاباً ثمانية وأربعين ميلاً هاشمية، وهو مرحلتان يسير الأثقال، وتؤخذ من قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٢ - ١٠٥].

﴿وَإِذَا كُنْتَ﴾ [النساء: 102] يا محمد حاضراً ﴿فيهم﴾ في أصحابك ﴿فأقمت لهم الصلاة﴾ في الخوف من العدو، وهذا جرى على عادة القرآن في الخطاب فلا

مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ﴾ تثبت ﴿طَائِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: من لم يصل أو من صلوا ﴿أَسْلِحَتْهُمْ﴾ فإن كان المراد الأول فليأخذوا من السلاح ما أمكن، وإن كان الثاني فليأخذوا ما لا يشغل عن الصلاة وتصح معه ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: السجدين ﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وِرَائِكُمْ﴾ أي: يتموا الصلاة لأنفسهم ويذهبوا إلى جهة العدو وهو الخلف؛ لأن الآية نزلت فيما إذا كان العدو في غير جهة القبلة ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ وهم الذين وقفوا في جهة العدو إلى انقضاء صلاة الأولين ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ بأن يصلي معهم الركعة الثانية، ثم يثبت جالسًا في التشهد حتى يتموا ويجلسوا للتشهد فيسلم بهم ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتْهُمْ﴾ معهم إلى أن يقضوا الصلاة، وهذه صلاة رسول الله ﷺ بـ «بطن نخل».

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أحبوا ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ جمع متاع، وهو ما معكم ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ يقصدونكم حاملين عليكم حملة واحدة فليأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا إثم عليكم ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى﴾ أي: ما يؤذيكم ﴿مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَصْعَوْا أَسْلِحَتِكُمْ﴾ في الصلاة وخارجها فلا تحملوها، وهذا مفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو محمول على ما إذا خشي من تركه ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو؛ أي: احتزروا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ [النساء: 103] فرغتم منها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿فِيَمَا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ سكتتم وأمتتم ﴿فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ﴾ على حكم الحضر من التمام ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ فرضًا ﴿مُوقُوتًا﴾ مؤقتًا بوقت لا تقدم عنه النية وكذا لا تؤخر عنه جوارًا إلا لعذر فصل في الفروع.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [النساء: 104] لا تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم، نزلت لأن أبا سفيان يوم أحد رجع بأصحابه فبعث رسول الله ﷺ في أثره قَوْمًا ما فشكوا ألم الجراحات ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراحات ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: مثلكم ولا يجنبوا عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من النصر والثواب ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تريدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [النساء: 105] القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ علمك ﴿اللَّهِ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ طعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مدافعاً لأجلهم.

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ ١١٦ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ١١٧ ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ١١٧ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ١١٨ ﴿هَاتِئِنَّ هَنُؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ١١٩ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ١٢٠ ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهِ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ١٢١ ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا فِي بَرِيئَةٍ فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ١٢٢ ﴿[النساء: 106-112].

﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ [النساء: 106] مما هممت به من جدالك عن الخائن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: 107] يظلمونها بالخيانة والسرقه؛ لأن وبال ذلك عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ لا يشيب ﴿مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾⁽¹⁾ كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا﴾ برميته من لم يفعل بما فعل، وكان سبب نزولها: إن طعمة بن أبيرق ممن أسلم سرق درعاً أودعها اليهودي قيل: اسمه زيد، ليبد بن سهل، فوجدت عند اليهودي فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه

(1) أتى بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم؛ ليخرج منه من وقع منه المرة، ومن صدرت منه الخيانة على سبيل العقلة وعدم القصد، وفي صفتي المبالغة دليل على إفراط طعمة في الخيانة وارتكاب المآثم، وقيل: إذا عثرت من رجل سيئة فاعلم أن لها أخوات، وعن عمر أنه أمر بقطع يد سارق، فجاءت أمه تبكي وقالت: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال: كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة.

ويديهِ، وقيل: بل هم رسول الله ﷺ بقطع يد اليهودي والجدال عن السارق؛ لأنه لم يظهر له سرقة خصوصاً، وقد حلف طعمة أنه ما سرقها.

﴿يَسْتَحْفُونَ﴾ [النساء: 108] أي: طعمة وقومه حياً ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ حاضر بعلمه ﴿إِذْ يَبِيتُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

ثم خاطب قوم السارق بقوله: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ﴾ [النساء: 109] خاصمتهم ﴿عَنْهُمْ﴾ عن طعمة وذويه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ أي: يتوكل عنهم، ويذب عذاب الله إذا عذبهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ [النساء: 110] ذنباً يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ﴾ بعمل ذنب قاصر عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يتب ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ﴾ [النساء: 111] يفعل ﴿إِنَّمَا﴾ ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ﴾ يفعله ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأنه يضرها به فقط ﴿وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ [النساء: 112] صغيرة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة ﴿ثُمَّ يَزِمُ بِهِ بَرِيثًا﴾ منه ﴿فَقَدْ احْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿بِئْهَاتَانَا﴾ برميهِ ﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ ظاهراً يكسبه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾
 لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ وَسَاءَٰتُ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾
 إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْشَاءً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾
 [النساء: ١١٣ - ١١٧].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 113] يا محمد ﷺ ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة
 ﴿لَهَمَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: قوم طعمة ﴿أَنْ يُضْلُوكَ﴾ عن القضاء
 بالحق لتليسهم عليك ﴿وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن وبال ذلك يرجع عليهم ﴿وَمَا
 يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأنك لا تأثم بعصمتك، فلا نفع في محذور ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ القضاء بالوحي، وعلم ما كان وما يكون ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ
 تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من علم الأحكام وعلم الغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره
 ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ [النساء: 114] أي: الناس فيما بينهم، وهو
 الحديث السر بين القوم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: إلا في نجوى من أمر بصدقة ﴿أَوْ
 مَعْرُوفٍ﴾ هو كل طاعة ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ خصصه وإن كان داخلاً في الأول؛
 للاعتناء به لما فيه من تسكين الفتن ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِتِّغَاءً﴾ طلب
 ﴿مَرْضَاةَ اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة بالياء
 من تحت، والباقون بالنون.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: 115] ﷺ، نزلت في طعمة؛ لأنه هرب بمكة
 وارتد لظهور السرقة عليه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ ظهر له ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿غَيْرَ
 سَبِيلِ﴾ طريق ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ التي أجمعوا عليها فيه دليل على أن الإجماع حجة ﴿تَوَلَّهِ
 مَا تَوَلَّى﴾ أي: نكله إليه في الدنيا ﴿وَنُضِلَّهُ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
 مَصِيرًا﴾ مرجعًا هي.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 116] أي: الذنب
 الذي هو أصغر من الشرك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فلا يجب عليه شيء ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
 ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن طريق الحق، ونزلت في طعمة؛ لأنه عبد صنمًا حتى مات، أو
 سرق في الذي ذهب إليه ومات كافرًا.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ [النساء: 117] يعبد المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي:

غيره ﴿إِلَّا إِنَانًا﴾ أصنامًا، مؤنثة كالكلمات والعزى ومناة، وكان في كل واحد منهم شيطان فلذلك قال ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ مرادًا خارجًا عن الطاعة وهو إبليس.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا أَضِلُّنَّهُمْ وَلَا أُمْنِنُهُمْ وَلَا أُمْنِنُهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْيَةَ فَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١١٨ - ١٢٣].

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ [النساء: 118] طرده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ إبليس ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مَفْرُوضًا﴾ معلومًا أَدْعُوهُمْ لَطَاعَتِي. ﴿وَلَا أَضِلُّنَّهُمْ﴾ [النساء: 119] عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَا أُمْنِنُهُمْ﴾ هو ما أَلْفَاهُ فِي نفوسهم من الأكاذيب كقول بعضهم: لا جنة ولا نار، وقول بعضهم بالبدع المعروفة، وقيل: المعنى: أمينهم بإدراك الجنة مع ركوب المعاصي ﴿وَلَا مِرْيَةَ فَيُغَيِّرَنَّ﴾ يقطعن ﴿آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ فيشقونها، وهي البحيرة وستأتي ﴿وَلَا مِرْيَةَ فَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ دينه بالكفر وغيره ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ ربًا يطيعه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ بخلوده في النار.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ [النساء: 120] طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نيل الدنيا والخوف من الفقر إن أنفقوا وألأ بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً. ﴿أُولَئِكَ﴾ [النساء: 121] الموعودون ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ [النساء: 122] أي: وعدهم ذلك وحقه حقاً ﴿وَمَنْ أٰصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه، ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب.

﴿لَيْسَ﴾ [النساء: 123] الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانَتِكُمْ﴾ أيها المسلمون، أو الخطاب لمشركي العرب ﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى، بل بالعمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فالمؤمنون يجزون بذلك في الدنيا؛ كالمرض والحزن والنصب والجزع والحر والبرد، والكافر والمنافق يؤخر ذلك له في الدار الآخرة، وكذا بعض أرباب الكباثر ﴿وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه منه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ بمنعه من عذابه.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّعُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٢٨﴾ [النساء: ١٢٤ - ١٢٨].

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ [النساء: 124] شيئاً ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر نقرة النواة، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وأبو بكر وروح «يدخلون» بضم الياء وفتح الحاء هنا، وفي مريم، والأولى من

غافر، وافقهم رويس في مريم وأول غافر، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ورويس الثاني من غافر وهو «سيدخلون جهنم» بالضم، واختلف عن أبي بكر وقرأ أبو عمرو «ويدخلونها» في فاطر لذلك، والباقون بفتح الياء وضم الخاء في المواضع الخمسة.

﴿وَمَنْ﴾ [النساء: 125] أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا﴾ أي: أحكم دينًا وأقوى طريقًا ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ انقاد بكليته وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دينه الموافق لدين الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ مسلمًا مخلصًا، ومن دين إبراهيم: الصلاة للكعبة والطواف وجميع مناسك الحج، وخصه بالذكر لما ذكر؛ لأن تقبله بأسرها، أو لأن محمدًا بعث بملته وزيد أشياء ﷺ وعلى سائر الأنبياء ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيًا صفت محبته ووده والنيبي ﷺ اتخذه الله خليلًا، وزاد على ذلك بالمحبة.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: 126] خلقًا وملكًا ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أي: لم يزل ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا * وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: 126 - 127] يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿النِّسَاءِ﴾ وميراثهن ﴿قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَنْتَلِي عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث يفتيكم أيضًا ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ أي: اليتامى منهن ﴿اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَزْعُبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ لزمانهن وتعزولهن أن يتزوجن طمعًا في ميراثهن؛ أي: نفتيكم ألا تفعلوا.

﴿وَ﴾ في ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ﴾ اليتامى أن تعطوهم حقوقهم ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَقْوُمُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم.

﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ [النساء: 128] توقعت ﴿مِنْ بَغْلِهَا﴾ زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ ترفعًا عليها بترك مضاجعة وتقصير في حقها لبغضه لها، وتعلقه بأجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجه ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ﴿عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بأن تترك له جزءًا من الإنفاق، أو حقها في القسم، أو نحو ذلك؛ طلبًا لبقاء الصحبة، فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيقها حقها أو يفارقها.

وقرأ الكوفيون «يصلحا» بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام، والباقون بفتح الياء والصاد مشددة بعدها ألف، ثم لام مفتوحة، والآية نزلت في رجل كبرت زوجته فتزوج عليها وأراد طلاقها فرضيت بترك القسم، ثم شرع لبقية الناس ذلك ﴿وَالصُّلْحُ

﴿حَيْرٌ﴾ من النشوز والإعراض والفرار.

قال في بيان ما جبل عليه الإنسان: ﴿وَأَحْضَرَتِ الْأَنْفُسَ الشُّحَّ﴾⁽¹⁾ أي: نفس كل واحد من الزوجين وغيرهما الشح بنصيبه عن الآخر؛ أي: جبلت عليه، فكأنها حاضرته لا تغيب عنه ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ بالصلح ﴿وَتَتَّقُوا﴾ في العشرة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا﴾.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يُعِنِ اللَّهُ كُلاً مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء: ١٢٩ - ١٣٤].

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: 129] سواء ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على إرادة ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾ إلى من تحبونها ﴿كُلَّ الْمَيْلِ﴾ في القسم والنفقة، فلا

(1) هذا من باب المبالغة جعل الشح كأنه شيء معد في مكان، وأحضرت الأنفس وسيقت إليه، ولم يأت، وأحضر الشح الأنفس فيكون مسوقاً إلى الأنفس، بل الأنفس سيقت إليه لكون الشح مجبولاً عليه الإنسان، ومركزاً في طبيعته، وخص المفسرون هذه اللفظة هنا، فقال ابن عباس وابن جبير: هو شح المرأة بنصيبها من زوجها ومالها، وقال الحسن وابن زيد: هو شح كل واحد منهما بحقه، وقال الماتريدي: ويحتمل أن يراد بالشح الحرص، وهو أن يحرص كل على حقه يقال: هو شحيح بمودتك؛ أي: حريص على بقائها، ولا يقال في هذا بخيل، فكان الشح والحرص واحد في المعنى، وإن كان في أصل الوضع الشح للمنع والحرص للمطلب، فأطلق على الحرص الشح؛ لأن كل واحد منهما سبب لكون الآخر، ولأنَّ البخل يحمل على الحرص، والحرص يحمل على البخل. انتهى.

تدفعوا للثُّمَالِ عَلَيْهَا مَا وَجِبَ عَلَيْكُمْ ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ تتركوا الممال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ لا هي أيم ولا ذات زوج ﴿وَإِنْ تَضَلَّحُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجوز ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ [النساء: 130] أي: الزوج والمرأة بالطلاق ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعْتِهِ﴾ أي: فضله، المرأة بزواج آخر والرجل بامرأة أخرى ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: 131] الكتب ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَإِنَّا كُنْمُ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنْ﴾ بآن ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وقلنا لهم: ﴿وَلَكُمْ﴾ إن تكفروا ﴿بِمَا وَصَّيْتُمْ بِهِ﴾ فإن الله ما في السماوات وما في الأرض ﴿خَلَقًا وَمَلَكًا﴾ فلا تضره معصية ولا تنفعه طاعة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن العالمين ﴿حَمِيدًا﴾ محمود في أفعاله.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 132] ناصرًا وحافظًا وشهيدًا بأن ما فيهما له.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ [النساء: 134] بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ ما فيها من المال ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراد عند غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لأقوالكم ﴿بَصِيرًا﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿١٣٧﴾ ﴿بَشِيرِ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٣٨﴾ ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي﴾

الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفَقِّهِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ [النساء: ١٣٥ - ١٤٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ [النساء: 135] قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿لِلَّهِ وَلِوَلِيِّهِ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، واشهدوا عليها بالإقرار ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ منكم؛ أي: إنفاذ أمره وحكمه أولى بهما من عدم شهادتكم عليهما، فالمعنى: لا تحابوا غنيا لغناه ولا تهملوا فقيرا لفقره أو تدعوه بترك الشهادة عليه ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في شهادتكم ﴿أَنْ تَغْدُوا﴾ أي: لئلا تعدلوا: تميلوا عن الحق ﴿وَإِنْ تَلَوَّا﴾ تحرفوا الشهادة لتطلبوا الحق، قرأ ابن عامر وحمزة «تلوا» بفتح التاء وضم اللام وواو ساكنة بعدها؛ أي: تلووا إقامة الشهادة فتؤدوها ﴿أَوْ تُغْرَضُوا﴾ عنها... إلى آخر، وقرأ الباقون بإسكان اللام وبعدها واوان الأولى مضمومة والثانية ساكنة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: 136] داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «نزل» بضم النون، «والكتاب الذي أنزل» بضم الهمزة وكسر الزاي، والباقون بفتح الهمزة والنون فيهما، ونزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَمَنْ يُكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق، ولما نزلت هذه الآية آمنوا بالله وبرسوله وقالوا: لا نفرق بين أحد ﷺ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النساء: 137] بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعيسى بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾، وإذا أسلم الكافر غفر له كفره السابق فإذا كفر بعد ذلك، ثم أسلم ثم كفر ومات عاد وبال كفره كله عليه فلا يغفر له منه شيء.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 138] مؤلما في النار.

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: 139] أهل مودة وأصحاباً وأنصاراً ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوقعون فيهم من القوة ﴿أَيْتَتُّونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ المعونة والظهور على محمد ﷺ استفهام إنكار؛ أي: لا يجدونها عندهم؛ أي: القوة والغلبة والقدرة ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ﴾ أي: القوة والغلبة والقدرة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أوليائه.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ [النساء: 140] قرأ عاصم ويعقوب بفتح النون والزاي، والباقون بضم النون وكسر الزاي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن في سورة «الأنعام» في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 68] ﴿أَنْ﴾ أي: آية ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ أي: مع الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: يأخذون في حديث غير الاستهزاء بمحمد ﷺ والقرآن، ودخل في ذلك كل متحدث ببدعة أو باطل فينهى، فإن لم يتنه زجر، فإن لم يتزجر اجتنب ولا يجلس معه ﴿إِنَّكُمْ إِذَا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِثْلَهُمْ﴾ في الإثم، وفهم من الآية أنه يجوز القعود معهم إذا لم يخوضوا في الاستهزاء المذكور ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

﴿الَّذِينَ يَرَبَّضُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ فَكَاوَأَ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُتَفِيقِينَ يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُفَّاءً يَرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُرِيدُونَ أَن يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَفِيقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: 141 - 145].

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ [النساء: 141] ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر، وهي حوادث الدهر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ نصر ﴿مَنْ اللَّهُ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ على دينكم في الجهاد، فاجعلوا لنا نصيبًا ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ نصر ودولة ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْكُمْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ والمراد: إننا قدرنا على أخذكم وقبلكم، فأبقينا عليكم وأخبرناكم بسير محمد ﷺ ﴿وَ﴾ أَلَمْ ﴿نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: عن الدخول في جملتهم، وقيل معناه: أَلَمْ نستول عليكم بالنصر لكم ونمنع عنكم صولة المؤمنين بإرسالنا لكم بأخبارهم وتثيبتهم عن القتال، قالوا ذلك منة على الكافرين، قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ بالاستئصال.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [النساء: 142] يعاملونه معاملة المخادع بإظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ أي: يجازيهم على ذلك فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كُسَالَى﴾ متناقلين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون له ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قللة؛ لأنه لم يقبله ولو قبله لكان كثيرًا.

﴿مُذَبَذَبِينَ﴾⁽¹⁾ [النساء: 143] متحيرين ومترددین ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسويين ﴿إِلَى هَوْلَاءَ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَوْلَاءَ﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الحق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: 144] أصحابًا ﴿مَنْ

(1) قال الزمخشري: المعنى أن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله؛ لأن قلوب أولئك قلوب قد ضربت بالكفر، ومرنت على الردة، وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يدلونهم فيه كرة بعد أخرى، وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم؛ لأن ذلك مقبول حيث هو بذل الطاقة واستفراغ الوسع، ولكنه استبعاد له واستغراب، وأنه أمر لا يكاد يكون، وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات، والغالب أنه يموت على شر حال وأقبح صورة.

دُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَتْرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ ﴿بِمَوَالِيهِمْ﴾ ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانًا ﴿مُتَبِينًا﴾ ظاهرًا في عذابكم لفعالكم ما نهى عنه، وهو توبيخ وتحذير لهم من ذلك.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145] هل هو توابيت من حديد مقفلة في قعر النار؟ أو بيت مقفل فيها يوحد فيه فوقهم وتحتهم؟ قولان، وقرأ الكوفيون «الدرك» بإسكان الراء والباقون بفتحها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعًا من عذاب الله، ثم استثنى من تاب.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ [النساء: ١٤٦ - ١٥٠].

فقال ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [النساء: 146] من النفاق وآمنوا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم ﴿وَاعْتَصَمُوا﴾ وثقوا ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ﴾ بقلوبهم ﴿اللَّهُ﴾ من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم فعلوا ما فعلوه في الدنيا، فكذلك يصاحبونهم في الآخرة في الجنة ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ [النساء: 147] نعمته ﴿وَأَمَنْتُمْ﴾ به، والمراد: إنه لا يعذبكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ يقبل القليل ويشب عليه الكثير ﴿عَلِيمًا﴾.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: 148] من أحد بل يعاقب عليه ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فيجوز للمظلوم أن يدعو على ظالمه بنحو: اللهم أعني عليه، اللهم خالص حقي منه، أما قوله: اللهم العنه، اللهم أهلكه فلا، وقوله: اللهم ادفعه عني مطلوب؛ لأنه دعاء للنفس بخير وإن تشكى منه عند من يقدر على تخليصه منه، فيقول:

ظلمني فلان وسمى، هذا أسوأ؛ لأن فيه تنقيصاً للظالم، أو هو من المشاكلة، وقيل: إن شتمك جاز لك أن تشتمه بمثله ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ يسمع دعاء المظلوم وتشكيه ﴿عَلِيمًا﴾ يعلم ذلك فيجازي الظالم.

﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ [النساء: 149] تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ حسنًا ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ كأن تنووا فعل حسنة ولم تفعلوها أو تسروا الأفعال الحميدة ﴿أَوْ تَغْفُو عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ونحوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا قَدِيرًا﴾ أي: هو أولى بالعمو.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: 150] بأن يؤمنوا بالله فقط، أو تفريقهم ما ذكره بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضِ الرُّسُلِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضِ مِنْهُمْ﴾ ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين دين الإسلام ودينهم ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا ومذهبًا يصيرون إليه.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٥٢﴾ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿١٥٤﴾ ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِنْهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرُوا بَيِّنَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَتَّىٰ وَقَوْلَهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥٥﴾ [النساء: ١٥١ - ١٥٥].

﴿أُولَئِكَ﴾ [النساء: 151] الموصوفون بهذه الصفة ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ في النار، نزلت في اليهود آمنوا بموسى والتوراة وعزير وكفروا بالإنجيل وعيسى ومحمد ﷺ والقرآن.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 152] بأن آمنوا بالكل ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ في الدار الآخرة، روى حفص «سوف يؤتيهم» بالياء

على لفظ الغيبة والباقون بالنون ﴿أَجُورُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿يَسْأَلُكَ﴾ [النساء: 153] يا محمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ ككعب بن الأشرف
وفنحاص وأصحابهما ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة واحدة كما أنزل على
موسى تعنتاً فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: أبائهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مَنْ
ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ جهازاً أو معاينة ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ الموت عقاباً لهم
﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجزات على وحدانية الله تعالى ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ فضلاً، ولم يستأصلهم
﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا﴾ برهاناً ﴿مُبِينًا﴾ بيناً وهي الآيات التسع على نبوته بذلك، أو
متسلطاً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأتاعوه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ [النساء: 154] الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق
عليهم ﴿وَقَلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مظل عليهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود
انحناء ﴿وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي: في يومه، قرأ أبو جعفر بتشديد الدال مع
إسكان العين وكذا ورش؛ إلا أنه يفتح العين، واختلف عن قالون بين الإسكان
والاختلاس، والباقون بإسكان العين والتخفيف، والمعنى: النهي عن اصطیاد الحيتان
فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه.

﴿فَبِمَا نَقَضْتُمْ﴾ [النساء: 155] أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ وهو عدم
قبولهم ما في التوراة من وصف محمد ﷺ وغير ذلك ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا يعي كلامك ﴿بَلْ طَبَعٌ﴾ ختم
﴿اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا﴾ بقي وعظاً، فلا ﴿يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم عبد الله بن سلام
وأصحابه.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٥٦﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿بَلْ رَفَعَهُ
اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿فَيُظَاهَرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيبَتٌ

أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٣٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ
وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣١﴾ لَكِنِ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ
الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا
﴿١٣٢﴾ [النساء: ١٥٦ - ١٦٢].

﴿وَبِكْفَرِهِمْ﴾ [النساء: 156] ثانياً بعيسى ﴿وقولهم على مزيم﴾ رضي الله عنها
﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ هو رميها منهم - لعنهم الله - بالزنا.

﴿وقولهم﴾ [النساء: 157] مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
اللَّهِ﴾ في زعمهم؛ أي: بمجموع ذلك عذبناهم، قال تعالى تكذيباً لهم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا
صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ لأن الله ألقى شبهه على شخص قتلوه وصلبوه وظنوه إياه
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكِّ مِنْهُ﴾ هل هو عيسى أم لا؟ لأنهم
لمَّا رأوا المقتول وجهه وجه عيسى والجسد ليس بجسده قال بعضهم: ليس به، وقال
آخرون: بل هو هو ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ أي: لكن يتبعونه فيه
الظن الذي تحيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: قطعاً بل شكوا هو عيسى أم غيره؟ فالهاء
عائدة على عيسى، وقيل الهاء راجعة إلى من ألقى شبهه عليه أي: ما قتلوه يقيناً منهم
أنه عيسى.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ﴾ [النساء: 158. 159] ما ﴿مَنْ
أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي: بعيسى ﷺ ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ الهاء عائدة على
أهل الكتاب؛ أي: كل يؤمن برفعه إلى السماء قبل أن يموت هو حين يعاين ملائكة
الموت فلا ينفعه إيمانه، وقيل الهاء عائدة على عيسى؛ وذلك لأنه ينزل في آخر الزمان
فيؤمنون به ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه لمَّا بعث إليهم،
وبأنه بلغ لهم الرسالة معترفاً بالعبودية.

﴿فَبِظُلْمٍ﴾ [النساء: 160] بسبب ظلم ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمْنَا
عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وهي ما سيأتي في سورة «الأنعام» من قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى
الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: 146]، ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ أي: وحرماننا ذلك

بسبب صدهم وما يذكر بعده إلى قوله اعتدنا أيضاً ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: إعراضهم عن الإسلام والإيمان بعيسى صداً ﴿كثييراً﴾.

﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا﴾ [النساء: 161] أي: المال بسبب المعاملة به ﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة⁽¹⁾ ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ وهو أخذهم المال على الرشا وتغيير صفة محمد ﷺ وغير ذلك مما نهوا عنه ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ﴾ [النساء: 162] الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من هذه الأمة كالمهاجرين والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

(1) قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾. وفيها مسائل:

المسألة الأولى: لا خلاف في مذهب مالك أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، لقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾. وهذا خطاب لهم بالفروع، والصحيح جواز معاملتهم وإن عملوا بالربا، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلًّا لَكُمْ﴾. وقد عامل رسول الله ﷺ اليهود ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعر أخذه لعياله. وقد سئل عمر بن الخطاب عن أخذ ثمن الخمر في الجزية والتجارة، فقال ولوهم بيعها وخذوا منهم عشر أثمانها. اتفقت الأمة على جواز التجارة مع أهل الحرب، وقد سافر رسول الله ﷺ إليهم تاجراً، وذلك من سفره أمر قاطع على جواز السفر إليهم، والتجارة معهم؛ ولا يعتذر بأن ذلك كان قبل نبوته، لأنه ﷺ لم يتدين قبل نبوته بحرام، ولا قطع السفر إليهم أحد من الصحابة والمسلمين لا في حياته ولا بعد مماته؛ فقد كانوا يسافرون في فك الأسارى وذلك واجب، وفي الصلح كما أرسل عثمان؛ أما السفر إليهم لمجرد التجارة فمباح.

المسألة الثانية: إذا قلنا إنهم مخاطبون بفروع الشريعة، فلا تجوز معاملتهم بمحرم عليهم، فنقول: سامح الشرع في معاملتهم، وفي أكل طعامهم رفقاً بنا؛ وخوطبوا تغليظاً عليهم، فإن الله تعالى نفى الحرج عنا، وأثبت الشدائد عليهم، فأجرى الشرع الأحكام عليهم، فيجوز عند مالك أن يؤخذ منهم في الصلح أبنائهم ونساؤهم إذا كان لعامين أو نحوهما؛ فأما المؤبد أو لمدة طائلة فلا يجوز لنا أخذ نسائهم، لأن لهم من العهد ما لأبائهم.

المسألة الثالثة: فإن تعامل مسلم وذمي ربا، فإن كان في درا الإسلام، لم يجز؛ وإن كان في دار الحرب، فمنعه مالك والشافعي، وأجازه أبو حنيفة وعبد المالك، ورأى أن ماله حلال، فبأي وجه أخذ جاز؛ ورأى مالك أن التعامل بالربا حرام، وقد توهم قوم أن عبد الملك لما قال: من زنى في دار الحرب بحرية لم يحد، أن ذلك حلال وهو جهل؛ فإن أصول الشريعة تمنع الوطاء إلا بنكاح أو ملك يمين، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾. وقد قال أبو حنيفة: إن دار الحرب لا حد فيها، لأن الزنا بهم نكايه، فنزع عبد الملك هذا المنزع، فأما التحريم، فمتفق عليه. [الأحكام الصغرى ص 191].

وهو القرآن ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ كالطوراة والإنجيل والزيور ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ قرأ حمزة وخلف بالياء والباقون بالنون ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣١﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْوِيمًا ﴿١٣٢﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٣٥﴾ لَئِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٣٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٣٩﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤٠﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٧٠].

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾^(١) [النساء: 163] يا محمد ﷺ ﴿ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ وكما ﴿ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ ابنه ﴿ وَيَعْقُوبَ ﴾ ابن إسحاق ﴿ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ أولاده ﴿ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا ﴾ أعطينا أباه ﴿ دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ قرأ حمزة وخلف بضم الزاي وكذا زبورًا في سبحان والزيور في «الأنبياء»؛ أي: مكتوبًا والباقون بفتحها؛ أي: كتابًا.

(1) قال الزمخشري: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، واحتجاجهم عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كسائر الأنبياء الذين سلفوا، انتهى، وقدم نوحًا وجرده منهم في الذكر؛ لأنه الأب الثاني، وأول الرسل، ودعوته عامة لجميع من كان إذ ذاك في الأرض، كما أن دعوة محمد ﷺ عامة لجميع من في الأرض.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾ [النساء: 164] أي: أحبارهم ﴿عَلَيْكَ مِنْ قَبْلِ وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُضْهُمْ عَلَيْكَ﴾ والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، والأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ﴾ بلا واسطة ﴿مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾ [النساء: 165] بالثواب من آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعذاب من كفر أرسلناهم ﴿لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ تقال ﴿بَعْدَ﴾ إرسال ﴿الرُّسُلِ﴾ إليهم فيقولوا: ربنا لولا أرسلت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ [النساء: 166] يبين نبوتك ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن المعجز ﴿أَنْزَلَهُ﴾ ملتبساً ﴿بِعَلْمِهِ﴾ أي: عالمًا به أو وفيه علمه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ ذلك أيضًا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك، نزلت ردًا على من أنكر رسالته ﷺ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: 167] بالله ﴿وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ﴾ دين ﴿اللَّهِ﴾ وهو الإسلام، وهم اليهود ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: 168] بالله ﴿وَوَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ من الطرق إلى الحق.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: 169] أي: الطريق المؤدي إليها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيئًا، وهذا في حق من سبق علمه بعدم إيمانه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [النساء: 170] أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا﴾ أي: يكن الإيمان خيرًا ﴿لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمَا خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ، وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا

الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [النساء: 171] خطاب للنصارى القائلين بأن عيسى ثالث ثلاثة: الأول: الأب، والثاني: الابن، والثالث: روح القدس، ومنهم فرقة قالت: إنه هو الله، وفرقة قالت: إنه ابنه، فرد على من زعم أنه ثالث ثلاثة؛ لأنه يفهم منه الرد على غيرهم بالأولى ﴿لَا تَغْلُوا﴾ بتجاوز الحد ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾ أوصلها ﴿إِلَى مَرْيَمَ﴾ بأن قال له: كن، فكان بلا أب ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ هو كسائر الأرواح؛ أي: وذو روح منه، وإضافة إليه تشریفًا، ومعنى الآية أنه ليس لما زعمتم ابن الله أو إلها معه أو ثالث ثلاثة؛ لأن ذو الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المتركب إليه كما زعمتم ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا﴾ هم ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿انْتَهُوا﴾ عن ذلك يكن الانتباء ﴿خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عبيداً أو ملكاً، والملكية تنافي النبوة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ حافظاً لمقاتلتهم ليهزئهم شهيداً.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ [النساء: 172] لن يأنف ولن يتعظم ﴿الْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ استطراد لمناسبته المقام فليسا بألهة ولا بنات لله، تعالى الله عن ذلك ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ في الآخرة فيجازيهم على ذلك.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء: 173] ثواب عملهم الصالح ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من المضاعفة الكثيرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادته ﴿فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً في النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾
 فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ
 وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ
 أَمْرٌؤَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَلَا أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ
 لَهَا وُلْدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً
 فَلِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
 ﴿١٧٦﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٦].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ [النساء: 174] حجة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم،
 وهو محمد ﷺ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ ظاهرًا، هو القرآن.
 ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا﴾ [النساء: 175] امتنعوا ﴿بِهِ﴾ من الشيطان
 ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ هي الجنة ﴿وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ هو
 طريق الحق.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: 176] في الكلاله، المستفتي جابر بن عبد الله الأنصاري
 قال لرسول ﷺ لما عاده في مرضه: إنما يرثني كلاله، فنزلت ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
 إِنْ أَمْرٌؤَا هَلَكَ﴾⁽¹⁾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ﴾ ولا والد وهو الكلاله ﴿وَلَهُ أُخْتُ﴾ من أبوين

(1) الكلاله: خلو الميت عن الوالد والوالدة قاله: أبو بكر، وعمر، وعلي، وسليم بن عبيد، وقتادة،
 والحكم، وابن زيد، والسبيعي، وقالت طائفة: هي الخلو من الولد فقط، وروي عن أبي بكر
 وعمر ثم رجعا عنه إلى القول الأول، وروي أيضًا عن ابن عباس، وذلك مستقر من قوله في
 الإخوة مع الوالدين: إنهم يحطون الأم ويأخذون ما يحطونه، ويلزم على قوله: إذ ورثهم بأن
 الفريضة كلاله أن يعطيهم الثلث بالنص، وقالت طائفة منهم: الحكم بن عيينة، هي الخلو من
 الولد، قال ابن عطية: وهذا إن القولان ضعيفان؛ لأن من بقي والده أو ولده فهو موروث بنسب
 لا بتكليل، وأجمعت الأمة الآن على أن الإخوة لا يرثون مع ابن ولا أب، وعلى هذا مضت
 الأعصار والأمصار، انتهى، واختلف في اشتقاقها، فقيل: من الكلال وهو الإعياء، فكانه يصير
 الميراث إلى الوارث من بعد إعياء، وقال الزمخشري: والكلاله في الأصل مصدر بمعنى
 الكلال، وهو ذهاب القوة من الإعياء، فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد؛ لأنها
 بالإضافة إلى قرابتها كاله ضعيفة، انتهى، وقيل: هي مشتقة من تكلله النسب أحاط به، وإذا لم

أَوْ أَبٍ ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ الْإِخْ كَذَلِكَ ﴿بِئْرُهَا﴾ جَمِيعَ مَا تَرَكَ ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنَّ﴾ كَانَ لَهَا وَلَدٌ ذَكَرَ فَلَا شَيْءَ لَهُ، أَوْ أَنْثَى فَلَهُ مَا فَضَّلَ عَنْ نَصِيبِهَا، فَإِنْ زَادَ عِدَّةَ الْإِنَاثِ عَنِ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ الثَّلَاثَانُ وَلَهُ الْفَاضِلُ، وَلَوْ كَانَتِ الْأَخْتُ أَوْ الْإِخْوَةُ مِنْ أُمِّ فَلَهَا أَوْ لَهُ السُّدُسُ، فَإِنَّ ﴿كَانَتَا﴾ الْأَخْتَانِ ﴿أُنثَيْنِ﴾ فَصَاعِدًا؛ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي جَابِرٍ وَقَدْ مَاتَ عَنْ أَخْوَاتٍ ﴿فَلَهُمَا الثَّلَاثَانُ مِمَّا تَرَكَ﴾ الْإِخْ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ أَي: الْوَرِثَةُ ﴿إِخْوَةٌ رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ وَلَا وَلَدَ لَهُ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ اسْمِ الْكِلَالَةِ ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شُرَائِعَ دِينِكُمْ ﴿أَنْ تَضَلُّوا﴾ لِثَلَا تَضَلُّوا أَوْ كِرَاهِيَةَ أَنْ تَضَلُّوا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَهَذِهِ آخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ فِي الْفَرَائِضِ.

يترك والدًا ولا ولدًا فقد انقطع طرفاه، وهما عمودا نسبه، وبقي موروثه لمن يتكلمه نسبه؛ أي: يحيط به من نواحيه كالإكليل، ومنه روض مكلل بالزهر، قال الأخفش: الكلالة من لا يرثه أب ولا أم، والذي عليه الجمهور أن الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا مولود، وهو قول جمهور أهل اللغة صاحب العين، وأبي منصور اللغوي، وابن عرفة، وابن الأنباري، والعتبي، وأبي عبيدة، وغلط أبو عبيدة في ذكر الأخ مع الأب والولد، وقطرب في قوله: الكلالة اسم لمن عدا الأبوين والأخ، وسُمي ما عدا الأب والولد كلاله؛ لأنه بذهاب طرفيه تكلمه الورثة وطافوا به من جوانبه، ويرجح هذا القول نزول الآية في جابر ولم يكن له يوم نزولها ابن ولا أب؛ لأن أباه قتل يوم أحد فصارت قصة جابر بياناً لمراد الآية، وأما الكلالة في الآية فقال عطاء: هو المال، وقالت طائفة: الكلالة الورثة، وهو قول الراغب، قال: الكلالة اسم لكل وارث، وقال عمر وابن عباس: الكلالة الميت الموروث، وقالت طائفة: الورثة بجملتها كلهم كلاله.

سورة المائدة (1)

(1) هذه السورة نزلت لما انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، ومنها ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح، وكل ما نزل بعد الهجرة بالمدينة، أو في سفر، أو بمكة، فهو مدني، وذكروا فضائل هذه السورة وأنها تسمى: المائدة، والعقود، والمنقذة، والمبعثرة، ومناسبة افتتاحها لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر استفتاءهم في الكلاله وأفتاهم فيها، ذكر أنه يبين لهم كراهة الضلال، فبين في هذه السورة أحكاماً كثيرة هي تفصيل لذلك المجمع، قالوا: وقد تضمنت هذه السورة ثمانية عشر فريضة لم يبينها في غيرها، وسنينها أولاً فأولاً إن شاء الله تعالى، وذكروا أن الكندي الفيلسوف قال له أصحابه: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا لقرآن، فقال: نعم، أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج، فقال: والله ما أقدر، ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلل تحليلاً عامًا، ثم استثنى استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في إجلاد، والظاهر أن النداء لأمة الرسول المؤمنين، وقال ابن جريج: هم أهل الكتاب، وأمر تعالى المؤمنين بإيفاء العقود وهي جمع عقد، وهو العهد، قاله الجمهور، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، وقال الزجاج: العقود أوكد من العهود، وأصله في الأجرام ثم توسع فأطلق في المعاني، وتبعه الزمخشري فقال: هو العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه، والظاهر عموم المؤمنين في المخلص والمظهر، وعموم العقود في كل ربط يوافق الشرع سواء كان إسلامياً أم جاهلياً، وقد سأل فرات بن حنان العجلي رسول الله ﷺ عن حلف الجاهلية فقال ﷺ: «لعلك تسأل عن حلف تيم الله» قال: نعم يا نبي الله، قال ﷺ: «لا يزيده الإسلام إلا شدة»، وقال ﷺ في حلف الفضول وكان شهده في دار عبد الله بن جدعان: «ما أحب أن لي به حمر النعم ولو ادعى به في الإسلام لأجبت» وكان هذا الحلف أن قريشاً تعاقدوا على أن لا يجدوا مظلوماً بمكة من أهلها أو من غير أهلها إلا قاموا معه حتى ترد مظلمته، وسميت ذلك الحلف حلف الفضول، وكان الوليد بن عقبة أميراً على المدينة، فتحامل على الحسين بن علي في مال فقال: لتنتصفي من حقي وإلا أخذت بسيفي، ثم لأقومن في مسجد الرسول ﷺ ثم لأدعون بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير: لئن دعاني لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينتصف من خصمه، أو نموت جميعاً، وبلغت المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقالا مثل ذلك، وبلغ ذلك الوليد فأنصفه، ويندرج في هذا العموم كل عقد مع إنسان كأمان، ودية، ونكاح، وبيع، وشركة، وهبة، ورهن، وعتق، وتدبير، وتخيير، وتمليك، ومصالحة، ومزارعة، وطلاق، وشراء، وإجارة، وما عقده مع نفسه لله تعالى من طاعة: كحج، وصوم، واعتكاف، وقيام، ونذر وشبه ذلك، وقال ابن عباس ومجاهد: هي العهود التي أخذها الله على عباده فيما أحل وحرّم، وهذا القول بدأ به الزمخشري فقال: هي العهود التي عقدها الله على عباده وألزمها إياهم من واجب التكليف، وأنه كلام قدم مجملاً ثم عقب بالتفصيل، وقال قتادة:

مدنية وهي مائة وعشرون أو اثنان أو ثلاث وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَتْعَمِ إِلَّا مَا
يَنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعْتِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيْدَ وَلَا ءَاتِينَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شِقَاقُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ
وَالنَّفَقَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ
وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ
وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا
تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ
لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ١ - ٣].

هو الحلف الذي كان بينهم في الجاهلية، قال: وروي لنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوفوا بعقد
الجاهلية ولا تحدثوا عقداً في الإسلام» وقال محمد بن كعب القرظي وابن زيد وغيرهما: هي
كل ما ربطه المرء على نفسه من بيع أو نكاح أو غيره، وقال ابن زيد أيضاً، وعبد الله بن عبيدة:
العقود خمس: عقدة الإيمان، وعقدة النكاح، وعقدة العهد، وعقدة البيع، وعقدة الحلف، وقيل:
هي عقود الأمانات والبياعات ونحوها، وقال ابن جريج: هي التي أخذها الله على أهل الكتاب
أن يعملوا بها بما جاءهم به الرسول، وقال ابن شهاب: قرأت الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ
لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران وفي صدره: «هذا بيان من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا
أوفوا بالعقود إلى قوله إن الله سريع الحساب» وقيل: العقود هنا الفرائض.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] العهود الوثيقة وهي فرائض الدين ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يَثَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] أو التحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيْرِ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ جمع حرام، وهو المحرم، سمي بذلك؛ لأنه يحرم عليه ما لا يحرم على غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يَخُكُم مَّا يُرِيدُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 2] أمور دينه ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه، أو المراد النسب؛ لأنهم كانوا يحلون به عامًا ويحرمونه عامًا ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ وهو كل ما يهدى للبيت من الأنعام بالتعرض له ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة، وهو ما كان يتقلد به من شجر الحرم ليأمن من المشركين فلا يتعرضوا لها ولا لأصحابها.

ولا تحلوا ﴿آمِينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا﴾ رزقًا بالتجارة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ منه بقصده بزعمهم، وهذه الآية إلى هنا منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدى والقلائد ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاضْطَافُوا﴾ أمر إباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسبنكم ﴿شَتَانٌ﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر وابن وردان وابن جمان بخلاف عنه «شنان» بإسكان النون في الموضعين والباقون بفتحها، وهو العداوة؛ أي: لا يحملنكم بغض ﴿قَوْمٌ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قرأ أبو عمرو وابن كثير بكسر الهمزة والباقون بفتحها، والصد المشار إليه ما وقع من صدهم النبي ﷺ وصحبه عن العمرة عام الحديبية ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ أي: لا يحملنكم ذلك على الاعتداء عليهم بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أي: ليعن بعضكم بعضًا على الخير فقط ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن يطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] أي: أكلها ﴿وَالدَّمُ﴾ المسفوح ﴿وَلَحْمُ الْخِزْيِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿وَالْمُنْحَنِقَةَ﴾ هي التي تخنق فيموت ﴿وَالْمَوْقُوذَةَ﴾ هي التي ضربت بعصا أو نحوها حتى ماتت ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةَ﴾ وهي التي تردى من جدار أو بئر مثلاً فتموت ﴿وَالنَّطِيحَةَ﴾ هي التي نطحتها غيرها فماتت

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾⁽¹⁾ بعضه، فيحرم أكل بقيته، ونهوا عن ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿وَالْمُنْحَقَّةُ﴾ هي التي تموت خنقًا، وهو حبس النفس سواء فعل بها ذلك آدمي أو اتفق لها ذلك في جبل أو بين عودين أو نحوه، وذكر قتادة: أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة وغيرها فإذا ماتت أكلوها، وذكر نحوه ابن عباس، قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ الموقوذة هي التي ترمى أو تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية، عن ابن عباس والحسن وقاتدة والضحاك والسدي، يقال منه: وقذه يقده وقذا وهو وقيد، والوقذ شدة الضرب، فلان وقيد أي مشخن ضربًا، قال قتادة: كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك ويأكلونه، وقال الضحاك: كانوا يضربون الأنعام بالخشب لألتهم حتى يقتلونها فيأكلوها، ومنه المقتولة بقوس البندق، وفي صحيح مسلم عن عدي بن حاتم قال: قلت يا رسول الله فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، فقال ﷺ: «إذا رميت بالمعراض فعزق فكله وإن أصابه بعرضه فلا تأكله» وفي رواية «فإنه وقيد»، قال أبو عمر: اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في الصيد بالبندق والحجر والمعراض، فمن ذهب إلى أنه وقيد لم يجزه إلا ما أدرك ذكاته، على ما روي عن ابن عمر، وهو قول مالك وأبي حنيفة وأصحابه والثوري والشافعي، وخالفهم الشاميون في ذلك، قال الأوزاعي في المعراض: كله عزق أو لم يخزق، فقد كان أبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعبد الله بن عمر ومكحول لا يرون به بأسًا، قال أبو عمر: هكذا ذكر الأوزاعي عن عبد الله بن عمر، والمعروف عن ابن عمر ما ذكره مالك عن نافع عنه، والأصل في هذا الباب والذي عليه العمل وفيه الحجّة لمن لجأ إليه حديث عدي بن حاتم وفيه: «وما أصاب بعرضه فلا تأكله فإنما هو وقيد»، قوله تعالى: ﴿وَالْمُتَرَدِّيةُ﴾ المتردية هي التي تتردى من العلو إلى السفلى فتموت، كان ذلك من جبل أو في بئر ونحوه، وهي متفعله من الردى وهو الهلاك، وسواء تردت بنفسها أو رداها غيرها، وإذا أصاب السهم الصيد فتردى من جبل إلى الأرض حرم أيضًا؛ لأنه ربما مات بالصدمة والتردي لا بالسهم، ومنه الحديث «وإن وجدته غريقًا في الماء فلا تأكله فإنك لا تدري الماء قتله أو سهمك» أخرج مسلم، وكانت الجاهلية تأكل المتردي ولم تكن تعتقد ميتة إلا ما مات بالوجع ونحوه دون سبب يعرف، فأما هذه الأسباب فكانت عندها كالزكاة، فحصر الشرع الزكاة في صفة مخصوصة على ما يأتي بيانها، وبقيت هذه كلها ميتة، وهذا كله من المحكم المتفق عليه، وكذلك النطيحة وأكلة السبع التي فات نفسها بالنطح والأكل، قوله تعالى: ﴿وَالنَّطِيحةُ﴾ النطيحة فعيلة بمعنى مفعولة، وهي الشاة تنطحها أخرى أو غير ذلك فتموت قبل أن تذكى، وتأول قوم النطيحة بمعنى الناطحة؛ لأن الشاتين قد تتناطحان فتموتان، وقيل: نطيحة ولم يقل نطیح، وحق فعيل لا يذكر فيه الهاء كما يقال: كف خضيب ولحية ذهين، لكن ذكر الهاء هاهنا؛ لأن الهاء إنما تحذف من الفعيلة إذا كانت صفة لموصوف منطوق به، يقال: شاة نطيح وامرأة قتيل، فإن لم تذكر الموصوف أثبت الهاء فتقول: رأيت قتيلة بني فلان وهذه نطيحة الغنم؛ لأنك لو لم تذكر الهاء فقلت: رأيت قتيل بني فلان لم يعرف أرجل هو أم امرأة، وقرأ أبو ميسرة «والمنطوحة»، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ يريد كل ما افترسه ذو ناب وأظفار من الحيوان، كالأسد والنمر والثعلب والذئب والضبع ونحوها، هذه كلها سبع، يقال: سبع فلان فلانًا أي عضه بسنه، وسبعه

يأكلون هذه المذكورات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وهي يقطع الحلقوم والمريء، والأول مجرى النفس دخولاً وخروجاً، والثاني مجرى الطعام والشراب.

وحرم عليكم ﴿مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾ جمع واحدها: نصاب، أو مفرد جمعه: أنصاب كعنق وأعناق، وهو ما ذبح على الصنم للتقرب له، وحرم عليكم ﴿أَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَرْلَامِ﴾ أي: تطلبوا الحكم بها، وهي جمع واحدة: زلم - بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام -: قدح - بكسر القاف -: سهم صغير لا ريش له ولا نصل، وهي سبعة قداح متساوية عند سادت الكعبة؛ أي: خادمها، وكانوا يجيلونها عندما يحدث لهم، على واحد «لا» وآخر «نعم» وآخر «منكم» وآخر «ملصق» وآخر «من غيركم» وآخر «العقل» وآخر «عقل»، فإن اختلفوا في نسب فظهر «منكم» فهو من خيارهم، وإن طلع «من غيركم» كان حليفاً، وإن ظهر «ملصق» كان على حاله ولا نسب له، وإن ظهر «لا» لم يفعلوا، أو «نعم» فعلوا، أو «العقل» يحمله من يخرج عليه، وإن خرج «العقل» أجابوا حتى يظهر ما يقول عليه فهو عن ذلك ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿فَسُقْ﴾ خروج عن طاعة الله.

﴿الْيَوْمِ﴾ أراد به الزمن الحاضر ﴿يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ فلا طمع لهم في رجوعكم للكفر؛ لأنهم كانوا يأملون ذلك قبل انتشار الإسلام ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوهم ﴿وَإَخْشَوْنِي﴾ خافوني ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، وعاش النبي ﷺ بعدها إلى ثالث عشر ربيع الأول، والمراد بالإكمال: إكمال فرائضه وسننه وحدوده من حلال وحرام، ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ولم يحج بعدها مشرك وآمنوا من العدو ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكماله ﴿وَرَضِيْتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ من بين سائر الأديان. ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة إلى شيء مما حرم عليها فأكل ﴿غَيْرِ

أي عابه ووقع فيه، وفي الكلام إضمار؛ أي: وما أكل منه السبع؛ لأن ما أكله السبع فقد فني، ومن العرب من يوقف اسم السبع على الأسد، وكانت العرب إذا أخذ السبع شاة ثم خلصت منه أكلوها، وكذلك إن أكل بعضها، قاله قتادة وغيره وقرأ الحسن وأبو حيوة «السبع» بسكون الباء، وهي لغة لأهل نجد.

مُتَجَانِفٍ ﴿ منحرف أو مائل ﴿لَا تُمْ﴾ معصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به بخلاف المائل لإثم؛ أي: المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً؛ فلا يحل له الأكل ما لم يتب وإن أشرف على التلف؛ لأنه متمكن من الأكل بترك الذنب وهو التوبة، وقوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ متصل بذكر المحرمات وذلك فسق، وما بعده اعتراض أكد به معنى التحريم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُؤْمِنُوهنَّ بِمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٤ - ٦].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [المائدة: 4] يا محمد، هل نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخير سألا رسول الله ﷺ عن حكم الصيد؟ أو نزلت لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب فنزلت لحل اقتناء ما يتفجع به منها إذ سألوه عنه؟ قولان ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الطعام ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ المستلذات، وهي: ما لم يستخبثوه في حال يسار ورفاهية، والخطاب للعرب فالعبرة بهم في ذلك إلا أن يرد نص ولو خبر آحاد ﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ هل هي الكلاب فقط؟ أو كل ما سير من الجوارح كفهذ وصقر ونحو ذلك؟ قولان، الجمهور على الثاني ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مقربين لها على

الصيد، والمراد: حل أكل مصيد كل جارحة تصيد، وخص الكلاب بالذكر؛ لأنها أكثر وأعم؛ أي: أحل لكم صيدها، فإن استرسل الجارح بنفسه لم يحل ما صاده.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ تؤدبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ بأن لم يأكلن منه وإن قتلته بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها، وعلامة المعلمة: أن تسترسل إذا أرسلت وتزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه، وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن انتقى شيء من ذلك لم يحل أكله، وصيد السهم إذا أرسل ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أو لم يذكر عليه اسم غيره كصيد المعلم من الجوارح ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي على الممسك أو عند الإرسال، وكلاهما مستحب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تأكلوا مما حرم عليكم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿الْيَوْمِ﴾ [المائدة: 5] هو كالיום السابق ﴿أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ وهو ما سبق مما ذكر اسم الله عليه ﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهو اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتحريف ﴿حَلَّ لَكُمْ﴾ أي: ذبائحهم حلال لكم ﴿وَطَعَامَكُمْ حَلَّ لَهُمْ﴾ فيحل لكم أن تطعموهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى حل لكم أن تنكوهن ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرِ مُسَافِحِينَ﴾ زانين جهراً ﴿وَلَا مُتَّحِذِي أَخْدَانٍ﴾ أصدقاء للزنا سراً ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ بأن ارتد ﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾ بطل ﴿عَمَلُهُ﴾ أي: ثوابه إن اتصل به الموت ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الثواب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ [المائدة: 6] أردتم القيام ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ محدثين ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أمر إيجاب إجماعاً، وهو من منابت شعر الرأس إلى منتهى اللحيين والذقن ومن الأذن إلى الأذن ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ المراد به: غسل اليدين من رءوس الأصابع إلى أن يشرع في العضد فيدخل المرفقين في الغسل، وكذا الكعبيين في غسل الرجلين ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق؛ أي: الصقوا المسح بها بلا إسالة ماء، هو اسم جنس فيكفي ما يقع عليه الاسم عند الشافعي لوجود الإلصاق واحتياط غيره، فأخذ مالك بمسح كلها، وأبو حنيفة لمقدار الناصبة؛ لأن رسول الله ﷺ اقتصر عليها في بعض الأحوال ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وحفص والكسائي بنصب اللام والباقون بالجر ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أي: معهما، وهما العظمان الناتان عند مفصل الساق والقدم وبينت السنة وجوب الترتيب واقتران أوله بالنية كبقية

العبادات ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ اغتسلوا، ويجب على المغتسل تعميم ظاهر جسده، ويعفى عن باطن شعر منعقد في لحية وغيرها، ويجب نقض صفائر لا يصل الماء إلى باطنها إلا بالنقض.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مرضًا يضر معه الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أي: أحدث ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابًا طهورًا ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين ﴿مِنْهُ﴾ بضربتين، وبينت السنة وجوب استيعاب العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾ في الدين ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ ضيق عن الطهارات وغيرها ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾ من الحدث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالرخص وبيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ذلك بامثاله.

﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة: 7 - 9].

﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 7] أيها المؤمنون بالإسلام ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ عهده الذي عاهدكم به ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ أيها المؤمنون للرسول ﷺ حين بايعتموه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في عهده أن تنقضوه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وربما في القلوب فغيره أولى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ [المائدة: 8] قائمين ﴿لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ﴾ بغض ﴿قَوْمٍ﴾ أي: الكفار ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فنتالوا منهم بعداوتهم ﴿أَعْدِلُوا﴾ في العدو والولي بحقوقه ﴿هُوَ﴾ أي: العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: 9] إلى هنا تم الكلام،

والتقدير: وعدًا حسنًا، ثم بينه بقوله ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اٰن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ
نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا
مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١١ - ١٣].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: 10] أي:

الملازمون لها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ [المائدة: 11] أرادوا
وهم قريش ﴿أَن يَبْسُطُوا﴾ يمدوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتال والقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنْكُمْ﴾ بفضلله وعصمكم مما أرادوكم به ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
نزلت هذه الآية في قوم من اليهود صنعوا لرسول ﷺ طعامًا فيه سم، وقيل غير ذلك كما
في الأصل.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 12] بعهدهم المذكور بعد
﴿وَبَعَثْنَا﴾ أقمنا ﴿مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ وزيرًا على قومهم من كل سبط نقيب يكون
كفيلًا على قومه بالوفاء بالعهد توثقه عليهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصر
والإعانة نصرتموهم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾

نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هل هو الزكاة أو النفقة على الأهل؟ قولان، والأقرب: إنه الإنفاق في وجوه الخير ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْكُمْ سِيِّئَاتِكُمْ وَلَا دُخْلَكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ﴾ أخطأ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: طريق الحق المستقيمة.

فنقضوا، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضْتُمْ﴾ [المائدة: 13] أي: فنقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ بقتل الأنبياء وغيره ﴿لَعْنَاهُمْ﴾ طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ بألف بعد القاف وتخفيف السين مفتوحة لغير حمزة والكسائي، ولهما بتشديد بلا ألف؛ أي: ردية مغشوشة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ من بعث محمد ﷺ الذي في التوراة وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي: يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حِطًّا﴾ نصيبًا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة، هو الإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾ أي: خيانه ﴿مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لم يخونوا ولم ينقضوا كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿فَاعْغَفْ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ أي: لا تقاتلهم، ونسخ ذلك بأنه السيف ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ يتأهل الكُتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٤ - ١٦].

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا﴾ [المائدة: 14] متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا من بني إسرائيل ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ﴾ في أنفسهم فانقسموا إلى فرق، أو

بينهم وبين اليهود ﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾ الشحنة والعداوة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ يخبرهم الله في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ تكيلاً لهم بالتوبيخ قبل العذاب.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 15] خطاب لليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتُمون ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: من التوراة والإنجيل مثل آية الرجم وصفة محمد ﷺ ﴿وَيَغْفُو﴾ يعرض ﴿عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما أخفيتم، فلا يتعرض لكم فيه ولا يؤاخذكم به ولا يبيته؛ إذ لم يكن فيه مصلحة غير فضيحتكم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ أي: بين أو مبين بيته الله تعالى وهو القرآن⁽¹⁾.

﴿يَهْدِي بِهِ﴾ [المائدة: 16] أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ﴾ أي: يوصل ﴿مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بالإيمان ﴿سُبُلَ﴾ طرق ﴿السَّلَامِ﴾ أي: دين الله، والسلام هو الله، أو المراد: طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بهدأيته وتوفيقه وإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ يدلهم ويوصلهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق وهو الإسلام.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَاهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۗ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾

(1) أراد نور المعرفة بلا واسطة ولا تصنع. وأيضاً: نوره الذي يتجلى به من وجود الأنبياء والأولياء لأبصار الناظرين، وشاهد ذلك النور ما جاء في كتابه من بيان مقامات الصديقين، قد جاء النور منه جمعاً، وجاء الكتاب تفرقة ظاهرة في شهادته على من له من الله نور، والنور والكتاب صفتان من صفات الأدل ظهر لجذب السالكين إلى الله. قيل: كشف عن أسراركم غطاء الوحشة، وألبسكم لباس الأنس.

وَأَلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ [المائدة: ١٧ - ١٨].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17] وهي فرقة من النصارى يقال لها: اليعقوبية ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ المعنى: إنه لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهاً لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة: 18] أي: كل منهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي: كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأيينا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّاءُ قُلُوبِهِمْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صدقتم في ذلك، ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم، فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع في القيامة فيجازي كلأ بعمله.

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُورِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ أَنْتَ الْمُصِيرُ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣١﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿٤٠﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 19] خطاب لليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾

محمد ﷺ ﴿يَبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الدين الحق بشرائعه ﴿عَلَىٰ فِتْرَةٍ﴾ انقطاع ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ إذا لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمائة وأربعون أو وستون سنة، أو ستمائة أو أربعمائة وعشرون؟ أقوال، أشهرها الثاني ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ لكثا تقولوا؛ أي: يوم القيامة عند مصيركم إلى النار خالدين فيها ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ فلا عذر لكم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَ﴾ [المائدة: 20] اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ منكم ﴿أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مِلُوكًا﴾ قال ابن عباس: المراد بالملك هنا: من له امرأة ومسكن وخدام ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من المن والسلوى وتظليل الغمام وقلق البحر وغير ذلك.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: 21] المطهرة، وهي الشام على الأشهر، قال ابن عباس: هي الطور ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أمركم بدخولها ﴿وَلَا تَزِدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ﴾ أعتابكم خوف العدو ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ترجعوا نادمين في سعيكم.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا﴾ [المائدة: 22] أي: في الأرض المقدسة ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ طوالاً ذي قوة من بقايا عاد، وهم العمالقة ﴿وَأِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ لها.

﴿قَالَ﴾ [المائدة: 23] لهم ﴿رَجُلَانِ﴾ هما يوشع بن نون وكالب، من النقباء الذين بعثهم موسى لكشف أحوال الجبابرة ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ من مخالفة أمر الله ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكتما أحوال ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجنبوا ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب قريتهم، ولا تخشوهم؛ لأنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ قاله إمّا لعلبة الظن، أو لأن الله أخبر موسى بنصر الله تعالى وإنجاز وعده ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ﴾

أَبْنَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ
لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا
أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي أُرِيدُ أَنْ
تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴿
[المائدة: ٢٤ - ٢٩].

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24] عن القتال، والمراد بالذهاب: إما الإرادة والقصد أو حقيقة، وقالوه على وجه الاستهانة فلعنوا، ولما قالوا ذلك اشتد ذلك على موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم.

و﴿قَالَ﴾ [المائدة: 25] موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ أي: لا أملك لنصرة دينك غيرهما ﴿فَأَفْزُقُ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بحكمك، أو نجنا منهم.

﴿قَالَ﴾ [المائدة: 26] تعالى ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يتحيرون فيها ويترددون، وكانت تسعة فراسخ قاله ابن عباس، وقال غيره ستة ﴿فَلَا تَأْسُ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون في الليل سيرًا قويًا فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤا منه، ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا ستمائة ممن لم يبلغوا العشرين سنة.

قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في التيه، وكان رحمة لهما وعذابًا لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأذناه، ونبي يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين، فصار بمن بقي معه وقتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وجاء أن الشمس لم يحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار لبيت المقدس.

﴿وَأَتْلُ﴾ [المائدة: 27] يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿إِبْنِي آدَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: تلاوة ملتبسة بالحق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ إلى الله، هو كبش

لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل، بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾⁽¹⁾ وهو قابيل، فغضب واضمر الحسد في نفسه إلى أن

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾ الآية وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التنبيه من الله تعالى على أن ظلم اليهود، ونقضهم الميثاق والعهود كظلم ابن آدم لأخيه، المعنى: إن هم هؤلاء اليهود بالفنك بك يا محمد فقد قتلوا قبلك الأنبياء، وقتل قابيل هابيل، والشر قديم، أي: ذكرهم هذه القصة فهي قصة صدق، لا كالأحاديث الموضوعية، وفي ذلك تبيكت لمن خالف الإسلام، وتسلية للنبي ﷺ واختلف في ابني آدم، فقال الحسن البصري: لسا لصلبه، كانا رجلين من بني إسرائيل - ضرب الله بهما المثل في إبانة حسد اليهود - وكان بينهما خصومة، فتقربا بقربانين ولم تكن القرابين إلا في بني إسرائيل، قال ابن عطية: وهذا وهم، وكيف يجهل صورة الدفن أحد من بني إسرائيل حتى يقتدي بالغراب؟ والصحيح أنهما ابناه لصلبه، هذا قول الجمهور من المفسرين وقاله ابن عباس وابن عمر وغيرهما، وهما قابيل وهابيل، وكان قربان قابيل حزمة من سنبل - لأنه كان صاحب زرع - واختارها من أردأ زرع، ثم إنه وجد فيها سنبل طيبة ففركها وأكلها، وكان قربان هابيل كبشاً - لأنه كان صاحب غنم - أخذه من أجود غنمه، ﴿فَتَقَبَّلَ﴾ فرفع إلى الجنة، فلم يزل يرعى فيها إلى أن فدى به الذبيح عليه السلام، قاله سعيد بن جبير وغيره، فلما تقبل قربان هابيل لأنه كان مؤمناً - قال له قابيل حسداً: أنه كان كافراً - أتمشي على الأرض يراك الناس أفضل مني! ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وقيل: سبب هذا القربان أن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى - إلا شيئاً ﷺ فإنها ولدتها منفرداً عوضاً من هابيل على ما يأتي، واسمه هبة الله؛ لأن جبريل ﷺ قال لحواء لما ولدتها: هذا هبة الله لك بدل هابيل، وكان آدم يوم ولد شيث ابن ثلاثين ومائة سنة - وكان يزوج الذكر من هذا البطن الأنثى من البطن الآخر، ولا تحل له أخته توءمته، فولدت مع قابيل أختاً جميلة واسمها إقليماء، ومع هابيل أختاً ليست كذلك واسمها ليودا، فلما أراد آدم تزويجها قال قابيل: أنا أحق بأختي، فأمره آدم فلم يأتهم، وزجره فلم ينزجر، فاتفقوا على التقريب، قال جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود، وروي أن آدم حضر ذلك والله أعلم، وقد روي في هذا الباب عن جعفر الصادق: إن آدم لم يكن يزوج ابنته من ابنه، ولو فعل ذلك آدم لما رغب عنه النبي ﷺ ولا كان دين آدم إلا يكن النبي ﷺ وأن الله تعالى لما أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما ولدت حواء بنتاً فسمها عتاقا فبغت، وهي أول من بغى على وجه الأرض، فسلط الله عليها من قتلها، ثم ولدت لآدم قابيل، ثم ولدت له هابيل، فلما أدرك قابيل أظهر الله له جنية من ولد الجن، يقال لها: جمالة في صورة إنسية، وأوحى الله إلى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه، فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حورية في صفة إنسية وخلق لها رحمًا، وكان اسمها بزلة، فلما نظر إليها هابيل أحبها، فأوحى الله إلى آدم أن زوج بزلة من هابيل ففعل، فقال قابيل: يا أبت أألت أكبر من أخي؟ قال: نعم، قال: فكنت أحق بما فعلت به منه! فقال له آدم: يا بني إن الله قد أمرني بذلك، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فقال: لا والله، ولكنك آثرته علي، فقال آدم:

حج آدم ﴿قَالَ﴾ الذي لم يتقبل منه للمتقبل منه ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾ لم لتقبل قربانك دوني قال له ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَئِن بَسَطْتُ﴾ [المائدة: 28] مددت ﴿إِلَى يَدِكَ لَتَمُوتُنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ في قتلك.

﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾ [المائدة: 29] قاله المقتول ﴿أَنْ تَبُوءَ﴾ تتحمل وترجع ﴿بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم، قال تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم.

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بالفضل، قلت: هذه القضية عن جعفر ما أظنها تصح، وأن القول ما ذكرناه من أنه كان يزوج غلام هذا البطن لجارية تلك البطن، والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ وهذا كالنص ثم نسخ ذلك، حسبما تقدم بيانه في سورة البقرة، وكان جميع ما ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطنًا، أولهم قاييل وتوعمته إقليمياء، وآخرهم عبد المغيث، ثم بارك الله في نسل آدم، قال ابن عباس: لم يمض آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفًا، وما روي عن جعفر، من قوله: فولدت بنتًا وأنها بغت، فيقال: مع من بغت؟ أمع جني تسول لها! ومثل هذا يحتاج إلى نقل صحيح يقطع العذر، وذلك معدوم، والله أعلم.

الثانية: وفي قول هابيل ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ كلام قبله محذوف؛ لأنه لما قال له قاييل: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال له: ولم تقتلني وأنا لم أجن شيئًا؟ ولا ذنب لي في قبول الله قرباني، أما إنني أتقيته وكنت على لاحب الحق وإنما يتقبل الله من المتقين، قال ابن عطية: المراد بالتقوى هنا اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة، وأما المتقي الشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة، علم ذلك بإخبار الله تعالى لا أن ذلك يجب على الله تعالى عقلاً، وقال عدي بن ثابت وغيره: قربان متقي هذه الأمة الصلاة، قلت: وهذا خاص في نوع من العبادات، وقد روى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لآعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّتُكَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴿المائدة: ٣٠ - ٣٣﴾.

﴿فَطَوَّرَتْ﴾ [المائدة: 30] زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مَنْ الْخَاسِرِينَ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به؛ لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 31] ينبش التراب بمتقاره ورجليه وسواءه على غراب ميت معه حتى واره ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي﴾ يستر ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ والمراد هنا: الجسد كاملاً؛ لأن كل أجزاء الميت إذا ظهرت سوءة ﴿قَالَ﴾ قاييل ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله لا على قتله، أو ندم على غضب الله عليه بسبب ذلك لا على نفس القتل، وحفر له وواراه.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ [المائدة: 32] قرأ أبو جعفر بكسر الهمزة ونقل حركتها إلى النون، والباقون بسكون النون وفتح الهمزة ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قتل نفس ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ أتاه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهو القتل للشرك أو قطع الطريق أو الزنا ونحو ذلك ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إذ كل إنسان يدلي به الآخر إلى الله من الكرامة وثبوت الحرمة، فمن قتله فقد أهان ما كرم الله ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع من قتلها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ من حيث صون

تلك النفس، وتعظيم ما عظم الله ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحة ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الذي جاء إليهم ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: 33] بمحاربة المسلمين، هم قطاع الطريق ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع السبيل ﴿أَنْ يُقْتَلُوا﴾ إذا قتلوا ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ بعد قتلهم ثلاثاً إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ إن أخذوا المال ولم يقتلوا، وكان قدر نصاب بسرقة فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، فإن عاد فما بقي ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: يحبسوا إن أخافوا الطريق فقط، لذا فسره ابن عباس وعليه جماعة منهم الشافعي: ويلحق بالحبس ما فيه تنكيل برأي الحاكم ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ ذل وهوان ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٤) ﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نُقِلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٦) ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّؤِِمٌ﴾ (٣٧) ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٨) [المائدة: ٣٤ - ٣٨].

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [المائدة: 34] من المحاربين والقطاع ﴿مَنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وبه علم أن قاطع الطريق إذا تاب قبل القدرة عليه سقطت عنه العقوبة المتعلقة بالله لتحتم قتل وقطع، ومن ثم قال: فإن الله غفور رحيم دون لا تحذوهم، فإذا قتل وتاب قبل القدرة قتل بلا صلب، والآيات نزلت في العرنيين، وكانوا ثمانية أتوا النبي ﷺ وأظهروا الإسلام وهم كذبة، ثم مرضوا فبعثهم النبي ﷺ إلى إبل الصدقة، فاستمروا حتى صحوا، فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، ثم استمر هذا الحكم في كل محارب وإن كان مسلماً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا﴾ [المائدة: 35] اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ [المائدة: 36] ثبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ ليجعلوه فدية ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدار الآخرة.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة: 37] دائم.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38] أراد به إيمانها - وهو كذلك في مصحف ابن مسعود - أي: يمين كل منهما من الكوع، وبينت السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فما زاد بلا شبهة إن كان من حرز، وإنه إن عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمين، ثم بعد ذلك يُعَدَّر ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ من السرقة ﴿نِكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِتُورَةٍ بَيِّنَةٍ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ [المائدة: 39 - 41].

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ [المائدة: 39] بها ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره برد ما سرقه أو بدوام التوبة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولا يسقط بتوبته حق الآدميين

لكن لو عفا عنه صاحب المال قبل رفعه للإمام سقط القطع.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ [المائدة: 40] الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، مما ذكر ومن غيره مما صلحت القدرة له.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ﴾ [المائدة: 41] يعنون ﴿فِي الْكُفْرِ﴾ سرعة بإظهاره عند وجود فرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بألستهم ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وهم اليهود ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افتتره أبحارهم سماع قبول ﴿سَمَاعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿آخِرِينَ﴾ أي: بني قريظة؛ لأنهم يسمعون لأجل أهل خيبر في الرجلين الذين زنيا ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خيبر، زنا منهم محصنات وكان حكم التوراة الرجم فكرهوا ذلك، فبعثوا قريظة لسؤال النبي عن ذلك ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وصفه الله عليها ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا﴾ الحكم المحرف؛ أي: الجلد؛ أي: إن أفتاكم به محمد ﴿فَاخْذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ﴾ فإن قال لكم: الرجم ﴿فَاخْذُرُوا﴾ قبول قول محمد ﷺ.

وذمهم الله على ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ كفره وإضلاله ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لن تقدر على رفع قضائه فيه، ولما نزل على رسول الله ﷺ الأمر بالرجم أخبرهم فأبوا فأحضر ابن سوريا وأقسم عليه، فأخبر بأنه في التوراة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ من خبائث النفاق والشرك ولو أَرَادَهُ لَكَانَ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ بالقتل وغيره ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّحْتِ﴾ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ تَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ

شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة: ٤٢ - ٤٤].

هم ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: 42] قائلون به ﴿أَكَاالُونَ لِلسُّحْتِ﴾⁽¹⁾ هو ما لا يحل كسبه، والمراد به: الرشوة على الحكم ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَاخْكُم بَيْنَهُمْ﴾ بما أنزل إليك ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَنْ اخْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: 49] فيجب الحكم بينهم إذا ترفعوا إلينا مع مسلم أو ذمي ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَاخْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم فيشيهم ثوابًا عظيمًا.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ﴾ [المائدة: 43] يرضون بحكمك ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ وهو الرجم على الزاني المحصن، وهو تعجيب من حالهم وأنهم لم يقصدوا معرفة الحق بل السهل عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين لك.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ [المائدة: 44] رشد ﴿وَتُورٌ﴾ بيان للحق من الباطل ﴿يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ اسْلَمُوا﴾ أخلصوا دينهم لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ في وقائعهم وإن كان الحكم عليهم في بعضا، وقيل اللام بمعنى «على» ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء، جمع حبر - بفتح الحاء وكسرها أفصح - وهو العالم المحكم للشيء ﴿بِمَا﴾ بسبب الذي ﴿اسْتَحْفِظُوا﴾ استودعوه؛ أي: استحفظهم الله أو

(1) قال الحسن: يسمعون الكلام ممن يكذب عندهم في دعواه فيأتيهم برشوة فيأخذونها، وقال أبو سليمان: هم اليهود ويسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب ليس نبي، وليس في التوراة الرجم، وهم يعلمون كذبهم، وقيل: الكذب هنا شهادة الزور انتهى، وهذا الوصف إن كان قوله أولًا: سماعون للكذب، وصفًا لبني إسرائيل، وتقدم أن السحت المال الحرام، واختلف في المراد به هنا، فعن ابن مسعود: أنه الرشوة في الحكم، ومهر البغي، وحلوان الكاهن، وثمان الكلب، والنزد، والخمر، والخنزير، والميتة، والدم، وعسب الفحل، وأجرة النائحة والمغنية، والساحر، وأجر مصور التماثيل، وهدي الشفاعة، قالوا وسمي سحتًا المال الحرام؛ لأنه يسحت الطاعات أو بركة المال أو الدين أو المروءة وعن ابن مسعود ومسروق: أن المال المأخوذ على الشفاعة سحت، وعن الحسن: أن ما أكل الرجل من مال من له عليه دين سحت، وقيل لعبد الله: كنا نرى أنه ما أخذ على الحكم يعنون الرشا، قال: ذلك كفر.

الأنبياء إياه ﴿مَنْ كَتَابَ اللَّهِ﴾ أن يحرفوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ﴾ على الاستحفاظ للكتاب ﴿شُهَدَاءَ﴾ أنه الحق ﴿فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد والرجم وغيرهما ﴿وَآخِشُونَ﴾ في كتمانها ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها، وهو الرشوة ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به، والظالمون لأنفسهم ولغيرهم، والفاسقون بالخروج عن الطاعة وصفهم بما ذكر؛ لتركهم بالنص جحدًا واستهزاء، أما من آمن وترك الحكم به فهو فاسق لا كافر.

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ يَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَمَا آتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٥ - ٤٧].

﴿وَكُتِبْنَا﴾ [المائدة: 45] فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على بني إسرائيل ﴿فِيهَا﴾ أي: التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ تفتقأ هذه بهذه ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ يقطع هذا بهذا ﴿وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ﴾ كذلك ﴿وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ﴾ تطلع هذه بهذه ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ إذا أمكن كيد بيد لا جائفة، وكسر عظم بعظم آخر كما بين في السنة، ففي الجائفة ثلث الدية، وفي نحو كسر العظم والجرح الحكومة، وهذه الآية شرع لمن قبلنا وقد قرره شرعنا، وقرأ الكسائي العين والأنف والأذن والسن والجروح برفع الخمسة، وافقه في الجروح ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر، والباقون بالنصب ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بالقصاص ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ الهاء عائدة على القصاص، بمعنى: إنه إذا أمكن الجاني من نفسه كان كفارة لما أتاه، ومنهم من أعاد الضمير على المجني عليه؛ أي: فغفو المجني عليه كفارة للجاني في الدنيا والآخرة، وقال به جمع ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ [المائدة: 46] تقول: قففته بكذا مثل عقبته إذا اتبعته به ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أي: النبيين الذين قبل عيسى ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما سبقه ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان الأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ ذكرى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلِيُخَكِّمَكُمْ﴾ [المائدة: 47] قرأ حمزة بكسر اللام وفتح الميم والباقون بإسكانها ﴿أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْتُمْ أَنَّهُ يَهْدِي اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ وَإِنْ أُصِيبْتُمْ بِبَعْضِ دُورِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [المائدة: 48] القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق في كل ما أنزل فيه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما سبقه ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: الكتب السابقة ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ رقيبًا على سائر الكتب المنزلة؛ لأنه شهد لها بالصحة ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ آرائهم الفاسدة عادلاً ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة وهي الطريقة الظاهرة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقًا واضحًا من الدين ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين وشريعة واحدة، أو المراد: لجمعكم على الحق من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَكِنْ﴾ أراد اختلاف الشرائع ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ منها فيتبين النبيين المقتضي للثواب وغيره، هل يعملون بها أم لا؟ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ابتدروها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الأنبياء وكتبهم.

﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: 49] آرائهم الضالة
 ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ أي: لئلا يضلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ به ﴿إِلَيْكَ﴾ خطاب
 للنبي ﷺ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن اتباع حكم الله المنزل إليك ﴿فَاعَلِمْنَا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن
 يُصِيبَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِبَعْضِ دُوبِهِمْ﴾ التي أتوها، ومنها: التولي عن قبول حكم الله
 تعالى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ لمرتدون في الكفر معتدون فيه، وأمر بالحدز؛
 لأن ابن صوريا وكعب بن الأشرف وشاس بن قيس من اليهود اجتمعوا وقالوا: نفنته
 عن دينه، فأتوه وقالوا: إن آمنة بك أتبعك اليهود كلهم؛ لأننا أشرفهم فاحكم لنا عليهم
 إذا خاصمناهم إليك لنؤمن بك، فأبى عليهم.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: 50] قرأه ابن عامر بقاء الخطاب، والباقون
 بالياء على الغيب، والمراد بالمذكورين: قريظة والنضير، طلبوا من النبي ﷺ أن يحكم
 بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل في القتلى، فقال: هم سواء ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا
 أحد ﴿أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: عندهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فَرَى الَّذِينَ فِي
 قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ
 بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ جَاهِدَ أَيْمَنَهُمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ
 فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ
 بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
 يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة:
 ٥١ - ٥٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 51] أنصاراً
 وإخواناً ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الكفر والإخوة والعشرة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ يعاشرهم
 ويصاحبهم ﴿مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: من جملتهم إذا نصرهم، أو أحبهم لدينهم بغضاً

لدين الإسلام، أما مجرد عشرتهم أو حبهم فحرام شديد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يوصلهم إلى طريق الحق.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [المائدة: 52] شك ونفاق ﴿يَسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: في معونة اليهود وموالاتهم، نزلت في عبد الله بن أبي ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ دولة لهم بأن يدور الأمر لهم ولا يتم أمر لمحمد وصحبه، فنحتاج لصرتهم ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ﴾ أي: فتح مكة أو قرى اليهود مثل: خيبر وفدك ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ تمام أمر محمد ﷺ ﴿فَيُضِضْخَوْا﴾ أي: المنافقون ﴿عَلَى مَا أَسْرَوْا﴾ أخفوا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من موالاته غيرك ﴿نَادِمِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 53] لبعضهم إذا هتك سترهم تعجبًا، قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر «يقول» بغير واو، والباقون «ويقول» بواو، وقرأ البصريان بنصب اللام، والباقون بالرفع ﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا﴾ حلفوا ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أغلظ أيمانهم وأقواها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين، فقال الله تعالى: ﴿حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة، بطل ثوابها ﴿فَأَضْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ في الدنيا بافتضحهم وفي الآخرة بدوام عذابهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ﴾ [المائدة: 54] قرأ المدنيان وابن عامر «يرتد» بدالين الأولى مكسورة والثانية ساكنة، والباقون بدال واحدة مشددة مفتوحة ﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ إلى الكفر ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ أبو بكر الصديق وأصحابه.

قال الحسن: علم الله ﷻ أن قومًا ما يرتدون عن أديانهم بعد موت نبيهم، فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه؛ أي: يشبههم ويطيعونه، وقيل: الأشعريون، وصح في السنة ما يدل له، وقيل: قوم من اليمن وكنده، وقيل: من القادسية ﴿أَذَلَّةٌ﴾ أرقاء ورحماء ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمراد: تواضعهم كالولد لوالده والعبد لسيدته ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أشداء عليهم كالسبع على فريسته ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ كما يخاف الكفار لوم المنافقين ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضَّلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلِعَبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُورًا وَلِعَبًا
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ [المائدة: 55 - 59].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: 55] محمد ﷺ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: هم
إخوانكم وأنصاركم، نزلت؛ لأن عبادة بن الصامت عادى اليهود وتبرأ منهم، ولأن
عبد الله بن سلام تبرأت اليهود منه فأخبر به النبي ﷺ وقال: إن قومًا هجرونا ﴿الَّذِينَ
يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يصلون صلاة المسلمين أو خاشعون.
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 56] أي: يعينهم وينصرهم
﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ أتباعه ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لا غيرهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا﴾ [المائدة: 57] مهزوءًا
به ﴿وَلِعَبًا مِّنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ﴾ بالجر كما قرأ
البصريان والكسائي؛ أي: ومن الكفار، والباقون بالنصب ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أنصارًا وأعوانًا
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم.
﴿وَ﴾ [المائدة: 58] الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتهم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بالأذان
﴿اتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصلاة ﴿هُزُورًا وَلِعَبًا﴾ هم اليهود أو بعض المنافقين كانوا يستهزئون
ويضحكون منها بسبب الأذان ويقولون هو شيء لم تقل به الأنبياء ﴿ذَلِكَ﴾ الاستهزاء
﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ﴾ [المائدة: 59] تكرهون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ لسائر الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾
المعنى: لا تنكرونا منا إلا إيماننا ومخالفتكم في ذلك، وليس ذلك مما ينكر، نزلت؛
لأن قومًا من اليهود منهم أبو رافع بن أبي رافع أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ما نؤمن به،
فذكر عيسى من جملة الأنبياء فأبوا ودموا دين الإسلام، وقالوا: لا نعلم دينًا شرًّا من
دينكم.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٠ - ٦٤].

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ [المائدة: 60] أخبركم ﴿بِشَرِّ مِنْ﴾ أهل ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تنقمونه، أو شر من الذي قلتم من ذم دين الإسلام ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابًا وجزاء ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدَه وطرده ﴿وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وهم اليهود بالإجماع، فالمعنى: إنهم شر مما زعمتم من ذم دين الإسلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ المسخان كانا في أصحاب السبت، وقيل: الأول في اليهود، والثاني في النصارى بسبب المائدة ﴿و﴾ من ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾⁽¹⁾ الشيطان بطاعته له، قرأ حمزة «وعبد» بضم الباء وجرت الطاغوت،

(1) بضم الباء وكسر التاء، جعله اسمًا على فعل كعصد فهو بناء للمبالغة والكثرة كيقت وندس وحذر، وأصله الصفة، ونصبه بـ «جعل»، أي: جعل منهم عبدا للطاغوت، وأضاف عبد إلى الطاغوت فخفضه، وجعل بمعنى خلق، والمعنى: وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت، وقرأ الباقون بفتح الباء والتاء، وجعلوه فعلاً ماضيًا، وعطفوه على فعل ماضي وهو غضب ولعن، والمعنى عندهم من لعنه الله ومن عبد الطاغوت، أو منصوبًا بـ «جعل» أي: جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، ووحد الضمير في عبد حملا على لفظ «من» دون معناها، وقرأ أبي وابن مسعود «وعبدوا الطاغوت» على المعنى، ابن عباس: «وعبد الطاغوت»، فيجوز أن يكون جمع عبد كما يقال: رهن ورهن، وسقف وسقف، ويجوز أن يكون جمع عباد كما يقال: مثال ومثل، ويجوز أن يكون جمع عبيد كغيف ورغف، ويجوز أن يكون جمع عابد كبازل وبزل، والمعنى: وخدم الطاغوت، وعن ابن عباس أيضًا «وعبد الطاغوت» جعله جمع عابد كما يقال: شاهد وشهد وغايب وغيب، وعن أبي واقد: وعباد الطاغوت للمبالغة، جمع عابد أيضًا، كعامل وعمال، وضارب وضراب، وذكر محبوب أن البصريين قرءوا: «وعباد الطاغوت» جمع عابد =

والباقون بالفتح والنصب، والمعنى: عبدة الطاغوت ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ لأن مأواهم النار؛ أي: اليهود مكانتهم شر من الذين ذموا به المسلمين ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق، وأصل السوء الوسط، وذكر شر واصل في مقابلة قولهم: لا نعلم دينًا شر من دينكم.

﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُمُ﴾ [المائدة: 61] أي: منافقو اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا﴾ إليكم متلبسين ﴿بِالْكَفْرِ﴾ على الحقيقة؛ لأن الباطن هو العمدة ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِهِ﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ أي: يكتُمونه من النفاق فيعاقبهم على نفاقهم الذي كتموه.

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 62] أي: اليهود ﴿يُسَارِعُونَ﴾ يمشون سريعًا ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ﴾ الحرام والرشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: يعملونه عملهم هذا.

﴿لَوْلَا﴾ [المائدة: 63] هلا ﴿يُنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ﴾ منهم، وفيل الأولون من النصراري ومن بعدهم من اليهود ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ﴾ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: يصنعونه بترك نهيهم.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [المائدة: 64] لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي بعد أن كانوا أكثر الناس مالا ﴿يَدُ اللَّهُ مَغْلُولَةً﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا، وأرادوا به: البخل، تعالى الله عنه ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ في النار بأن تقبض وتضم إلى أعناقهم وهم بخلاء ممسكون في الدنيا أيضًا، أو المراد: أمسكت عن فعل الخيرات، دعا عليهم ﴿وَلَعَنُوا﴾ طردوا ﴿بِمَا قَالُوا﴾ بسبب ذلك ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كناية عن كثرة النعم التي لا يحيط أحد بكنهها، وثنى اليد لإفادة الكثرة؛ إذ غاية ما يبذله الشخص من ماله أن يعطي يديه ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق بلا اعتراض ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ إذ الآية الواحدة يكفر بها وبالتالي قبلها والتي تنزل بعدها،

أيضًا، كقائم وقيام، ويجوز أن يكون جمع عبد، وقرأ أبو جعفر الرؤاسي «وعبد الطاغوت» على المفعول، والتقدير: وعبد الطاغوت فيهم، وقرأ عون العقيلي وابن بريدة: «وعابد الطاغوت» على التوحيد، وهو يؤدي عن جماعة، وقرأ ابن مسعود أيضًا «وعبد الطاغوت» وعنه أيضًا وأبي «وعبدت الطاغوت» على تأنيث الجماعة.

فمن ثم زاد الكفر.

﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمْ﴾ هل هو بين اليهود في بعضهم؟ أو بينهم وبين النصارى؟ قولان ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أي: لحربه ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أي: كلما اجتمعوا شتت الله شملهم، وكلما جاء زمن ذلوا فيه فلم يجتمع لهم أمر، وكلما أرادوا سوء أرده الله تعالى إلى يوم القيامة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وغير ذلك ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَتَاتِهِمْ وَلَدَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: 65 - 68].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ [المائدة: 65] بمحمد ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَتَاتِهِمْ﴾ ولأدخلناهم جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: 66] عملوا بما فيهما ومنه الإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتب ﴿مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كناية عن توسيع الرزق، أو الأول للمطر والثاني للنبات ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: من اليهود جماعة ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾ عادلة لم تقل ولم تقصر كعبد الله بن سلام وصحبه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ ككعب بن الأشرف وصحبه ﴿سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ تسببا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أي: يعملونه.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة: 67] جميع ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ نزلت؛ إما لأن المنافقين كان يصعب عليهم الجهاد فربما لا يذكره لهم في بعض الأحوال، أو لأنه

ضاق ذرعاً بتكذيب الناس، فأمر بذلك إشارة إلى عدم المبالاة بهم ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لم تبلغ الكل ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ إذ كتم البعض ككتم الكل في عدم التبليغ المأمور به، وقرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب وأبو بكر «رسالات» بالألف وكسر التاء، والباقون بغير ألف والفتح ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ يمنعك ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ فلا تقربك، أو المعنى: يخلصك بالعصمة، فالنبي ﷺ معصوم دون الأمة، وكان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت، فقال: «انصرفوا فقد عصمني الله»⁽¹⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ منا، فلا تبال بتكذبيهم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المائدة: 68] من الدين يعتد به ﴿حَتَّىٰ تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: القرآن بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُعْيَانًا﴾ مجاوزة في الكفر ﴿وَكُفْرًا﴾ كفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك؛ أي: تهتم بهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالْتَّصِرِيُّ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٦٩﴾ وَحَسِبُوا أَنَّا لَنَكُونَ فَتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧١﴾

[المائدة: ٦٩ - ٧٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: 69] وهم اليهود ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ فرقة

(1) رواه الترمذي (292/11).

منهم ﴿وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 70] على التوحيد والإيمان بالأنبياء ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ من الحق؛ أي: كذبوه ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ فالذي كذبوا عيسى ومحمدًا، والذي قتلوه يحيى وذكريا صلى الله عليهم وسلم.

﴿وَحَسِبُوا﴾ [المائدة: 71] ظنوا أن ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ قرأ البصريان وحمزة والكسائي وخلف برفع النون، والباقون بفتحها ﴿فِتْنَةً﴾ عذاب بهم حل بتكذيب الأنبياء وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وَصُمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا بعد بعثه عيسى ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصُمُّوا﴾ ثانياً ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ وذلك بالكفر برسالة محمد ﷺ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه في الآخرة.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اغْبُدُوا لِلَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: 72] قال ذلك إعلاما بأنه عبد وليس بآله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه عن أن يدخلها ﴿وَمَا أَوَاهُ النَّارُ﴾ إقامته فيها ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أعوان يمنعونهم من عذاب الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ صَرًا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ لَكُمْ صَرًَا وَيَبْعُوكُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي

إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٨].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ﴾ [المائدة: 73] آلهة ﴿ثَلَاثَةً﴾ أي: أحديها؛ لأنهم كانوا يقولون: عيسى إله وأمه إله والله إله، وأما من قال: ثالث ثلاثة ولم يرد أن الآلهة متعددة فلا حرج عليه، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر في الغار: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»⁽¹⁾ وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: 7] ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من إثبات إلهية عيسى وحده، أو قولهم: إنه ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة ﴿لَيَمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾ بالخلود في النار.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ [المائدة: 74] يسألونه أن يغفر لهم كفرهم برجعهم للإيمان، والقصد التوبخ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [المائدة: 75] مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو مثلهم وليس ياله كما زعموا وإلا مضى، وهذا رد عليهم من حيث ما يدرك من حاله وحال أمه، ومعنى الحصر عدم انتقاله عن هذه المرتبة لما قالوه ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كغيرها من الحيوانات، وما كان كذلك لا يكون إلهًا لتركيبه وضعفه وما ينشأ من البول والغائط ﴿انظُرْ﴾ متعجبًا ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ نوضح لهم الدلالات على عبوديتهما واحتياجهما ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق، فهو تعجيب للنبي ﷺ من شأنهم، ومعنى التراخي بين المتعجبين الإشارة إلى الاعتناء بتأمل كل على حدته تأملًا تامًا.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: 76] والاستفهام للإنكار.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 77] اليهود والنصارى ﴿لَا تَغْلُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غلوا ﴿غَيْرِ الْحَقِّ﴾ وغلوا الباطل رفعة مقام الشخص فوق رتبته، أو

(1) رواه البخاري (279/15)، ومسلم (462/15).

وضعه عن ذلك ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ﴾ آراء ﴿قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغلوهم، وهم أسلاف من كان في عصره ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ممن اتبعهم على أهوائهم التي دعتهم إليها نفوسهم ﴿وَضَلُّوا عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن قصد طريق الحق وطريق الإسلام.

﴿لَعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ [المائدة: 78] هم كفار أيلة الذين عتوا في السبت بأن دعا عليهم فمسحوا قرده ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ هم كفار المائدة بأن دعا عليهم فمسحوا خنازير ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ بسبب عصيانهم ﴿وَبِسَبَبِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ اعتداؤهم، مجاوزتهم الحد.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴿٨٠﴾ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴿٨١﴾ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصرأئ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴿٨٢﴾ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشهداء ﴿٨٣﴾ [المائدة: ٧٩ - ٨٣].

ثم ذمهم بقوله: ﴿كانوا لا يتناهون﴾ [المائدة: 79] لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة ﴿منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ أي: يفعلونه فعلهم هذا.

﴿ترى﴾ [المائدة: 80] يا محمد ﴿كثيرا منهم﴾ أي: اليهود ككعب بن الأشرف ﴿يتولون الذين كفروا﴾ يخالطونهم ويستنصرون بهم وهم مشركو العرب من أهل مكة، أو المراد: المنافقين، يتولون اليهود ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أن سخط﴾ غضب ﴿الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾.

﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي﴾ [المائدة: 81] محمد ﷺ ﴿وما أنزل إليه﴾ أي:

القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أنصارًا وإخوانًا ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الحق بكفرهم.

﴿لَتَجِدَنَّ﴾ [المائدة: 82] يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم مشركو العرب لقوة جهلهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ المراد: من آمن منهم كالنجاشي وأصحابه، آمن برسول الله ﷺ وأرسل له من عنده طائفة من أصحاب الصوامع فلما سمعوا القرآن منه ﷺ عند قراءته عليهم سورة «يس» بكوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ﷺ وآمنوا، فهم المراد لا غير، وفي معناهم من آمن ممن كان على دين عيسى مطلقًا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: قرب المودة ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾ بسبب أن من النصارى ﴿فَتَيْسِينَ﴾ علماء، والقس والقسيس: العالم ﴿وَرُهْبَانًا﴾ جمع راهب، وهو العابد ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحق كما تستنكر اليهود بدليل إيمانهم بمحمد ﷺ.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ [المائدة: 83] محمد ﷺ وهو القرآن ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تمتلئ ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ حتى تفيض، فوضع الفيض موضع الامتلاء إقامة للمسبب مقام السبب ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صدقنا نبيك وكتابك ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المقرين بتصديقه، وهم أمة محمد ﷺ شهداء على الأمم في الآخرة، وقالوا: جوابًا لمن عبرهم من اليهود بإسلامهم.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْسَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ؛ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيَّمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ^٤ وَأَحْفَظُوا أَيَّمَانَكُمْ كَذَلِكَ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ [المائدة: ٨٤ - ٨٩].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 84] القرآن؛ أي: لا مانع لنا من ذلك مع قيام موجه وهو نبوة محمد ﷺ والقرآن ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين في الجنة.

﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: 85] بسبب قولهم ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 86، 87] نزلت؛ لأن قوماً من الصحابة منهم عثمان بن مظعون أرادوا السياحة وجب مذاكيرهم ونحو ذلك من ترك الطيبات، فنهوا عنه فعلم أن تعاطي المطاعم اللذيذة والمشارب السنينة والملابس الفاخرة غير منهي عنه ولا لوم عليه إذا كان من حل، لكن الأكمل تركه إذا خشي منه ضرراً من عجب ونحوه ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بمجاوزة الحلال إلى الحرام ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين لحدوده فلا يبيهم.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 88] الطيب هنا ما غذى غداء حسناً ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾⁽¹⁾ [المائدة: 89] الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو عند

(1) لأنه تعالى لما نهى عن جعل الله معرضاً للإيمان، كان ذلك حتماً لترك الإيمان وهم يشق عليهم ذلك؛ لأن العادة جرت لهم بالإيمان، فذكر أن ما كان منها لغواً فهو لا يؤاخذ به؛ لأنه مما لا يقصد به حقيقة اليمين، وإنما هو شيء يجري على اللسان عند المحاورة من غير قصد، وهذا أحسن ما يفسر به اللغو؛ لأنه تعالى جعل مقابلة ما كسبه القلب وهو ما له فيه اعتماد وقصد، واختلفت أقوال المفسرين في تفسير لغو اليمين، فقال أبو هريرة وابن عباس والحسن وعطاء والشعبي وابن جبيرة ومجاهد وقتادة ومقاتل والسدي عن أشياخه ومالك في أشهر قوله وأبو حنيفة: هو الحلف على غلبة الظن، فيكشف الغيب خلاف ذلك؛ وقالت عائشة وابن عباس أيضاً وطاوس والشعبي ومجاهد وأبو صالح والشافعي: هو ما يجري على اللسان في درج الكلام والاستعجال: لا والله، ويلي والله، من غير قصد لليمين؛ وهو أحد قولي مالك وقال سعيد بن جبيرة، وابن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وإبنا الزبير عبد الله وعروة: هو الحلف على

الشافعي وجماعة من أهل العلم قول القائل: لا والله، وبلى والله من غير قصد اليمين ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ عليه، بأن حلفتُم عن قصد، قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر «عقدتم» بفتح القاف مخففة بلا مد بعد العين، وابن ذكوان كذلك إلا أنه يمد، والباقون بالتشديد بلا مد وفي الكلام حذف والتقدير ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ﴾ أي: اليمين إذا أحستُم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل مسكين مد ﴿مِنْ أَوْسَطٍ﴾ أقصد وأغلب ﴿مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: من الوسط لا من العالي ولا من الدون، والمراد به: غالب قوت البلد ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ أي: العشرة بما يسمى كسوة كعمامة وإزار وقميص، ولا يكفي دفع ما ذكر لمسكين واحد ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ وقيده الشافعي ﴿بِالْمُؤْمِنَةِ أَخْذًا مِنْ تَقْيِيدِهِ بِهَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَحَلِّ﴾ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أي: عجز عن كل ذلك ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ ولا يجب متابعتها لصدق اسم الثلاثة مع التفريق ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحثتم أو أردتم الحنث كما دلت عليه السنة ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ عن الحنث إذا حلفتُم ما لم يكن على فعل برا وإصلاح بين الناس كما في البقرة ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا البيان ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرونه على ذلك بالطاعة.

فعل المعصية، إلا أن ابن جبير قال: لا يفعل ويكفر، وباقيهم قالوا: لا يفعل ولا كفارة عليه، وقال ابن عباس أيضًا، وعلي، وطاووس: هو الحلف في حال الغضب، وقال النخعي: هو الحلف على شيء ينساه، وقال ابن عباس أيضًا، والضحاك: هو ما تجب فيه الكفارة إذا كفرت سقطت، ولا يؤاخذ الله بتكفيرها، والرجوع إلى الذي هو خير؛ وقال مكحول، وابن جبير أيضًا، وجماعة: هو أن يحرم على نفسه ما أحل الله، كقوله: مالي علي حرام إن فعلت كذا، والحلال علي حرام، وقال بهذا القول مالك إلا في الزوجة، فألزم فيها التحريم إلا أن يخرجها الحالف بقلبه، وقال زيد ابن أسلم وابنه: هو دعاء الرجل على نفسه أعمى الله بصره، أذهب الله ماله، هو يهودي، هو مشرك، هو لغية، إن فعل كذا، وقال مجاهد: هو حلف المتبايعين، يقول أحدهما: والله لا أبيعك بكذا، ويقول الآخر: والله ما أشتريه إلا بكذا، وقال مسروق: هو ما لا يلزمه الوفاية، وروي عنه، وعن الشعبي: أنه الحلف على المعصية؛ وقيل: هو يمين المكره، حكاها ابن عبد البر، وهذه الأقوال يحتملها لفظ اللغو، إلا أن الأظهر هو ما فسرناه أولاً؛ لأنه قابله كسب القلب، وهو تعمه للشيء، فجميع الأقوال غيره ينطبق عليها أنها كسب القلب؛ لأن للقلب قصدًا إليها: ونفي الوحدة يدل على أنه لا إثم ولا كفارة، فيضعف قول من قال: إنها تختص بالإثم، ويفسر اللغو باليمين المكفرة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغْكُمْ اللَّهُ شَيْءًا مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩٤].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ ﴾ [المائدة: 90] المسكر الذي يخامر العقل، ﴿ وَالْمَيْسِرُ ﴾ القمار ﴿ وَالْأَنْصَابُ ﴾ الأصنام؛ جمع: نصب بفتح النون وسكون الصاد، وبضم النون والصاد، وإسكانها ﴿ وَالْأَزْلَامُ ﴾ رِجْسٌ خبيث مستقذر ﴿ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ من إغوائه الذي يزينه ﴿ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ أي: المذكور، واجتنبوا الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بالاجتناب.

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ [المائدة: 91] إذا أتيتموهما لما فيهما من الشر والفتن؛ إذ السكران ربما قتل صاحبه أو شيخه أو نحو ذلك، والمقامر إذا قامر بأهله وماله بقي حزينا، وربما خاصم لذلك ﴿ وَيَصُدَّكُمْ ﴾ بالاشتغال بهما ﴿ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ عن إتيانهما؛ لفظه استفهام ومعناه أمر.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾ [المائدة: 92] المعاصي ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أعرضتم عن الطاعة ﴿ فَأَعْلَمُوا ﴾ أيها الناس ﴿ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ أي: الإبلاغ البين، والجزاء واقع من الله.

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ ﴾ [المائدة: 93] إثم ﴿ فِيمَا طَعَمُوا ﴾ أكلوا من الميسر والخمر قبل التحريم ﴿ إِذَا مَا اتَّقَوْا ﴾ المحرمات ﴿ وَءَامَنُوا ﴾

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا ﴿۹۴﴾ دأبوا على التقوى ﴿ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسَنُوا﴾ العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيشبههم، قيل: نزلت في قوم شربوا الخمر وأكلوا من الميسر وماتوا قبل التحريم، فسألت الصحابة عنهم مبينة؛ لأنه لا إثم عليهم ونزل في عام الحديبية لما أحرموا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَتْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشِيرًا﴾ [المائدة: 94] يرسل إليكم ﴿مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ﴾ إلى الصغار ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحَكُمْ﴾ إلى الكبار منه، وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الطير والوحش تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: غائبًا لم يرده متجنب الصيد ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ للنهي فاصطاد ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لمجاوزة الحد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامًا مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَدْيَ وَالْقَلْبَةَ ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [المائدة: 95-99].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ [المائدة: 95] محرمون لحج أو عمرة؛ وهو جمع: حرام ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ والمخطئ كالمتمعد كما في السنة ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: شبهه في الخلقة، قرأ الكوفيون ويعقوب: «فجزاء» بالتونين مثل بالرفع، والباقون بضم الهمزة والمد بلا تونين وخفض مثل ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي: بالمثل رجلا ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ شرطهما: حرية وذكرورة وتكليف

وإسلام ومروءة فطنة، غير أن بها أشبه الأشياء به، وقد حكم عمر وعلي وابن عباس في النعامة ببذنة، وبقر الوحش وحماره ببقرة، وابن عمرو وابن عوف بشاة والأول والثالث؛ لأنه شبهها في العب ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي: يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويفرق لحمه على مساكنه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان، فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ الواجب عليه ﴿كَفَّارَةً﴾ وإن وجد الجزاء هي و﴿طَعَامًا مَسَاكِينَ﴾ من غالب قوت البلد في غالب السنة بشرط أن يساوي ذلك قيمة الجزاء محل الوجوب لكل مسكين مد.

قرأ المدنيان وابن عامر: «وكفارة» بغير تنوين «طعام» بالخفض، والباقون بالتنوين ورفع «طعام» ﴿أَوْ﴾ الواجب عليه ﴿عَذْلٌ﴾ مثل ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صَيَّامًا﴾ العدل بفتح العين: مثل الشيء من غير جنسه، وبالكسر: المثل من الجنس، فعلم أنه مخير بين أن يذبح المثل وبين أن يقومه ويشترى بقيمته طعامًا ويتصدق به على مساكين الحرم، وبين أن يصوم عن كل مد مما بلغه الطعام يومًا، فإن انكسر مد كامل فيه يوم؛ إذ صيام بعضه لا يمكن، وتركه إخلال بالواجب، فلزم براءة الذمة وله أن يصوم حيث شاء ﴿لِيَذُوقَ﴾ وجب عليه ذلك؛ ليدوق ﴿وَبَالَ﴾ ثقل جزاء ﴿أَمْرِهِ﴾ معصيته التي فعلها ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ تقدم من قتل الصيد قبل التحريم ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى قتل الصيد ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿أَجَلٌ لَكُمْ﴾ [المائدة: 96] ولو محرمين ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أي: مصيده أن تأكلوه، وهو كل شيء فيه مما لا يعيش إلا فيه، ولو مات حتف أنفه إلا الضفدع والسلحفاة والتمساح ﴿وَطَعَامُهُ﴾ مما قذفه بلا صيد ﴿مَتَاعًا﴾ لأجله؛ أي: تمتعًا ﴿لَكُمْ﴾ يأكلونه ﴿وَاللَّسِيَّارَةَ﴾ المسافرين فيه أو في غيره يتزودونه ﴿وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدِ الْبَرِّ﴾ وهو: ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ محرمين، فلو صاده حلال فللمحرم أكله ما لم يدل أو يعين عليه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: 97] المحرم ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ من قرأه بالألف بعد الياء جعله بمعنى: أنه يقوم به أمر الدين بالحج، وأمر الدنيا بالأمن النهب والغارة على العادة السالفة، وبأنه يحيي إليه ثمرات كل شيء وفي الآخرة بالشواب، ومن قرأ بلا ألف جعله بمعنى: المصلح ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ ذو الحجة، أو المراد به: الجنس؛ يعني: قيامًا بالأمن فيهما من القتال ﴿وَالْهَدْيَ﴾ هو ما يهدى إلى البيت من النعم

﴿وَالْقَلَائِدُ﴾ المقلدات كالإبل وغيرها من الأنعام التي تهدي للبيت؛ لأمن صاحبها من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذ جعل ذلك قبل وقوع ما وقع منكم دليل على علمه بالأشياء قبل كونها.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 98] لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾⁽¹⁾ [المائدة: 99] التبليغ فإن أظعتم: أثبتم وإلا عوقبتم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من كل شيء فيجازيكم به.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
يَتَأُولَى الْأَلْبَسِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ
أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَمَّا أَنزَلَ
عَنَّا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا
كٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ وَلٰكِنَّ الَّذِينَ
كٰفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكٰذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا

(1) لما تقدم الترغيب والترهيب أخبر تعالى أن كلف رسوله بالتبليغ وهو توصيل الأحكام إلى أمته وهذا فيه تشديد على إيجاب القيام بما أمر به تعالى، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليه الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفریط، قال ابن عطية هي إخبار للمؤمنين ولا يتصور أن يقال هي أنه موادة منسوخة بآيات القتال بل هذه حال من آمن بهذا وشهد شهادة الحق فإنه عصم من الرسول ماله ودمه فليس على الرسول في جهته أكثر من التبليغ، وذكر بعض المفسرين الخلاف فيها أهي محكمة أم منسوخة بآية السيف والرسول هنا محمد ﷺ وقيل يجوز أن يكون اسم جنس والمعنى ما على كل من أرسل إلا البلاغ والبلاغ مصدران لبلاغ وإذا كان مصدر البلاغ فيلغ الشرائع مستلزم لتبليغ من أرسل بها فغير باللازم عن الملزوم ويحتمل أن يكون مصدر البلاغ المشدد على حذف الزوائد فمعنى البلاغ التبليغ.

يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَن
صَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتِنَتِكُمْ يَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ [المائدة: 100 - 105].

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾ [المائدة: 100] الحرام ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ الحلال ﴿وَلَوْ
أَعْجَبَكَ﴾ سرك أيها الناظر ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾
أصحاب العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ﴾ [المائدة: 101] تظهر ﴿لَكُمْ
تَسْؤُكُمْ﴾ بظهورها لكم، نزلت كما قال أنس ؓ؛ لأن أناسًا من أصحاب النبي ﷺ سألوه
حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر، فقال: «لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بيته
لكم» فجعلت أنظر يمينًا وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه بيكي، وإذا برجل
كان يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «حذافة»، ثم أنشأ عمر،
فقال: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا نعوذ بالله من الفتن⁽¹⁾.

وقيل: نزلت؛ لما كرر رجل على النبي ﷺ السؤال في الحج: هل هو في كل سنة؟
فقال ﷺ: «وما يؤمنكم أن أقول: نعم والله لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما
استطعتم فاتركوني ما تركتكم وإنما هلك من قبلكم لكثرة سؤاها واختلافهم على
أنبيائهم»⁽²⁾ وعليه معنى ﴿تَسْؤُكُمْ﴾ إنكم إن أمرتم بالعمل بها تشق عليكم ﴿وإن تَسْأَلُوا
عَنْهَا﴾ أي: الأشياء ﴿حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ﴾ في زمن النبي؛ المعنى: إن سألتهم عنها بزمنه
ينزل القرآن بيانها ومتى وقع ذلك ساءتكم فلا تسألوا عنها ﴿تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾
أي: عن السالف من مسألتكم فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ خَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ [المائدة: 102] أي: الأشياء ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أنبيائهم؛ كسؤال
قوم صالح الناقة، وقوم عيسى المائدة فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا
﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ بتركهم العمل بها.

(1) رواه البخاري (173/21)، ومسلم (404/15).

(2) رواه ابن حبان في «صحيحه» (409/15).

﴿مَا جَعَلَ﴾ [المائدة: 103] شرع أو أنزل ﴿اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ وهي: الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذننها؛ أي: شقوها وتركوا الحمل عليها وركبوها، ولم يجزوا وبرها، ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها؛ فإن كان ذكراً بحروه وأكله الرجال والنساء، وإن كانت أنثى بحروا أذننها؛ أي: شقوها وتركوها، وحرم على النساء منافعها واختصت بالرجال، فإذا ماتت حلت لهما ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾ هل السائبة أم البهيرة؟ كانت إذا تابعت ثنتي عشرة إنثاً سييت، ولم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بحروا أذننها، أو العبد يعتق لا، ولا عليه، ولا عقل، ولا ميراث؟ أو البعير يسبب إن حدث ما به سرور كشفاء مريض؟ أقوال.

﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ هي من الغنم، كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن والسابع ذكر ذبح للرجال والنساء، فإن كان أنثى تركوه في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى استحوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبح، ولبن الأنثى حرام على النساء، فإذا مات منهما شيء أكله الرجال والنساء ﴿وَلَا حَامٍ﴾ هو: البعير إذا ركب ولد ولده، قالوا: حمي ظهره، ويقال: إذا أنتج من صلبه عشرة أبطن فلا يركب ولا يحمل عليه، ولا يمنع ماء ولا كلأ، فإن مات أكله الرجال والنساء ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ أي: قولهم: إن الله أمر بذلك ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إن ذلك افتراء؛ لأنهم قلدوا في ذلك آباءهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ﴾ [المائدة: 104] أي: إلى حكمه في تحليل الأنعام ونحوه من الأحكام ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾ يكفيننا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين الباطل أحسبهم ذلك ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من أحكام الله ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى ذلك، والاستفهام للإنكار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: 105] أي: الزموا صلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ من المشركين ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى الإيمان؛ فالمعنى: خذوا منه الجزية إذا بدلها، وأتموا له العهد ولا تنقضوه، أو المعنى: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يأتي زمن يطاع فيه الشح، ويتبع فيه الهوى، وتؤثر فيه الدنيا، ويعجب فيه كل ذي رأي برأيه، فإذا جاء ذلك سقط هذا الواجب، وفيه أحاديث صحيحة ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الضال والمهتدي ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر ويجازيكم على ذلك.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّيَمِّنُ الْأَيْمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَايَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَدْتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّيَمِّنُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدَّىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَحَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغَيْبِ ﴿١٠٩﴾ ۞ [المائدة: ١٠٦ - ١٠٩].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ ﴾ [المائدة: 106] والمعنى: ليقيم لشهادة بينكم ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ أي: وجدت أسبابه وعلاماته ﴿ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ أي: وقتها ﴿ اثْنَانِ ﴾ أي: يشهد اثنان ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: من ملتكم ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ ﴾ غير ملتكم ﴿ إِنْ أَنتُمْ صَرَيْتُمْ ﴾ سافرتم ﴿ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ وأوصيتم ﴿ تَحْسِبُونَهُمَا ﴾ توقفونهما ﴿ مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ ﴾ أي: صلاة العصر؛ لأنها المعهودة بالتعظيم والحلف بعدها ﴿ فَيُقْسِمَانِ ﴾ يحلفان ﴿ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ ﴾ شككتم فيهما ويقولان: ﴿ لَا نَشْتَرِي بِهِ ﴾ بالقسم أو بالله ﴿ ثَمَنًا ﴾ عوضًا نأخذه بدله من الدنيا بأن يحلف أو يشهد به كذبًا لأجله ﴿ وَلَوْ كَانَ ﴾ المقسم له أو المشهود له ﴿ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ قرابة منا ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ ﴾ بفتح التاء مضافًا إلى الجلالة مخفوضة؛ أي: الشهادة التي أمرنا بها بأدائها.

وقرأ يعقوب فيما رواه زيد عنه: «شهادة» بالتونين منصوبًا، و«الله» بمد الهمزة وخفض الهاء من اسم الله؛ أي: والله، وعن أبي جعفر كأي يعقوب إلا أنه لا يمد الألف ذكره البغوي ﴿ إِنَّا إِذًا ﴾ إن كتمانها ﴿ لَيَمِّنُ الْأَيْمِينَ ﴾ بالكذب.

﴿ فَإِنْ عُرِيَ ﴾ [المائدة: 107] اطلع بعد حلفهما ﴿ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ أي:

فعلا ما يوجهه من خيانة أو كذب عن الشهادة بأن وجد عندهما ما أنهما به مثلاً وأدعا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه المسمى عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ﴾ قرأ حفص: «استحق» بفتح التاء والحاء وتبتدئ بكسر همزة الوصل، والباقون بضم التاء وكسر الحاء والابتداء لهم بضم الهمزة؛ فالأول معناه: من الذين استحق الإثم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: حقٌ ووجب بسبب كذبهم، والثاني معناه: من الذين استحق؛ أي: أوجب عليهم الإثم من الله لكذبهم عليهم الوصية الورثة ﴿الْأُولِيَانِ﴾ بالميت؛ أي: الأقربان إليه، هكذا في غير قراءة يعقوب وحمزة وخلف وأبي بكر، وفي قراءة الأربعة «الأولين» جمع الأول ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين، ويقولان: ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾ لميتنا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ بيمينهما ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ في يميننا أو قولنا أولى، وتسمى: اليمين شهادة في اللغة بكثرة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ [النور: 6].

﴿إِنَّا إِذَا﴾ أي: إذا حلفنا باطلاً ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بالحلف الباطل لأنفسنا؛ ومعنى الآية: أن المحتضر يشهد على وصيته اثنين أو يوصي لهما من أهل دينه أو غيرهما إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن أرتاب الورثة فيهما فادعوا خيانتهم بأخذ شيء أو دفعه لآخر فزعموا أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره، فإن اطلع على أمانة تكذبهما فادعيا دافعاً له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه، والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة أهل غير الملة منسوخة.

واعتبار صلاة العصر تغليظاً وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة؛ لخصوص الواقعة التي نزلت لها، وهي أن من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن يزيد - أي: وهما نصرانيان - فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقد جاماً من فضة مموهاً بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت، فأحلفهما لما وجد الجام بمكة فقالا: ابتعناه من تميم وعدي فنزلت الآية الثانية، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا.

وفي رواية: فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه.

وفي رواية: فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذ الجام ورفعا إلى أهله ما بقى.

﴿ذَلِكَ﴾ [المائدة: 108] الحكم المذكور ﴿أَذْنِي﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي:

الشهود أو الأولياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ الذي يحملها عليه من غير تحوير ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أن ﴿يَخَافُوا أَنْ تَزُدَّ آيْمَانُ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم، فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ لما أمر به سماع قبول ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: 109] هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم لتوبيخ أممهم: ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿أَجَبْتُمْ﴾ أي: أجابكم الأمم عند الدعاء للتوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك هل قالوه من هول ذلك اليوم؟ فلما رجعت إليهم عقولهم شهدوا على أممهم، أو المراد: لا نعلم وجه الحكمة عن سؤالك لنا، أو هو سؤال عن الأمم بعد موت الأنبياء؟ أقربها الأول والأخير وهو أولى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ تعلم ما غاب عنا.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرِسُولِي قَالُوا ءَامِنَا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَنْظُمِينَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: 110 - 113].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: 110] بالرسالة ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ بإظهارك من غير أب، وذكر النعمة شكرها ﴿إِذْ أَيَّدْنَاكَ﴾ قويتك

﴿بِزُوحِ الْقُدْسِ﴾ أي: جبريل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ ابن ثلاثين سنة، وأرسل على رأسها وأقام ثلاثين شهراً ثم رفعه الله إليه قاله ابن عباس، وقيل: المراد بكلامه في الكهولة كلامه لهم بعد نزوله من السماء؛ لأنه رفع قبل ذلك ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ هي: العلم والعمل ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ تصور ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ قيل: المراد به الخفاش ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ أي: في الهيئة التي هي الصورة ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ بتقديري ﴿وَتُبْرئُ﴾ تصحح ﴿الْأَكْمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرَجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم أحياء ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ صرفت ومنعت ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ أي: اليهود حيث هموا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحة ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهراً، قرأ حمزة والكسائي وخلف: «ساحر» هنا وأول يونس وفي هود والصف بالالف وكسر الحاء في الأربعة وافقهم ابن كثير وعاصم في يونس، والباقون بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: 111] أي: ألهمتهم أو أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ابن مريم ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بالله ورسوله ﴿وَإِشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: 112] قرأ الكسائي: «تستطيع» بناء الخطاب في أوله «ربك» بالنصب، والباقون بالغيب والرفع؛ والأول معناه: هل تستطيع يا عيسى أن تدعو ربك؟ والثاني معناه: هل تفعل أم لا؟ وليس سؤالاً عن قدرة الله؛ لأن ذلك لا شك فيه ﴿أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾⁽¹⁾

(1) سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من تحتها وغمامة من فوقها، وعيسى يبكي ويتضرع، ويقول: إلهي اجعلها سلامة، لا تجعلها عذاباً، حتى استقرت بين يديه، والحواريون من حوله، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها، وإذا عليها منديل مغطى، فقال عيسى: أيكم أوثق بنفسه وأقل بلاء عند ربه فليأخذ هذا المنديل، وليكشف لنا عن هذه الآية، قالوا: يا روح الله أنت أولانا بذلك، فاكشف عنها، فاستأنف وضوءاً جديداً، وصلى ركعتين، وسأل ربه أن يأذن له بالكشف عنها، ثم قعد إليها، وتناول المنديل، فإذا عليها سمكة مشوية، ليس فيها شوك، وحولها من كل البقل ما خلا الكراث، وعند رأسها الخل، وعند ذنبها الملح، وحولها خمسة أرغفة، على رغيف تمر، وعلى رغيف زيتون، وعلى رغيف خمس رمانات، فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله أين طعام الدنيا هذا، أين طعام الجنة؟ فقال عيسى: سبحان الله أما تنتهون! ما أخوفني عليكم،

المائدة: الخوان الذي يكون عليه الطعام ﴿قَالَ﴾ عيسى لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تسألوه شيئاً لم يسأله الأمم قبلكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا نُزِيدُ﴾ [المائدة: 113] سؤالها من أجل ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ للتبرك لا للحاجة فلم نسأل تعتياً ﴿وَتَطْمِئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين فلم نسأل شكاً ﴿وَنَعْلَمُ﴾ نزداد علماً ﴿أَنْ﴾ أي: إنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنك رسول الله ﴿وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ عند الذي لم يحضروها من بني إسرائيل.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَزَّلْتُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا آنتَ لِلنَّاسِ آئِتِيُونِي وَآئِمِّي إِلَهَيْنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ

قال شمعون: لا وإله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءاً، قال عيسى: ليس ما ترون عليها من طعام الدنيا، ولا من طعام الجنة، إنما هو شيء ابتدعه الله، فقال له: «كن» فكان أسرع من طرفة عين، فقال الحواريون: يا روح الله إنما نريد أن ترينا في هذه الآية آية، فقال: سبحان الله! ما اكتفيتم بهذه الآية؟! ثم أبل على السمكة فقال: عودي بإذن الله حية طرية، فعادت تضطرب على المائدة، ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشوية، فقال: يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها، فقال: معاذ الله بل يأكل منها من سألها، فلما رأوا امتناعه، خافوا أن يكون نزولها عقوبة، فلما رأى عيسى ذلك دعا لها الفقراء والزمنى واليتامى، فقال: كلوا من رزق ربكم، ودعوة نبيكم؛ ليكون مهنؤها لكم، وعقوبتها على غيركم، فأكل منها ألف وسبعمائة إنسان، يصدرون عنها شباعاً وهي كهيتها حين نزلت، فصح كل مريض، واستغنى كل فقير أكل منها، ثم نزلت بعد ذلك عليهم، فازدحموا عليها، فجعلها عيسى نوباً بينهم، فكانت تنزل عليهم أربعين يوماً، تنزل يوماً وتغيب يوماً، وكانت تنزل عند ارتفاع الضحى، فيأكلون منها حتى إذا قالوا، ارتفعت إلى السماء وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض.

فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَلْيَنْتَهَبُوا عِبَادَكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ لَمْ يَكُنْ جَنَّتْ جَمْرِي مِنْ تَحْتِهَا إِلَّا نَهَرُ خَلِيدٍ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ [المائدة: ١١٤ - ١٢٠].

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 114] عند ذلك الذي قالوه: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي: يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونسره به ﴿لأَوْلَانَا﴾ من حضر عيسى ﴿وَأَخْرِنَا﴾ من جاء بعده ﴿وَأَيَّةٌ﴾ علامة دالة على صدق نبوة عيسى ﴿مِنْكَ وَارْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ [المائدة: 115] قرأ المديان وابن عامر وعاصم بالتشديد والآخرين بالتخفيف ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي: بعد نزولها ﴿مِنْكُمْ﴾ نبوة عيسى أو يدعي فيه خلاف العبودية ﴿فَأِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم، فنزلت الملائكة من السماء بها عليها أحوات سبعة وأرغفة كذلك فأكلوا منها إلى أن شبعوا، وقيل: بل في خبز ولحم فأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخافوا ورفعوا وادخروا فمسحوا قرودة وخنازير.

﴿وَ﴾ [المائدة: 116] اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ إذ يقول ﴿اللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ﴾ عيسى وقد أَرَعِد: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزهت عن ذلك ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ أي: ما لست أستحقه ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ لأنك ﴿تَعْلَمُ﴾ كل شيء، تعلم ﴿مَا﴾ أخفيه ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: ما تخفيه من معلوماتك، وعبر بالنفس لمشكلة اللفظ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما كان وما يكون.

﴿مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: 117] وهو: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيبًا أمنعهم مما يقولون ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ مدة إقامتي فيهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي: قبضتي عنهم فرفعتني إلى السماء ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المطلع على أقوالهم وأعمالهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من قولي لهم

وغير ذلك ﴿شَهِدَ﴾ مطلع عالم.

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ [المائدة: 118] أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الذين عرفتهم بالمعصية، وأنت مالك أمرهم تتصرف فيهم كيف شئت ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾ [المائدة: 119] أي: يوم القيامة ﴿يَوْمَ﴾ قرأ نافع بنصب اليوم، والباقون بالرفع ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في الدنيا كعيسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ باعتبار ما أتاهم من فضله ﴿ذَلِكَ﴾ الرضا المذكور ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المائدة: 120] خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممكن ﴿قَدِيرٌ﴾.

سورة الأنعام
الأنعام

مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ [الأنعام: 151] إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] أو من قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ [الأنعام: 91] ونزل الباقي جملة واحدة بمكة، وعددها في المدني والمكي مائة آية وخمس أو ست أو سبع وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) ﴿[الأنعام: ١ - ٧].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ [الأنعام: 1] خلق ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ جمعها لكثرة أسبابها ﴿والنُّور﴾ الجنس ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (١) مع قيام هذا

(1) هذه السورة مكية كلها، وقال الكسائي: إلا آيتين نزلتا بالمدينة وهما ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ وما يرتبط بها، وقال ابن عباس: نزلت ليلاً بمكة حولها سبعون ألف ملك يجارون بالسيح، إلا ست آيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى﴾، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَغْرِفُونَهُ﴾ وعنه أيضاً

الدليل هل هم مشركوا العرب؟ أو عبدة الأوثان؟ أو جميع الكفار؟ أو القائلون بالنور والظلمة؟ أقوال، أقربها الثالث ﴿بَرَّبَهُمْ يَغْدُلُونَ﴾ يسوون به غيره.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام: 2] أراد آدم ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ هل الأول من الولادة إلى الموت، والثاني من الموت إلى البعث؟ أو الأول أجل الدنيا والثاني أجل الآخرة؟ أو الأول أجل النوم والثاني أجل الموت؟ أقوال متقاربة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه أنشأكم وإنكم تموتون.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 3] بمعنى أنه ﴿يَعْلَمُ﴾ الجميع أو أنه معبود فيهما يعلم ﴿سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرونه وتظهرونه بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من الخير والشر.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأنعام: 4] أي: كفار مكة ﴿مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كانشقاق القمر ونحوه ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تاركين لها ومكذبين بها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 5] هل هو القرآن؟ أو محمد ﷺ؟ قولان ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ﴾ أخبار وعواقب بـ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ في الآخرة فيعلمون عاقبته إذا عذبوا.

﴿الْمَ يَرَوْنَ﴾ [الأنعام: 6] في أسفارهم الشام وغيرها ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أمة من الأمم الماضية، والقرن: الجماعة من الناس في العصر الواحد، سمي به

وعن مجاهد والكلبي إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ وقال قتادة: إلا ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾، وذكر ابن العربي أن قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ﴾ نزل بمكة يوم عرفة، ومناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة أنه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وأمه من كونهما إلهين من دون الله، وجرت تلك المحاوررة وذكر ثواب ما للصادقين، وأعقب ذلك بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهن وأنه قادر على كل شيء، ذكر بأن الحمد له المستغرق لجميع المحامد فلا يمكن أن يثبت معه شريك في الإلهية فيحمد، ثم نبه على العلة المقتضية لجميع المحامد والمقتضية، كون ملك السماوات والأرض وما فيهن له بوصف ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأن الموجد للشيء المنفرد باختراعه له الاستيلاء والسلطنة عليه، ولما تقدم قولهم في عيسى وكفرهم بذلك وذكر الصادقين وجزاءهم أعقب ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالتُّورِ﴾ فكان ذلك مناسبة للكافر والصادق.

لتقاربهم فيه، وهل هو ثمانون سنة؟ أو ستون؟ أو أربعون؟ أو ثلاثون؟ أو مائة؟ أقوال، أشهرها الأخير ﴿مَكَّنَاهُمْ﴾ أعطيناهم مكاناً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ المراد: تتابع المطر في أوقات الحاجات غزيراً ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: فاحذروا أن يقع بكم ما وقع بهم ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا﴾ خلقاً ﴿آخِرِينَ﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ [الأنعام: 7] مكتوباً ﴿فِي قُرْطَاسٍ﴾ رق كما اقترحوه ﴿فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تعنتا وعناد ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهرًا، نزلت؛ لأن نوفل بن خويلد ومن معه قالوا: لن نؤمن حتى يأتينا محمد بكتاب، ومعه من يشهد له بأنه من عند الله.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ ﴿٨﴾
 ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ مَا يَلْبَسُونَ﴾ ﴿٩﴾ ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسِلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٠﴾
 ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ [الأنعام: ٨ - ١٣].

﴿وَقَالُوا﴾ [الأنعام: 8] أي: زمعة بن الأسود والنضربن الحارث بن كلدة، وعبد بن عبد يغوث، وأبي بن خلف، والعاصي بن وائل: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: وجب العذاب بلا مهلة ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ لا يمهلون لتوبة أو معذرة، وهذه سنة الله أنه يهلك كل أمة عند إيجاد ما اقترحوه إذا لم يؤمنوا.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ [الأنعام: 9] أي: المرسل إليهم ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: في صورة آدمي؛ لأن الملائكة لا يستطيع البشر النظر إليهم إلا بطريق خرق العادة ﴿وَ﴾ لو أنزلناه رجلاً ﴿لَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ أي: خلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم ويشبهه الحال فلا يدرون أرجل هو أم ملك.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئُوا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 10] فيه تسلية له ﴿فحاق﴾ فنزل وأحاط وحلّ ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة فكذا يحق بمن استهزئ بك.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ [الأنعام: 11] بعد سيركم ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الرسل أي: آخر أمرهم من الهلاك والخزي لتعتبروا.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 12] إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿كُتِبَ﴾ قضى ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ فضلاً منه، وهو تطف في الدعاء للإيمان ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: فيه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَهُ﴾ [الأنعام: 13] تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾ عن الحركة ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَمُّ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لِتُشْهِدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنعام: ١٤ - ٢٠].

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 14] لهم: ﴿أَغْنَى اللَّهُ وَلِيًّا﴾ عبده ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ ﴿ خَالِقَهُمَا وَمَبْتَدِعُهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبِقَ ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾⁽¹⁾ فِيرِزِقُ النَّاسَ وَلَا يُرِزَقُ، وَالِاسْتِفْهَامُ إِنكَارِي ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقِيلَ لِي: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ بِهِ.

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام: 15] هو: يوم القيامة.

﴿ مَنْ يُضْرَفْ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: 16] قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر: «يصرف» بفتح الياء وكسر الراء، والباقون بضم الياء وفتح الراء ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ ﴾ اللَّهُ بِإِرَادَةِ الْخَيْرِ لَهُ ﴿ وَذَلِكَ ﴾ أَي: صرف العذاب ﴿ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ النجاة الظاهرة.

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ [الأنعام: 17] شدة وبلية ﴿ فَلَا كَاشِفَ ﴾ لَا دَافِعَ ﴿ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ ﴾ عَافِيَةٌ وَنِعْمَةٌ ﴿ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. ﴿ وَهُوَ الْفَاحِزُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام: 18] بِالْعِظْمَةِ الْقَاهِرِ الْغَالِبِ مَعَ مَنْعِ الْغَيْرِ مِنْ بُلُوغِ الْمَرَادِ ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾.

﴿ قُلْ ﴾ [الأنعام: 19] لَهُمْ: ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ ﴾ إِنْ لَمْ يَقُولُوهُ لَا جَوَابَ غَيْرِهِ هُوَ ﴿ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ عَلَى صَدَقَتِي، نَزَلَتْ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَالُوا: مَنْ يَشْهَدُ

(1) أي: يرزق ولا يرزق كقوله: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾ والمعنى أن المنافع كلها من عند الله، وخص الإطعام من بين أنواع الانتفاعات لمس الحاجة إليه كما خص الربا بالأكل وإن كان المقصود الانتفاع بالربا، وقرأ مجاهد وابن جبير والأعمش وأبو حيوة وعمرو بن عبيد وأبو عمرو وفي رواية عنه «ولا يطعم» بفتح الياء، والمعنى: أنه تعالى منزّه عن الأكل ولا يشبه المخلوقين، وقرأ يمان العماني وابن أبي عبيدة «ولا يطعم» بضم الياء وكسر العين مثل الأول فالضمير في ﴿ وَهُوَ يُطْعَمُ ﴾ عائذ على الله وفي ﴿ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ عائذ على الولي، وروى ابن المأمون عن يعقوب ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله، وقرأ الأشهب: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ على بناءهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم، وحكى الأزهري أطعمت بمعنى استطعمت، قال الزمخشري: ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح، كقولك هو يعطي ويمنع ويسقط ويقدر ويعني ويفقر، وفي قراءة من قرأ باختلاف الفعلين تجنيس التشكيل وهو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين وسماه أسامة بن منقذ في بديعته تجنيس التحريف، وهو بتجنيس التشكيل أولى.

أنت رسول الله؟ واليهود والنصارى قالوا: لا ذكر لك عندنا ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ﴾ أعلمكم مع تخويفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ يعني: ومن بلغه القرآن من العرب والعجم، وسائر الخلق جنًا وإنسًا ﴿أَتُنْكُمُ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ استفهام إنكار يدل له ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الأنعام: 20] هم: اليهود والنصارى ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمد ﷺ بنعته وصفته في كتبهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٤﴾ أَظَلَّ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا أَبَدُوا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ وَهُمْ يَبْهَمُونَ عَنْهُ وَيَتَنَوَّنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢١ - ٢٧].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: 21] بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن؛ أي: لا أحدًا ظلم منه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك.

﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الأنعام: 22] عائد على العابدين والمعبودين، قرأ يعقوب: «يَحْشُرُهُمْ» بالياء وكذا «ثُمَّ يَقُولُ» على الغيبة هنا وفي سبأ، وافقه حفص في سبأ، والباقون بالنون فيهما ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخًا ﴿أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ إنهم شركاء لله وإنهم يشفعون لكم عنده.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ [الأنعام: 23] قرأ يعقوب والكسائي وحمزة والعليمي عن أبي

بكر بياء من أسفل، والباقون بقاء من فوق ﴿فَتَتَّهَمُ﴾ معذرتهم، قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص: «فتتهم» بالرفع، والباقون بالنصب ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يقولون ذلك يوم القيامة كذباً، قرأ حمزة والكسائي وخلف: «والله ربنا» بفتح الباء، والباقون بالخفض.

﴿أَنْظُرْ﴾ [الأنعام: 24] تعجب للنبي ﷺ أو لكل سامع ﴿كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بهذا اليمين ﴿وَوَضَّلْ﴾ ذهب وغاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكذبونه على الله في الدنيا.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: 25] إذا قرأت كأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وغيرهما ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾⁽¹⁾ أغطية جمع: كنان ﴿أَنْ﴾ لثلاثا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً وثقلاً يمنعه من أن يسمعه سماع قبول ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ﴾ من المعجزات ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ يخاصمونك ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم وقصصهم كالأضاحيك والأعاجيب؛ وهي جمع: أسطورة بالضم، وقائل ذلك النضر ابن الحرث.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ [الأنعام: 26] الناس ﴿عَنْهُ﴾ أي: عن اتباع القرآن والرسول ﷺ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: يعرضون ويتباعدون عنه فلا يؤمنون، وقيل: هو أبو طالب كان ينهي الناس عن أذى محمد ﷺ وينأى عن الإيمان به، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَهْلِكُونَ﴾ بالإعراض ونحوه ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [الأنعام: 27] يا محمد ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي: فيها أو عرضوا عليها لرأيت عجباً ﴿فَقَالُوا﴾ عند رؤيتها: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَّا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ حمزة ويعقوب وحفص: «ولا نكذب»

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: أي فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم، وليس المعنى أنهم لا يسمعون ولا يفقهون، ولكن لما كانوا لا يتفهمون بما يسمعون، ولا يتفادون إلى الحق كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم، والأكنة الأغطية جمع كنان مثل الأسته والسنان، والأعنة والعنان، كنتت الشيء في كنهه إذا صسته فيه، وأكننت الشيء أخفيته، والكنانة معروفة، والكنة - بفتح الكاف والنون - امرأة أبيك، ويقال: امرأة الابن أو الأخ؛ لأنها في كنه.

«ونكون» ينصب الباء والنون واقفهم ابن عامر في النون، والباقون برفعهما.

﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَمَعِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ إِنَّمَا يُبَايِعُ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٨ - ٣٣].

﴿بل﴾ [الأنعام: 28] للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من اليمين ﴿بدأ﴾ ظهر ﴿لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ يكتُمون بقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة حوار جهنم فتمنوا ذلك، ﴿ولو ردوا﴾ إلى الدنيا فرضاً ﴿لعادوا لما نهوا عنه﴾ من الشرك ﴿وإنهم لكاذبون﴾ في قولهم: إن رددنا إلى الدنيا آمنة.

﴿وقالوا﴾ [الأنعام: 29] أي: منكر والبعث ﴿إن﴾ ما ﴿هي﴾ أي: الحياة ﴿إلا﴾ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿إخبار عن إنكارهم البعث.

﴿ولو ترى إذ وقفوا﴾ [الأنعام: 30] عرضوا ﴿على ربهم﴾ أي: على حكمه وقضائه لرأيت أمراً عظيماً ﴿قال﴾ لهم على لسان الملائكة موبخاً إما في جهنم أو الموقف: ﴿أليس هذا﴾ البعث والحساب ﴿بالحق﴾ قالوا بلى ورتبنا ﴿إنه لحق﴾ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴿به، وإنكارهم الشرك في موقف، وإقرارهم به في موقف آخر، وللقيامه مواقف قاله ابن عباس.

﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله﴾ [الأنعام: 31] أنفسهم لإهلاكها بالعذاب ﴿حتى﴾ غاية للتكذيب ﴿إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾ أي: القيامة فجأة ﴿قالوا يا حسرتنا﴾ هي شدة التألم؛ أي: هذا وقتك فاحضري ﴿على ما فرطنا﴾ قصرنا ﴿فيها﴾ في الدنيا ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ ذنوبهم ﴿على ظهورهم﴾ أي: في القيامة بأن تأتهم عند

البعث في أفبح شيء صورة وأنته ريحا فتركتهم ﴿ألا ساء﴾ بس ﴿ما يزرُونَ﴾ يحملونه حملهم ذلك.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: 32] أي: الاشتغال فيها ﴿إلا لعبٌ ولهوٌ﴾ باطل وغرور، وأما الطاعات وما يعين عليها من أمور الآخرة ﴿وللآخرة﴾ والباقون بلامين مع تشديد الدال والإدغام ورفع الآخرة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أفلا تعقلون﴾ ذلك فيؤمنون، قرأ المديان ويعقوب: ﴿أفلا يعقلون﴾ هنا وفي الأعراف ويوسف، وافقهم أبو بكر في يوسف، واختلف عن ابن عامر في يس من روايته فروي عنه الآيتان، والباقون بالغيب في الأربعة.

﴿قَدْ﴾ [الأنعام: 33] للتحقيق ﴿نعلم إنه﴾ أي: الشأن ﴿ليحزنك الذي يقولون﴾ لك من الكفر والتكذيب ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ قرأ نافع والكسائي: «لا يكذبونك» بالتحقيق؛ أي: لا يجدونك كاذبا، والباقون بالتشديد؛ أي: لا ينسبونك إلى الكذب لعلمهم في السر إنك صادق، نزلت؛ لأن الأحنس بن شريف سأل أبا جهل عن النبي ﷺ فقال له: ليس هنا من يسمع كلامي والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط ﴿ولكن الظالمين بآيات الله﴾ القرآن ﴿يجحدون﴾ يكذبون.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِن كَانَ كِبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمٌّ مِّثْلِكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُعَدُوا فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٤ - ٣٩].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 34] كذبهم قومهم ﴿فَصَبَّرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَوَدُّوا حَتَّىٰ آتَاهُم نَصْرُنَا﴾ يهلك من كذبهم فاصبر حتى يأتيك النصر يهلك قومك، ﴿وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ أخبارهم ما يتسلى به قلبك.

﴿وَإِن كَانَ كَبِيرٌ﴾ [الأنعام: 35] عظم ﴿عَلَيْكَ﴾ عندك ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإيمان بك ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ سرًّا فتذهب فيه ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: درجًا تصعد فيها السماء ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ﴾ دالة على نبوتك غير الذي آتيناك مما اقترحوا فافعل، حذف الجواب للعلم به؛ والمعنى: إنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ الإسلام، ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك، ونزلت لحرص النبي ﷺ على إيمان قومه.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ [الأنعام: 36] دعائك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وهم: المؤمنون، والمراد بسماعهم: اتباعهم الحق؛ لأنهم يسمعون بتأمل واعتبار ﴿وَالْمُؤْتَىٰ﴾ هم: الكفار شبههم بهم في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بأعمالهم فيجازيهم بها.

﴿وَقَالُوا﴾ [الأنعام: 37] هم رؤساء قريش: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عليهم في إنزالها من البلاء؛ لأنهم يهلكون إذا نزلت ولم يؤمنوا.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الأنعام: 38] تمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ فالقادر على ذلك قادر على الإتيان بالآيات، وخص ذلك بالذكر؛ لأنه الذي ينظروه ﴿مَا فَرَطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن، وقيل: الكتاب: اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ تحتاج إليه من أمور الدنيا والدين ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم؛ أي: من يعقل ومن لا يعقل من البهائم، وحشر البهائم: موتها، قاله ابن عباس، وقال أبو ذر وأبو هريرة: يحشر في الموقف كل ذي روح البهائم والدواب والطيور، ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم: كونوا ترابًا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 39] القرآن ﴿صُمُّ﴾ عن سماع القبول ﴿وَبُكْمٌ﴾

عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: ظلمات الكفر، وقيل: صم وبكم في الآخرة فهو حقيقة ﴿مَنْ يَشَأْ اللَّهُ﴾ إضلاله ﴿يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِلَٰهَ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٥﴾ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَٰهِ غَيْرِ اللَّهِ يَتَّبِعِكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نَصَّرَفُ الْأَيْدِي تَهُمُ يَصْدِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنعام: ٤١ - ٤٧].

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 40] يا محمد لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ قرأ أهل المدينة: «أرأيكم» و«رايهم» و«رايتهم» بتدكين الهمزة الثانية، والكسائي بحذفها، والباقي ثبثها؛ أي: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ أي: في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ في صرف العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تسمعكم فادعوها، وكانوا يعبدون الأصنام وفي الشدائد يدعون الله. ﴿بَلْ إِلَٰهَ﴾ [الأنعام: 41] لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: تدعون أن يكشفه عنكم ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 42] رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ الشدة والجوع ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الضر والمرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ أي: يخضعون فيتوبون، والتضرع: سؤال بتدليل.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الأنعام: 43] هلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ

قُلُوبُهُمْ ﴿١﴾ لم تلن للإيمان، واستمرت على الكفر والضلال ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) من المعاصي فأصروا عليها.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ [الأنعام: 44] تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا وخوفوا وأمروا ﴿بِهِ﴾ فلم يتعظوا ﴿فَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ قرأ ابن عامر وعيسى بن وردان: «فتحننا» هنا وفي الأعراف والقمر، و«فتحت» في الأنبياء بالتشديد، وافقهما ابن جماز وروح في القمر والأنبياء، ووافقهم رويس في الأنبياء، واختلف عنه في الأحرف الثلاثة فروى النحاس وغيره التشديد، وروى أبو الطيب التحقيق، واختلف عن ابن جماز هنا وفي الأعراف فروى ابن سوار وغيره التشديد، والباقون بالتخفيف في الأربعة ﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم الدنيوية استدراجاً لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطر؛ كفرح قارون بالدنيا ﴿أَخَذْنَا هُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِعَثَّةٍ﴾ فجأة أينما كانوا ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير. ﴿فَقَطَّعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: 45] أنفسهم بالشرك؛ أي: أخرهم الذي يديرهم وهو عبارة عن استئصالهم ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام: 46] أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ طبع عليها ﴿مَنْ إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي: بما أخذ منكم بزعمكم ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ﴾ نبين ﴿الآيَاتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون بالتكذيب.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بِعَثَّةٍ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا

(1) يحتمل أن تكون الجملة داخلة تحت الاستدراك ويحتمل أن تكون استئناف إخبار، والظاهر الأول فيكون الحامل على ترك التضرع قسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي كان الشيطان سبباً في تحسينها لهم.

تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَيَّ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِي وَاوِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ [الأنعام: ٤٧ - ٥٢].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَعْتَهُ﴾ [الأنعام: 47] فجأة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ معاينة ترونها، وقيل: الأول الليل والثاني النهار ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ المشركون به أي: ما يهلك إلا هم.

﴿وَمَا نُزِّلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الأنعام: 48] من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنعام: 49] كفروا ﴿بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿العَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يكفرون.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 50] لهم: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ ⁽¹⁾ أي: خزائن رزقه فأعطيكم ﴿وَلَا أَنِي﴾ أعلم الغيب ﴿أَي: فأخبركم عما مضى وما سيكون مما لم يوح إليه﴾ ولا أقول لكم إنني ملك؛ قال ذلك؛ لأنهم طلبوا أن يكون الرسول من الملائكة؛ لأنه يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده؛ فالمعنى: لا أقول ذلك حتى تكفروا وتجحدوا لأنني ادعيت ما ليس لي ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن أو الضال والمهتدي أو الجاهل والعالم، والكل صحيح والأول أقرب، والاستفهام للإنكار ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيؤمنوا.

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ فالمعنى ليس عندي خزائن قدرته فأنزل ما اقترحتموه من الآيات، ولا أعلم الغيب فأخبركم به، والخزانة ما يخزن فيه الشيء، ومنه الحديث: «فإنما تخزن لهم ضرور مواشيهم أطعمناهم أوجب أحدكم أن توتى مشربته فتكسر خزانه»، وخزائن الله مقدراته؛ أي: لا أملك أن أفعل كل ما أريد مما تقترحون ولا أعلم الغيب أيضاً ولا أقول لكم إنني ملك، وكان القوم يتوهمون أن الملائكة أفضل، أي: لست بملك فأشاهد من أمور الله ما لا يشهده البشر، واستدل بهذا القائلون بأن الملائكة أفضل من الأنبياء.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ [الأنعام: 51] أي: خَوْفَ الْقُرْآنِ ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾
 يبعثوا ويجمعوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ﴾ وهم: المؤمنون العاصون ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره
 ﴿وَلِيٍّ﴾ ناصر يمنعهم ﴿وَلَا شَفِيعَ﴾ يشفع لهم إلا بإذنه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ما نهيتهم عنه
 بالتوبة.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ﴾ [الأنعام: 52] الصبح، قرأ ابن عامر هنا
 وفي الكهف بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها، والباقون بالفتح وألف فيهما، نزلت
 في نفر، منهم صهيب وبلال وعثّار وخباب وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وسلمان
 الفارسي، كان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك
 طمعًا في إسلامهم ﴿وَالْعَشِيِّ﴾ العصر ﴿يُرِيدُونَ﴾ بطاعتهم ﴿وَوَجْهَهُ﴾ تعالى لأشياء من
 الدنيا ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب لقلوله: ما عليك ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلته.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ
 بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَجَلَ مِنْكُمْ سُوْءًا
 يَجْهَلِكُمْ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ قَلْبًا يَفْقَهُونَ وَلَا عُلُوقًا عَلَى شَيْءٍ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ قُلْ لَا آتِجُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي
 عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمْتُمْ
 إِلَّا اللَّهُ يَقُضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ -
 لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ [الأنعام: ٥٣ -

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 53] مثل ما وقع ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بِبَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ﴾ الشريف
 بالوضيع، والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق للإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي: يقول الغني
 والشريف: عند سبق الفقير والوضيع إلى الإيمان كبيرًا عن اتباع طريقهم: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾

الفقراء ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَنَا﴾ بالإسلام والإيمان؛ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه فيأنفون منه قال تعالى: ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ له فيهديهم؟ بلى وأنا على ذلك من الشاهدين فهو استفهام تقرير؛ لأنه يعلم ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 54] هم الذين نهى عن طردهم، والعبرة بعموم اللفظ ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ فلم يعلم أهو حرام أم لا؟ أو المراد: الجهل بما يوجبه الذنب، أو الجهل بتقديم المعصية على الطاعة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله عنه بأن أفلح وندم وعزم على عدم العود، ورد الظلامة إن كانت ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله بالمستقبل ﴿فَأَنَّهُ﴾ أي: الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب أنه من: «أنه من عمل» ومن قوله: «فأنه غفور» بفتح الهمزة فيهما وافقهم المدنيان في الأول، والباقون بالكسر فيهما.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 55] أي: مثل ما فصلنا لك في هذه السورة من الدلائل ﴿نُفِصِلُ﴾ نبين ﴿الآيات﴾ القرآن؛ لتظهر الحق فيعمل به ﴿وَلِتَسْتَسِينُ﴾ تظهر، قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف بالتذكير، والباقون بتاء آخر الحروف ﴿سَبِيلُ﴾ طريق، قرأ المدنيان بنصب اللام، والباقون برفعها ﴿المُجْرِمِينَ﴾ أي: من طبع على قلبه فلا يرجي إيمانه، وإذا بانط طريق المجرم اجتنب.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: 56] آلهة أو تعبدون ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ﴾ آراءكم الفاسدة في عبادة الأوثان أو طرد الفقراء ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ أي: إذا فعلت ذلك ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ إن فعلت ما تقتضيه آراؤكم الفاسدة.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ [الأنعام: 57] بيان وبصيرة ﴿مَنْ رَبِّي وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بربي أو بما جئت به ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب أو القيامة ﴿إِن الْحُكْمَ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلَّهِ يُقْضَى﴾ بإسكان القاف والصاد المعجمة: القضاء ﴿الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الفاضلين، وقرأ المدنيان وابن كثير وعاصم: «يقص» بضم القاف وصاد مهمله مشددة من قص أثره إذا تبعه.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 58] لهم: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب أو يوم القيامة، والأول قولهم إن كان هذا هو الحق فأمطر الآية ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: انتهى بإهلاككم بالعذاب؛ لأنني أعجله لكم وأستريح لكنه عند الله تعالى ﴿وَاللَّهُ

أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ متى يعاقبهم على ظلمهم.

﴿٥٩﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ مَنْ يُضْحِكُمْ مِنَ ظَلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ نَضْرَعًا وَخَفِيَةً لَّيْنًا أَجْمَعًا مِنْ هَلْدِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ اللَّهُ يُضْحِكُمْ مَتَىٰ وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ [الأنعام: ٥٩ - ٦٤].

﴿وَعِنْدَهُ﴾ [الأنعام: 59] تعالى ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ أي: خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34] أو أعم من ذلك ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من كل شيء ومما على ظاهرهما، وقيل: البر: القفار، والبحر: القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ فيعلم ما سقط وما بقي ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ حي أو ميت أو ما نبت وما لم ينبت ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾⁽¹⁾ هو: اللوح المحفوظ.

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: جاء في الخبر أن هذه الآية لما نزلت نزل معها اثنا عشر ألف ملك، وروى البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تفيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»، وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: «قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله» ومفاتيح جمع مفتاح، هذه اللغة الفصيحة، ويقال: مفتاح ويجمع مفاتيح، وهي قراءة ابن السميع «مفاتيح»، والمفتاح عبارة عن كل ما يحل غلقًا، محسوسًا كان كالقفل على البيت أو معقول كالنظر، وروى ابن ماجه في «سننه» وأبو حاتم

البستي في «صحيحه» عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»، وهو في الآية استعارة عن التوصل إلى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح إلى المغيب عن الإنسان، ولذلك قال بعضهم: هو مأخوذ من قول الناس أفتح علي كذا، أي أعطني أو علمني ما أتوصل إليه به، فالله تعالى عنده علم الغيب، ويبيد الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو، فمن شاء اطلعه عليها أطلعه، ومن شاء حجبه عنها حجبه، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ وقيل: المراد بالمفاتيح خزائن الرزق، عن السدي والحسن، ومقاتل والضحاك: خزائن الأرض، وهذا مجاز، عبر عنها بما يتوصل إليها به، وقيل: غير هذا مما يتضمنه معنى الحديث أي عنده الآجال ووقت انقضائها، وقيل: عواقب الأعمار وخواتم الأعمال، إلى غير هذا من الأقوال، الأول المختار، والله أعلم.

الثانية: قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده، فمن قال: إنه ينزل الغيث غدا وجزم فهو كافر، أخبر عنه بأمره ادعاها أم لا، وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر، فإن لم يجزم وقال: إن النوء ينزل الله به الماء عادة، وأنه سبب الماء عادة، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر، إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به، فإن فيه تشبيها بكلمة أهل الكفر، وجهلاً بلطيف حكمته؛ لأنه ينزل متى شاء، مرة بنوء كذا، ومرة دون النوء، قال ابن العربي: وكذلك قول الطيب: إذا كان الثدي الأيمن مسود الحلمة فهو ذكر، وإن كان في الثدي الأيسر فهو أنثى، وإن كانت المرأة تجد الجنب الأيمن أثقل فالولد أنثى، وادعى ذلك عادة لا واجباً في الخلقة لم يكفر ولم يفسق، وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريب في كفره أيضاً، فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا: يؤدب ولا يسجن، أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا: إنه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله عنه من قوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ﴾ وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة؛ إذ لا يدركون الفرق بين هذا وغيره، فيشوشون عقائدهم ويتركون قواعدهم في اليقين فأدبو حتى يسروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به، قلت: ومن هذا الباب أيضاً ما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»، والعراف هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب، وهي من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة في ذلك، وهذا الفن هو العيافة بالياء، وكها ينطلق عليها اسم الكهانة، قاله القاضي عياض، والكهانة: ادعاء علم الغيب، قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الكافي: من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشا وأخذ الأجرة على النياحة والغناء، وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء،

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60] يقبض أرواحكم عند نومكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: في النهار يرد أرواحكم ﴿لِيُقَضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: أجل أعماركم إلى الممات ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الدار الآخرة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمُ﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ [الأنعام: 61] مستعليًا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ هم:

وعلى الزمر واللعب والباطل كله، قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين، والكهان لا سيما بالديار المصرية، فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل ولقد أتخدع كثير من المنتسبين للفقهاء والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل، ومن أديانهم على الفساد والضلال، وكل ذلك من الكباير، لقول ﷺ: «لم تقبل الصلاة أربعين ليلة»، فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمدًا على أقوالهم، روى مسلم - رحمه الله - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال: «إنهم ليسوا بشيء» فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًا فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقراها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة»، قال الحميدي: ليس ليحيى بن عروة عن أبيه عن عائشة في الصحيح غير هذا وأخرجه البخاري أيضًا، من حديث أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسرق الشياطين السمع فتسمعه فتوجهه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم».

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ خصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر، أي يعلم ما يهلك في البر والبحر، ويقال: يعلم ما في البر من النبات والحب والنوى، وما في البحر من الدواب ورزق ما فيها ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ روى يزيد بن هارون عن نافع عن محمد بن إسحاق عن نافع ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار ولا حبة في ظلمات الأرض إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان» وذلك قوله في محكم كتابه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وحكى النقاش عن جعفر بن محمد أن الورقة يراد بها السقط من أولاد بني آدم، والحبة يراد بها الذي ليس بسقط، والرطب يراد به الحي، واليابس يراد به الميت، قال ابن عطية: وهذا قول جار على طريقة الرموز، ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي أن يلتفت إليه، وقيل: المعنى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ أي: من ورقة الشجر إلا يعلم متى تسقط وأين تسقط وكم تدور في الهواء، ولا حبة إلا يعلم متى تثبت وكم تثبت ومن يأكلها، ﴿ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ بطونها وهذا أصح، فإنه موافق للحديث وهو مقتضى الآية.

الملائكة الحافظون لعمل ابن آدم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: قبضته لتسلمه إلى ملك الموت، قرأ حمزة: «توفاه رسلنا» و«استهواه» بعد الفاء والواو، والباقون بتاء ساكنة بعدهما ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ [الأنعام: 62] أي: الخلق أو الملائكة أو المؤمنون ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ﴾ مالكهم ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت العادل؛ ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 63] يا محمد لأهل مكة: ﴿مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ شداثدهما وأهوالهما في أسفاركم.

روى روح: «قل من ينجيكم» و«قل الله ينجيكم» في الموضوعين، وفي يونس: «فاليوم ننجيكم وننجي رسلنا وننجي المؤمنين»، وفي الحجر: «إنا لمنجوهم»، ومريم: «ننجي المؤمنين»، وفي العنكبوت: «لننجينه» وفيها «إنا لمنجوك»، وفي المؤمنين: «وينجي»، وفي الصف: «ينجيكم من عذاب أليم» الإحدى عشر بالتخفيف ووافقه رويس في الزمر، ووافق الجميع سوى ابن عامر في الصف، ووافق نافع وابن كثير وابن زكوان، وأبو عمرو في الثاني من هذه السورة، وانفرد بذلك بعضهم عن هشام، ووافق الكسائي وحفص على الثالث من يونس، ووافق حمزة والكسائي وخلف في الحجر والأول من العنكبوت، ووافق الكسائي في مريم، ووافق ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر في الثاني من العنكبوت، والباقي بالتشديد.

﴿تَدْعُونَهُ﴾ أي: حين تدعونه ﴿تَضْرَعًا﴾ تذلاً ﴿وَحَفِيَّةً﴾ إسراراً، قرأ أبو بكر عن عاصم بكسر الخاء وفي الأعراف، والآخرون بضمها؛ لأن تقديره يقولون: لئن أنجيتنا بالألف بعد الجيم في قراءة الكوفيين، والباقون «أنجيتنا» بالياء والتاء بلا ألف ﴿مَنْ هَذِهِ الشَّدَّةُ﴾ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 64] لهم: ﴿اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَسَّكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا ۗ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ۗ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۗ قُلْ لَنْسُتَ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ۗ

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْتَقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَنْتَقُونَ ﴿١٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ قَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنعام: ٦٥ - ٧٠].

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: 65] من السماء كالحجارة والصيحة والريح والظوفان ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ﴾ يخلطكم ﴿شَيْعًا﴾ فرقًا كأهل الأهواء الضالة والبدع، ﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ فتقوم الفتن وتعذب كل طائفة بالأخرى بالقتال، وقد استعاذ النبي ﷺ من كل ذلك فقال: «من كل أعوذ بوجهك إلا ما وقع من الأهواء أو ما بعده فقال فيه: هذا أهون وأيسر»^(١) ﴿انظُرْ﴾ تعجب له ﷺ ﴿كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ﴾ نبين الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون الحق فيتبعونه.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ [الأنعام: 66] بالقرآن أو العذاب ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ﴾ لهم: ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فأجازيكم هذا قبل الأمر بالقتال.

﴿لِكُلِّ نَبَأٍ﴾ [الأنعام: 67] خبر ﴿مُسْتَفْرَضٍ﴾ حقيقة ومنتهى ينتهي إليه ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يبدو لكم ذلك وهو تهديد لهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 68] القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ اترك مجالستهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا﴾ يأخذوا ﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ ما ذكرت به؛ أي: إن وقع ولم يقع، قرأ ابن عامر بفتح النون بلا

(1) في تفسير الجلالين (1/167)، (65).

تشديد ﴿فَلَا تَفْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ التذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إذا نسيت فجلست فقم إذا تذكرت.

وقال المسلمون: إن قمنا كلما قاموا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 69] الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: الخائضين ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ إن جالسوهم ﴿وَلَكِنْ﴾ عليكم ﴿ذِكْرَى﴾ تذكرة لهم ووعظ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ينتهون عن الخوض.

﴿وَذَر﴾ [الأنعام: 70] اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لِعِبَا وَلَهُوا﴾ هم الكفار في استهزائهم بآيات الله ﴿وَعَزَّزْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فلا يتعرض لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكَّرَ﴾ عظة ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ أي: كراهة أن تبسل أو لثلا تبسل ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ أي: النفس ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٍّ﴾ قريب أو ناصر ﴿وَلَا سَفِيحٍ﴾ يمنعها من العذاب ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ عَدْلٍ﴾ أي: تفد كل فداء ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ ما تفدي به ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ أهلكوا ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: بسببه ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ وهو: الماء الحار الذي انتهى حره ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بما كانوا يكفرون ﴿أَي: بسببه.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي كَانَتْ أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ اثْنًا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِلْسُّلَمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾
 ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنكُمُ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾
 ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا زَرَ اتَّخَذْتَ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: 71 - 75].

﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ [الأنعام: 71] نعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ إن عبدناه ﴿وَلَا

يَضُرُّنَا ﴿١﴾ إِنْ تَرَكَنَاهُ؛ أَرَادَ الْأَصْنَامَ ﴿وَتُرْذُ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا﴾ نَرْجِعُ إِلَى الشِّرْكِ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ ^(١) أَضَلَّتْهُ ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾ حَائِرٌ لَا يَهْتَدِي إِلَى الْمَخْرَجِ مِنْ أَمْرِهِ ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ أَي: لِيَهْدُوهُ إِلَى الطَّرِيقِ ﴿أَتَيْنَا﴾ أَي: يَقُولُونَ لَهُ ذَلِكَ فَلَا يَجِيبُهُمْ فَهَلِكٌ مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لَمَنْ دَعَاهُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى أَوْ دَعَاهُ الْكُفَّارَ إِلَى الضَّلَالِ ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ﴾ هُوَ الْهُدَى ﴿لَا غَيْرَهُ﴾ وَأَمْرُنَا لِئَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿.

﴿وَأَنْ﴾ [الأنعام: 72] أَي: بِأَنْ ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا﴾ أَي: رَبِّكُمْ ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تَجْمَعُونَ لِلْحِسَابِ.

(1) في تفسير اللباب لابن عادل (496/6): في هذه الكاف وجهان: أحدهما: أنه نُغْتُ مصدرٍ محذوف؛ أي: تُرْذُ رَذًا مِثْلَ رَذِ الَّذِينَ. الثاني: في مَحَلِّ نَصْبِ عَلَى الْحَالِ مِنْ مَرْفُوعٍ «نرد»، أي: نرد مُشْبِهِينَ الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَمِنْ جَوَزَ تَعَدَّدَ الْحَالِ جَعَلَهَا حَالًا ثَانِيَةً، إِنْ جَعَلَ «عَلَى أَعْقَابِنَا» حَالًا، وَمَنْ لَمْ يُجَوِّزْ ذَلِكَ جَعَلَ هَذِهِ الْحَالِ بَدَلًا مِنَ الْحَالِ الْأُولَى، أَوْ لَمْ يَجْعَلْ عَلَى أَعْقَابِنَا حَالًا، بَلْ مَعْلَقًا بِ «نرد». الْجُمْهُورُ عَلَى «اسْتَهْوَتْهُ» بِنَاءِ التَّأْنِيثِ، وَحِمْزَةُ «اسْتَهْوَتْهُ» وَهُوَ عَلَى قَاعِدَتِهِ مِنَ الْإِمَالَةِ، وَالْوَجْهَانِ مَعْرُوفَانِ مِمَّا تَقَدَّمَ فِي (تَوْفِئْتُهُ رُسُلْنَا) [الأنعام: 61]، وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْأَعْمَشُ: «اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ» بِتَأْنِيثِ الْفِعْلِ، وَالشَّيْطَانُ مُفْرَدًا. قَالَ الْكِسَائِيُّ: «وَهِيَ كَذَلِكَ فِي مِصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ»، وَتَوَجَّهَ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَنَّ نُؤُولَ الْمَذْكُورِ بِمُؤْنِثٍ كَقَوْلِهِمْ: «أَتَتْهُ كِتَابِي فَاحْتَرَمَهَا»؛ أَي: صَحِيفَتِي، وَتَقَدَّمَ لَهُ نَظَائِرُ. وَقَرَأَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «الشَّيَاطِينُ» وَجَعَلُوهَا لَحْنًا، وَلَا تَصِلُ إِلَى الْحُنِّ، إِلَّا أَنَّهُا لُغِيَّةٌ رَدِيئَةٌ، سُمِعَ: حَوْلَ بَسَانِ فَلَانَ بَسَاتُونَ وَلَهُ سَلَاطُونَ، وَيُحْكِي أَنَّهُ لَمَّا حَيَّكَتْ قِرَاءَةَ الْحَسَنِ لَحْنَهُ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ الْقِرَاءَةُ: «أَيُّ وَاللَّهِ يُلَجِّئُونَ الشَّيْخَ، وَيَسْتَشْهَدُونَ بِقَوْلِ رُؤْيَةَ». وَلِعَمْرِي لَقَدْ صَدَّقَ الْفِرَاءُ فِي إِتْكَارِ ذَلِكَ.

والمراد بـ «الَّذِي» الْجِنْسُ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَرَاكَ بِهِ الْوَاحِدَ الْفَعْدُ.

قوله: «فِي الْأَرْضِ» فِيهِ أَرْبَعَةٌ أَوْجَهٌ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «اسْتَهْوَتْهُ». الثَّانِي: أَنَّهُ حَالٌ مِنْ مَفْعُولِ «اسْتَهْوَتْهُ». الثَّلَاثُ: أَنَّهُ حَالٌ مِنْ «حَيْرَانٍ». الرَّابِعُ: أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُشْتَكِّفِ فِي «حَيْرَانٍ»، وَ«حَيْرَانٍ» حَالٌ إِمَّا مِنْ «هَاءٍ» «اسْتَهْوَتْهُ» عَلَى أَنَّهَا بَدَلٌ مِنَ الْأُولَى، وَعِنْدَ مَنْ يَجِيزُ تَعَدُّدَهَا، وَإِمَّا مِنْ «الَّذِي»، وَإِمَّا مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكْنِ فِي الظَّرْفِ، وَ«حَيْرَانٍ» مُؤَنَّثَةٌ «حَيْرِي»، فَلِذَلِكَ لَمْ يُنْصَرَفْ، وَالْفِعْلُ حَازٌ يَحَازُ خَيْرَةً وَحَيْرَانًا وَحَيْرُورَةً، وَ«الْحَيْرَانُ» الْمُتَرَدِّدُ فِي الْأَمْرِ لَا يَهْتَدِي إِلَى مَخْرَجٍ. وَفِي اسْتِقْفَاقِ «اسْتَهْوَتْهُ» قَوْلَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْهُوِيِّ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ النُّزُولُ مِنَ الْمَوْضِعِ الْعَالِيِّ إِلَى الْوَهْدَةِ السَّافِلَةِ الْعَمِيقَةِ فِي قَعْرِ الْأَرْضِ فَشَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ هَذَا الضَّالِّ بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 73] ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: يوم أراد إيجاد شيء أوجده، واليوم: الزمن أو هو كناية عن يوم القيامة؛ أي: يوم يعثهم يبعثون بعد أن يميتهم فيموتون ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وهو قرن ينفخ فيه النفخة الثانية إسرافيل لا ملك فيه لغيره ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ ما غاب ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما نشاهده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل شيء.

﴿و﴾ [الأنعام: 74] اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر﴾⁽¹⁾ بالرفع ليعقوب والباقون

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: تكلم العلماء في هذا، فقال أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجويني الشافعي الأشعري في «النكت» من التفسير له: وليس بين الناس اختلاف، كأن اسم والد إبراهيم تارح، والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر، وقيل: آزر عندهم دم في لغتهم، كأنه قال: وإذ قال لأبيه يا مخطئ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ وإذا كان كذلك فالاختيار الرفع، وقيل: آزر اسم صنم، وإذا كان كذلك فموضعه نصب على إضمار الفعل، كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلهاً، أتتخذ أصناماً آلهة، قلت: ما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق، فقد قال محمد بن إسحاق والكلبي والضحاك: إن آزر أبو إبراهيم ﷺ وهو تارح، مثل إسرائيل ويعقوب، قلت: فيكون له اسمان كما تقدم، وقال مقاتل: آزر لقب، وتارح اسم: وحكاة الثعلبي عن ابن إسحاق القشيري، ويجوز أن يكون على العكس، قال الحسن: كان اسم أبيه آزر، وقال سليمان التيمي: هو سب وعيب، ومعناه في كلامهم: المعوج، وروى المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: بلغني أنها أعوج، وهي أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه، وقال الضحاك: معنى آزر الشيخ الهم بالفارسية، وقال الفراء: هي صفة دم بلغتهم، كأن قال يا مخطئ، فيمن رفعه، أو كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطئ، فيمن خفض، ولا ينصرف؛ لأنه على أفعال، قال النحاس، وقال الجوهري: آزر اسم أعجمي، وهو مشتق من آزو فلان فلاناً إذا عاونه، فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام، وقيل: هو مشتق من القوة، والآزر القوة، عن ابن فارس، وقال مجاهد ويمان: آزر اسم صنم، وهو في هذا التأويل في موضع نصب، التقدير: أتتخذ آزر إلهاً، أتتخذ أصناماً، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، التقدير: أتتخذ آزر أصناماً، قلت: فعلى هذا آزر اسم جنس، والله أعلم، وقال الثعلبي في كتاب «العرائس»: إن اسم أبي إبراهيم الذي سماه به أبوه تارح، فلما صار مع النمرود قيماً على خزانة آلهته سماه آزر، وقال مجاهد: إن آزر ليس باسم أبيه وإنما هو اسم صنم، وهو إبراهيم بن تارح بن ناخور بن ساروع بن أوغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ﷺ. و﴿آزر﴾ فيه قراءات: «أزر» بهمزتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، عن ابن عباس، وعنه «أزر» بهمزتين مفتوحتين، وقرئ بالرفع، وروي ذلك عن ابن عباس، وعلى القراءتين الأوليين عنه «تتخذ» بغير همزة، قال المهدوي: «أزر»؟ فقيل: إنه اسم صنم، فهو منصوب على تقدير أتتخذ إزر، وكذلك «أزر»، ويجوز أن يجعل «أزر» على أنه

بالنصب، وهذا لقبه واسمه تارح ﴿أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تعبدها من دون الله استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ من وافقك على ذلك ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق ﴿مُبِينٍ﴾ بين. ﴿وَكَذَلِكَ نُبْرِئُ إِِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75] ليستدل بذلك على وحدانيتنا؛ أي: كما أريناه البصيرة في دينه ومخالفة قومه نريه، وهل الملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرحموت؟ أو هو خلقهما؟ أو آياتهما كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والبحار؟ أقوال متقاربة ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بها؛ أي: نريه ذلك ليستدل به وليكون.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوِّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتَمَحْجَبُونَ فِي اللَّهِ وَقَد هَدَيْنَا وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا لَا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٧٦ - ٨١].

مشتق من الأزر وهو الظهر فيكون مفعولاً من أجله، كأنه قال: ألقوة تتخذ أصناماً، ويجوز أن يكون إزر بمعنى وزر، أبدلت الواو همزة، قال القشيري: ذكر في الاحتجاج على المشركين قصة إبراهيم ووده على أبيه في عبادة الأصنام، وأولى الناس باتباع إبراهيم العرب، فإنهم ذريته، أي: واذكر إذ قال إبراهيم، أو «وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت» وذكر إذ قال إبراهيم، وقرئ «أزر» أي يا أزر، على النداء المفرد، وهي قراءة أبي ويعقوب وغيرهما، وهو يقوي قول من يقول: إن أزر اسم أب إبراهيم ﴿أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ مفعولان لتتخذ وهو استفهام فيه معنى الإنكار.

﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ [الأنعام: 76] أَظْلَم ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ هو: الزهرة، وقيل: المشتري، قرأ أبو عمرو بفتح الراء وكسر الألف، وكسرها ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر فإن اتصل بكاف أو هاء فتحتها ابن عامر نحو: ﴿رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: 36] ﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا﴾ [النمل: 40] فإن لقيها ساكن كسر الراء، وفتح الهمزة حمزة وأبو بكر وفتحتها الآخرون نحو: ﴿رَأَى الْقَمَرَ﴾ [الأنعام: 77].

﴿قَالَ﴾ لقومه وكانوا نجّامين: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب وذهب ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ أن اتخذهم أرباباً؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال؛ إذ هذا شأن الحادث فلم يفد فيهم ذلك.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ [الأنعام: 77] طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يثبتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ عن الحق، قال ذلك توبيخاً لقومه.

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً﴾ [الأنعام: 78] طالعة ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ غربت وذهبت، وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثه المحتاجة إلى محدث.

فقالوا له: فما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: 79] كلي أو أخلصت عبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الخير ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله سبحانه.

﴿وَحَاجَّهُ﴾ [الأنعام: 80] خاصمه وجادله ﴿قَوْمُهُ﴾ في دينه، وهددوه بأنه إذا ترك الأصنام يصاب بسوء ﴿قَالَ أَتَحَاجُّونِي﴾ تجادلوني ﴿فِي اللَّهِ﴾ وحدانيته، قرأ المدنيان وابن زكوان وهشام بخلاف عنه: «أتحاجوني» بتخفيف النون والباقون بتشديدها ﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾ تعالى للتوحيد والحق ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ من الأصنام أن تصيبي بسوء؛ لأنها لا تقدر على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بهذه الحجج القاطعة أمر الله وأنه لا إله غيره.

﴿وَكَيْفَ﴾ [الأنعام: 81] تعجب من حالهم ﴿أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ به ﴿وَلَا

تَخَافُونَ ﴿۸۲﴾ أَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ ﴿۸۲﴾ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ ﴿۸۲﴾ بعبادته ﴿۸۲﴾ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴿۸۲﴾ حجة وبرهاناً ﴿۸۲﴾ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴿۸۲﴾ أَنَا أَمْ أَنْتُمْ ﴿۸۲﴾ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿۸۲﴾ مِنَ الْآخِقِ بِهِ؛ أَي: وهو حق.

﴿۸۲﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿۸۲﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿۸۳﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿۸۴﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿۸۵﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿۸۶﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿۸۷﴾ [الأنعام: ۸۲ - ۸۷].

فاتبعوه ﴿۸۲﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ ﴿۸۲﴾ [الأنعام: 82] يخلطوه ﴿۸۲﴾ بِظُلْمٍ ﴿۸۲﴾ بشرك في حديث الصحيح ﴿۸۲﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ ﴿۸۲﴾ من العذاب ﴿۸۲﴾ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿۸۲﴾ ﴿۸۲﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴿۸۲﴾ [الأنعام: 83] التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله ﴿۸۲﴾ آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ﴿۸۲﴾ أرشدناه لها حجة ﴿۸۲﴾ عَلَى قَوْمِهِ ﴿۸۲﴾ فخصمهم ﴿۸۲﴾ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاءُ ﴿۸۲﴾ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿۸۳﴾ قرأ الكوفيون بتنوين هنا وفي يوسف، وافقهم يعقوب هنا، والباقون بلا تنوين فيهما على الإضافة إلى ما بعده.

﴿۸۳﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ ﴿۸۳﴾ [الأنعام: 84] لإبراهيم ﴿۸۳﴾ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿۸۳﴾ ابنة ﴿۸۳﴾ كُلًّا ﴿۸۳﴾ منهما ﴿۸۳﴾ هَدَيْنَا ﴿۸۳﴾ وفقنا ﴿۸۳﴾ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴿۸۳﴾ أَي: من قبل إبراهيم ﴿۸۳﴾ وَمِن دُرِّيَّتِهِ ﴿۸۳﴾ أَي: نوح بدليل ذكر يونس ولوط ﴿۸۳﴾ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴿۸۳﴾ ابنة ﴿۸۳﴾ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ ﴿۸۳﴾ ابن يعقوب ﴿۸۳﴾ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿۸۳﴾ أخوه ﴿۸۳﴾ وَكَذَٰلِكَ ﴿۸۳﴾ أَي: كما جزينا إبراهيم على إحسانه بالتوحيد ﴿۸۳﴾ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿۸۳﴾.

﴿۸۴﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ ﴿۸۴﴾ [الأنعام: 85] ابنة ﴿۸۴﴾ وَعِيسَى ﴿۸۴﴾ ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿۸۴﴾ وَإِلْيَاسَ ﴿۸۴﴾ هو غير إدريس؛ لأن إدريس من آباء نوح وإلياس من ولده،

وهو ابن أخي هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [الأنعام: 86] ابن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «وَالْيَسَع» هنا وفي ص بتشديد اللام وإسكان الياء، والباقون بإسكان اللام مخففة وفتح الياء فيهما ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ ابن هاران ابن أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم بالنبوة.

﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ [الأنعام: 87] المراد: ذرية بعضهم؛ لأن عيسى لم يكن له ولد، وبعضهم كان بعض ولده كافرًا ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اصطفيناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ﴾ وقضاهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو: دين الحق.

﴿ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَشْكُرُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتِدَةٌ قُل لَّا آسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُل مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْمَلُونَهُ قَرَأْتِيس بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِم يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ أَقَرَّتْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُم أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَن ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٨٨ - ٩٣].

﴿ذَلِكَ﴾ [الأنعام: 88] الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن

عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا ﴿٨٩﴾ أَي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمِينَاهُمْ فَرَضًا ﴿لَحَبِطُ﴾ بطل وذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الأنعام: 89] أراد به الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ العلم والعمل ﴿وَالشُّبُهَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ أَي: بالأشياء التي أعطيناها للأنبياء ﴿هُؤُلَاءِ﴾ كفار مكة ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا﴾ أَرَصَدْنَا لَهَا ﴿بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هل هم الأنصار وأهل المدينة والمهاجرين؟ قولان، ولعل المراد: كل من علم الله إيمانه.

﴿أُولَئِكَ﴾ [الأنعام: 90] أَي: الأنبياء المذكورون ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ أَي: بسنتهم وسيرتهم افعل في التوحيد وأما الشرائع فلكل واحدة، وحذف هاء «اقتده» حمزة والكسائي في الوصل، والباقون بإثباتها وصلًا ووقفًا، وابن عامر قرأ: «اقتدهي» بإشباعها كسرًا ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أَي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطونيهِ ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾⁽¹⁾ [الأنعام: 91] أَي: ما عبدوه حق عبادته نزلت في اليهود؛ ومنهم: فنحاص ﴿إِذْ قَالُوا﴾ للنبي ﷺ وقد خصموه في القرآن: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى

(1) وأصل القدر معرفة الكمية يقال: قدر الشيء إذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقدار يقدره بالضم قدرًا وقدرًا ومنه «فإن غم عليكم فاقدروا له» أَي: فاطلبوا أن تعرفوه، ثم توسع فيه حتى قيل: لكل من عرف شيئًا هو يقدر قدره ولا يقدر قدره إذا لم يعرفه بصفاته، قال ابن عباس والحسن واختاره الفراء وثعلب والزجاج معناه ما عظموا الله حق تعظيمه، وقال أبو عبيدة والأخفش: ما عرفوه حق معرفته، قال الماتريدي: ومن الذي يعظم الله حق عظمته أو يعرفه حق معرفته؟ قالت الملائكة: ما عبدناك حق عبادتك والرسول ﷺ يقول: «لا أحصي ثناء عليك» وينفصل عن هذا أن يكون المعنى: ما عظموه العظمة التي في وسعهم وفي مقدورهم وما عرفوه كذلك، وقال أبو العالية: واختاره الخليل بن أحمد معناه: ما وصفوه حق صفته فيما وجب له واستحال عليه وجاز، وقال ابن عباس أيضًا: ما آمنوا بالله حق إيمانه وعلّموا أن الله على كل شيء قدير، وقال أبو عبيدة أيضًا: ما عبدوه حق عبادته، وقيل: ما أجلّوه حق إجلاله حكاه ابن أبي الفضل في ربي الظمآن وهو بمعنى التعظيم، وقال ابن عطية: من توفية القدر فهي عاتمة يدخل تحتها من لم يعرف ومن لم يعظم وغير ذلك غير أن تعليبه بقولهم: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يقضي بأنهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته إذ أحوالوا عليه بعثة الرسل، وقال الزمخشري: ما عرفوا الله حق معرفته في الرحمة على عباده واللتطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته.

لِلنَّاسِ ﴿ يَعْنِي: التَّوْرَةَ ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ ﴾ دَفَاتِرَ ﴿ تُبَدُّوْنَهَا ﴾ أَي: مَا تَحْبُونَ إِيدَاءَهُ مِنْهَا ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ مِمَّا فِيهَا كَنَعْتَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: «يَجْعَلُونَهُ» وَ«يَبْدُونَهَا» وَ«يَخْفُونَ» بِالْغَيْبِ فِي الثَّلَاثَةِ، وَالْبَاقُونَ بِالْخَطَابِ فِيهَا ﴿ وَغَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ مَا خَطَابَ لِلْيَهُودِ الْمَوْجُودِينَ فِي عَصْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ عُلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ أَمَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَا لَمْ يَعْلَمْ قَبْلَ مِنَ التَّوْرَةِ فَضِيعُوهُ، أَوْ خَطَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ قُلِ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِنْ لَمْ يَقُولِهِ لَا جَوَابَ غَيْرِهِ ﴿ ثُمَّ ﴾ بَعْدَ ذِكْرِكَ ﴿ ذَرَهُمْ ﴾ اِتْرَكَهُمْ ﴿ فِي خَوْضِهِمْ ﴾ ضَلَالِهِمْ ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ وَلَا تَبَالٍ بِهِمْ.

﴿ وَهَذَا ﴾ [الأنعام: 92] الْقُرْآنَ ﴿ كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا ﴾ كَثِيرَ الْبَرَكَةِ ﴿ مُصَدِّقُ الَّذِي

بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أَي: مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ ﴿ وَلِتُنذِرَ ﴾ فِي قِرَاءَةِ الْكُلِّ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ فَبِالْيَاءِ أَي: الْكِتَابَ ﴿ أُمُّ الْقُرَى ﴾ مَكَّةَ سَمِيَتْ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ دَحِيثَ مِنْ تَحْتِهَا، وَالْمَرَادُ: إِنْذَارَ أَهْلِهَا ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ هُمْ: أَهْلُ الْأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَحَسَنَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا وَسْطُ الْأَرْضِ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أَي: بِالْكِتَابِ ﴿ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أَي: عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَدَاوِمُونَ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهَا.

﴿ وَمَنْ ﴾ [الأنعام: 93] أَي: لَا أَحَدَ ﴿ أَظْلَمَ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بِإِدْعَاءِ

النَّبُوَّةِ وَلَمْ يَنْبَأَ ﴿ أَوْ قَالَ أَوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ نَزَلَتْ فِي مَسِيلِمَةَ الْكُذَّابِ ادْعَى النَّبُوَّةَ وَتَكْهَنَ ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأَنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ وَهُمْ: الْمُسْتَهْزِئُونَ حَيْثُ قَالُوا: لَوْ نَشَأَ لَقَلْنَا مِثْلَ هَذَا، أَوْ قِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي سِرَاجٍ قَالَ ذَلِكَ ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسَنَ حَالَهُ ﴿ وَلَوْ تَرَى ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾ إِلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ وَالضَّرْبِ؛ أَي: يَقُولُونَ لَهُمْ تَعْنِيْفًا: ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أَرْوَا حَكْمَ كَرَرِهَا؛ لِأَنَّ رُوحَ الْمُؤْمِنِ تَنْبَسِطُ لِلِقَاءِ رَبِّهِ، وَالْجَوَابَ مَحْذُوفَ تَقْدِيرِهِ: لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ الْهُونُ ﴿ بِمَا ﴾ بِسَبَبِ مَا ﴿ كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ دَعَاؤِ النَّبُوَّةِ وَالْإِيْحَاءِ كَذِبًا ﴿ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تَتَكَبَّرُونَ فَلَا تَوَّانُونَ بِالْقُرْآنِ وَمُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿ ١١ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ
فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنَوانٌ دَانِيَةٌ
وَجَعَلْنَا مِنَ الْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَّانَ مُسْتَبَهًا وَغَيْرَ مَثْبُوحٍ أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ
وَيَنْوَهُوا إِنَّا فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام: ٩٤ - ٩٩].

﴿٩٥﴾ [الأنعام: 94] يقال لهم من الملائكة إذا بعثوا: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ لا مال
ولا خدم ولا أزواج ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حفاة عراة عزلاً ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾
أعطيناكم ﴿وَرِزَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ خلفاء في الدنيا بغير اختيار منكم ﴿و﴾ يقال لهم توبيخاً:
﴿مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحقاق
عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ الله ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ المدينيان والكسائي وحفص بنصب
النون؛ أي: نقطع الأمر بينكم فذهب ذلك الاتصال، وقرأ الآخرون برفع النون؛ أي: لقد
تقطع وصلكم ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب وغاب ﴿عَنْكُمْ﴾ ما كنتم تزعمون ﴿من الكذب كشفاً عنها﴾.
﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ﴾ [الأنعام: 95] شاق ﴿الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ عن السنبل والشجر
﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ﴾ الخالق المخرج ﴿اللَّهُ فَالِقُ﴾
فكيف ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن الحق مع وضوحه.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: 96] شاق عمود الفجر عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ
سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق عن الحركات، قرأ الكوفيون: «جعل» على الماضي «الليل»
نصب، الباقون «جاعل» اسم فاعل «الليل» خفض ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ حساباً
للأوقات ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ [الأنعام: 97] خلق ﴿لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في الأسفار وغيرها ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيئاً ﴿الآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيعلمون من ذلك وحدانية الحق سبحانه.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ [الأنعام: 98] ابتداء خلقكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿فَمُسْتَقَرًّا﴾ بكسر القاف لابن كثير وأبي عمرو وروح، والباقون بفتحها ﴿وَمُسْتَوْدَعًا﴾ هل الأول في الرحم إلى الولادة والثاني في القبر إلى البعث؟ أو الأول في البطن والثاني في صلب الأب أو عكسه؟ أو الأول في الرحم والثاني فوق الأرض؟ أو الأول فوقها والثاني في الآخرة؟ أو الأول في القبر والثاني في الدنيا؟ أو الأول الجنة والنار والثاني القبر؟ أقوال متقاربة ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفْقَهُونَ﴾ يفهمون.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ [الأنعام: 99] بالماء ﴿نبات كل شيء﴾ ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النبات شيئاً ﴿خَضِرًا﴾ وهو: الرطب الأخضر كالقمح ونحوه قبل حصاده ﴿نُخْرَجَ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا﴾⁽¹⁾ وهو أول ما يخرج منها ﴿قِنَوَانٌ﴾ عراجين جمع: قنوة؛ وهو: العرق ﴿دَانِيَةً﴾ متدلية ينالها القائم والقاعد، اكتفى به عن ذكر البعده؛ لأنه أبلغ في النعمة ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أي: وأخرجنا به بساتين ﴿مِنْ أَغْنَابٍ وَالزَّيْتُونِ وَالرِّمَّانِ﴾ أي: شجرها ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في الورق والمنظر ﴿وَعَيْرٍ مُتَشَابِهٍ﴾ في الطعم والثمر ﴿انظُرُوا﴾ نظر اعتباراً ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بضم الثاء والميم لحمزة والكسائي وخلف، وفي يس: «لتأكلوا من ثمره»، والباقون بفتحهما ﴿إِذَا أُنْمِرَ﴾ أول ما يبدوا كيف هو ﴿وَيَنْبَعِهِ﴾ نضجه؛ أي: إدراكه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر؛ لأنهم المتفتنون بها.

(1) في تفسير اللباب لابن عادل (77/7): قيل: المراد كل ما يسمى نباتاً في اللغة. قال الفراء: «رزق كل شيء، أي: ما يصلح أن يكون غذاءً لكل شيء، فيكون مخصوصاً بالمتغذى به». وقال الطبري: «هو جميع ما ينثوا من الحيوان والنبات والمعادن؛ لأن كل ذلك يتغذى بالماء». ويترب على ذلك صناعة إعرابية وذلك أننا إذا قلنا بقول غير الفراء كانت الإضافة رجعة في المعنى إلى إضافة شبه الصفة لموصوفها، إذ يصير المعنى على ذلك: فأخرجنا به كل مُنبِت، فإن النبات بمعنى المُنبِت، وليس مصدرأ كهو في ﴿أَنْتَبَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [نوح: 17] وإذا قلنا بقول الفراء: كانت الإضافة إضافة بين مُتباينين؛ إذ يصير المعنى غذاء كل شيء أو رزقه، ولم ينقل أبو حيان عن الفراء غير هذا القول والفراء له في هذه الآية القولان المُتقدِّمان، فإن قال: «رزق كل شيء» قال: وكذا جاء في التفسير، وهو وَجْهُ الكلام، وقد يجوز في العربية أن تضيف النبات إلى كل شيء، وأنت تريد بكل شيء الثبات أيضاً، فيكون مثل قوله: «حقّ اليقين واليقين هو الحق».

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَعَلَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٠ - ١٠٥].

﴿ وَجَعَلُوا ﴾ [الأنعام: 100] أي: الكفار ﴿ لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان، وقالوا: إنهم يخلقون الحيوانات كالعقرب ﴿ وَ ﴾ قد ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ فكيف يكونون شركاءه ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾ بتشديد الراء للمدنيين، والباقون بالتخفيف؛ والمراد: اختلفوا له ﴿ بَيْنَيْنِ وَبَيْنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ بغير دليل كقول اليهود: عزيز ابن الله، وكفار العرب: الملائكة بنات الله، فتره نفسه بقوله: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ بأن له ولداً.

هو ﴿ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: 101] موجدتهما لا على مثال سبق ﴿ أَتَىٰ ﴾ كيف ﴿ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ﴾ زوجة ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ [الأنعام: 102] لا ما ذكرتم من الملائكة ونحو ذلك ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ﴾ لا تعبدوا غيره ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ حفيظ.

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: 103] لا تحيط به أو المراد: لا تراه في الدنيا ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ أي: يحيط بها أو يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك بالبصر ولا يدركه ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾ هل هو الرفيق بعباده أو بأوليائه؟ أو الذي ينسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا؟ أو هو عبارة عن إدراكه الحقيقت؟ أقوال كلها ثابت لله

﴿الْحَبِيرُ﴾ بكل أحد⁽¹⁾.

قل لهم يا محمد: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: 104] أي: حجج تبصرون بها الحق من الباطل ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ بها بأن عرفها وعمل بها ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ونفعه له ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ فضلٌ فعليها؛ أي: على نفسه عماه وضلاله؛ لأنه يوجب له النار ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا نذير.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 105] أي: مثل هذا البيان ﴿نُصِرَفُ﴾ نيين ﴿الآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر ﴿دَرَسْتَ﴾ قراءة ابن كثير وأبو عمرو بالألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء؛ أي: ذاكرت أهل الكتاب، وابن عامر ويعقوب بلا ألف وفتح السين وإسكان التاء؛ أي: عفت ومضت كتب الأولين؛ أي: فما جابه محمد ليس بشيء، والباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء على أنه خطاب النبي ﷺ؛ أي: درست كتب الأولين وجئت بالقرآن منها ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الضمير عائد على القرآن؛ أي: نفصل الآيات لنبيين القرآن إلى آخره.

﴿أَتَبِعَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾
 ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَتَقَلَّبَ أَقْنِدَتُهُمْ وَابْتَدَرَهُمْ كَمَا لَزَّ

(1) قال صاحب «دقائق الإشارات»: ومنها اللطيف، قال تعالى: ﴿هُوَ﴾ اللطيفُ الحبيرُ ومعناه: الذي يريد لعباده الخير واليسر، ويفيض لهم أسباب الصلاح، وهذا للمؤمن من عند من لا يرى أن ما يعطيه الله تعالى للكفار نعمة، أو أراد للمؤمن خاصة في أسباب الدين، أو أراد المؤمن والكافر عامة في أسباب الدنيا عند من يراها في الجملة. قال أبو سليمان: اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلفظ بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون؛ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: 19]، وقيل: هو الذي يوصل إليك إربك في رفق، ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية، انتهى.

يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَقٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٣﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿١١١﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ ﴿٠﴾

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 106] وهو القرآن هنا؛ أي: اعمل به ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تجادلهم ولا تقاتلهم، ونسخ بآية السيف. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الأنعام: 107] رقيباً فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ حفيظ أو محاسب فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال وهو تسلية له ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ اعتداء وظلماً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً منهم بالله، وقرأ يعقوب بضم العين والبدال وتشديد الواو، والباقون بفتح العين وإسكان الدال وفتح الواو، ونزلت؛ لأن أبا جهل وبعض قريش قالوا: إن لم يدع محمد سب آلهتنا لنسب من يأمره.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 108] أي: كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ الخير منه والشر فآتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾ فيجازيهم به.

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ نهي ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ جواب النهي، فنهى سبحانه لمؤمنين أن يسبوا أوثانهم؛ لأنه علم إذا سبوا نفر الكفار وازدادوا كفراً، قال ابن عباس: قالت كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمدًا وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها وإما أن إلهه ونهجوه، فنزلت الآية.

الثانية: قال العلماء: حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي ﷺ أو الله ﷻ فلا يحل لمسلم أيسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية، وعبر عن الأصنام وهي لا تعقل بـ ﴿الَّذِينَ﴾ على معتقد الكفرة فيها.

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ [الأنعام: 109] أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أقواها وأكدها وغاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ معجزة دلت على صدق محمد ﷺ فيما اقترحوه ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ أي: ليؤمننَّ بمحمد ﷺ بسببها، نزلت؛ لأنهم حلفوا أنهم إن جعل لهم الصفا ذهباً آمنوا فدعا رسول الله ﷺ ربه في ذلك فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن شئت أصبح ذهباً، ولكن إن لم يؤمنوا عوقبوا وإن شئت صبرت حتى يتوب الله على بعضهم فاختار الثاني، ثم قال له: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أي: أنتم لا تدرُونَ ذلك ﴿أَنَّهَا﴾ بكسر الهمزة لابن كثير، والبصريين وخلف وأبي بكر بخلاف عنه، والباقون بالفتح ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالخطاب لابن عامر وحمزة، والباقون بلفظ الغيبة.

﴿وَنُقَلِّبُ﴾ [الأنعام: 110] نحول ﴿أَفْتَدَتْهُمْ﴾ قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَارُهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون به ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بالقرآن ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾ تركهم ﴿فِي طُعْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون ويتمادون متحيرين.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنعام: 111] فرأوهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ بنوتك كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعن ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء للمدنيين وابن عامر؛ أي: معاينة، والباقون بضمهما جمع: قبيل، وهو: الكفيل؛ أي: ضمناً وكفلاً بنوتك أو فوجاً فوجاً ﴿مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق في علم

الثالثة: في هذه الآية أيضاً ضرب من المواعدة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع، وفيها دليل على أن المحقق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين، ومن هذا المعنى ما روي عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: لا تبتوا الحكم بين ذوي القربات مخافة القطيعة قال ابن العربي: إن كان الحق واجباً فإخذه بكل حال وإن كان جائزاً ففيه يكون هذا القول.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿عَدُوًّا﴾ أي: جهلاً واعتداءً، وروي عن أهل مكة أنهم قرءوا «عدوا» بضم العين والذال وتشديد الواو، وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة، وهي راجعة إلى القراءة الأولى؛ وهما جميعاً بمعنى الظلم، وقرأ أهل مكة أيضاً «عدوا» بفتح العين وضم الدال بمعنى عدو، وهو واحد يؤدي عن جمع، كما قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ وهو منصوب على المصدر أو على المفعول من أجله.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿رَبِّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ أي: كما زينا لهؤلاء أعمالهم كذلك زينا لكل أمة عملهم، قال ابن عباس، زينا لأهل الطاعة الطاعة، ولأهل الكفر الكفر، وهو كقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ وفي هذا رد على القدرية.

الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنون ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك فيرون أن الإيمان بالآيات لا بتوفيق الله.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 112] أي: مثل عداوتهم لك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: أعداء ﴿شَیَاطِينَ﴾ مرده ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ المراد: إن من الجن شياطين ومن الإنس شياطين، والشيطان العاتي المتمرد ﴿يُوحِي﴾ يوسوس ويلقي ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ هو: المموه المزين بالباطل ﴿غُرُورًا﴾ باطلاً ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاء الباطل المذكور ﴿فَدَرَّهُمْ﴾ اتركهم ﴿وَمَا يُفْتَرُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُواهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ أَفْغِيرَ اللَّهُ أَبْتغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ. وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 113 - 120].

﴿ولتصغى﴾ [الأنعام: 113] عطف على غرور؛ أي: تميل ﴿إليه﴾ إلى زخرف القول ﴿أفئدة﴾ قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه﴾ أي: ذلك الباطل ﴿وليقترفوا﴾ يكتسبوا ﴿ما هم مقترفون﴾ كاسبون من الذنوب فيعاقبوا عليه.

﴿أفغير الله أبتغي﴾ [الأنعام: 114] أطلب ﴿حكماً﴾ حاكماً قاصياً ﴿وهو الذي

أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ ﴿الْقُرْآنَ﴾ مُفَصَّلًا ﴿مَبِينًا فِيهِ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ﴾، وَمَنْجَمًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ نَزَلَتْ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: اجْعَلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حَكْمًا ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ، وَهُمْ: عُلَمَاءُ الْيَهُودِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ الْقُرْآنَ فَهَمَّ أَصْحَابُهُ ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشَّاكِينَ فِي ذَلِكَ؛ وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ التَّحْقِيقَ لِلْكَفَّارِ أَنَّهُ حَقٌّ.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 115] قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ وَيَعْقُوبُ: «كَلِمَةً» عَلَى التَّوْحِيدِ هُنَا وَفِي يُونُسَ وَغَاْفِرٍ، وَالْبَاقُونَ بِالْجَمْعِ ﴿صِدْقًا﴾ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ﴿وَعَدْلًا﴾ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَوْ صِدْقًا فِيمَا وَعَدَ وَعَدْلًا فِيمَا حَكَمَ ﴿لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لَا رَادٍ لِقَضَائِهِ وَلَا زِيَادَةَ وَلَا نَقْصَ فِي الْقُرْآنِ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فَيَجَازِي كَلًّا بِفَعْلِهِ.

﴿وَإِنْ تَطَّغَى أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 116] أَيْ: الْكُفَّارُ ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دِينَهُ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ مَجَادِلْتَهُمْ لَكَ فِي أَمْرِ الْمَيِّتَةِ؛ إِذْ قَالُوا: مَا فَعَلَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَأْكُلُوهُ مِمَّا قَتَلْتُمْ ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ [الأنعام: 117] أَيْ: عَالِمٌ ﴿مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أَيْ: فَيَجَازِي كَلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ فَضْلًا وَعَدْلًا.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: 118] أَيْ: ذَبَحَ عَلَى اسْمِهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ أَيْ: وَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ مِنَ الذَّبَائِحِ.

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ﴾ [الأنعام: 119] قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَحَفْصٌ وَيَعْقُوبُ: «فَصَل» وَ«حَرَم» بِالْفَتْحِ فِيهِمَا؛ أَيْ: فَصَلَ اللَّهُ وَحَرَّمَ اللَّهُ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: «فَصَل» بِضَمِّ الْفَاءِ وَكَسْرِ الصَّادِ مُشَدَّدَةً وَ«حَرَم» بِضَمِّ الْحَاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ مُشَدَّدَةً، وَقَرَأَ حَمَزَةُ وَأَبُو بَكْرٍ: «فَصَل» بِالْفَتْحِ وَ«حَرَم» بِالضَّمِّ ﴿مَا﴾ الَّذِي ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿حَرَمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيِّتَةَ وَالْدَّمَ﴾ [المائدة: 3] ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أَيْ: مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ فَإِنَّهُ حَلَالٌ؛ الْمَعْنَى: لَا مَانِعَ لَكُمْ مِنْ أَكْلِ مَا ذَكَرَ، وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ الْمَحْرَمَ أَكَلَهُ وَهَذَا لَيْسَ مِنْهُ ﴿وَإِنْ كَثِيرًا لِيُضِلُّونَ﴾ قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ هُنَا وَفِي يُونُسَ: «لِيُضِلُّونَ» بِضَمِّ الْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ ﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾ آرَائِهِمُ الْفَاسِدَةَ مِنْ تَحْلِيلِ الْمَيِّتَةِ وَغَيْرِهَا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مِنْ اللَّهِ عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ الْمُتَجَاوِزِينَ الْحَلَالَ إِلَى

الحرام فيجازيهم باعتنائهم ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ قيل: الزنا، وقيل: كل معصية ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ خفيه كالكبر، وقيل: نزلت في تحريم الزنا إعلاناً وهو الظاهر، وسراً وهو الباطن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ﴾ [الأنعام: 120] في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكسبون.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْتَكِرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢١ - ١٢٥].

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: 121] أي: ذبح لغير الله أو مات أما ما ذبحه مسلم ولم يسم فإنه يحل عند الشافعي ﴿وَأِنَّهُ﴾ أي: أكل ما ذبح لغير الله أو الميتة ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عن الطاعة ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يقولون الكذب، ويوسوسون ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بطاعتكم لهم، وفي الآية دليل على أن من حلل ما حرم الله أو حرّم ما حلله الله كفر قاله الزجاج؛ أي: بشرط أن يكون معلوماً من الدين بالضرورة مجمعاً عليه.

﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122] ضالاً فهديناه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي

بِهِ فِي النَّاسِ ﴿ يَبْصُرُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَهُوَ: الْإِسْلَامُ أَوْ الْقُرْآنُ ؛ لِأَنَّهُ يَهْدِي مِنَ الضَّلَالَةِ وَيَنْقِذُ مِنَ الْجَهَالَةِ ﴿ كَمَنْ مِثْلُهُ ﴾ أَي: كَمَنْ هُوَ ﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ أَي: الْكُفْرَ ﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ الْمَعْنَى: إِنَّهُمَا لَا يَتَسَاوَيَانِ ، نَزَلَتْ فِي عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ أَوْ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ أَوْ حَمْزَةَ ، وَالَّذِي فِي الظُّلُمَاتِ: أَبُو جَهْلٍ بِالْإِتِّفَاقِ ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كَمَا زُيِّنَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ ﴿ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ .

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾ [الأنعام: 123] أَي: كَمَا جَعَلْنَا فَسَاقَ مَكَّةَ أَكْبَرَهَا ﴿ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا ﴾ جَمْعٌ: أَكْبَرُ مِثْلُ أَفْضَلُ وَأَفْضَلُ ﴿ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ ⁽¹⁾ وَمَكْرَهُمْ: رَمِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالسَّحْرِ وَنَحْوِهِ كَصَدْحِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ إِذْ وَبَالَه لَا يَعُودُ إِلَّا عَلَيْهِمْ ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ إِنَّهُ كَذَلِكَ .

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ﴾ [الأنعام: 124] أَي: كَفَارَ مَكَّةَ ﴿ آيَةً ﴾ عَلَامَةً دَالَّةً عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ ﴾ بِهِ ﴿ حَتَّى تُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا لَا وَأَكْبَرَ ، نَزَلَتْ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ ادَّعَى أَنَّهُ أَحَقُّ بِالنَّبُوَّةِ ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْوَحْيُ ؛ لِأَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ: إِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى يُوْحَى إِلَيْهِ ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

(1) أَي: كَمَا جَعَلْنَا فِي مَكَّةَ صِنَادِيدَهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ، وَتَتَضَمَّنُ ذَلِكَ فَسَادَ حَالِ الْكُفْرَةِ الْمَعَاصِرِينَ لِلرَّسُولِ إِذْ حَالَهُمْ حَالٌ مِنْ تَقَدُّمِهِمْ مِنْ نَظَائِمِ الْكُفَارِ ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ: نَزَلَتْ فِي الْمُسْتَهْزِئِينَ يَعْنِي أَنَّ التَّمَثِيلَ لَهُمْ ، وَقِيلَ: هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ ﴾ فَتَكُونُ الْإِشَارَةُ فِيهِ إِلَى مَا أُشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ ﴾ وَ﴿ جَعَلْنَا ﴾ بِمَعْنَى صَيَّرْنَا وَمَفْعُولُهَا الْأَوَّلُ ﴿ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا ﴾ وَ﴿ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ ﴾ الْمَفْعُولُ الثَّانِي وَ﴿ أَكْبَرًا ﴾ عَلَى هَذَا مِضَافٌ إِلَى ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ وَأَجَازَ أَبُو الْبَقَاءِ أَنَّ يَكُونُ ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ بَدَلًا مِنْ ﴿ أَكْبَرًا ﴾ وَأَجَازَ ابْنُ عَطِيَّةٍ أَنَّ يَكُونُ ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ وَ﴿ أَكْبَرًا ﴾ الْمَفْعُولُ الثَّانِي وَالتَّقْدِيرُ مُجْرِمِيهَا أَكْبَرًا ، وَمَا أَجَازَهُ خَطَأً وَذَهَبَ عَنِ قَاعِدَةِ نَحْوِيَّةٍ وَهُوَ أَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلَ إِذَا كَانَ بِمَنْ مَلْفُوظًا بِهَا أَوْ مَقْدَرَةً أَوْ مِضَافَةً إِلَى نَكْرَةٍ كَانَ مَفْرُودًا مَذْكَرًا دَائِمًا سِوَاءَ كَانَ لِمَذْكَرٍ أَوْ مَوْثُثٍ ، مَفْرُودٌ أَوْ مِثْنِيٌّ أَوْ مَجْمُوعٌ ، فَإِذَا أَثَتْ أَوْ ثِنِيٌّ أَوْ جَمْعٌ طَابِقٌ مَا هُوَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَتُرْزَمُهُ أَحَدُ امْرَيْنِ: إِمَّا الْأَلْفُ وَاللَّامُ أَوْ الْإِضَافَةُ إِلَى مَعْرِفَةٍ ، وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَالْقَوْلُ بَأَنَّ ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿ أَكْبَرًا ﴾ أَوْ أَنَّ ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ مَفْعُولُ أَوَّلِ خَطَأً لِاتِّزَامِهِ أَنَّ يَبْقَى ﴿ أَكْبَرًا ﴾ مَجْمُوعًا وَلَيْسَ فِيهِ أَلْفٌ وَوَلَامٌ وَلَا هُوَ مِضَافٌ إِلَى مَعْرِفَةٍ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ ، وَقَدْ تَنَبَّهَ الْكِرْمَانِيُّ لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ فَقَالَ: أَضَافَ الْأَكْبَرُ إِلَى مُجْرِمِيهَا ؛ لِأَنَّ أَفْعَلَ لَا يَجْمَعُ إِلَّا مَعَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ أَوْ مَعَ الْإِضَافَةِ ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَدِرَ يَقُولُ: أَوْ مَعَ الْإِضَافَةِ إِلَى مَعْرِفَةٍ وَقَدَّرَ بَعْضُهُمُ الْمَفْعُولَ الثَّانِي مَحْذُوفًا أَيًّ فَسَاقًا ﴿ لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾ وَهُوَ ضَعِيفٌ جَدًّا لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْمَلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَيُقَالُ أَكْبَرَةٌ كَمَا قَالُوا أَحْمَرٌ وَأَحْمَرَةٌ .

وقرأ ابن كثير وحفص: «رسالته» بالإنفراد، والباقون بالجمع؛ أي: يعلم ما صلح لها من المواضع فيضعها، وهؤلاء ليسوا لها بأهل ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿ضِعَافًا﴾ ذل وهوان في الدنيا ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ بسبب مكرهم.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: 125] أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام، وأمارته الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أي: ضلاله ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ قرأ ابن كثير هنا وفي الفرقان بإسكان الياء مخففة، والباقون بكسرها مشددة؛ والمراد: الضيق عند قبوله ﴿حَرْجًا﴾ قرأ المدنيان وأبو بكر بكسر الراء، والباقون بفتحها؛ والمراد: أشد الضيق حتى لا يتعد فيه الخير، وإذا سمع ذكر الله اشمأز وغيره انبسط ﴿كَأَنَّمَا يُصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه، قرأ ابن كثير بإسكان الصاد وتخفيف العين بلا ألف، وأبو بكر بفتح الياء والصاد مشددة وألف بعدها وتخفيف العين؛ أي: يتصاعد، والباقون بتشديدهما بلا ألف؛ أي: يتصعد ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ﴾ هو: اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة أو المائم أو الشيطان أو ما لا خير فيه؛ بمعنى أنه يسلط ذلك ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿١١٦﴾

لَمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشِرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَانُكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيُّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١٩﴾ يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنبَغِي وَسُدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّيْتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٢٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٢١﴾ [الأنعام: ١٢٦ - ١٣١].

﴿وَهَذَا﴾ [الأنعام: 126] أي: الذي بيناه أو الذي أنت عليه يا محمد ﷺ ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ طريقه ودينه الحق ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج فيه؛ وهو: الإسلام ﴿قَدْ فَضَّلْنَا﴾ بيننا ﴿الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُذَكِّرُونَ﴾ يتعظون.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ [الأنعام: 127] أي: الجنة، والسلام هو الله ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلَهُمْ﴾ حافظهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بسببه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ روى حفص: «نحشروهم» هذه و«يوم نحشروهم» في يونس بالياء فيهما وافقه روح هنا، والباقون فيهما جميعاً ويقال لهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام: 128] أي: من إضلالهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾ أي: أولياء الشياطين وإخوانهم الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فالإنس بالجن من حيث أنه كان من مرٍّ منهم بوادٍ، قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر، أو لأنهم زينوا لهم الشهوات وعكسه إضلال الجن والإنس واعتقاد الإنس فيهم دفع الضرر عنهم، وهذا السؤال لتوبيخهم على رءوس الأشهاد وفضيحتهم ﴿وَيَلْعَنُوا أَجَلْنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا﴾ القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ مقامكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجوا فيها لشرب الحميم فإنه خارجها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: 68] وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون ف«ما» بمعنى «من» أو المراد يعذبون بالنار إلا ما شاء الله من أنواع العذاب أي: غير النار فيعذبهم بغير النار فيها، والمراد من مقدار محشرهم إلى دخولهم، فالاستثناء به منقطع ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 129] كاتباعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نُؤَلِّي﴾ من الولاية ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ على بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، أو المراد نولي بعضهم بعضاً في النار فنجمعهم فيها ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: 130] الرسل من الإنس فقط على الأصح ولكن غلب الإنس لشرفهم، فالمراد المجموع أو رسلاً نحن نذرهم، الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقْضُونَ﴾ يقرأون ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ كتيبي ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ أي: بتبليغ الرسل قال تعالى: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: أَلجأتهم إلى الغرور وهو الباطل، فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ﴾

كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ ﴿ [الأنعام: 130 - 131] أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ عن الإنذار باعتبار عدم الرسول أو المراد لا يهلك القرى بشرك، وقيل: المعنى فعل ذلك الرسال بهم؛ لأنه لم يكن إلى آخره وهو بمعنى الأول.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾
 وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِيَةٌ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ لِي إِلَىٰ عَائِلٍ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِنْ شَرِكَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢ - ١٣٦].

﴿وَلِكُلِّ﴾ [الأنعام: 132] من الكفار والمسلمين ﴿دَرَجَاتٍ﴾ في الجنة ودرجات في النار استغنى عنها بذكر الدرجات ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: قدر أعمالهم فبعضهم أشد عقاباً وبعضهم أجزل ثواباً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن عامر بقاء الخطاب وكذا قرأ في آخر هود والنمل بالخطاب، وافقه المدنيان وحفص ويعقوب في هود والنمل، والباقون بالغيب ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ [الأنعام: 133] عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بأهل الطاعة ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ﴾ أي: يهلككم، وعيد لأهل مكة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ ينشأ ﴿مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ خلقاً غيركم أي: أمثل وأطوع ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أذهبهم لكنه أبقاكم رحمة لكم ﴿إِنْ مَا تُوْعَدُونَ﴾ [الأنعام: 134] من الساعة وغيرها ﴿لَأَتِيَةٌ﴾ واقع لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين عذابنا فيدرككم حيث كنتم.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 135] لهم ﴿يَا قَوْمِ﴾ أمر النبي ﷺ أن يقول لهم ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ

مَكَانَتِكُمْ ﴿۱﴾ بالجمع لأبي بكر حيث وقع، والباقون بلا ألف بالافراد أي: على ما أنتم عليه من الحال ﴿إِنِّي غَامِلٌ﴾ على حالتي التي أمرني بها ربي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ﴾ بتاء التأنيث لحمزة والكسائي وخلف هنا وفي القصص، والباقون بالياء ﴿لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ يعني: العاقبة المحمودة بالفوز في الآخرة بالجنة نحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ لا يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ المشركون فلا يفوزون بها.

﴿وَجَعَلُوا﴾ [الأنعام: 136] أي: كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيًّا﴾ وجعلوا لشركائهم نصيًّا، وكانوا يجعلون شيئًا منه يصرف للضيف والمسكين وشيئًا للأصنام يصرف لقوامها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ﴾ والزرع القول من غير حقيقة وهو بضم الزاي هنا وفيما يأتي للكسائي، والباقون بالفتح فيهما ﴿وَهَذَا لَشُرَكَائِنَا﴾ أي: الأوثان وكانوا إذا سقط من نصيب الله شيء في نصيبها التقطوه أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا، كما قال سبحانه: ﴿فَمَا كَانَ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصُلُّ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصُلُّ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرِدُوهُمْ وَلَيْلِيسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿۱۳۷﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمٌ حَرِّمَتْ طُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿۱۳۸﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّنَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿۱۳۹﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿۱۴۰﴾﴾ [الأنعام: ۱۳۷ - ۱۴۰].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 137] كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيْنٌ﴾ قرأ الجميع ما عدا ابن عامر بفتح الزاي والياء ﴿لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ﴾ بنصب اللام ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ بخفض

الدال ﴿شُرَكَاءُهُمْ﴾ برفع الهمزة، وهم كفار كان الشيطان أن يندران ولد له كذا؛ لذا علاماً أن يذبح واحد فيفعل وأضاف الشركاء إليهم؛ لأنهم اتخذوها، وقرأ ابن عامر بضم الزاء وكسر الياء ورفع لام قتل فنصب دال أولادهم، وكسر همز شركائهم ﴿لِيُرْذُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ قَدْرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: تركهم فإن الله سيعاقبهم، والهاء في فعلوه عائدة على القتل وما فعلوه في الحرث والزرع وكل ما في القرآن من مسالمة الكفار نسخته آية السيف.

﴿وَقَالُوا﴾ [الأنعام: 138] أي: المشركون ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَزْبٌ حَجْرٌ﴾⁽¹⁾ حرام أي: ما جعلوه لله من الحرث والأنعام ولشركائهم كما سبق، أو المراد السائبة وما معها ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بِرِزْقِهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَامٌ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي عن الحوامل كما سبق ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، وهي ما ذبح للأصنام بل يذكرون اسم أصنامهم وينسبوا ذلك إلى الله تعالى ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ [الأنعام: 139] المحرمة وهي السوائب والبحائر كما سبق ﴿خَالِصَةً﴾ حلال ﴿لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ أي: تأكله الرجال دون النساء ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ قرأ أبو جعفر وأبو بكر وابن عامر سوى الدجواني عن هشام «وإن تكن» بالياء، والباقون بالياء من تحت، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر «ميتة» بالرفع، والباقون بالنصب أي: وإن يكن ما في بطون ميتة ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ الذكور والإناث ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ ذلك بالتحريم والتحليل؛ أي: جزاؤه

(1) أعلم الله تعالى بأشياء مما شرعها وتقسيمات ابتدعوها والتزموها على جهة الفرية والكذب منهم على الله، أفردوا من أنعامهم وزروعهم وثمارهم شيئاً وقالوا: هذا حجر أي حرام ممنوع، وقرأ أبان بن عثمان: «نعم» على الأفراد، وقرأ باقي السبعة بكسر الحاء وسكون الجيم والحجر بمعنى المحجور كالذبح والطحن يستوي في الوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات قاله الزمخشري، وقرأ الحسن وقتادة والأعرج بضم الحاء وسكون الجيم، وقال القرطبي: قرأ الحسن وقتادة بفتح الحاء وإسكان الجيم، وعن الحسن أيضاً «حجر» بضم الحاء، وقرأ أبان بن عثمان وعيسى بن عمر بضم الحاء والجيم، وقال هارون: كان الحسن يضم الحاء من «حجر» حيث وقع وقع إلا وحجراً محجوراً فيكسرهما وقرأ أبي وعبد الله وابن عباس وابن الزبير وعكرمة وعمرو بن دينار والأعمش حرج بكسر الحاء وتقديم الراء على الجيم وسكونها، وخرج على القلب فمعناه معنى «حجر» أو من الحرج وهو التضييق.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في عقابهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بكفرهم فيجازيهم عليه ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ [الأنعام: 140] قرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد التاء، وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منهم ربيعة ومضر كانوا يدفنون البنات أحياء ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً﴾ كذباً ﴿عَلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: في فعلهم ما خالف دينه.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآثُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ مِمَّنِ الضَّانِ اثْنَيْنِ وَمِمَّنِ الْمَعْرِزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعَمَلٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِمَّنِ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتِ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيَكُمُ اللَّهُ يَهْدِيًا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ [الأنعام: ١٤١ - ١٤٤].

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ [الأنعام: 141] خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ أي: العروش ما انبسط على الأرض كالقرع وغيره ما قام على ساق كالنخل، وقيل: هما في العنب منه ما يعرش ومنه غيره ﴿وَ﴾ ﴿أَنْشَأَ﴾ النخل والزروع مختلفاً أكله طعمه وثمره ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ منظرهما وورقهما ﴿وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾⁽¹⁾ طعمهما أو أنهما اللذان لونهما واحد وطعمهما مختلف ﴿كُلُوا مِنْ

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: نصب على الحال، وفي هذه أدلة ثلاثة:

تَمْرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴿ قِيلَ التَّصْبِحُ أَمْرٌ إِبَاحَةٌ ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ ﴾ وهو شيء غير الزكاة؛ لأن السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة فهو منسوخ ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قرأ البصريان وابن عامر وعاصم «حصاده» بفتح الحاء، والباقون بكسرها ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بمعصية الله ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ العاصين بتجاوز ما حد لهم.

﴿و﴾ [الأنعام: 142] أنشأ ﴿مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وَفَرَسًا﴾ لا تصلح للحمل كالإبل الصغار والغنم سميت فرسًا؛ لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها ﴿كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: لا تسلكوا طرقه لا تتبعوا آثاره في تحريم ما سبق ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ مظهر العداوة أو بان لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الأنعام: 143] أصناف ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ من الضأن زوجين ﴿اِثْنَيْنِ﴾ أنثى وذكر كل منهما زوج على انفراده، والضأن النعاج وهي ذوات الصوف من الغنم ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اِثْنَيْنِ﴾ وهي ذوات الشعر من الغنم، قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة بفتح العين والباقون بكسرها ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لمن حرم ذكور الأنعام مرة وإنائها أخرى، ونسب قوله لله ﴿الذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أُمَّ الْأَنْثَيْنِ﴾ بعينهما ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ﴾ ذكرا كان أو أنثى ﴿تَبْتُونِي﴾ أخبروني ﴿بِعَلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الله حرم ذلك، فإن كان من قبل الأنثى فكان ينبغي أنه لا يخص به واحد فتحرم جميع الإناث، وإن كان من قبل الذكور فكذلك والاستفهام للإنتكار.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اِثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اِثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأَنْثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ﴾

أحدها: ما تقدم من قيام الدليل على أن المتغيرات لا بد لها من مغير.

الثاني: على المنة منه سبحانه علينا، فلو شاء إذ خلقنا ألا يخلق لنا غذاء، إذ خلقه ألا يكون جميل المنظر طيب الطعم، وإذ خلقه كذلك ألا يكون سهل الجنى، فلم يكن عليه أن يفعل ذلك ابتداء؛ لأنه لا يجب عليه شيء.

الثالث: على القدرة في أن يكون الماء الذي من شأنه الرسوب يصعد بقدرة الله الواحد علام الغيوب من أسافل الشجرة إلى أعاليها، حتى إذا انتهى إلى آخرها نشأ فيها أوراق ليست من جنسها، وثمر خارج من صفته الجرم الوافر، واللون الزاهر، والجنى الجديد، والطعم اللذيذ، فأين الطبائع وأجناسها، وأين الفلاسفة وأناسها، هل في قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الإتقان، أو ترتب هذا الترتيب العجيب! كلا! لا يتم ذلك في العقول إلا لحي عالم قدير مرید.

أَرْحَامِ الْأُنثَىٰ ﴿١٤٤﴾ [الأنعام: 144] وإن كان من قبل اشتمال البطن عليه، فينبغي تحريم الكل؛ إذ لا بد من اشتمال البطن على كل حيوان، وهو إما ذكر أو أنثى فعلم أنهم كاذبون في التحريم وأنهم قالوه بلا علم ﴿أَمْ﴾ بل ﴿كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّأَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٥ - ١٤٨].

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 145] لهم ﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ شيئاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أكل يأكله ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ برفع «ميتة»، والباقي «تكون» في قراءة أبي جعفر وابن عامر، والباقون بياء من تحت في «يكون» و«ميتة» بالنصب أي: إلا أن يكون المطعوم ميتة ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ سائلاً لا الكبد والطحال، وما تعلق باللحم من الدم^(١) ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذبح على

(١) في تفسير اللباب لابن عادل (213/7): قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يريد بالدم المسفوح:

ما خَرَجَ من الحيوان وهي أحياء، وما يُخْرَجُ من الأوداج عن الذبح، ولا يَدْخُلُ فيه الكبد والطحال؛ لأنهما جامدات وقد جاء الشَّرْعُ بإباحتهما، وما اختلط باللحم من الدم؛ لأنه

اسم غيره ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى ما ذكر فأكله ﴿غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل لضرورته ﴿رَحِيمٌ﴾ به حيث أباح له ذلك الحق بما ذكر، والناج من السباع والمخلب من الطير.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الأنعام: 146] اليهود ﴿حَزَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطيور كبعير وبط، وكل ذي مخلب من الطير وحافر من البهائم ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَزَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ أي: شحوم الجوف وهي الشروب وشحم الكلبيين ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بالظهر والجنب من داخل البطن ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَايَا﴾ واحدها «حاوية» و«حوية»، وهي المباعر أي: ما حملته الحوايا من الشحم والمباعر الأمعاء وهي المصارين والكرش ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه أي: شحم الآلية فالكل مستثنى من التحريم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿حَزَمْنَا لَهُمْ﴾ به ﴿بَيْنَهُمْ﴾ قتلهم الأنبياء ونحوه ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أكد به الأخبار المذكور.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ [الأنعام: 147] فيما جئت به ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ فأهلكم لذلك، وفيه تल्पف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يَزِدُّ بِأْسُهُ﴾ عذابه إذا جاء ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فلا بد من وقوعه في وقته ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: 148] عندما علموا بطلان ما ذهبوا إليه من تحريم السائبة ونحو ذلك مما سبق ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَا آبَاؤُنَا﴾ من قبل ﴿وَلَا حَزَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ من الحرام وغيره مما سبق فأشركنا بمشيئته وهو راض به قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ كما ﴿كَذَّبَ﴾ هؤلاء كذب ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الرسل فيما جاءوا به ﴿حَتَّى دَاقُوا بِأَسْنَانِهِمْ﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ بما قلتم من الاحتجاج بالمشيئة على الرضى ﴿فَتُنخِرُجُوهُ﴾ تظهروه ﴿لَنَا﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون في دعواكم.

غير سائل.

قال عمران بن حدير: «سألت أبا مجلز عما يَحْتَلِطُ باللحم من الدم، وعن القدر يرى فيها حُمزة الدم، فقال: لا بأس به، إنما نُهي عن الدم المَسْفُوحِ». قال إبراهيم: «لا بأس بالدم في عِزْقٍ أَوْ مُخٍّ، إِلَّا الْمَسْفُوحِ الَّذِي يَتَعَمَدُ ذَلِكَ». قال عكرمة: «لَوْلَا هَذِهِ الْآيَةُ لَاتَّبَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْغُرُوقِ مَا تَتَّبَعُ الْيَهُودُ».

﴿وَصَاحِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هذه الأمور فتكفوا عنها أو تتدبروا.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: 152] هو نهي عن تضييعه بغير وجه شرعي، عبر عنه بذلك نهاية في التغيير عنه ﴿إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي: بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كتجارة خشية أن تأكله الزكاة ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو الاحتلام مع الرشد وهو صلاح الدين والمال ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا تَكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها فيما ذكر فلا يأخذ أحد أزيد من حقه ولا يعطي أنقص مما عليه بل يعطي ما يسعه بلا حرج من الجانبين، فإن أخطأ في الكيل والوزن، والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذه عليه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ وهو جميع ما أمر به فيفعل وجميع ما نهي فيتترك ﴿ذَلِكَمُ﴾ المذكور ﴿وَصَاحِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون، قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص «تذكرون» بتخفيف الدال حيث وقع إذا كان بالخطاب، والباقون بالتشديد.

﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ [الأنعام: 153] الذي وصيتم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الهمزة، والباقون بفتحها وخلف وابن عامر ويعقوب بتخفيف النون، والباقون بتشديدها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ المختلفة من الطرق الضالة ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ تميز ﴿بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذَلِكَمُ﴾ المذكور ﴿وَصَاحِكُمْ بِهِ﴾ أمركم أمراً أكيداً ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تتقون هذه المنهيات وتفعلون هذه المأمورات.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَنَقَّصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءُ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنَّ

ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأنعام: ١٥٤ - ١٥٨].

﴿ثُمَّ﴾ [الأنعام: 154] لترتيب الأخبار ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به من قومه، أو إتمامًا لفضيلة موسى على كل محسن من أنبياء بني إسرائيل، أو تمامًا على الذي أحسن وهو موسى أي: اتممنا فضلنا عليه بذلك لإحسانه في الطاعة ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ احتاجوا إليه من الشرائع ﴿وَهَدَى وَرَحْمَةً﴾ وصفان ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿يَلْقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لكي يصدقوا بالبعث.

﴿وَهَذَا﴾ [الأنعام: 155] القرآن ﴿كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ * أَنْ تَقُولُوا﴾ [الأنعام: 155 - 156]، التقدير أنزلناه؛ لثلاثا تقولوا أو كراهية أن تقولوا ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مَنْ قَبْلَنَا وَإِنْ﴾ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قرأتهم ﴿لِعَافِلِينَ﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا ونحن لا نعرف لغتهم ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: 157] لصحة أذهاننا وجودتها فقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حجة واضحة بلغتكم بإنزال الكتاب ﴿وَهَدَى﴾ رشد ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعه أو لكل أحد بتأخير المسخ والعذاب ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمَ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ بسبب إعراضهم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنعام: 158] ما ينظر المكذبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي هنا وفي النحل بالياء من أسفل، والباقون بالياء من فوق ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ أي: أمره بمعنى عذابه ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهو طلوع الشمس من مغربها ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ﴾ نفسًا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ طاعة أي: لا تقبل توبة فاسق بعد طلوعها؛ إذ باب التوبة يسد عند طلوعها ﴿قُلِ﴾ يا أهل مكة ﴿انظُرُوا﴾ أحد هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ

ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَازْرَةً وَلَا نُزِرُ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْئَلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴿[الأنعام: ١٥٩ - ١٦٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: 159] بالألف بعد الفاء أي: خرجوا منه في قراءة الكسائي وحمزة هنا وفي الروم ووافقهما خلف، والباقون بالتشديد بلا ألف أي: جعلوه فرقًا وهم أهل الأهواء والبدع واليهود والنصارى الذين فرقوا دين إبراهيم الحنفيه إلى شرك وضلال ﴿وكانوا شيعًا﴾ أي: فرقًا مختلفة في ذلك ﴿لست منهم في شيء﴾ أي: لست من قتالهم في شيء فلا تتعرض لهم إن حمل على اليهود والنصارى ونسختها آية السيف، وإن حمل على أهل الأهواء والبدع فالمعنى أنت منهم بريء وهم منك براء ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ أي: جزاؤهم ومكافأتهم ثم سبيلهم ﴿ثم ينبتهم﴾ يخبرهم يوم القيامة ﴿بما كانوا يفعلون﴾ * من جاء بالحسنة فله عشر ﴿[الأنعام: 159 - 160] بالتونين والرفع ﴿أمثالها﴾ بضم اللام في قراءة يعقوب، والباقون بضم «عشر» بلا تنوين وجر اللام ﴿ومن جاء بالسئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ أي: جزاؤه بلا زيادة ﴿وهم لا يظلمون﴾ بزيادة سينه ولا نقص حسنة أو لا ينقصون من جزائهم شيئًا، قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: هذا في غير الصدقة أما هي فتضاعف بسبعمائة ضعف، وورد أن درهم الحج والغزو والنكاح بسبعمائة أيضًا.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: 161] قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر القاف وفتح الياء مخففة، والباقون بفتح القاف وتشديد الياء مكسورة أي: مستقيمًا ﴿ملَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: شريعته في التوحيد ﴿وما كان من﴾

﴿المُشْرِكِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: 162] هل هو الذبيحة في الحج والعمرة أو الدين أو العبادة؟ أقوال متقاربة ﴿وَمَخْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ حياتي ومماتي أي: موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ [الأنعام: 163] أي: التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

﴿قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْعِي﴾ [الأنعام: 164] أطلب ﴿رَبًّا﴾ إِلَهًا ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مالكة ومصطلحه استفهام إنكاري؛ أي: لا يكون ذلك، ونزلت لأن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ: ارجع إلى ديننا فرد عليهم بذلك ﴿وَلَا تَكْسِبُ﴾ تجني ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذنبًا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾ إلا ما كان إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ تحمل ﴿وَأِزْرَةَ﴾ حاملة ﴿وَزَرَ أَخْرَى﴾ ذنبها الذي علمته أي: لا يؤاخذ أحد بذنوب غيره ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ في القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾⁽¹⁾ [الأنعام: 164 - 165] أي: خلقت فيها بعد القرون الماضية بأن عمرها بكم ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في المطعم والملبس والثواب والعقاب والقوة والضعف والفضل والفقير والغني ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم فابتلى الغني بالفقر والحر بالعبد ونحوه؛ ليظهر ما يتعلق به الثواب والعقاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بهم.

(1) أذكرهم تعالى بنعمته عليهم إذ كان النبي ﷺ المبعث وهو محمد ﷺ خاتم النبيين فأتمته خلفت سائر الأمم ولا يجيء بعدها أمة تخلفها إذ عليهم تقوم الساعة، وقال الحسن: إن النبي ﷺ قال: «توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»، وروى «أنتم آخرها وأكرمها على الله» ورفع الدرجات هو بالشرف في المراتب الدنيوية والعلم وسعة الرزق «وليبلوكم» متعلق بقوله «ورفع» فيما آتاكم من ذلك جاهًا ومالًا وعلماً وكيف تكونون في ذلك، وقيل: الخطاب لبني آدم خلفوا في الأرض عن الجن أو عن الملائكة، وقيل: يخلف بعضهم بعضاً، وقيل: خلفاء الأرض تملكونها وتتصرفون فيها، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما كان الابتلاء يظهر به المسيء والمحسن والطائع والعاصي ذكر هذين الوصفين وختم بهما ولما كان الغالب على فواصل الآي قبلها هو التهديد بدأ بقوله سريع العقاب يعني لمن كفر ما أعطاه الله تعالى وسرعة عقابه إن كان في الدنيا فالسرعة ظاهرة، وإن كان في الآخرة فوصف بالسرعة لتحقيقه إذ كل ما هو آتٍ ولما كانت جهة الرحمة أرجى أكد ذلك بدخول اللام في الخبر ويكون الوصفين ببناء مبالغة ولم يأت في جهة العقاب بوصفه بذلك فلم يأت إن ربك معاقب وسريع العقاب من باب الصفة المشبهة.

سورة الأعراف (1)

مكية وعددها مائتا آية وخمس أو ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَصَّ ١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ

(1) هذه السورة مكية كلها قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد والضحاك وغيرهم، وقال مقاتل إلا قوله: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فإن ذلك مدني وروي هذا أيضًا عن ابن عباس، وقيل إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ واعتلاق هذه السورة بما قبلها هو أنه لما ذكر تعالى قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ واستطرد منه لما بعده وإلى قوله آخر السورة ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم وذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعية ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الإلهي وذكر الأمر باتباعه كما أمر في قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة أوائل السورة في أول البقرة، وذكر ما حدثه الناس فيها ولم يبق دليل على شيء من تفسيرهم يعين ما قالوا وزادوا هنا لأجل الصاد أن معناه أنا الله أعلم وأفضل رواه أبو الضحى عن ابن عباس أو المصور قاله السدي: أو الله الملك النصير قاله بعضهم أو أنا الله المصير إلي، حكاه الماوردي أو المصير كتاب فحذف الياء والراء ترخيماً وعبر عن المصير بالمص قاله التبريزي، وقيل عنه: أنا الله الصادق، وقيل معناه ﴿أَلَمْ نُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قاله الكرمانى قال: واكتفى ببعض الكلام، وهذه الأقوال في الحروف المقطعة لولا أن المفسرين شحنوا بها كتبهم خلقتاً عن سلف لضررنا عن ذكرها صفحاً فإن ذكرها يدل على ما لا ينبغي ذكره من تأويلات الباطنية وأصحاب الألغاز والرموز، ونهيه تعالى أن يكون في صدره حرج منه أي من سببه لما تضمنه من أعباء الرسالة وتبليغها لمن لم يؤمن بكتاب ولا اعتقد صحة رسالة وتكليف الناس أحكامها وهذه أمور صعبة ومعانيها يشق عليه ذلك وأسند النهي إلى الحرج ومعناه نهى المخاطب عن التعرض للحرج، وكان أبلغ من نهى المخاطب لما فيه من أن الحرج لو كان مما ينهى لنهيناه عنك فأنته أنت عنه بعدم التعرض له، ولأن فيه تنزيه نبيه ﷺ بأن ينهيه فيأتي التركيب فلا تخرج منه؛ لأن ما أنزله الله تعالى إليه يناسب أن يسر به وينشرح لما فيه من تخصيصه بذلك وتشريفه حيث أهله لإنزال كتابه عليه وجعله سفيراً بينه وبين خلقه فلهذه الفوائد عدل عن أن ينهاه ونهيه الحرج، وفسر الحرج هنا بالشك وهو تفسير قلق وسمى الشك حرجاً؛ لأن الشاك ضيق الصدر كما أن المتيقن منشرح الصدر وإن صح هذا عن ابن عباس فيكون مما توجه فيه الخطاب إليه لفظاً وهو لأتمته معنى أي فلا يشكوا أنه من عند الله.

وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرِيْبٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانِنَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانُ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُرَنَّ عَنْهُمْ يََعْلَمُونَ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَمَّائِنِينَ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴿الأعراف: ١-٩﴾.

﴿المص﴾ ﴿الأعراف: 1﴾ الصادق من صادق والباقي مر.

﴿كِتَاب﴾ ﴿الأعراف: 2﴾ أي: هذا كتاب وهو القرآن ﴿أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة التكذيب، وقيل شك ﴿لِنُنذِرَ﴾ أي: أنزلناه لينذر ﴿بِهِ﴾ كل من صلح إنذاره ﴿وَذَكَرَى﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قل لهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ﴿الأعراف: 3﴾ وهو القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أصحاب وأوداء أطيعونهم في معصيته قليلاً ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ «ما» زائدة لتأكيد العلة، وقرأ ابن عامر «تذكرون» بياء على الغيب قبل الياء وخفف الذال، والباقون بياء واحدة خطأً وخفف الذال حمزة والكسائي وخلف وحفص.

﴿وَكَمْ مِّن قَرِيْبٍ﴾ ﴿الأعراف: 4﴾ أراد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ من القيلولة وهي استراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم أي: جاء أهلها العذاب مرة وهم نائمون ليلاً ومرة وهم قائلون نهار، أو ترتيب البأس بألف على الهلاك إما لأنه أراد بالهلاك الحكم عنده تعالى بمجيء العذاب، أو هي بمعنى الواو فلم يلزم ترتيب، أو المراد أهلكتناها بإرسال الملائكة فجاءها بأسنا.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ ﴿الأعراف: 5﴾ قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فاعترفوا ولم يقدروا على رده ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾ ﴿الأعراف: 6﴾ سؤال توبيخ ﴿الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ وهم الأمم عن إجابة الرسل والعمل بما جاءوا به ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ وهو توبيخ للأمم بشهادة الرسل عليهم إنهم بلغوهم وأنهم ضيعوا

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف: 7] أي: لنخبرنهم عن علم أو نطق عليهم كتاب أعمالهم ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن الرسل إذا بلغوا وعن الأمم إذا أجابوا، وهذا إجمال للرسل والأمم وسيأتي تفصيله في قصص الأنبياء صلى الله عليهم وسلم.

﴿وَالْوِزْنَ يُوزِنُهُ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: 8] أصل الوزن مقابلة أحد الشئيين بالآخر؛ ليظهر رجحانه وللميزان لسان وكفتان الحسنات في واحدة والسيئات في أخرى والموزون إما صحائف الأعمال أو هي وإن كانت إعراضاً بأن يحدث الله في جانب السيئات خفة وجانب ثقلها أو عكسه وإن كان ذلك ليظهر لهم أعمالهم لا يعلم قدرها، ومن قال الوزن في الآخرة العدل من غير ميزان فهو مبتدع ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ الحسنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: 8 - 9] أي: خفت حسناته وثقلت سيئاته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، بمصيرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتْلُمُونَ﴾ يجحدون، وأخرج أحمد بسند حسن عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيتماليل الميزان فيبعث به إلى النار فإذا أدبرته إذ صائح يصيح من عند الرحمن لا تعجلوا لا تعجلوا فإنه قد بقي له؛ فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفه حتى تميل به الميزان»⁽¹⁾ وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء»⁽²⁾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾
 ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
 إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ
 خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا
 فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ

(1) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (293/15).

(2) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (276/24).

﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴿[الأعراف: ١٠ - ١٧].﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ [الأعراف: 10] يا بني آدم أي: مكنا لكم أو ثبتناكم على جهة التمكن ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ مكاسب وتجارات تعيشون بها جمع معيشة ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11] أي: آباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ في أرحام أمهاتكم أو خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بعد التخلق أو خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في الأرحام ﴿ثُمَّ﴾ إما بمعنى الواو أو لترتيب الأخبار ﴿فَلَنَّا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ﴾ [الأعراف: 11 - 12] تعالى: يا إبليس ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ أن ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ المعنى أن تسجد ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ * قَالَ﴾ [الأعراف: 12 - 13] إبليس مجيباً ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي﴾ أي: لأنك خلقتني ﴿مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ والنار خير وأنور منه هذا ظن الخبيث، والطين أفضل للرزانة والحلم والصبر والتواضع والاستكانة وبه حياة الأشياء؛ إذ الزرع وغيره إنما يشأ منه والنار لها خفة وطيش وعلو وحدة ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ أي: يجوز وينبغي لك ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ لأن الجنة والسماء محل المتواضعين بالامتثال ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأذلاء.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ [الأعراف: 14] أخرني ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ أي: الناس فلا تمتني إلى النفخة الأولى فيعيش لها ثم يموت ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15] وفي آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: 38] أي: وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: 16] أضللتني قيل الباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: على الطريق الموصلة إليك ومعنى ذلك قعوده على طريق الحق من الإسلام وشرائع الدين يصد عن ذلك، أو قاله استفهاماً أي: بأي شيء أعويتني كأنه يستحقر ذلك، ثم ابتداء فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 17]، من قبل الآخرة فأشككهم فيها ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، من قتل الدنيا فأزيناها لهم ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾، من قبل الحسنات

فامنعم منها ﴿وَعَنْ سَمَائِلِهِمْ﴾، من قبل السيئات بتزيتها أو لآتينهم من حيث يحيطون ومن حيث لا يحيطون أي: بإغوائك لي، قال ابن عباس: ولا يقال عن الإنيان من فوق لثلا يمنع الرحمة ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾⁽¹⁾ قاله ظنًا فأصاب كما قال تعالى:

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه ثلاث مسائل: الأولى: قوله تعالى: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الإغواء إيقاع الغي في القلب، أي: فيما أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار، وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل، بل هو كفر عناد واستكبار، وقد تقدم في البقرة، قيل: معنى الكلام القسم، أي فإغوائك إيائي لأفعدن لهم على صراطك، أو في صراطك، فحذف، دليل على هذا القول قوله في ص: ﴿فَبِعَزَّتِكَ لَأُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كأن إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه لما فيه من التسليط على العباد، فأقسم به إعظامًا لقدره عنده، وقيل: الباء بمعنى اللام، كأنه قال: فلاغوائك إيائي، وقيل: هي بمعنى مع، والمعنى فمع إغوائك إيائي، وقيل: هو استفهام، كأنه سأل بأي شيء أغواه؟ وكان ينبغي على هذا أن يكون: فبم أغويتني؟ وقيل: المعنى فيما أهلكني بلعنك إيائي، والإغواء الإهلاك، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي: هلاكًا، وقيل: فيما أضللتني، والإغواء: الإضلال والإبعاد، قال ابن عباس، وقيل: خيبتني من رحمتك أي: من يخب، وقال ابن الأعرابي: يقال غوى الرجل يغوي غيًا إذا فسد عليه أمره، أو فسد هو في نفسه، وهو أحد معاني قول تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أي: فسد عيشه في الجنة، ويقال: غوي الفصيل إذا لم يدر لبن أمه.

الثانية: مذهب أهل السنة أي أن الله تعالى أضله وخلق فيه الكفر، ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادته تعالى، وخالف الإمامية والقدرية وغيرهما شيخهم إبليس الذي طاعوه في كل ما زينه لهم، ولم يطاعوه في هذه المسألة ويقولون: أخطأ إبليس، وهو أهل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ربه، تعالى الله عن ذلك، فيقال لهم: وإبليس وإن كان أهلاً للخطأ فما تصنعون في نبي مكرم معصوم، وهو ونوح عليهما السلام حيث قال لقومه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا نُوحًا إِذْ أَرَادَ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُزْجَعُونَ﴾ وقد روي أن طاعوسًا جاءه رجل في المسجد الحرام، وكان متهمًا بالقدر، وكان من الفقهاء الكبار، فجلس إليه فقال له طاعوس: تقوم أو تقام؟ فقيل لطاعوس: تقول هذا لرجل فقيه فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس: رب بما أغويتني، ويقول هذا: أنا أغوي نفسي.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: بالصد عنه، وتزيت الباطل حتى يهلكوا كما هلك، أو يضلوا كما ضل، أو يخيبوا كما خيب، حسب ما تقدم من المعاني الثلاثة ف ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ والصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الجنة، و«صراطك» منصوب على حذف «على» أو «في» من قوله: ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كما حكى سيبويه «ضرب زيد الظاهر والبطن ومن أحسن ما قيل في تأويل ﴿ثُمَّ لَا تَأْتِيهِمْ مِنَ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: لأصدنهم عن الحق، وأرغبهم في الدنيا، وأشككهم في الآخرة، وهذا غاية في الضلالة، كما قال: ﴿وَلَا ضَلَّ لَهُمْ﴾ حسب ما تقدم، وروى سفيان عن منصور عن الحكم بن =

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: 20].

﴿ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْخُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَكَادُمْ أَتُكَّنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطُفِقَا بِيَخْصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَنَا تَغْفِيرٌ لَنَا وَتَرْحَمًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: 18 - 23].

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْهُومًا﴾ [الأعراف: 18] بالهمز معيياً بأشد العيب بالمقت واللعن واللوم ﴿مَذْخُورًا﴾ مطروداً مبعداً منفياً من الجنة ومن كل خير ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من بني آدم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من إبليس ومن ذريته ومن ذرية آدم.

﴿وَمَا أَتَىكَ مِنْ الظَّالِمِينَ * فَوَسَّوَسَ﴾ [الأعراف: 19 - 20] ألقى ﴿لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ في قلوبهما هو إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾ ليظهر ﴿لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾ ستر ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾

عتية: ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني حسناتهم، ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم، قال النحاس: وهذا قول حسن وشرحه: أن معنى ﴿ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم، حتى يكذبوا بما فيها من الآيات وأخبار الأمم السالفة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم حتى يكذبوا بها، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من حسناتهم وأمور دينهم، ﴿وَعَنْ شِمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم، أي: يتبعون الشهوات؛ لأنه يزينها لهم، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ أي: موحدين طائعين مظهرين الشكر.

عوراتهما، واللام للعاقبة؛ إذ لم يوسوس لذلك ﴿وَقَالَ﴾ إبليس لهما ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ﴾ أي: لثلا أو كراهية أن تكونا ملكين ﴿أَوْ تَكُونَا﴾ كراهية أن تكونا ﴿مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الباقين بلا موت، وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى ﴿هَلْ أَذُكَّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: 120].

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ [الأعراف: 21] أي: حلف لهما بالله كذبًا، فهي مفاعلة من واحد فظن آدم أن أحدًا لا يحلف بالله كذبًا ﴿إِنِّي لَكُمَا لِمَنِ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ [الأعراف: 22]، أنزلهما وحطهما عن منزلها من الطاعة إلى المعصية ومن الجنة إلى غيرها ﴿بِغُرُورٍ﴾ باطل ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿لَهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره فحصل عندهما الحياء ﴿وَوَطِّفَقَا﴾ أقبلًا وجعلًا ﴿يُخْصِفَانِ﴾ يرقعان ويلصقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ فيجعلان ورقة على ورقة كهيئة الثوب، ولم يكن آدم رأى عورته قبل ذلك ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ مالكهما وسيدهما ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: الأكل منها ﴿وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة؛ فاعترفا بذنوبهما، و﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: 23] ضررناها بوضع المعصية في غير محلها منها؛ لأنها محل التكريم ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

﴿ قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحِيَّونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْقَى ءَادَمَ قَدْ أُنزِلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرَى سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيثًا وَيَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْقَى ءَادَمَ لَا يَفْنَى كُفُّ الشَّيْطَانِ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تَهُمَا إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَةِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا

حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ [الأعراف: ٢٤ - ٣٠].

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الأعراف: 24] في الدنيا قبل الموت، وفي بطنها إلى البعث ﴿وَمَتَاعٌ﴾ استمتاع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا﴾ [الأعراف: 25] في الأرض ﴿تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث، قرأ حمزة والكسائي وخلف «يخرجون» هنا وفي الروم، وكذلك «تخرجون»، ومثله في الزخرف والجناتية ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجناتية: 35] بفتح حرف المضارعة وضم الراء، وافقهم يعقوب وابن ذكوان هنا، ووافقهم ابن ذكوان في الزخرف، واختلف عنه في الروم، والباقون بالضم وفتح الراء.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: 26] خلقنا لكم ﴿لِبَاسًا﴾ عبر عنه بالإنزال؛ لأن نبات اللباس في الأرض إنما هو بواسطة قطر السماء ﴿يُؤَارِي﴾ يستر ﴿سَوَآتِكُمْ﴾ عوراتكم ﴿وَرِيشًا﴾ مالا، يقال: تريش إذا تمول، وقيل: هو الجمال أي لأنه يجمل صاحبه كما أن الريش يجمل الطير ﴿وَلِبَاسًا﴾ بنصب السين لابن عامر والمكيين والمدنين، والباقون بالرفع ﴿التَّقْوَى﴾ هل هو الإيمان، أو الحياء من الله حتى لا يعصى، أو الصوف الخشن ولباس أهل الورع، أو آلات الجهاد في سبيل الله، أو غير ذلك مما في الأصل؟ أقوال، أقربها الثاني ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ﴾ الواقع أو الذي أمرتم به ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: دلالة الواضحة على حسن هذا الدين من الحث على المروءات ومكارم الأخلاق لستر العورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون فيفعلون ما أمروا به، ونزلت الآية لمنع الناس من الطواف بالبيت عراة؛ لأن العرب كانت تفعله.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ﴾ [الأعراف: 27] يضلنكم ﴿الشَّيْطَانَ﴾ أي: لا تتبعوه ففتنوا به ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ بفتنته ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ﴾ أي: الشيطان ﴿يَتْرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده وولده الجن والشياطين ﴿مَنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للطافة أجسادهم وعدم ألوانهم، وفيه دليل على أن الجن لا يرون وثبت في رؤيتهم أخبار؛ فالآية محمولة على الغالب ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أَعوانًا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أو المراد سلطانهم عليهم فيزيدهم غيا.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحْشَةً﴾ [الأعراف: 28]، هي الطواف بالبيت عراة قائلين: لا

نطوف في ثياب عصينا الله فيها، أو الشرك، أو كل قبيح نهي عنه؟ الأقرب الأخير وفيه أخبار أي: وإذا فعلوا فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ فافتدينا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا﴾ أيضًا قالوا لما سئلوا: من أين أخذها آبائكم ﴿قُلْ﴾ أمر للنبي ﷺ أن يقول لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنه قال توبيخ لهم ﴿قُلْ﴾ [الأعراف: 29] لهم ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾⁽¹⁾ هل هو لا إله إلا الله، أو العدل، أو التوحيد؟ أقوال ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ هل المراد ضلوا إلى الكعبة في كل مسجد، أو صلوا في المسجد الذي تحضركم فيه الصلاة، أو اجعلوا سجودكم لله خالصًا؟ أقوال، أقربها الأول ﴿وَأَذْعُوهُ﴾ وابعده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الطاعة والعبادة ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئًا، أو ابتداء خلقكم على السعادة أو الشقاوة ﴿تَعُوذُونَ﴾ على ما كنتم عليه عند موتكم.

﴿فَرِيقًا﴾ [الأعراف: 30] منكم ﴿هَدَى﴾ الله؛ أي: أوصله إلى الحق ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: وأضل فريقًا ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: يظنون ذلك.

﴿يَبْقَىٰ آدَمَ خَدُوا زَيْنَكُرَّ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

(1) القِسْطُ العدل، ويقع ذلك في حق الله تعالى، وفي حق الخلق، وفي حق نفسك؛ فالعدل في حق الله الوقوف على حِدِّ الأمر من غير تقصير في الأمور به أو إقدام على المنهي عنه، ثم ألا تدخّر عنه شيئاً مما حوّلك، ثم لا تُؤزّر عليه شيئاً فيما أحلّ لك، وأمّا العدل مع الخلق - فعلى لسان العلم - بذل الإنصاف، وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف. وأمّا العدل في حق نفسك فإدخال العتق عليها، وسدّ أبواب الراحة بكل وجه عليها، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال في كل نفس.

﴿٣٤﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَا بَنِيَّكُمْ رُسُلًا مِّنْكُمْ يَفْضُلُونَ عَلَيْكُمْ مَا بَدَأَ بِكُمْ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ حَقٌّ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَأَنبَأُ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا وَشْهَدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ أَخْبَهَا حَقَّ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَجْنَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا فَعَاتَبْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴿الأعراف: ٣١ - ٣٨﴾.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف: 31] هو ستر العورة ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في الصلاة والطواف، والمراد: ما يسترها بحيث يمتنع إدراك لون البشرة، ويجب في غير المساجد إجمالاً ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم، أمر بإباحة ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بمعصية الله ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁽¹⁾ لا يشبههم.

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ هو خطاب لجميع العالم، وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عرياناً، فإنه عام في كل مسجد للصلاة؛ لأن العبرة للعموم لا للسبب، ومن العلماء من أنكر أن يكون المراد به الطواف؛ لأن الطواف لا يكون إلا في مسجد واحد، والذي يعم كل مسجد هو الصلاة، وهذا قول من خفي عليه مقاصد الشريعة، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة وتقول: من يعيرني تطوفاً؟ تجعله على فرجها، فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ التطواف بكسر التاء، وهذه المرأة هي ضباعة بنت عامر بن قرط، قاله القاضي عياض، وفي صحيح مسلم أيضاً عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس، والحمس قریش وما ولدت، كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن تعطيهن الحمس ثياباً فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء، وكانت الحمس لا يخرجون من المزدلفة، وكان الناس كلهم يقفون بعرفات، في غير مسلم: ويقولون نحن أهل الحرم، فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل

إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا، فمن لم يكن له من العرب صديق بمكة يعيره ثوبًا ولا يسار يستأجره به كان بين أحد أمرين: إما أن يطوف بالبيت عريانًا، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه عنه فلم يمسسه أحد، وكان ذلك الثوب يسمى اللقي، فكانوا على تلك الجهالة والبدعة والضلالة حتى بعث الله نبيه محمدًا ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وأذن مؤذن رسول الله ﷺ: ألا لا يطوف بالبيت عريان، قلت: ومن قال بأن المراد الصلاة فزيتها النعال، لما رواه كرز بن وبرة عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال ذات يوم: «خذوا زينة الصلاة» قيل: وما زينة الصلاة؟ قال ﷺ: «البسوا نعالكم فصلوا فيها».

الثانية: دلت الآية على وجوب ستر العورة كما تقدم، وذهب جمهور أهل العلم إلى أنها فرض من فروض الصلاة، وقال الأبهري هي فرض في الجملة، وعلى الإنسان أن يسترها عن أعين الناس في الصلاة وغيرها، وهو الصحيح، لقوله ﷺ للمسور بن مخزومة: «ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة» أخرجه مسلم، وذهب إسماعيل القاضي إلى أن ستر العورة من سنن الصلاة، واحتج بأنه لو كان فرضًا في الصلاة لكان العريان لا يجوز له أن يصلي؛ لأن كل شيء من فروض الصلاة يجب الإتيان به مع القدرة عليه، أو بدله مع عدمه، أو تسقط الصلاة جملة، وليس كذلك، قال ابن العربي: وإذا قلنا إن ستر العورة فرض في الصلاة فسقط ثوب إمام فانكشف دبره وهو راعك فرفع رأسه فغطاه أجزاءه، قاله ابن القاسم، وقال سحنون: وكل من نظر إليه من المأمومين أعاد، وروي عن سحنون أيضًا: أنه يعيد ويعيدون؛ لأن ستر العورة شرط من شروط الصلاة، فإذا ظهرت بطلت الصلاة، أصله الطهارة، قال القاضي ابن العربي: أما من قال، إن صلاتهم لا تبطل فإنهم لم يفقدوا شرطًا، وأما من قال إن أخذه مكانه صحت صلاته وتبطل صلاة من نظر إليه فصحيحة يجب محوها ولا يجوز الاشتغال بها، وفي البخاري والنسائي عن عمرو بن سلمة قال: لما رجعت قومي من عند النبي ﷺ قالوا قال: «ليؤمكم أكثركم قراءة للقرآن»، قال: فدعوني فعلموني الركوع والسجود، فكننت أصلي بهم وكانت علي بردة مفتوحة، وكانوا يقولون لأبي: ألا تغطي عنا است ابنتك، لفظ النسائي، وثبت عن سهل بن سعد قال: لقد كانت الرجال عاقدي أزهرهم في أعناقهم من ضيق الأزرق خلف رسول الله ﷺ في الصلاة كأمثال الصبيان، فقال قائل: يا معشر النساء، لا ترفعن رءوسكن حتى ترفع الرجال، أخرجه البخاري والنسائي وأبو داود.

الثالثة: واختلفوا إذا رأى عورة نفسه، فقال الشافعي: إذا كان الثوب ضيقًا يزره أو يخلله بشيء لثلا يتجافى القميص فتري من الجيب العورة، فإن لم يفعل ورأى عورة نفسه أعاد الصلاة، وهو قول أحمد، ورخص مالك في الصلاة في القميص محلول الأزرار، ليس عليه سراويل، وهو قول أبي حنيفة وأبي ثور، وكان سالم يصلي محلول الأزرار، وقال داود الطائي: إذا كان عظيم اللحية فلا بأس به، وحكى معناه الأثرم عن أحمد، فإن كان إمامًا فلا يصلي إلا برداته؛ لأنه من الزينة، وقيل: من الزينة الصلاة في النعلين، رواه أنس عن النبي ﷺ ولم يصح، وقيل: زينة الصلاة رفع الأيدي في الركوع وفي الرفع منه، قال أبو عمر: لكل شيء زينة وزينة الصلاة التكبير ورفع الأيدي، وقال عمر ﷺ: إذا وسع الله عليكم فأوسعوا على أنفسكم، جمع رجل عليه ثيابه، صلى

في إزار ورداء، في إزار وقميص، في إزار وقباء، في سراويل ورداء، في سراويل وقميص، في سراويل وقباء وأحسبه قال: في تبان وقميص في تبان ورداء، في تبان وقباء، رواه البخاري والدارقطني.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة، فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوعة وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلاً وشرعاً، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الرصا؛ لأنه يضعف الجسد ويميت النفس، ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع وتدفعه العقل، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من زهد؛ لأن ما حرّمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر ثواباً وأعظم أجراً، وقد اختلف في الزائد على قدر الحاجة على قولين: فقيل حرام، وقيل مكروه، قال ابن العربي: وهو الصحيح، فإن قدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والأزمان تفسير القرطبي والأسنان والطعمان، ثم قيل: في قلة الأكل منافع كثيرة، منها أن يكون الرجل أصح جسماً وأجود حفظاً وأزكى فهماً وأقل نوماً وأخف نفساً، وفي كثرة الأكل كظ المعدة وتنن التخمّة، ويتولد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل الأكل، وقال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء، وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى بياناً شافياً يغني عن كلام الأطباء فقال: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلت ل طعامه وثلت لشرابه وثلت لنفسه»، خرجه الترمذي من حديث المقدم بن معدي كرب، قال علماؤنا: لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة، ويذكر أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان، فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا، فقال له: ما هي؟ قال قوله ﷺ: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب، فقال علي: جمع رسول الله ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة، قال: ما هي؟ قال: «المعدة بيت الأدوية والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسد ما عودته»، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبياً، قلت: ويقال إن معالجة المريض نصفان: نصف دواء ونصف حمية: فإن اجتمعا فكأنك بالمريض قد برأ وصح، وإلا فالحمية به أولى، إذ ينفع دواء مع ترك الحمية، ولقد تنفع الحمية مع ترك الدواء، ولقد قال رسول الله ﷺ: «أصل كل دواء الحمية»، والمعنى بها والله أعلم، أنها تغني عن كل دواء، ولذلك يقال: إن الهند جل معالجتهم الجمية، يمتنع المريض عن الأكل والشراب والكلام عدة أيام فيبرأ ويصح.

الخامسة: روى مسلم عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معى واحد»، وهذا منه ﷺ حض على التقليل من الدنيا والزهد فيها والقناعة بالبلغة، وقد كانت العرب تمتدح بقلّة الأكل وتذم بكثرتها، وقالت أم زرع في ابن أبي زرع: ويشعه ذراع الجفرة، وقال حاتم الطائي يذم بكثرة الأكل: وقال الخطاب: معنى قوله ﷺ: «المؤمن يأكل في معى واحد» أنه يتناول دون شبعه، ويؤثر على نفسه ويبقي من زاده لغيره،

فيقنعه ما أكل، والتأويل الأول أولى والله أعلم، وقيل في قوله ﷺ: «والكافر يأكل في سبعة أمعاء» ليس على عمومته؛ لأن المشاهدة تدفعه، فإنه قد يوجد كافر أقل أكلاً من مؤمن، ويسلم الكافر فلا يقل أكله ولا يزيد، وقيل: هو إشارة إلى معين، صاف النبي ﷺ ضيف كافر يقال: إنه الجهجاه الغفاري، وقيل: ثمامة بن أثال، وقيل: فضلة بن عمرو الغفاري، وقيل: بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فشرّب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم فشرّب حلاب شاة فلم يستمه، فقال النبي ﷺ ذلك، فكانه قال: هذا الكافر، والله أعلم، وقيل: إن القلب لما تنور بنور التوحيد نظر إلى الطعام بعين التقوى على الطاعة، فأخذ منه قدر الحاجة، وحين كان مظلماً بالكفر كان أكله كالبيمة ترتع حتى تلتط، واختلف في هذه الأمعاء، هل هي حقيقة أم لا؟ فقيل حقيقة، ولها أسماء معروفة عند أهل العلم بالطب والتشريح، وقيل: هي كنيات عن أسباب سبعة يأكل بها النهم: يأكل للحاجة والخبر والشم والنظر واللمس والذوق ويزيد استغناءً، وقيل: المعنى أن يأكل أكل من له سبعة أمعاء، والمؤمن بخفة أكله يأكل من ليس له إلا معى واحد، فيشارك الكافر بجزء من أجزاء أكله، ويزيد الكافر عليه بسبعة أمثال، والمعنى في هذا الحديث هو المعدة.

السادسة: وإذا تقرر هذا فاعلم أنه يستحب للإنسان غسل اليد قبل الطعام وبعده، لقوله ﷺ: «الوضوء قبل الطعام وبعده بركة»، وكذا في التوراة، رواه زاذان عن سلمان، وكان مالك يكره غسل اليد النظيفة، والاعتداء بالحديث أولى، ولا يأكل طعاماً حتى يعرف أحاراً هو أم باردًا؟ فإنه إن كان حارًا فقد يتأذى، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أبردوا بالطعام فإن الحار غير ذي بركة» حديث صحيح، وقد تقدم في البقرة ولا يشمه فإن ذلك من عمل البهائم، بل إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه، ويصغر اللقمة ويكثر مضغها لئلا يعد شرها، ويسمي الله تعالى في أوله ويحمده في آخره، ولا ينبغي أن يرفع صوته بالحمد إلا أن يكون جلساؤه قد فرغوا من الأكل؛ لأن في رفع الصوت منعا لهم من الأكل، وآداب الأكل كثيرة، هذه جملة منها، وسيأتي بعضها في سورة هود إن شاء الله تعالى، وللشراب أيضا آداب معروفة، تركنا ذكرها لشهرتها، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشمال ويشرب بشماله».

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرَفُوا﴾ أي: في كثرة الأكل، وعنه يكون كثرة الشرب، وذلك يثقل المعدة، ويثبط الإنسان عن خدمة ربه، والأخذ بحظه من نوافل الخير، فإن تعدى ذلك إلى ما فوقه مما يمنعه القيام الواجب عليه حرم عليه، وكان قد أسرف في مطعمه ومشربه، روى أسد بن موسى من حديث عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أكلت ثريدًا بلحم سمين، فأثبت النبي ﷺ وأنا أتجشئ، فقال: «اكف عليك من جشائك أبا جحيفة فإن أكثر الناس شبعوا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة»، فما أكل أبو جحيفة بملء بطنه حتى فارق الدنيا، وكان إذا تغدى لا يتعشى، وإذا تعشى لا يتغدى، قلت: وقد يكون هذا معنى قوله ﷺ: «المؤمن يأكل في معى واحد» أي التام الإيمان؛ لأن من حسن إسلامه وكمل إيمانه كأبي جحيفة تفكر فيما يصير إليه من أمر الموت وما بعده، فيمنعه الخوف والإشفاق من تلك الأهوال من استيفاء شهواته، والله أعلم،

﴿قُلْ﴾ [الأعراف: 32] إنكارًا عليهم ﴿مَنْ حَزَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس في الطواف ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة، بالرفع لنافع والباقون بالنصب للمؤمنين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ في الآية دليل على أن الدنيا خلقت للمؤمنين ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إنها الحق من ربهم فيتبعون ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ [الأعراف: 33] هي كل معصية كالزنا، ومنها طواف رجال العرب بالبيت عراة نهارًا، أو الزنا؟ قولان، أقربها الأول ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالْأَنَّمِ﴾ كل ذنب، وقيل: المراد به الخمر ﴿وَالْبَغْيِ﴾ على الخلق ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ﴾ يائزله ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من تحليل شيء وتحريم آخر بالرأي ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف: 34] وقت لتزول العذاب وانتهاء رزقهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأعراف: 35] هل هم جميع الرسل لأنهم من البشر، أو المراد ببني آدم العرب وبالرسل محمد ﷺ جمعه؛ لأنه أعظم الرسل؟ قولان، أقربها الأول ﴿يَقْضُونَ﴾ يتلون ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ فرائضي وأحكام ديني ﴿فَمَنْ اتَّقَى﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ [الأعراف: 36] تكبروا وطلبوا الكبر لامتناعهم من الحق فلم يرضوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * ﴿فَمَنْ﴾ [الأعراف: 36 - 37] أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بالشرك والولد ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالقرآن ﴿أُولَئِكَ يَتْلَاهُمْ نَصِيحُهُمْ﴾ يصل إليهم حظهم ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ من اللوح المحفوظ من العذاب والرزق والأجل وأعمالهم التي كتبت وغير ذلك

وقال ابن زيد: معنى ﴿وَلَا تُشْرَفُوا﴾ لا تأكلوا حرامًا، وقيل: «من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت»، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ خرج ابن ماجه في «سننه»، وقيل: من الإسراف الأكل بعد الشبع، وكل ذلك محظور.

﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ اقتربت آجالهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أعوان ملك الموت ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم ﴿قَالُوا﴾ لهم تبيكتنا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مَنْ ذُوْنِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ ذهبوا أي: غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ * قال ﴿[الأعراف: 38]﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَّم﴾ أو مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ وهم كفار الأمم الخالية ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَعَنَّتْ أُمَّهَا﴾ في الدين التي قبلها؛ لأنها ضلت بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا آذَرُكُوا﴾ تداركوا وتلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: في النار ﴿قَالَتْ﴾ أخزاهم لأولاهم ﴿أي: آخر من يدخل النار لأول من يدخلها، أو آخر كل أمة لأولها، أو قال الأتباع للمتبعين ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ باتباعنا لهم ﴿فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ و﴿قال﴾ الله تعالى ﴿لِكُلِّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لهم من العذاب، بالخطاب لكل القراء إلا أبا بكر فبالياء.

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمُ لِأَخْرَجْتَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾
 بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِي كَذَّبُوا بَيْنَنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا فَتْحَ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَلَّتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ [الأعراف: ٣٩ - ٤٤].

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمُ﴾ [الأعراف: 39] القادة ﴿لأخزاهم﴾ الأتباع ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ لاستوائنا في الكفر فتساوى إذا في العذاب، قال تعالى لهم: ﴿فَذُوقُوا

العَذَابِ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿الأعراف: 39 - 40﴾، تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ أي: الإيمان بها ﴿لَا تُفْتَحُ﴾ بضم التاء من فوق وإسكان الفاء وتخفيف التاء الثانية مفتوحة لأبي عمرو، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالباء من تحت في أوله والتخفيف، والباقون بالتاء من فوق والتشديد ﴿لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي: لأدعيتهم وأعمالهم وأرواحهم إذا ماتوا بل يذهب بها إلى سجين، بخلاف المؤمن فتفتح لها وله ويُصعد بروحه إلى السماء السابعة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ وهو ثقب الإبرة، والمراد: أنهم لا يدخلون أبداً كقولك: لا أفعله حتى يشيب الغراب ويبيض القار، فإنك إذا غلقت بمستحيل دل على الاستحالة المتعلقة به، ويستحيل دخول الجملة على كبره في ثقب الإبرة مع صغره ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: 41] فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ جمع غاشية، يريد ما غشاهم وغطاهم به من العذاب ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل هذا الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَكْفُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأعراف: 41 - 42] طاقتها، وما لا حرج عليها فيه ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَنَزَعْنَا﴾ [الأعراف: 43] أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ غش وحقد وعداوة كانت في الدنيا ﴿نَجْزِي مَنْ تَحْتَهُمْ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ العمل هذا جزاؤه، أو لطرقت منازلنا في الجنة ويعرفونها أعظم مما يعرفون طرق منازلهم في الدنيا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ ياثبات «الواو» قبل «ما» لكل القراء إلا ابن عامر ووافق ذلك مصحفه ﴿لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾، بالصدق ﴿وَتُودُوا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهل هذا النداء عند دخولها، أو عند رؤيتها من بعيد؟ قولان، الأقرب الثاني.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: 44] توبيخاً ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا﴾ صدقاً ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ بفتح العين لكل القراء إلا الكسائي فبكسرهما حيث كان ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ نادى مناد بينهم أي: الفريقين أسمعهم ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، قرأ نافع والبصري وعاصم وقنبل بخلاف عنه «أن» بإسكان النون مخففة ورفع «لعنة»، والباقون بتشديد «أن» ونصب «لعنة».

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا جَبَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُواهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَانِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَفْنَا قَوْمَهُمْ هَذَا يَوْمَهُمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَايُنِنَا يَمْحَدُونَ ﴿٥١﴾ [الأعراف: ٤٥ - ٥١].

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ [الأعراف: 45] يصرفون الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة فيطلبون طريق الله حائدين عن الحق، فيصلون لغير الله ويعظمون غيره ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ * وَبَيْنَهُمَا ﴿الأعراف: 46﴾ أي: الجنة والنار ﴿جَبَابٌ﴾ حاجز، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة سمي بالأعراف؛ لأن أهله يعرفون الفريقين أهل السعادة والشقاوة، وهو جمع عرف يقال للمرتفع ومنه عرف الديك ﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أصحاب الجنة والنار ﴿بِسِيمَانِهِمْ﴾ بياض وجوه أهل الجنة وسواد وجوه أهل النار ﴿وَنَادَوْا﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ قال تعالى: ﴿لَمَّا دَخَلُواهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، أي: في دخولها، قال الحسن: الذي أطمعهم يوصلهم وآخر أمرهم دخول الجنة كما ثبت في السنة، وفي الحديث: «بينما هم كذلك؛ إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم»⁽¹⁾ وهل

(1) ذكره الخطيب الشربيني في «السراج المنير» (1/1039)، وفي تفسير الجلالين معزو للحاكم عن

هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، أو هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم فاستشهدوا، أو قوم ماتوا في الفترة، أو أطفال المشركين، أو هم قوم من أهل الجنة، أو قوم رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر فيحبهم الله حتى يرضى الآخر ثم يدخلهم الجنة على منهما يعرفون ويطلبعون أحوال الفريقين؟ أقوال؟ أبعدها الأخير وأصحها الأول.

﴿وَإِذَا ضَرِفَتْ﴾ [الأعراف: 47] حولت أو وجهت ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ أي: أبصار أهل الأعراف ﴿تَلْقَاءَ﴾ قبال أو جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي النَّارِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ [الأعراف: 48] من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ بإشاراتهم التي كانوا بها في الدنيا ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ جَمْعُكُمْ﴾ في الدنيا المال أو كثرتك ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: واستكباركم عن الإيمان، ويقول أهل الأعراف لأهل النار مشيرين لضعفاء المسلمين الذين في الجنة ﴿أَهْؤْلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: 49] قد قيل لهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وقيل: المعنى أن أصحاب الأعراف لما يوبخون أهل النار يقولون لهم: وأنتم لم تدخلوا الجنة ويقسمون على ذلك، فتقول الملائكة لهم على طريق التوبيخ: أهؤلاء إلى آخره، ثم يأمرهم أصحاب الأعراف يدخلون الجنة.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ [الأعراف: 50]، من الطعام، فإذا سمعوا ذلك ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ [الأعراف: 50 - 51] في الدنيا من تحريم ما لم يأذن لهم في تحريمه وتحليل أشياء كذلك ﴿لَهُمْ وَأَلْبَانًا وَعَرْتُهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ نُنْسَاهُمْ﴾ نتركهم في الحساب ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ بتركهم العمل به ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا

نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مَنِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴿[الأعراف: ٥٢ - ٥٦].

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: 52] أي: أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾ هو القرآن ﴿فَضَلَّانَا﴾ يبيّنه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأعراف: 53] ما ينظرون أي: الكفار ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي: وقوع ما فيه من العذاب والخزي لهم ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ﴾ صدقوا حيث لا ينفعهم ذلك ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ في هذا اليوم ﴿أَوْ﴾ هل ﴿تُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحده الله ونترك الشرك، فقال لهم: لا، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فصاروا هلكى بالعذاب ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من دعوى وشرك.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54] أي: مقدارها إذ اليوم من طلوع الشمس إلى الغروب ولم يكن ثم شمس، ولو شاء خلقهن في لمحة وحكمة العدول عنه ليعلم خلقه الثابت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾⁽¹⁾ هو في

(1) لما ذكر تعالى أشياء من مبدأ خلق الإنسان وأمر نبيه وانقسام إلى مؤمن وكافر وذكر معادهم وحشرهم إلى جنة ونار ذكر مبدأ العالم واختراعه والتنبيه على الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم والقضاء ثم بعد إلى النبوة والرسالة إذ مدار القرآن على تقدير المسائل الأربع التوحيد والقدرة والمعاد والنبوة، وربكم خطاب عام للمؤمن والكافر، وروي بكار ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ ينصب الهاء عطف بيان والظاهر أنه ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وعلى هذا الظاهر فسر معظم الناس وبدأ بالخلق يوم الأحد، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: «خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق

اللغة سرير الملك، وفي الشرع الخلق العظيم المذكور في الستة المحيط بكل مخلوق الذي هو سقف الجنة والاستواء معلوم والكيف مجهول ﴿يُعْشِي﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ويعقوب بضم الياء وفتح العين وتشديد السين مكسورة هنا وفي الرعد، والباقون بإسكان العين وكسر السين مخففة ﴿اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه ويأتي بالنهار على الليل فيذهب الظلمة ﴿يَطْلُبُهُ﴾ أي: الليل النهار والنهار الليل ﴿حَيْثَا﴾ سريعاً إذ كل واحد عقب الآخر بلا مهلة ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ بالرفع لابن عامر، والباقون بالنصب وكذا في النحل ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَالْأَمْرُ﴾ يتصرف في خلقه كيف يشاء والأمر هنا غير

الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بعد العصر إلى الليل»، وقال عدي بن زيد العبادي: قضى لسته أيام خليقته، وكان آخر يوم صور الزجال، وهو اختيار محمد بن إسحاق، قال ابن الأنباري هذا إجماع أهل العلم، وقال عبد الله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد واختاره الطبري بدأ بالخلق يوم الأحد وبه يقول أهل التوراة، وقيل يوم الاثنين وبه يقول أهل الإنجيل، قال ابن عباس وكعب ومجاهد والضحاك مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة ولا فرق بين خلقه تعالى ذلك في لحظة واحدة أو في مدد متوالية بالنسبة إلى قدرته تعالى وإبداء معان لذلك كما زعمه بعض المفسرين قول بلا برهان فلا نسود كتابنا بذكره وهو تعالى المنفرد بعلم ذلك، وذهب بعض المفسرين إلى أن التقدير في قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في مقدار ستة أيام فليست ستة الأيام أنفسها وقع فيها الخلق وهذا كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا؛ لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار وإنما ذهب الذاهب إلى هذا؛ لأنه إنما يمتاز اليوم عن الليلة بطول الشمس وغروبها قبل خلق الشمس والقمر كيف يعقل خلق الأيام والذي أقول: إنه متى أمكن حمل الشيء على ظاهره أو على قريب من ظاهره كان أولى من حمله على ما لا يشمل العقل أو على ما يخالف الظاهر جملة وذلك بأن يجعل قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ظرفاً لخلق الأرض لا ظرفاً لخلق السماوات والأرض فيكون ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مدة لخلق الأرض بتربتها وجبالها وشجرها ومكروها ونورها ودوابها و آدم ﷺ وهذا يطابق الحديث الثابت في الصحيح، وتبقى ستة أيام على ظاهرها من العددية ومن كونها أياماً باعتبار امتياز اليوم عن الليلة بطول الشمس وغروبها وأما استواؤه على العرش فحمله على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرش قوم والجمهور من السلف السفيانان ومالك والأوزاعي والليث وابن المبارك وغيرهم في أحاديث الصفات على الإيمان بها وإمرارها على ما أراد الله تعالى من غير تعيين مراد وقوم تأولوا ذلك على عدة تأويلات.

الخلق؛ إذ هو تصرف في الخلق ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظم وثبت ودام ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ولا يقال مبارك ولا متبارك لعدم التوفيق.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ [الأعراف: 55] تذلاً واستكانة ﴿وُخْفِيَّةً﴾ سراً وهو أفضل من الجهر ورفع الصوت إلا لعذر ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء بالتشدد أو هم من سأل منازل الأنبياء، أو دعا يائماً أو قطعة رحم، أو أراد بالدعاء الرياء والسمعة ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 56] بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِضْلَاحِهَا﴾ بالرسول أو بالقطر؛ إذ المعاصي ترفع الخصب والخير ﴿وَادْعُوهُ﴾ أي: ربكم ﴿خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ثوابه وفضله ﴿قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيْمَنٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَنْقُورِ لَيْسَ بِ ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف: 57 - 61].

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا﴾ [الأعراف: 57] قرأ عاصم هنا وفي الفرقان والنمل بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين؛ أي: مبشرة بالخير والمطر، وحمزة والكسائي وخلف بالنون وفتحها والإسكان وهي الريح الطيبة اللينة، ومنه: ﴿النَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: 3] والباقون بالنون وضمها، وضم الشين؛ أي: متفرقة جمع نشور مثل رسول ورسول، وهي الرياح التي تهب في كل ناحية ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقِنَاهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيْمَنٍ﴾ محتاج إلى الماء ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ أي: بالسحاب أو البلد ﴿الْمَاءَ﴾ المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا

بِهِ ﴿مَنْ كَلَّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ أَي: مثل إخراج الثمرات ﴿يُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ وتؤمنون، وورد أن السماء تمطر ماء الحياة بعد النفخة الأولى فنبئت الناس كالزراع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ [الأعراف: 58] العذب التراب ﴿يُخْرِجُ نَبَاتَهُ﴾ حسناً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ كذلك المؤمن يؤمن بسهولة ﴿وَالَّذِي خَبِثَ﴾ أَي: الأرض الخبيثة النبات ﴿لَا يُخْرِجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ بفتح الكاف لأبي جعفر وكسرهما لمن بقى أي: عسراً بعناء ومشقة ﴿كَذَلِكَ﴾ الكافر لا ينفعه عمله؛ إذ لا يخرج منه إلا بعناء ومشقة، وليس معه إيمان كذلك كما بينا ما ذكر ﴿نُصِرَفُ﴾ نيين ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكِرُونَ﴾ الله فيؤمنون به.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [الأعراف: 59] سمي به لكثرة نوحه على نفسه ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿بِالرَّفْعِ إِلَّا الْكِسَائِيَّ فَبَالَجِرِ﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴿إِنْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ﴾ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿أَي: يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قَالَ الْمَلَأُ ﴿[الأعراف: 60] الأكاير والأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ سموا بذلك؛ لأنهم يميلون الصدور لعظمة شأنهم أو بعظمتهم في الدحافل ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ إما من الرأي أو من رؤية البصر ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يَبِينُ.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: 61] نفاها؛ لأنها أعم من الضلال ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولم يرد عليهم بقوله: بل أنتم ضالون ونحوه؛ تطلقاً وذلك من محاسن الأنبياء.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾
 أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٤﴾
 فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ وَإِلَى عَادٍ لَهَاخُمُ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ

نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً
فَأذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ [الأعراف: 62 - 69].

﴿أَبْلَغَكُمْ﴾ [الأعراف: 62] لأبي عمرو بتخفيف اللام في الموضعين هنا وفي الأحقاف، والباقون بالتشديد في الثلاثة ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ يقال: نصحته ونصحت له، والنصح أن تريد لغيرك من الخير ما تريد نفسك ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوْ عَجِبْتُمْ﴾ [الأعراف: 62 - 63] استفهام توبيخ ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: معكم أو بمعنى منزل على رجل منكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلتَتَّقُوا﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بذلك. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ [الأعراف: 64] من الغرق ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الهدى.

﴿وَ﴾ [الأعراف: 65] أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ سمي أخا؛ لأنه من عشيرتهم، أو لأنه بشر من ولد آدم وكان بينه وبين نوح سبعة آباء، وعاد ثلاث عشرة قبيلة وكانت أموالهم كثيرة وبلادهم بلاد خصب أزيد من غيرها؛ فسلط الله عليهم من آبائهم بعبادتهم الأصنام فصارت مفاوز وكانت بنواحي حضرموت إلى اليمن ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه أو تخافونه فتؤمنون.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 66] قرأ ابن عامر بواو العطف قبل «قال»، والباقون بغير واو ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في رسالتك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَبْلَغَكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 67 - 68] مأمون على الرسالة ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 69] شرف بالرسالة إليكم وتذكير ﴿عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ قوة وطولاً فكان طول أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة، وزيادتهم أما على خلق آبائهم أو على خلق نوح ﴿فَأذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ﴾

نعمه العظمى عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنَبِّئْنَا
بِمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ
وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَدَيْنَاهُ نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ
سُوءِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الأعراف: ٧٠ - ٧٤].

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف: 70] إنكاراً منهم لذلك ﴿ونذراً﴾ نترك
﴿ما كان يعبد آباؤنا﴾ من الأصنام ﴿فأتينا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من
الصادقين﴾ في أنك نبي مرسل ﴿قال قد وقع﴾ [الأعراف: 71] وجب ﴿عليكم من
ربكم رجز﴾ عذاب ﴿وغيض﴾ بالهلاك والخلود في النار ﴿أتجادلونني﴾ تخاصموني
﴿في أسماء سميتموها﴾ أي: سميت بها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿ما نزل الله
بها﴾ أي: بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة ﴿فانتظروا﴾ العذاب ﴿إني معكم من
المنتظرين﴾ ذلك بتكذيبكم فأرسلت عليهم الريح العقيم قال تعالى: ﴿فأنجيناه﴾
[الأعراف: 72] أي: هوداً ﴿والذين معه﴾ من المؤمنين ﴿برحمة منا﴾ فلاحق بمكة بهم
ولم يزلوا بها حتى ماتوا ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ استأصلناهم ﴿وما كانوا
مؤمنين﴾.

﴿و﴾ [الأعراف: 73] أرسلنا ﴿إلى ثمود﴾ كانت مساكنهم الحجاز والشام إلى

وادي القرى ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ وكانوا سألوه آية؛ فأخرج لهم ناقة من هضبة من الأرض ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ دلالة على صدقي فيما ادعيت ﴿فَذَرُوهَا﴾ اتركوها ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ كعقر ونحوه ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ * واذكروا إذ جعلكم خلفاء ﴿الأعراف: 73 - 74﴾ في الأرض ﴿مَنْ بَعْدَ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ مكنكم وسكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا﴾ أماكن عالية تسكنونها من الصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ تسكنونها في الشتاء، وكانوا يفعلون ذلك لطول أعمالهم ﴿فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ نعمه العظمى، واحدها «آلي» بمد الهمزة المفتوحة ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٥) ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِءِ كَفِرُونَ ﴾ (٧٦)

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه ثلاث مسائل: الأولى: قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه محذوف، أي: بوأكم في الأرض منازل ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنون القصور بكل موضع، ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم، وقرأ الحسن بفتح الحاء، وهي لغة، وفيه حرف من حروف الحلق فلذلك جاء على فعل يفعل. الثانية: استدل بهذه الآية من أجاز البناء الرفيع كالقصور ونحوها، وبقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِبَنَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ ذكر أن ابنا لمحمد بن سيرين بنى دارا وأنفق فيها مالا كثيرا فذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال: ما أرى بأسا أن يبني الرجل بناء ينفعه، وروي أنه ﷺ قال: «إذا أنعم الله على عبد أحب أن يرى أثر النعمة عليه»، ومن آثار النعمة البناء الحسن، والثياب الحسنة، ألا ترى أنه إذا اشترى جارية جميلة بمال عظيم فإنه يجوز وقد يكفيه دون ذلك، فكذلك البناء، وكره ذلك آخرون، منهم الحسن البصري وغيره، واحتجوا بقوله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الطين واللبن»، وفي خبر آخر عنه أنه ﷺ قال: «من بنى فوق ما يكفيه جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه»، قلت: بهذا أقول، لقول ﷺ: «وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله عز وجل إلا ما كان في بئان أو معصية»، رواه جابر بن عبد الله وخرجه الدارقطني، وقوله ﷺ: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء» أخرجه الترمذي.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ﴾ أي: نعمه، وهذا يدل على أن الكفار منعم عليهم.

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ آثِنَانَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْكُمْ رَسُولًا لَوْ لَبِثْتُمْ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْمَصْصِيقِ ﴿٧٩﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴿[الأعراف: ٧٥ - ٨١].

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الأعراف: 75] تكبروا ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75 - 76] وكان للناقة يوم تشرب فيه الماء كله ولهم يوم فملوا ذلك.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: 77] العقر قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقراً توسعاً أو لأن تأخر البعير بعقره ثم ينحره ﴿وَعَتَوْا﴾ عاندوا واستكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وعافر الناقة يقال قدار وقتلها بالسيف، وكان معه ثمانية نفس هم الذين قيل فيهم وكان في المدينة تسعة رهط، وأقرهم من بقى ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ آثِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: 78] الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء وكان فيها صوت كل صاعقة تقطعت منها قلوبهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ﴾ باركين على ركبهم موتى أو كالرمل المجمع؛ لأن الصاعقة أحرقتهم.

﴿فَنَوَلَّى﴾ [الأعراف: 79] أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْكُمْ رَسُولًا رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ فلذلك حل بكم ذلك وخاطبهم بعد موتهم كما خاطب النبي ﷺ أصحاب القليب ﴿وَلَوْطًا﴾ [الأعراف: 80] كان ابن أخي إبراهيم عليه السلام بعثه الله تعالى إلى أهل سدوم، وكانوا ينكحون بعضهم، وقيل: لم ينكحوا إلا الغرباء ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ

﴿الْعَالَمِينَ﴾ فأول ما ظهر ذلك فيهم، وقيل: إن إبليس هو الذي علمهم ففعلوا به أولاً ثم استمروا.

﴿إِنكُمْ﴾ [الأعراف: 81]، قرأ المدنيان وحفص إنكم بكسر الألف، وقرأ الآخرون بالاستفهام ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ (٨٦) ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٨٧) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٨٤) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا الْكَيْلَ أَمْثَلُ لَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨٦) [الأعراف: ٨٢ - ٨٦].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الأعراف: 82] بعضهم لبعض ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لوطاً وأتباعه ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ بلدكم ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ﴾ يتنزهون عن أدبار الرجال.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الأعراف: 83] قومه المؤمنين ومنهم ابنته ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقيين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ [الأعراف: 84] بعد أن أسرى لوطاً بأهله ثم بعد إسرائه أمر الله جبريل عليه السلام فأدخل جناحيه تحت مدائنهم فاقتلعها ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصراخ الديكة، ثم جعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل وهو الكبريت والنار، وأدرك امرأة

لوط حجر فقتلها وكانت معه وعدة قومه أربعمائة ألف في خمس قرى، أو أربع فهلكوا أجمعين ﴿فَانظُرْ﴾ تعجيب للسامع من حالهم ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: آخر أمرهم من الهلاك.

﴿و﴾ [الأعراف: 85] أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وكان من ولد إبراهيم، وقيل: من ولد بعض من آمن به ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾ تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿بِعَدِّ إِصْلَاحِهَا﴾ بالرسول ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفساد ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يريدون الإيمان فبادروا إليه ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ أي: على كل طريق ﴿تُوَعَّدُونَ﴾ من آمن بالأذى أو هو نهي عن قطع الطريق والمكس.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾ [الأعراف: 86] تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تطلبون السبيل دينه ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾، بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون السبيل ﴿عَوَجًا﴾⁽¹⁾ بالميل عن الحق وكانوا يقولون لمن يروونه إن شيعتنا كذاب فلا تؤمن به ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ من العدد ﴿فَكَثُرْتُمْ﴾ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴿قَبْلَكُمْ﴾ بتكذيبهم رسلم ومنهم قوم لوط.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِمْ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّعْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾

(1) لما أنكر عليهم كفرهم في أنفسهم وضلالهم، ولم يكتفوا حتى سعوا في إضلال من آمن، أنكر عليهم تعالى ذلك، فجمعوا بين الضلال والإضلال «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها» وصد: لازم ومتعد، يقال: صد عن كذا، وصد غيره عن كذا، وقراءة الجمهور: يصدون ثلاثياً، وهو متعد ومفعوله من آمن، وقرأ الحسن: تصدون من أصد، عدى صد اللزم بالهمز، وهما لغتان.

وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِتَّكُرَ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ [الأعراف: ٨٧ - ٩٢].

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ [الأعراف: 87] به، أي: إن افرقتم فصرتم فرقتين كما ذكر ﴿فَاصْبِرُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم ياهلاك المكذبين وإنجاء غيرهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 88] عن الإيمان ﴿لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لِنَعُوذَنَّ﴾ ترجعن ﴿فِي مَلَّتِنَا﴾ ديننا الذي كنا عليه، خاطبوا لأن شعيباً لم يكن على كفرهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها باستفهام إنكار ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾ [الأعراف: 89] ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع كل شيء علمه، ومنه حالي وحالم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فيما تواعدونا به ثم لما يئس شعيب دعا عليهم فقال: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم أو اقضي ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الحاكمين أو القاضين.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 90] أي: قال بعضهم لبعض ﴿لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ مغبونون ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: 91]، الزلزلة الشديدة، وقيل: باب فتح عليهم من جهنم ﴿فَاصْبِحُوا فِي دَارِهِمْ جَانِمِينَ﴾ * الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن ﴿[الأعراف: 91 - 92] كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا، والمغاني المنازل واحدها «مغني» ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ فانحسر الخسار فيهم فلم تبعد للمؤمنين من قومه.

﴿فَنُؤَلِّقُ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ

فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا
 أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ
 عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ
 أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا
 فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيْنَنَا وَهُمْ
 نَبَاهُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾
 أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴿[الأعراف: 93 - 99]

﴿فَتَوَلَّى﴾ [الأعراف: 93] شعيب أعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ ذاهبًا من بين أظهرهم حتى
 آتاهم العذاب ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا
 ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحزن ويطلق على الصبر أيضًا لكن ليس مراد هنا ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾
 استفهام بمعنى النفي ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ [الأعراف: 94] فكذبوه ﴿إِلَّا
 أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض وسوء الحال ﴿لَعَلَّهُمْ
 يَضَّرَّعُونَ﴾ يتدللون فيؤمنون.

﴿ثُمَّ بَدَلْنَا﴾ [الأعراف: 95] أي: آتيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ الضيق والجذب
 والمرض ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الوسع والخصب والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ أي: كثروا وزادت
 أموالهم يقال عفا الشعر إذا كبر ﴿وَقَالُوا﴾ كفروا للنعمة ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ﴾ أي: ما
 ضرهم ﴿وَالسَّرَّاءُ﴾ أي: ما يسرهم، قالوا: ذلك إشارة منهم إلى أن هذا من عادة الدهر
 وليس من عقاب الله؛ ليدوموا على ما هم عليه قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة من
 ما كانوا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بما نزل عليهم من العذاب ولا بوقت مجيئه قبله ﴿وَلَوْ أَنَّ
 أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ [الأعراف: 96] المكذبين ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَاتَّقَوْا﴾ معاصيه
 ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾
 الرسل ﴿فَأَخَذْنَا هُمْ﴾ عقابناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعملون من الخباث.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ [الأعراف: 97] الذين كذبوا وكفروا وأراد مكة وما حولها

﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ لا يشعرون به ﴿أَوْ آمِنٌ﴾ [الأعراف: 98] يسكون الواو عند المدنيين وابن عامر وابن كثير، والباقون بفتحها ﴿أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهارًا والأشهر استعماله في صدر النهار، وهو وقت انبساط الشمس ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ساهون لاهون ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: 99] أي: جزاؤهم بمكرهم، ومكره استدراجه لهم بالنعم حتى إذا آمنوا أخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِن جَعَلْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ قُرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِيَّيْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ [الأعراف: 100-105].

﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ﴾ [الأعراف: 100] بالنون ليعقوب كما رواه زيد عنه هنا، وفي طه والسجدة حكاه في «المستنير»، والباقون بالياء من أسفل أي: أو لم يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ أي: يأتون فيها ﴿مَنْ بَعْدَ أَهْلِهَا﴾ الذين مضوا عنها ﴿أَنْ﴾ أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من سبقهم ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تقبل خيرًا ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الإيمان ولا يتبعونه والاستفهام للتوبيخ ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ [الأعراف: 101] التي سبق ذكرها من قرى ثمود وعاد ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ أخبار أهلها للاعتبار ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما طبعنا على قلوب الأمم الخالية ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾

عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ أَي: مِمَّنْ أَرْسَلَ لَهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُمْ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمْ فِي عِلْمِهِ أَنْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ ﴿[الأعراف: 102]﴾ أَي: أَكْثَرَ النَّاسِ ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أَي: وَفَاءَ بِمَا أَقْرَأُوا بِهِ وَالتَّزْمُوهُ يَوْمَ الْمِيثَاقِ الْأَوَّلِ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْ صَلْبِ آدَمَ ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ أَي: مَا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ إِلَّا فَاسِقِينَ نَاقِضِينَ الْعَهْدَ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: 103] أَي: الرسل المذكورين ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ السَّعِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ ﴿فَظَلَمُوا﴾ جَعَدُوا ﴿بِهَا﴾ فَوَضَعُوا الْكُفْرَ مَوْضِعَ الْإِيمَانِ ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِالْكَفْرِ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ [الأعراف: 104] لَمَّا دَخَلَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴿يَا فِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَيْكَ؛ فَكَذَّبَ بِهِ فِرْعَوْنَ مُوسَىٰ فِي قَوْلِهِ، فَقَالَ لَهُ: ﴿حَقِيقٌ﴾ [الأعراف: 105] جَدِيرٌ أَوْ حَرِيصٌ ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ آيَةٌ ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾ هِيَ الْعَصَا ﴿فَأَرْسَلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أَي: أَطْلَقَهُمْ لِيَرْجِعُوا إِلَى الْأَرْضِ الْمَقْدَسَةِ، وَكَانَ فِرْعَوْنَ اسْتَحْدَمَهُمْ فِي أَعْمَالِ شَاقَةٍ.

﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٠٦)
 فَأَتَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَزَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِ
 ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا آتِنَا آيَةً وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾
 يَا تُوكُّ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمْوَسَىٰ
 إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا
 سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَبْرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ [الأعراف: ١٠٦ - ١٢٠].

﴿قَالَ﴾ [الأعراف: 106] فرعون لموسى لما قال له ذلك ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيها ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ [الأعراف: 107] هو الذكر العظيم من الحيات ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر ووضعا في غير هذا الموضع بقوله: ﴿كَأَنَّهُا جَانٌّ﴾ [النمل: 10] وهو الحية الصغيرة إشارة إلى خفتها وسرعة حركتها، فما هنا في الحية وذلك في سرعة الحركة، ولما وقع ذلك هاب فرعون وقال له: هل معك آية أخرى قال: نعم ﴿وَتَرَزَعُ يَدَهُ﴾ [الأعراف: 108] أخرجها من تحت جيبه بعد أن أدخلها ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ﴾ مشرقة لها شعاع ﴿لِلنَّاطِرِينَ﴾ مع أنه كان شديد السمرة.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 109] أي: فائق في علم السحر فيأخذ بالأعين ويرى الجماد حيواناً والأسمر أبيض، وفي الشعراء أنه من قول فرعون ولا تناف هذا؛ لأن تقديرهم عليه منه كقوله أو لعلهم اشتوروا ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ [الأعراف: 110] يا معشر القبط ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ مصر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون في أمره ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ [الأعراف: 111] قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر بالهمز وضم الهاء، وقرأ الآخرون بلا همز والمعنى آخره ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون فأشاروا بتأخير أمرهما وترك قتلهما ﴿وَأُرْسِلُ فِي الْمَدَائِنِ﴾ التي في صعيد مصر ﴿حَاشِرِينَ﴾، يجمعون لك الناس.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: 112]، بفضل موسى في علم السحر، قرأ حمزة والكسائي وخلف «ساحر» بوزن فاعل، فقيل: معناها واحد، وقيل: الساحر الذي يعلم السحر ولا يعلمه، والسحار الذي يعلم ويعلم، وقيل: الثاني من يديمه والأول من يكون سحره في وقت دون آخر ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: 113] وكانوا اثنا عشر ألفاً، أو بضعا وثلاثين ألفاً، أو اثنين وسبعين؟ أقوال، ﴿قَالُوا﴾ لفرعون ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ قرأ حفص وأهل الحجاز «إن» على الخير، والباقون على الاستفهام ولا خلاف بينهم أنه مستفهم في الشعراء أي: جعلاً ومالاً ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ﴾ * قَالَ ﴿[الأعراف: 113 - 114] فرعون لهم ﴿نَعَمْ وَإِنكُم مِّنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ في المنزلة العالية عندي مع المال ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنُ ثَلَقِي﴾ [الأعراف: 115] عصاك ﴿وَأِنَّمَا أَنُ نَكُونُ نَحْنُ الْمُثَلَقِينَ﴾ لعصينا وحبالننا.

﴿قَالَ﴾ [الأعراف: 116] موسى ﴿الْقَوَا﴾ أنتم أولاً، وكان ذلك للتوسل به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا الْقَوَا﴾ ما معهم ﴿سَحَرُوا﴾ صرفوا ﴿أَعْيَنَ النَّاسِ﴾ عن حقيقة إدراكها ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفوهم إذ خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ عند من رآه من الناس؛ إذ صارت من أعظم الحيات مع كثرتها ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: 117] فألقاها فصارت حية عظيمة سدت الأفق، ويقال: كان الاجتماع بالإسكندرية فبلغ ذنبها وراء البحيرة، ثم فتحت فاهها ثمانين ذراعاً ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع، رواها حفص بتخفيف القاف ساكنة اللام هنا وطه والشعراء، والباقون بتشديدها وفتح اللام ﴿مَا يَأْكُونُ﴾ يلعبون بالتحايل ويزورون ﴿فَوْقَ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: 118] ظهر وثبت ﴿وَبَطَّلَ مَا كَانُوا﴾ أي: السحرة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في السحر وظهر لهم صدقه بأن عصيهم وحبالهم فقدت، فقالوا: لو كان كاذباً لبقيت ﴿فَعُلْبُوا﴾ [الأعراف: 119] أي: فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: عند ظهور الحق ﴿وَانْقَلَبُوا﴾ ولوا ﴿صَاغِرِينَ﴾ أذلاء مقهورين ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 120] لله تعالى باختيارهم لكن كان بسرعة فكانهم ألقوا.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا ء_Aهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْظَمَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَٰك رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنفَعُ مِنَّا إِلَّا أَتَ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكَ ءِءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَدِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢١ - ١٢٨].

﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ [الأعراف: 121 - 122] إنما

قالوه؛ لأن فرعون ظنهم كانوا برب العالمين عنه؛ فلما آمنوا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [الأعراف: 123] قرأ حفص على اختيار هنا وفي طه والشعراء، وقرأ الباقون بالاستفهام ﴿بِهِ﴾ بموسى ﴿قَبِيلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ﴾ أي: صدقتموه قبل أمري لكم ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي صنعتموه أنتم وموسى ﴿لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر بأن اتفقتم على ذلك قبل مجيئكم ﴿لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني فهددهم بما ذكره بعد من قوله.

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾⁽¹⁾ [الأعراف: 124] أي: من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ * قالوا [الأعراف: 124 - 125] السحرة لفرعون ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ بأي وجه كان بعد موتنا ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ [الأعراف: 126] ما تكره أو تنكر ﴿مِنَّا﴾ أو ما لنا ذنب عندك ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ التي ظهرت على يد موسى ﴿لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا فَأُفْرِغْ﴾ أنزل ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما

(1) قال أنس بن مالك، وجريز بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وابن جبيرة، وعروة: نزلت في عكل وعرينة وحديثه مشهور، وقال ابن عباس فيما رواه عكرمة عنه: نزلت في المشركين، وبه قال: الحسن وعطاء، وقال ابن عباس في رواية والضحاك: نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين الرسول عهد ففقضوه، وأفسدوا في الدين، وقيل: نزلت في قوم أبي بردة هلال بن عامر قتلوا قوماً مزوا بهم من بني كنانة يريدون الإسلام، وأخذوا أموالهم، وكان بين الرسول ﷺ وبين أبي بردة موادة أن لا يعين عليه، ولا يهيج من أتاه مسلماً ففعل ذلك قومه ولم يكن حاضرًا، والجمهور على أن هذه الآية ليست ناسخة ولا منسوخة، وقيل: نسخت ما فعل النبي ﷺ بالعربيين من المثلة، ووقف الحكم على هذه الحدود، ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، لما ذكر في الآية قبلها تغليظ الإثم في قتل النفس بغير نفس ولا فساد في الأرض، أتبعه بيان الفساد في الأرض الذي يوجب القتل ما هو، فإن بعض ما يكون فساداً في الأرض لا يوجب القتل، ولا خلاف بين أهل العلم أن حكم هذه الآية مترتب في المحاربين من أهل الإسلام، ومذهب مالك وجماعة: أن المحارب هو من حمل السلاح على الناس في مصر أو بركة، فكأدهم عن أنفسهم وأموالهم دون ثائرة، ولا دخل ولا عداوة، ومذهب أبي حنيفة وجماعة: أن المحاربين هم قطاع الطريق خارج المصر، وأما في المصر فيلزمه حد ما اجترح من قتل أو سرقة أو غضب ونحو ذلك، وأدنى الحراة إخافة الطريق ثم أخذ المال مع الإخافة، ثم الجمع بين الإخافة وأخذ المال والقتل ومحاربة الله تعالى غير ممكنة، فيحمل على حذف مضاف أي: محاربون أولياء الله ورسوله، وإلا لزم أن يكون محاربة الله ورسوله جمعاً بين الحقيقة والمجاز، فإذا جعل ذلك على حذف مضاف، أو حملاً على قدر مشترك اندفع ذلك، وقول ابن عباس: المحاربة هنا الشرك، وقول عروة: الارتداد، غير صحيح عند الجمهور، وقد أورد ما يطل قولهما.

توعدنا به لثلا نرجع كفارًا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴿[الأعراف: 126 - 127] له ﴿أَنْذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر بالدعاء لمخالفتك ﴿وَيَنْذِرُكَ﴾ يتركك ﴿وَالْهَتَّكَ﴾ فلا يعبدك ولا يعبدوها، وهل كانت آلهة فرعون صنم أو صليب أو بقرة أو الشمس أو أصنام صغار صنعها لهم يعبدونها، وقال: أنا ربكم وربها؛ ولذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24] ﴿قَالَ سَنْقِتُلُ﴾ بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء لكل القراء، إلا المدينيان وابن كثير ففتح النون وإسكان القاف وضم التاء ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي: أبناء بني إسرائيل المولودين ﴿وَنَسْتَحْيِي﴾ نستحيي ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ نتركهم بلا قتل كفعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ غالبون أو قادرون، ففعل بهم ذلك فشكا بنوا إسرائيل.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 128] عند ذلك ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على آذائهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ﴾ أي: أرض مصر أو المراد العموم ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ النصر والظفر أو العاقبة المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله⁽¹⁾.

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا

(1) انظر في هذه الآية إلى جميل أدب سيدنا موسى ﷺ كيف علم قومه معاملة طريق الله أمرهم بالالتجاء إليه والاستعاذة به والاستغاثة به في تحمل مشقة الصبر ووجدان حسن الرضا في البلاء، وأخبرهم أن مَنْ كان بالله صبر يكون مظفرًا على جميع المراد ويكون خليفة الله في أرضه.

قال أبو عثمان: مَنْ استعان بالله في أمره، وصبر على ما يلحقه في مسالك الاستعاذة، أتاه الفرج من الله، قال الله استعينوا بالله واصبروا.

وَكَاثُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف: ١٢٩ - ١٣٣].

﴿قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ [الأعراف: 129] وذلك لأن فرعون في العام الذي قبل ولادة موسى فيه كان يقتل أبناءهم ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بوعد فرعون لنا بالقتل ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِذْوُكُمْ﴾ فرعون وقومه ﴿وَيَسْخَلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها وكان كذلك، وأهلك الله فرعون وقومه وملك مصر لبني إسرائيل فأسرفوا وكفروا بعبادة العجل.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: 130] قومه ﴿بِالسِّنِينَ﴾ القحط والجذب ﴿وَنَقَصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ الغلال بالآفات والعاهات الأول لأهل البوادي والثاني لأهل الأمصار ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ [الأعراف: 131] الخصب والعافية ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي: نحن مستحقوها على عادتنا القديمة أو لم ينسبها فضل الله تعالى ولم يشكروه ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جذب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ ممن آمن من قومه أي: يقولوا ما أصابنا البلاء إلا منذ رأيناهم ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ شوْهمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ منه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إن الذي أصابهم من الله.

﴿وقالوا﴾ [الأعراف: 132] يعني: القبط لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ علامة ومعجزة ﴿لِتَسْحَرَنَا﴾ لتقلبنا عن ديننا ﴿بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين فدعا عليهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133] هل هو ماء حتى ماتوا فيه، أو دخل إلى بيوتهم ودخل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام، أو الموت أو أمر طاف بهم من الله، أو مطر عظيم؟ أقوال، الثالث منها لابن عباس ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم وثيابهم ومسامير أبوابهم وكل شيء ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ هل هو المعروف أو سوس الحنطة أو البراغيث أو القراد أو دواب صغار سود؟ أقوال، فتبع ما أكل الجراد ﴿وَالصَّفَادِعَ﴾ فملأت فروشهم وأوعيتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ فانقلبت مياههم دمًا حتى كانت الإسرائيلية تدخل الماء في فمها ثم تدخله في فم القبطية فيخرج إلى فمها دمًا بعد إن كان في فم الإسرائيلية على حاله وكذا لو شربا من إناء واحد ﴿آيَاتٍ مُفْصَّلَاتٍ﴾ مبيّنات يتبع بعضها بعضًا وكان كل عذاب يمتد إسبوعًا وبينه وبين الآخر شهر، وقيل: ثمانية أيام ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَاثُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كثيرين الذنوب.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ
لِيَكُفِّرَ عَنْ الرِّجْزِ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٦﴾ فَلَمَّا
كُفِّرْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٧﴾ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٨﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ
الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ
الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ بَجَاهِلُونَ ﴿١٤٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْظُرُونَ
وَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْعِيكُمُ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤ - ١٤٠].

﴿وَلَمَّا وَقَعَ﴾ [الأعراف: 134] أنزل ﴿عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب السابق كالدوم وما
سبقه، وقيل: الطاعون وهو السادس بعد الآيات الخمس فمات به في يوم سبعون ألفاً
﴿قَالُوا﴾ أي: القبط ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ هل معناه بما أوصاك أو
نبأك أو وعدك من إجابة الدعوة بكشف العذاب إن أمنا؟ أقوال ﴿لِيَكُفِّرَ عَنْ الرِّجْزِ
لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلِنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كُفِّرْنَا﴾ [الأعراف: 135] بدعاء
المؤمنين ﴿عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ وهو الغرق في اليم ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾
ينقضون ما عهدوه على صنعهم يصرون على كفرهم ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي
الْيَمِّ﴾ [الأعراف: 136] وهو البحر المالح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ معرضين لا يتدبرونها أو كانوا عن النعمة قبل دخولها ساهين.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف: 137] يتذلون بالاستعباد
وهم بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا﴾ وأراد به أرضاً خاصة بدليل قوله: ﴿الَّتِي
بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بكثرة الأشجار والأنهار، وهل هي الشام أو هي ومصر معها؟ قولان،

أصحهما الثاني ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ وهي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا.....﴾ إلى آخره [القصص: 5] ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على إزاء عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ في أرض مصر من العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَغْرُسُونَ﴾ بينون أو يغرسون من الثمار والأعشاب، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الراء هنا وفي النحل، والباقون بكسرها ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ [الأعراف: 138] عبرنا ﴿بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ أي: بعد غرق فرعون وقومه، وذلك في يوم عاشوراء ﴿فَأَنزَلْنَا﴾ مروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ بكسر الكاف لحمزة والكسائي وخلف بخلاف عنه ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ قيل: كانوا من الكنعانيين الذي أمر موسى بقتالهم وكانت بصورة بقر ﴿قَالُوا﴾ أي: بني إسرائيل ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ منها نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ولم يريدوا عبادته على الحقيقة ولا شكوا في الدين، وإنما أرادوا أشياء يعظم يتقرب بتعظيمه إلى الله، وظنوا أن ذلك لا يضر في الدين لشدة جهلهم فلذلك ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ قابلتم نعمة الله عليكم بما ذكرتكم.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ﴾ [الأعراف: 139] هالك ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ *
 قَالَ ﴿[الأعراف: 139 - 140] موسى ﴿أَعْبَرِ اللَّهُ أُبْغِيكُمْ﴾ أطلب لكم أو أمركم بطلبه ﴿إِلَهِهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانكم.

﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ
 أَبْنَاءَكَ كَمَا وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ كَمَا فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾
 ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً
 وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾
 ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ
 تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ
 لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ
 وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمْوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي
 وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاجِ

مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعَظَةٌ وَنَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَنَسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴿الأعراف: ١٤١ - ١٤٥﴾.

﴿و﴾ [الأعراف: 141] اذكروا ﴿إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ على الخطاب، وقرأ ابن عامر «نجاكم» على أنه موسى، قال لهم: «واذكروا إذ نجاكم الله» وهو كذلك في مصحف الشام ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ ويذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده وهو ﴿يَقْتُلُونَ﴾ بالتشديد لكل القراء إلا نافعاً فبالتحفيف ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحِينُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بِلَاءٍ﴾ أنعام أو ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ المالك لأمركم أو المصلح لكم ﴿عَظِيمٍ﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عن قولكم.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142] نكلمه عند مضيتها بأن يصومها وهي ذو العقدة فصامها، فلما أتمها أنكر خلوف فمه فاستاك، فأمره الله تعالى بعشرة ليكلمه بخلوف فيه، كما قال تعالى: ﴿وَأْتَمَمْنَاهَا بَعَشْرًا﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ أي: وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى﴾ عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة ﴿لَأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفَنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ في خلافك أمرهم بتحمل آذاهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تطع من عصا الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ الذي وعدناه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة كلاماً يسمعه من كل جهة بلا صوت ولا حرف فحصل له شوق لرؤيته تعالى فعنده ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي﴾ نفسك فيه دليل على جواز رؤية الله تعالى في الدنيا ولولا ذلك لم يسألها موسى ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَا فِي الدُّنْيَا وَإِنْ أُمِكنَ ذَلِكَ وَلَا تَطِيقُ ذَلِكَ﴾ ولكن أنظر إلى الجبل جبل الطور الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنْ اسْتَفْرَزَ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَا﴾ أي: تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك، وتعليق الرؤية باستقرار الجبل يدل على جوازها؛ لأنه ممكن والمعلق بالممكن ممكن ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أي: ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالمد والهمز للكسائي وخلف وحمزة هنا وفي الكهف وافقه عاصم في الكهف أي: «أرضاً دكاً»، والباقون بالتنوين من غير مد ولا همز فيهما أي: مستويًا بالأرض.

﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143] مغشياً عليه على الأرض، وقيل: ميتاً ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ من صعقته ﴿قَالَ﴾ منزهاً للحق ﴿سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم

أمر به ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني أو من بني إسرائيل ﴿قَالَ﴾ [الأعراف: 144]، تعالى له: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع؛ إذ كل أمر وحكم هو رسول فيه، وقرأ المدنيان وابن كثير وروح برسالتي ﴿وَبِكَلَامِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لإنعامي بالعمل بذلك.

﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾⁽¹⁾ [الأعراف: 145] التي كتبت فيها التوراة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً﴾ هي التذكير والتحذير مما تخاف عاقبته ﴿وَتَفْصِيلاً﴾ تبييناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ فَعَخَّذَهَا﴾ أي: قلنا خذها ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجهد واجتهاد وعزم القلب المصمم على العمل بها ﴿وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ هل الأحسن ما وجب وما نفى غيره، أو الأحسن الفرائض والنوافل، أو هو أن يحلوا حلالها ويحرموا حرامها

(1) قيل: إن موسى ﷺ صعق يوم الجمعة يوم عرفة وأفاق فيه وأعطى التوراة يوم النحر وظاهر قوله: ﴿وَكُتِبْنَا﴾ نسبة الكتابة إليه، فقيل كتب بيده وأهل السماء يسمعون صرير القلم في اللوح، وقيل: أظهرها وخلقها في الألواح، وقيل: أمر القلم أن يخط لموسى في الألواح، وقيل: كتبها جبريل ﷺ بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر التور ففي هذين القولين أسند ذلك إلى نفسه تشريف إذ ذاك صادر عن أمره، وقيل: معنى ﴿وَكُتِبْنَا﴾ فرضنا كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الضَّمِيمَاتُ﴾ والضمير في ﴿لَهُ﴾ عائد على موسى ﴿الألواح﴾ جمع قلة و«أل» فيها لتعريف الماهية فإن كان هو الذي قطعها وشققها فتكون «أل» فيها للعهد، وقال ابن عطية: عوض من الضمير الذي يقدر وصلة بين الألواح وموسى ﷺ تقديره في ألواحها وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: مأواه، وكون أل عوضاً من الضمير ليس مذهب البصريين ولا يتعين أن يكون عوضاً من الضمير وليس ذلك كقوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ لأن الجملة خبر عن من فاحتاجت الجملة إلى رابط، فقال الكوفيون: «أل» عوض من الضمير كأنه قيل مأواه، وقال البصريون: الرابط محذوف أي هي المأوى له وظاهر الألواح الجمع، فقيل كانت سبعة وروى ذلك عن ابن عباس، وقيل ثمانية ذكره الكرمانى، وقيل: تسعة قاله مقاتل: وقيل: عشرة قاله وهب بن منبه، وقيل اثنان وروى عن ابن عباس أيضاً واختاره الفراء، وهذا ضعيف؛ لأن الدلالة بالجمع على اثنين قياساً له شرط مذكور في النحو هو مفقود هنا، وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وقر سبعين بغيراً يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها سوى أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى، وقد اختلفوا من أي شيء هي فمن ابن عباس وأبي العالية زبرجد، وعن ابن جبير من ياقوت أحمر، وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد من زمرد أخضر، وعن أبي العالية أيضاً من برد، وعن مقاتل من زمرد وياقوت، وعن الحسن من خشب طولها عشرة أذرع، وعن وهب من صخرة صماء أمر بقطعها ولانت له فقطعها بيده وشققها بأصابعه، وقيل: من نور حكاها الكرمانى، والمعنى من كل شيء محتاج إليه في شريعتهم.

ويتدبروا أمثالها ويقفوا عند متشابهها، أو المراد بحسنها وكملها حسن، أو المراد أنهم إذا خيروا بين شيئين إحداهما أحسن يأخذوا به؟ أقوال، أقربها هذا الأخير، وهل كانت الألواح سبعة أو عشرة؟ قولان، وهل كانت خضراً من زبرجد أو من ياقوتة حمراء أو من خشب أو من سدر الجنة؟ أقوال ﴿سَأْرِيكُمْ ذَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه، وهي مصر، قال قتادة وغيره: وقيل المراد مصارع الكفار، وقيل: أراد أنه يدخلهم الشام فيريهم آثار القرون الماضية للاعتبار.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا
كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ
يَرَوْا سَيِّلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ
﴿١٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٧﴾ وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عِجْلًا
جَسَدًا لَهُ خُوَارٌّ أَلَمٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يُدِيرُهُمْ سَبِيلًا أَخْذُوهُ وَكَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ
يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ
إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبًا أَيْفًا قَالَ إِنَّمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى
الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا
يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

[الأعراف: ١٤٦ - ١٥٠].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ [الأعراف: 146] هل هي القرآن، أو التفكير في
المصنوعات الموصل للقدر؟ قولان، أصحابها الثاني ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ﴾ بأن أخذلهم فلا يفكرون فيها فلا يؤمنون؛ لأنني لم أقدر لهم بقول الحق ﴿وَإِنْ
يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ﴾ طريق ﴿الرُّشْدِ﴾ الذي جاء من عند الله بفتح
الراء والشين لحمزة والكسائي وخلف، وبضم الراء وإسكان الشين للباقي ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ

سَيِّلاً ﴿ لَيْسَلُكُوهُ ﴾ ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ ﴾ الضلال ﴿ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ ﴾ أي: اتخاذهم ما ذكر دون الأول ﴿ بَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾ [الأعراف: 146 - 147] البعث وغيره ﴿ حَبِطَتْ ﴾ بطلت ﴿ أَعْمَالُهُمْ ﴾ ما يعملوه في الدنيا من خير كصلة رحم أو صدقة فلا ثواب لهم لانتفاء شرطه ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ ﴾ في الآخرة ﴿ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ من التكذيب والمعاصي أي: لا يجزون إلا ذلك.

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [الأعراف: 148] أي: من بعد ذهابه لميقات ربه ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعله عرس فبقي عندهم، قرأ يعقوب بإسكان اللام وتخفيف الياء، والباقون بكسر اللام وتشديد الياء، وفتح يعقوب الحاء وكسرها حمزة والكسائي وضمها الباقون ﴿ عَجَلًا ﴾ صاغه لهم السامري ﴿ حَسَدًا ﴾ أو صار لحمًا ودمًا ﴿ لَهُ خُوزًا ﴾ صوت يسمع كصوت البقر قلب ذلك بوضع تراب حافر فرس، فرس جبريل في فم العجل إذا أثره حياة ما يوضع فيه أو المعنى اتخذه إلهًا ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ يبين لهم طريقًا فكيف يجعل إلهًا ﴿ اتَّخَذُوهُ ﴾ أي: العجل إلهًا ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ كافرين باتخاذه.

﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأعراف: 149] أي: ندموا على عبادته ﴿ وَرَأَوْا ﴾ علموا ﴿ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾ بها أي: ذهبوا عن طريق الحق بعبادته ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف «ترحمنا» بتاء الخطاب و«ربنا» نصب، والباقون بالياء من أسفل ورفع «ربنا» والمراد يرحمهم بالتوبة عليهم ويغفر لهم عبادة العجل ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ وهذا الندم كان بعد رجوع موسى إليهم فقبل ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ ﴾ [الأعراف: 150] من جهتهم ﴿ أَسْفًا ﴾ حزينا حزنا شديدًا ﴿ قَالَ ﴾ لهم ﴿ بِئْسَمَا ﴾ أي: بئس خلافة ﴿ خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ أي: بعد ذهابي خلافتكم هذه، حيث كفرتم بإشراككم، يقال: خلفه بخير أو شر إذا فعل بأهله بعده أحدهما ﴿ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ يقال: عجل عن الأمر إذا تركه تامًا غير ناقص والأمر انتظار موسى مع حفظ عهده وما وصاهم به مدة الأربعين ﴿ وَالْقَى الْأُلُوْحَ ﴾ التي فيها التوراة كان حاملاً لها فألقاها على الأرض غضباً لربه فتكسرت ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ ﴾ بذوآبتيه بيمينه وبلحيته بشماله ﴿ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ وكان ذلك من شدة غضبه وظن أن هارون فرط ﴿ قَالَ ﴾ أي: هارون ﴿ ابْنُ أُمِّ ﴾ قرأ الكسائي وخلف وأبو بكر وابن عامر هنا

وفي طه بكسر الميم يريد: «ابن أمي»، وقرأ الباقون بالفتح وخصها مع كونه شقيقاً للتعطف والترحم ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي﴾ أي: عبدة العجل ﴿وَكَاذِبُوا يَفْتُلُوْنِي﴾ أي: هموا بذلك وقاربوه ﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾ تفرح ﴿بِئِي الْأَعْدَاءِ﴾ بفعلك ما هو مناهم من استهانة بي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتَّهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ إِذْ هِيَ إِلَّا فَنَنكَرُ نُنْصَلُ بِهَا مَن نَّشَاءُ وَتَهْدِي مَن نَّشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَكَتُبْنَا لَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ قَال عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْ بِهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴿الأعراف: ١٥١-١٥٦﴾.

فلما اعتذر له ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ﴾ [الأعراف: 151] ما صنعت ﴿لِي وَ لِأَخِي﴾ فأرضى أخاه وأظهر للأعداء رضاه عنه دفعاً للشماتة ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ [الأعراف: 152] إِلَيْهَا ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ يصل إليهم ﴿غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة، وأخرجوا من ديارهم غرباء أذلاء ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهاهم ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ [الأعراف: 153] رجعوا عنها ﴿مِن بَعْدِهَا﴾

وَأَمَّا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴿١٥٤﴾ أي: بعد التوبة أو السيئات والتوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابَ﴾ [الأعراف: 154] التي كان ألقاها قبل وكان ذهب ستة أسباعها وبقي سبع فيه الأحكام ﴿وَفِي نُحُوتِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِزَجْرِهِمْ يَرْهِبُونَ﴾ يخافون ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: 155] أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالى ﴿لَمِيقَاتِنَا﴾ للوقت الذي وعدنا بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل وقيل كلهم عبدوا فاختارهم؛ ليعتذروا عن أنفسهم وعن غيرهم فخرج ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الصيحة أو الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزيلوا قومهم حين عبدوا العجل ﴿قَالَ﴾ وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة، وقيل هم: السائلون فيها وسببه سؤالهم رؤية الله جهرة قال: ﴿رَبِّ﴾ مالك أمري ومصلحه ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: قبل عبادة العجل، أو قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني وهو أنسب ﴿وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطف ﴿إِنَّ هِيَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك واختبارك ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ إضلاله فيقع فيها ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هدايته فيتجنبها ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا﴾ ناصرنا على عدونا وحافظنا ﴿فَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ * وَاكْتُبْ [الأعراف: 155 - 156] أوجب ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَاهَا﴾ تحركنا أو جئنا أو آتينا أو رجعنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ تعالى ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذبيه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ عمّت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ البر والفاجر في الدنيا وتختص في الآخرة بالمؤمنين ﴿فَسَاكُتْهَا﴾ أي: أجعلها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولما نزلت ظنوا أنها لهم فخصص الله ذلك بهذه الأمة.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ

مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ [الأعراف: ١٥٧ - ١٥٩].

فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 157] الذي لا يحسن الخط ولا الكتاب محمد ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان وكل خير ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو الشرك وكل شر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرم في شرعهم أو مما حرموه على أنفسهم في الجاهلية من الحام ونحوه ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ كالميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ بالافراد إلا ابن عامر فبالجمع أي: أثقالهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الأثقال أو الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على بني إسرائيل قتل النفس في التوراة وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ في الحروب ﴿وَاتَّبَعُوا التَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ﴾ وهو القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * قل ﴿[الأعراف: 157 - 158] خطاب للنبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وهذه من خصائصه إذا كان النبي يبعث لقومه خاصة ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ وهي ما نزل عليه وعلى من سبقه من الرسل ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: الرسول ﷺ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون.

﴿وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: 159] جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس إلى الله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بكلمته ﴿وَبِهِ﴾ أي: بالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ في أمورهم وأحكامهم.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاتِ

وَالسَّلَوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَأَزِيدَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ [الأعراف: ١٦٠ - ١٦٢].

﴿وَقَطَعْنَاَهُمْ﴾ [الأعراف: 160] فرقناهم بني إسرائيل ﴿اثنني عشرة أسباطاً﴾ أي: قبائل ﴿أمما وأوحينا إلى موسى إذ استشقاه قومه﴾ في التيه ﴿أن اضرب بعصاك الحجر﴾ فضربه ﴿فانجست﴾ انفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ لكل سبط عين ﴿قد علم كل أناس﴾ سبط منهم ﴿مشرّبهم وظللنا عليهم الغمام﴾ في التيه ﴿وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا ﴿من طيبات﴾ حلالات ﴿ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يرجعون وبال ذلك إليهم.

﴿و﴾ [الأعراف: 161] اذكر ﴿إذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ بيت المقدس ﴿وكلوا منها حيث شئتم وقولوا﴾ أمرنا ﴿حطةً وادخلوا الباب﴾ أي: باب القرية ﴿سجداً نغفر لكم خطيئاتكم﴾ بجمع تكسير لأبي عمرو ولابن عامر «خطيتكم» بالافراد ورفع الباء، والباقون «خطياتكم» بجمع السلامة والمدنيان ويعقوب برفع الياء والباقون بكسرها ﴿سنزيد المحسنين﴾ أي: على ما ذكر من الخيرات بالطاعة ثواباً ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون﴾.

﴿وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكز ولعلمهم

يَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ
قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبَّكَ لِيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٧].

﴿وَأَسْأَلُهُمْ﴾ [الأعراف: 163] سؤال توبيخ ﴿عَنْ﴾ أهل ﴿الْقَرْيَةِ﴾ هل هي طبرية الشام أو إيلة بين مدين والطور أو مدين؟ أقوال، أقربها الثاني ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قرية منه راكبة لشاطئه وهو بحر القلزم أي: ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ﴾ سمكهم ﴿يَوْمَ سَبَّيْتَهُمْ شُرْعًا﴾ ظاهرة على الماء متتابعة ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْتَبِشُونَ﴾ لا يعظمون سببهم أي: بقية أيامهم ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا البلاء ﴿تَبْلُوهُمْ﴾ نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: بسبب فسقهم؛ ولما صادوا السمك افرقت القرية أثلاثاً: ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: 164] جماعة ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من أهل القرية لم تصدوا لم تنه نهي ﴿لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ موعظتنا أو قولنا ذلك ﴿مُعَذِّرَةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أي: الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظتهم عذراً إلى الله؛ لثلاث تنسب إلى التقصير في ترك النهي، وقرأ حفص بالنصب ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: فعلناه للقدر وللطمع في تقواهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ [الأعراف: 165] أي: لما ترك أهل القرية ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ من الفرقة الصالحة فلم يرجعوا ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد، قرأ ابن عامر إلا الدجواني عن هشام بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها والمدنيان والمذكور عن هشام مثله إلا أنهم أبدلوا الهمزة ياء، وروى الجمهور عن أبي بكر عن يحيى بن آدم عنه بفتح الباء ثم يأسكانه ثم همزة مفتوحة على وزن فيعل، وروى غيرهم عنه بفتح الباء وكسر الهمزة وياء بعدها على وزن فيعل ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ * ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ [الأعراف: 165 - 166] تكبروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا

لَهُمْ كُوتُوا قِرْدَةً حَاسِيَيْنَ ﴿صَاغِرِينَ فَكَانُوا كَذَلِكَ، وَهَذَا تَفْصِيلٌ لِمَا مَرَّ قَبْلَهُ، وَأَمَّا الْفِرْقَةُ السَّاكِتَةُ فَلَمْ تَهْلِكْ؛ لِأَنَّهَا كَرِهَتْ مَا فَعَلُوهُ، وَقَالَتْ: ﴿لِمَ تَعْظُونَ...﴾ إِلَى آخِرِهِ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرَمَةُ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ [الأعراف: 167] تَفْعَلُ مِنَ الْإِذَانِ وَهُوَ الْإِعْلَامُ ﴿لِيُنَبِّئَنَّ﴾ أَي: لِيَسْلُطَنَّ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أَي: الْيَهُودَ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يُسْأَلُهُمْ﴾ يَكْلِفُهُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدَّهُ بِالذَّلِّ وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ سَلِيمَانَ وَبَعْدَهُ بَخْتَنْصَرَ فَقَتَلَهُمْ وَسَبَّاهُمْ وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ فَكَانُوا إِلَى الْمَجُوسِ حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ فَضَرَبَهَا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ عَصَاهُ ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

﴿وَقَطَعْتُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُ مَا يَأْخُذُونَ أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَارِ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُنَبِّئُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُتَظَلِّمُونَ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف: ١٦٨ - ١٧٣].

﴿وَقَطَعْنَا مِنْهُمُ الْأَرْضَ﴾ [الأعراف: 168] رَزَقْنَاهُمْ وَفَرَقْنَاهُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾ فَرَقًا ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ مَنْ أَدْرَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَمِنَ بِهِ وَمِنْهُمْ نَاسٌ ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ وَهُمْ مَنْ بَقِيَ عَلَى الْكُفْرِ ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ﴾ اخْتَبَرْنَاهُمْ ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ الْخَصْبِ وَالْعَافِيَةِ ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ ضِدَّهَا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَنِ فَسْقِهِمْ ﴿فَخَلَفَ مِنْ

بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴿١٦٩﴾ [الأعراف: 169] وهم من كان في زمنه ﷺ ولم يؤمن به، والخلف القرن بعد القرن ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة أي: انتقل إليهم عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضٌ﴾ متاع أو حطام ﴿هَذَا الْأَذَى﴾ أي: هذا الشيء الذي من الرشا في الدنيا من حلال وحرام وهو تحقير لما أخذوه، وهو إما من الدنو بمعنى القرب؛ لأنه عاجل، أو من الدناءة ﴿وَ﴾ مع ذلك ﴿يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ لشدة حرصهم على الدنيا الفانية، وليس في كتابهم أن المغفرة للمُصِرِّ ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ أي: ما في الكتاب فلا عذر لهم في الكذب ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنها خير فيؤثرونها على الدنيا استفهام توبيخ وإنكار لأن يكون لهم عقل كامل مع ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ [الأعراف: 170] بكسر السين مخففة بعد ميم ساكنة قبلها ياء مفتوحة لأبي بكر، والباقون بضم وفتح الميم وكسر السين مشددة ﴿بِالْكِتَابِ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ خصت تشريعاً لها؛ لأنها أفضل عبادات البدن ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِحِينَ﴾ * ﴿[الأعراف: 170 - 171] اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا﴾ قلعنا أو رفعنا أو علقنا؟ أقوال متقاربة ﴿الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ وهو كل شيء أظل من سقف ونحوه ﴿وَرَطَّبُوا﴾ علموا ﴿أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم وقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة كما مرّ وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَادْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي: اعملوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ * ﴿[الأعراف: 171 - 172] اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالجمع، وقرأ ابن كثير والكوفيون «ذريتهم» هنا والثاني في الطور وفي يس بلا ألف وفتح التاء وافقهم أبو عمرو في يس، والباقون بألف وكسر التاء في الثلاثة والمعنى أنه أخرجهم من أصلاب آبائهم بعضهم من بعض الأبناء من الآباء على الترتيب كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بإقرارهم بمقتضى قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فأقروا بذلك ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك أما من كلام الله أي: شهدنا عليهم بذلك أو من كلامه إخباراً عنهم بأنهم قالوه أو أنه من كلام الملائكة يعني أنهم لما أقروا أشهد الملائكة، فقالوا: شهدنا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: أشهدهم على أنفسهم لتلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التوحيد أو

الميثاق ﴿عَافِلِينَ﴾ لا نعرفه، وعدم الذكر للميثاق لا يقتضي إسقاط الحجة؛ لأن الصادق إذا أخبر لزم اعتقاد صدقه ولكنه تعالى فعل ذلك لتأكيد إقامة الحجة وكان ذلك قائم مقام ذكره في النفوس.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأعراف: 173] من قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فافتدينا بهم ﴿أَفْتَهَلِكُنَّا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من آباتنا من الشرك، والمعنى أنهم لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إسهادهم السابق.

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِيَةِ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَأَادَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْقَفُولُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٧٤ - ١٨٠].

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ [الأعراف: 174] نبينها مثل ما بينا الميثاق يتدبرونها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ من الكفر إلى التوحيد ﴿وَأَتْلُ﴾ [الأعراف: 175] يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا﴾ أي: من الآيات بأن خرج عنها كما تخرج الحية من جلدها، وهل هو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدى إليه شيء فدعى فانقلب عليه واندلج لسانه على صدره، أو أمية ابن الصلت الشقي، أو راهب بن مسجد الشقاق أو فرعون،

والآيات آيات موسى؟ أقوال، أصحها الأول ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لحقه وأدركه وصار قريباً له أو أتبعه خطواته ﴿فَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الضالين.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ [الأعراف: 176] أي: أعليناه إلى منازل الأبرار الصالحين ﴿بِهَا﴾ بأن نوقفه للعمل ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ مال وسكن ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: الشهوات الدنية الفانية ومال إليها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ رأيه الفاسد في دعائه إليها فوصفناه ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ﴾⁽¹⁾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثُ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾ وليس غيره من الحيوانات كذلك فشابه هذا الكافر الكلب في حالته لاهثاً ذليلاً بكل حال، والمراد الشبيه في الصفة والخسة بقريته قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْضِصْ الْقِصَصَ﴾ أي: هذا وغيره على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ * ساء ﴿[الأعراف: 176 - 177] بس ﴿مَثَلًا الْقَوْمِ﴾ أي: مثل القول ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بالكذب ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ * ولقد ذرأنا ﴿[الأعراف: 178 - 179] خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ وهم الذين حقت عليهم كلمة العذاب فصلوا فلا يؤمنون ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي: لا يعلمون بها خيراً ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ طريق الهدى ودلائل القدرة بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مواعظ القرآن سماع

(1) الحكمة لم يحملها وإن تركته لم يحملها كصفة الكلب إن كان مطروداً لهث وإن كان رابضاً لهث قاله ابن عباس، وقيل: شبه المتهالك على الدنيا في قلقه واضطرابه على تحصيلها ولزومه ذلك بالكلب في حالته هذه التي هي ملازمة له حالة تهيبه وتركه وهي كونه لا يزال لا هنا وهي أحسن أحواله وأرذلها كما أن المتهالك على الدنيا لا يزال تعباً قلقاً في تحصيلها قال الحسن هو مثل المنافق لا ينيب إلى الحق دعي أو لم يدع أعطي أو لم يعط كالكلب يلهث طرداً وتركاً، وفي كتاب «الحيوان» دلت الآية على أن الكلب أحسن الحيوان وأذله لضرب الخسة في المثل به في أحسن أحواله ولو كان في جنس الحيوان ما هو أحسن من الكلب ما ضرب المثل إلا به، قال ابن عطية: وقال الجمهور إنما شبه في أنه كان ضالاً قبل أن يؤتى الآيات ثم أوتيتها أيضاً ضالاً لم تنفعه فهو كالكلب في أنه لا يفارق اللهث في حال حمل المشقة عليه أو تركه دون حمل عليه، وقال السدي وغيره هذا الرجل خرج لسانه على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب، وقال الزمخشري: وكان حق الكلام أن يقال: «ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض» فحططناه ووضعنا منزلته فوق قوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ موقع فحططناه أبلغ حط؛ لأن تمثيله بالكلب في أحسن أحواله وأرذلها في معنى ذلك.

تدبر واتعاط **﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾**⁽¹⁾ في عدم الفقه والبصر والاستماع **﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾** من الأنعام؛ لأن الأنعام لا تقدم على الضار بل يطلب النافع وتهرب من الضار لما خلق الله لها من التمييز وهؤلاء يقدمون على الضار ويتركون النافع **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** عن الحق وعن صلاح أنفسهم وعن آيات الله تعالى.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: 180] التسعة والتسعون وهي تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى **﴿فَادْعُوهُ﴾** سموه **﴿بِهَا﴾** أو سلوه **﴿وَذُرُّوا﴾** اتركوا **﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾** يميلون، قرأه بفتح الباء والحاء حمزة هنا وفي النحل وفصلت وافقه الكسائي وخلف في النحل، والباقون بضم الباء وكسر الحاء في الثلاثة **﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾** بأن يسمعون غيره بها أو يقترحون له أسماء لا يليق به كأبي المسيح ونحوه، أو يشتقون منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله، والعزة من العزيز، ومناة من المنان **﴿سَيُجْزَوْنَ﴾** في الآخرة جزاء **﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾** **﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾** **﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** **﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾** **﴿فِي آيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾** **﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا هَادِي لَهُ﴾** **﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** **﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُنَلِّقُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا نَأْتِيكُم بِإِلَّا بِقَعَّةٍ يَسْتَلُونَكَ﴾**

(1) في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب لتعيش مقصورة عليها، والأنعام جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهي الإبل والشاة أو خاص بالإبل كذا في القاموس **﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾** بل للإضراب وليس إبطالا بل هو انتقال من حكم وهو التشبيه بالأنعام إلى حكم وهو كونهم أضل من الأنعام طريقا فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجهد في جلبها ودعها غاية جهدها وهو ليسوا كذلك وهي بمعزل من الخلود وهم يتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لأنها لا تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه.

كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴿[الأعراف: ١٨١ - ١٨٧].

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ [الأعراف: 181] عصابة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هذا لهذه الأمة فأعطوا ما أعطى من قبلهم وزيادة، والمراد الصحابة والتابعون ومن سلك طريقهم ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: 182] القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ بالنعمة ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه استدراج أو المعنى نجزم قليلاً إلى ما يهلكهم فكلما جددنا نعمة زادوا ويطروا عن الحق حتى هلكوا أو نأخذهم لذلك.

﴿وَأَمْلِي لَهُمْ﴾ [الأعراف: 183] أمهلهم وأطيل مدة عمرهم؛ ليتدادوا في المعاصي ﴿إِنَّ كَيْدِي﴾ أي: أخذي ﴿مَتِينٌ﴾ قوي شديد، وسماه كيد الشبهة به في أنه في الظاهر إحسان والباطن خذلان ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ [الأعراف: 184] محمد ﷺ ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ جنون رد عليهم في قولهم: ﴿لِشَاعِرٍ مُّجْتَوٍ﴾ [الصفات: 36] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185] بيان لما فيستدلوا به على وحدانية الله وقدرته؛ لأنه خالقه ﴿وَفِي﴾ في ﴿أَنْ﴾ أصله وفي أنه: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجْلَهُمْ﴾ موتهم فيموتوا كفاراً يسميرون للنار فيأدرؤا للإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ أي: كتاب ﴿بَعْدَهُ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ * مَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذُرُّهُمْ﴾ [الأعراف: 185 - 186] قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر بالنون، والباقون بالياء، وحمزة والكسائي وخلف بجزم الراء، والباقون بالرفع ﴿فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون حائرین.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [الأعراف: 187] أي: أهل مكة وقيل اليهود ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَاهَا﴾ وقت قيامها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عَلَّمَهَا﴾ متى يكون ﴿عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾ يكشفها ويظهرها ﴿لَوْ قَتَلْتَهَا﴾ أي: فيه ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾ عظمت أو ثقل عليها ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لهولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ أي: مبالغ والسؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿قُلْ لَا أَمْرٌ لِّنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ﴾

الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَقَلَّتْ دَعَا اللَّهُ
رَبَّهُمَا لِنِ آتَيْنَاهُمَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا
لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا
وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ نَدَعُوهُمْ
إِلَى الْهَدْيِ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴿
[الأعراف: ١٨٨ - ١٩٣].

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ [الأعراف: 188] أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أذفعه، نزلت
لأنهم قالوا للنبي ﷺ: ألا يخبرك ربك بالذي يرتفع سعره فشتريه لنريح إذا غلا؟
فأخبرهم: أنه لا يملك لنفسه شيئاً ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما غاب عني
﴿لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ﴾ لاحترازي عنه باجتناّب المضار ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾
[الأعراف: 188 - 189] حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يأنس بها ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾
واقعا وجامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾ عليها وهو النطفة ﴿فَمَرَّتْ﴾ استمرت ﴿بِهِ﴾
ذاهبة جائية لخفته ﴿فَلَمَّا أَقَلَّتْ﴾ بكبر الحمل في جوفها وأشفقا أن يكون بهيمة
﴿دَعَا﴾ أي: آدم وحواء ﴿اللَّهُ رَبَّهُمَا لِنِ آتَيْنَاهُمَا صَالِحًا﴾ أي: بشراً سوياً مثلنا
﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: 190] ولدا ﴿صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ قرأ المديان
بكسر الشين وإسكان الراء منوناً بلا مد ولا همز أي: حظاً ونصيباً مما أعطاهما وهو
التسمية بعبد الحرث، والباقون بضم الشين وفتح الراء والمد أي: جعلوا له شريكاً ﴿فِيمَا
آتَاهُمَا﴾ وكان إبليس لعنه الله يأتي إليهما ويقول لهما: سميها بعبد الحرث ليسهل
خروجه ويعيش فقرهما حتى فعلا ذلك ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه أن يكون
حياة ولدهما على يد غيره وليس ذاك بإشراك في العبودية لعصمة الأنبياء، ولما ولدت
حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميها عبد الحرث فإنه يعيش فسمته

فعاش أو هو عائد على كفار مكة العابدين للأصنام.

﴿أَيُّشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: 191] به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: مخلوقون ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: 192] أي: لعابديهم ﴿نَضْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْضُرُونَ﴾ يمنعون من يريدهم بسوء، والاستفهام للتوبيخ ﴿وَأِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ [الأعراف: 193] أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بفتح الياء وإسكان التاء من فوق وفتح الباء الموحدة لنافع هنا وفي ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 224] في الشعراء، والباقون بفتح الياء والتاء مشددة وكسر الباء الموحدة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ أي: الكفار إلى الهدى ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ ساكتون عن دعائهم فهم لا يؤمنون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١٦) ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾ (١١٥) ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١١٣) ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصِرُونَ﴾ (١١٧) ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١١٨) ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١١٩) [الأعراف: 194 - 199].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ [الأعراف: 194] تعبدون وهم الأصنام ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعائكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة تعبد ثم بين غاية عجزهم وفضل عابدهم عليهم بقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 195] قرأ أبو جعفر بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، والآخرين بكسر الطاء ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكار أي: لا شيء لهم من ذلك فكيف يعبد الكامل ناقصها ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُوا﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنظِرُونَ﴾ تمهلون

فإني لا أبالي بكم.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ [الأعراف: 196] نصري وحافظي ﴿الله﴾ روى السوسي بخلاف عنه «ولي الله» بحذف إحدى اليائين واللفظ بياء واحدة مشددة، واختلف عنه أيضًا في اللفظ بهذا اللفظ فروى جماعة فتح الياء وروى آخرون كسرهما، وعن أبي عمرو والجمهور عنه بياء بين الأولى مشددة مكسورة والثانية مفتوحة خفيفة، وكذا قرأ الباقون ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ أي: ينصرهم، والصالح القائم بحقوق الله وحقوق العباد.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الأعراف: 197] وهو الأصنام ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ إذا عدى أحد عليكم ﴿وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ إذا عدى أحد عليهم فكيف أبالي بهم ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ [الأعراف: 198] أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أيها الناظر، وأراد به المقابلة كالناظر لا حقيقة النظر؛ ولذلك قال: ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ * خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: 198 - 199] من أخلاق الناس ولا تبحث عنها وأعمالهم وهو ما سهل من قبول العذر والعفو ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ وهو كل شيء يعرفه الشرع ومنه لا إله إلا الله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أبو جهل وصحبه نسخت بآية السيف.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠)
 إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ
 ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْفِتْنِ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا
 لَوْلَا آجِبْنَاهَا قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى
 وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ
 بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
 عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٠ - ٢٠٦].

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ [الأعراف: 200] يصيبك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ وسوسة، وقيل:

أدنى الوسوسة أو المعنى عن ما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ استعجر وامتنع به بدفعه عنك ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لاستجارتك ﴿عَلِيمٌ﴾ بحالك ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾ [الأعراف: 201] أصابهم ﴿طَائِفٌ﴾ وسوسة، قرأ المدنيان وابن كثير طيف من غير همز ولا ألف، والباقون بألف بعد الطاء ثم همزة قبل الألف أي: شيء ألم بهم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ طريق الحق فيرجعون.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ [الأعراف: 202] أي: إخوان الشياطين ﴿يُمُدُّوهُمْ﴾ يكون الشيطان لهم مدداً وعوداً قرأ المدنيان بضم الياء وكسر الميم، والباقون بفتح الياء وضم الميم ﴿فِي الْعَيْبِ﴾ الكفر ﴿ثُمَّ لَا يَفْصِرُونَ﴾ يكفون عن الإغواء أو لا يكف الكفار عن الشرك أو لا يكفون عن الإغواء ولا الشياطين من الكفار يكفون عن الشرك ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ [الأعراف: 203] أي: أهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك ﴿قُلْ إِنَّمَا أُتْبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ فلست بمفتعل ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة، والمراد القرآن حجج وبراهين ﴿مِنَ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ * وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا [الأعراف: 203 - 204] عن الكلام نزلت في القراءة في الصلاة أي: إذا قرأ الإمام فلا تقرأوا شيئاً غير الفاتحة بل اسمعوا له هذا أصح معانيها، وقيل: هو أمر بالإنصات في الجمع للخطب أو بالإنصات لكل قارئ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ * وأذكركم ربك في نفسك [الأعراف: 204 - 205] في نفسك أي: سرّاً أو المراد به القراءة في الصلاة أو الدعاء ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذلاً ﴿وَخِيفَةً﴾ أي: خوفاً منه هذا في الصلاة السر ﴿و﴾ فوق السر ﴿دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾⁽¹⁾ هذا في صلاة الجهر أي: لا تجهر جهراً كبيراً في خفض وسكون يسمع ذلك من خلفه فقط ﴿بِالْعُدْوِ﴾ البكر ﴿وَالْأَصَالِ﴾ العشيات، والأصيل لغة ما بين العصر إلى المغرب ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر ربك، وقيل: الآية في مطلق

(1) لما أمرهم تعالى بالاستماع والإنصات إذا شرع في قراءة القرآن ارتقى من أمرهم إلى أمر الرسول * أن يذكر ربه في نفسه أي بحيث يراقبه ويذكره في الحالة التي لا يشعر بها أحد وهي الحالة الشريفة العليا، ثم أمره أن يذكره دون الجهر من القول أي يذكره بالقول الخفي الذي لا يشعر بالتذلل والخشوع من غير صياح ولا تصويت شديد كما تتاجى الملوك وتستجلب منهم الرغائب، وكما قال للصحابة وقد جهروا بالدعاء.

الذكر ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: 206] وهم الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يتزهونه عما لا يليق به بسبحان الله وبحمده ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

سورة الأنفال (1)

مدنية إلا ﴿وإذ يمكر﴾ الآيات السبع فمكية خمس أو ست أو سبع وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

(1) هذه السورة مدنية كلها، قال ابن عباس: إلا سبع آيات أولها ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخر الآيات، وقال مقاتل غير آية واحدة وهي ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزلت في قصة وقعت بمكة ويمكن أن تنزل الآية بالمدينة في ذلك ولا خلاف أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه وقد طول المفسرون الزمخشري وابن عطية وغيرهما في تعيين ما كان سبب نزول هذه الآيات وملخصها: أن نفوس أهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع في نفوس البشر من إرادة الأثرة والاختصاص، ونحن لا نسمي من أبلى ذلك اليوم فنزلت ورضي المسلمون وسلموا وأصلح الله ذات بينهم واختلف المفسرون في المراد بالأنفال، فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وعطاء وابن زيد: يعني الغنائم مجملة قال عكرمة ومجاهد: كان هذا الحكم من الله لدفع الشغب ثم نسخ بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ وقال أبو زيد لا نسخ إنما أخبر أن الغنائم لله من حيث هي ملكه ورزقه وللرسول من حيث هو مبيح لحكم الله والمضارع فيها ليقع التسليم فيها من الناس وحكم القسمة قاتل خلال ذلك، وقال ابن عباس أيضا: ﴿الْأَنْفَالُ﴾ في الآية ما يعطيه الإمام لمن أراد من سيف أو فرس أو نحوه، وقال علي بن صالح وابن جني والحسن: ﴿الْأَنْفَالُ﴾ في الآية الخمس، وقال ابن عباس وعطاء أيضا: ﴿الْأَنْفَالُ﴾ في الآية ما شذ من أموال المشركين إلى المسلمين كالفرس الغائر والعبد الأبق وهو للنبي ﷺ يصنع فيه ما يشاء، وقال ابن عباس أيضا: الأنفال في الآية ما أصيب من أموال المشركين بعد قسمة الغنيمة، وهذه الأقوال الأربعة مخالفة لما تظافرت عليه أسباب النزول المروية والجدد هو القول الأول وهو الذي تظاهرت الروايات به، وقال الشعبي: ﴿الْأَنْفَالُ﴾ الأسرى وهذا إنما هو منه على جهة المثال وقد طول ابن عطية وغيره في أحكام ما ينقله الإمام وحكم السلب وموضوع ذلك كتب الفقه وضمير الفاعل في ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ليس عائداً على مذكور قبله إنما يفسره وقعة بدر، فهو عائذ على من حضرها من الصحابة وكان السائل معلوم معين ذلك اليوم فعاد الضمير عليه والخطاب للرسول ﷺ والسؤال قد يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول فيتعدى إذ ذاك بعن.

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴿[الأنفال: ١-٦].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [الأنفال: 1] يا محمد ﴿عَنِ الْآنْفَالِ﴾ أي: عن حكم الغنائم؛ لأن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا لأننا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا من ورائكم تحت الرايات فلو انكشفتم لفتحتم إلينا فلا تستأثروا بها فنزلت في ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿الْآنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١) بضعاتها فيما شاء ثم بين مصارفها في قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: 41] فهي محكمة، وقيل: كانت أولاً له يضعها كيف شاء ولم يبين له مصرف، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا﴾ ولما نزلت الآية قسمها رسول الله ﷺ على السواء ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: حقيق ما بينكم من المودة وترك النزاع ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 2] أي: الكاملون بالإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ وعيده ﴿وَجِلَّتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ وهي القرآن ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقًا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيفوضون الأمر إليه ويتقون به ويرجونه ولا يتقون بغيره ولا يرجونه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الأنفال: 3] أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في الطاعة ﴿أُولَئِكَ﴾ [الأنفال: 4] الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: كاملون

(1) الأنفال ما هنا ما آل إلى المسلمين من أموال المشركين، وكان سؤالهم عن حكمها، فقال الله تعالى: قُلْ لَهُمْ إِنَّهَا لِلَّهِ مِلْكًا، ولرسوله ﷺ لِحُكْمٍ فِيهَا بما يقضى به أمرًا وشرعًا. قوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: أجيئوا لأمر الله، ولا تطيعوا ذواعي مناكم والحكم بمقتضى أحوالهم، وابتغوا إيثَارَ رِضَاءِ الْحَقِّ عَلَى مَرَادِ النَّفْسِ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَذَلِكَ بِالْإِنْسِلَاحِ عَنِ شُحِّ النَّفْسِ، وَإِثَارِ حَقِّ الْغَيْرِ عَلَى مَالِكُمْ مِنَ النَّصِيبِ وَالْحِظِّ، وَتَنْقِيَةِ الْقُلُوبِ عَنِ خَفَايَا الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ.

الإيمان ﴿حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن في الجنة ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ﴾ [الأنفال: 5] التقدير الأنفال لله وإن كرهوا ﴿رَبِّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ وإن كرهوا، أو امض أمر الله فيها وإن كرهوا ما مضيت أمره في الخروج وإن كرهوا وهذه الحالة في كراحتهم لها مثل إخراجك في حال كراحتهم له، وقد كان خيرًا لهم فكذلك هذا أيضًا فكذلك هذا أيضًا، أو ذلك أن أبا سفيان أقدم بعير من الشام فخرج ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلة مكة ليزبوا عنها وهم النضير، وأخذ أبو سفيان بالبعير طريق الساحل فنجا، فليل لأبي جهل: ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور ﷺ أصحابه، وقال: إن الله وعدني إحدى الطائفتين، فوافقوا على قتال النضير وكره بعضهم ذلك، وقالوا: ألم نستعد له كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ ومنهم أبو أيوب الأنصاري، ومن الذين لم يكرهوا المقداد ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ [الأنفال: 6] وهو القتال ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عيانًا في كراحتهم له⁽¹⁾.

(1) الموت قبل الوصول إلى مكانه، وذلك أن عير قريش فيها أربعون راكبًا وفيهم أبو سفيان أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة، فأخبر جبريل رسول الله - عليهما السلام - فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقاها؛ لكثرة المال وقلة الرجال، فلما خرجوا بلغهم الخبر فبعثوا إلى مكة ضمضم بن عمرو فصرخ ببطن الوادي يا معشر قريش، هذه أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه الغوث الغوث فمضوا إلى بدر، وكان ﷺ بوادي «دقران» فنزل عليه جبريل بعدة إحدى الطائفتين، فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه، فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنما خرجنا للبعير، فقال: إن العير مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله، عليك بالبعير ودع العدو، فغضب ﷺ، فقال المقداد بن عمرو: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فإننا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - مدينة بالجيشة - لجالدنا معك من دونه، فقال ﷺ له خيرًا ودعا له. ثم قال ﷺ أشيروا علي أيها الناس - يريد الأنصار - القائلين له حين بايعوه على العقبة أنهم براء ممن كل ذمامه حتى يصل إلى ديارهم، فتخوف ألا يروا نصره إلا على عدو دهمه بالمدينة، فقال سعد بن معاذ: فكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل، قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما أمرت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخصته لخضنا معك ما تخلف عنك متًا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدًا إنا لصبر عند الحرب وصدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، ففرح رسول الله ﷺ ونشطه قول سعد، ثم قال:

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِيْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٧ - ١٢].

﴿٧﴾ [الأنفال: 7] اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ أي: إما أبا سفيان وأصحابه الذين معهم التجارة، أو أبو جهل وأصحابه الذين وقع معهم الحرب ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾ فرقة أبي جهل أو الشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة العدد والعدد فيها ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ من كفار العرب أي: يستأصلهم فلا يبقى منهم أحد فأمرهم بقتال النصير ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ [الأنفال: 8] وهو دين الإسلام ﴿وَيُبْطِلَ﴾ يمحى ﴿الْبَاطِلَ﴾ وهو دين الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: 9] تستجيرون به من العدو وتسالونه الغوث والنصر ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ المستغيث هو النبي ﷺ في العريش ومعه أبو بكر ﴿أَنِّي

سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني الآن إحدى الطائفتين، فوالله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم، فهذه كراهمتهم للقتال. [تبصير الرحمن 582/1] بتحقيقنا.

مِمْدُكُمْ بِاللِّفِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْدَفِينَ ﴿١٠﴾ بفتح الدال للمدنيين ويعقوب أي: متبعين بالمسلمين مدداً لهم، والباقون بكسر الدال أي: متتابعين بعضهم في أثر بعض وعدهم بها أو لا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 10]، أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً﴾ [الأنفال: 10 - 11] مما حصل لكم من الخوف ﴿مِنْهُ﴾ أي: من الله، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «ويغشاكم» بفتح الياء والشين بألف بعدها و«النعاس» رفع على أنه فاعل، وقرأ المدنيان بضم الياء وكسر الشين مخففة وياء بعدها ونصب «النعاس» أي: يغشيكم الله النعاس وكذا الباقيون إلا أنهم فتحوا الغين وشددوا الشين ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث والجنابة ﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته، وذلك يوم بدر لما غلبهم المشركون على الماء فأصبح منهم المحدث والجنب على كتيب من رمل تسوخ فيه الأقدام، فوسوس لهم الشيطان فقال: تزعمون إنكم على الحق وتضلون على حالكم والماء لأعداءكم فكيف تظنون الظفر عليهم فتزل مطر عظيم وأذهب كيده.

﴿وَلِيُزَيِّطَ﴾ [الأنفال: 11] يحس ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ بالصبر والقوة أو على الكتيب إن تسوخ في الرمل ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ [الأنفال: 12] اليوم ﴿إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَتَثَبُّوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قووا قلوبهم بحضوركم معهم القتال والإعانة والبشرى ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾⁽¹⁾ أعاليها وقيل: أراد الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فسقط قبل أن يصل سيفه إليه ورماهم النبي ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه منها فهزموا.

(1) هذا للمؤمنين أم للملائكة، وقيل: للمؤمنين، أي اضربوا الأعناق، و«فوق» زائدة، قاله الأخفش والضحاك وعطية، وقد روى المسعودي قال قال رسول الله ﷺ: «إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله وإنما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق»، وقال محمد بن يزيد: هذا خطأ، لأن «فوق» تفيد معنى فلا يجوز زيادتها، ولكن المعنى أنهم أبيع لهم ضرب الوجوه وما قرب منها، وقال ابن عباس: كل هام وجمجمة، وقيل: أي ما فوق الأعناق، وهو الرؤوس، قال عكرمة، والضرب على الرأس أبلغ، لأن أدنى شيء يؤثر في الدماغ.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١٣) ﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١٤) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴾ (١٥) ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١٦) ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٧) ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٨) ﴿ إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُنْفَىٰ عَنْكُمْ فَتَنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩) ﴿ [الأنفال: ١٣ - ١٩].

﴿ذَلِكَ﴾ [الأنفال: 13] العذاب الواقع بهم ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿شاقوا﴾ خالفوا ﴿الله ورسوله﴾ ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب * ذلكم﴾ [الأنفال: 13 - 14] أي: العذاب المذكور ﴿فذوقوه﴾ أيها الكفار عاجلاً في الدنيا ﴿وأن للكافرين﴾ في الآخرة ﴿عذاب النار﴾ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ﴿[الأنفال: 14 - 15] مجتمعين متراحمين بعضهم إلى بعض﴾ ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أي: لا تهزموا ﴿ومن يؤلِّمهم يومئذ﴾ [الأنفال: 16] أي: يوم القيامة ﴿دبره﴾ ظهره ﴿إلا متحرفاً﴾ منعطفاً ﴿لقِتال﴾ يرى الانهزام وقصده طلب أن يغرهم ويكر عليهم ﴿أو متحيزاً﴾ منضمًا وصائرًا ﴿إلى فتنه﴾ جماعة من المؤمنين، يريد القتال يستنجد بها ونحوه ﴿فقد باء﴾ رجع ﴿بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ المرجع هي.

﴿فلم تقتلوهم﴾ [الأنفال: 17] أي: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ببدر بقوتكم، نزلت؛ لأنهم لما رجعوا من بدر كان الواحد يقول: أنا قتلت فلانًا، والآخر يقول: قتلت فلانًا ﴿ولكن الله قتلهم﴾ ونسبة القتل إلى الله إما لقتل الملائكة لهم، أو لأنه الفاعل بالحقيقة، ﴿وما رميت﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إذ رميت﴾ بالحصى؛ لأن

كفأ من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بإيصال ذلك إليهم، وقيل: إن النبي ﷺ رمى بثلاث حصيات يوم بدر واحدة في الميمنة، وأخرى في اليسرة، وحصاة بني أظهرهم، وقال: شامت الوجوه فانهم القوم، ولم يبق أحد إلا تشاغل بعينه، ووصلهما الرمي، وفعل الله ذلك ليقهر الكافرين، ﴿وَلِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعطيهم ﴿مِنْهُ بَلَاءٌ﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ بالنصر والغنيمة والثواب الكثير، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكُمْ﴾ [الأنفال: 18] الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو: موهن بتشديد الهاء والتنوين، وخفض كيد، والباقون بالتخفيف والتنوين والنصب.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ [الأنفال: 19] أي: تدعوا أيها الكفار وتطلبوا الفتح؛ أي:

القضاء، حيث قال أبو جهل: اللهم اقطعنا للرحم اجنه على نفسه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل، ومن قتل معه دون الأنبياء والمؤمنين ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وقاتل النبي ﷺ وصحبه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ لحربه ﴿تَعُدُّوا﴾ بمثل الواقعة التي وقعت ﴿وَلَنْ تُغْنِيَّ﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ فَتُكْتَمَ﴾ جماعتكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ﴾ بفتح الهمزة لابن عامر وحفص والمدنيين، والباقون بالكسر ﴿اللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ

تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ إِلَيْكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ النَّاسُ فَتَاوَنَكُمْ وَابْتَدَمَّ بِصُرِّهِ

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [الأنفال: ٢٠ - ٢٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ [الأنفال: 20] تعرضوا عنه ﴿بمخالفة أمره﴾ ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ مواظ القرآن.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21] أي: سمعوا بأذانهم وهم لا يسمعون، فهو سماع كالسماع؛ لانتفاء التدبير والاتعاظ، وهم المنافقون أو المشركون.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ [الأنفال: 22] جمع دابة وهي: كل ما دب على وجه الأرض، عند الله الضم ﴿عن سماع الحق﴾ ﴿البُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وهم نفر من بني عبد الدار، ويلحق بهم من في معناهم.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: 23] صلاحًا بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضًا، بعدما علم أنه لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عنادًا وجحودًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا﴾ [الأنفال: 24] أجبوا ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ أي: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وهو الإيمان والقرآن ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فيمنعه من الإيمان، ويمنعه من الكفر، فكل ميسر لما خلق له ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ [الأنفال: 25] إن أصابكم ﴿لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعم الظالم وغيره، واتقاؤها باجتنباب موجبها ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

﴿وَاذْكُرُوا﴾ [الأنفال: 26] خطاب للمهاجرين من أصحاب النبي ﷺ ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ فِي الْعَدَدِ﴾ ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة في ابتداء الإسلام ﴿تَخَافُونَ أَنَّ يَخْطَفَكُمْ النَّاسُ﴾ أي: يذهب بكم كفار مكة، أو كفار العرب، أو فارس والروم بسرعة ﴿فَأَوَّاكُمْ﴾ المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ قواكم يوم بدر ﴿بِنَصْرِهِ﴾ لكم بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَّهُ وَآتَى اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتِلُواكُ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿[الأنفال: ٢٧ - ٣٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27] وهو ما اتمتمت عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الله نهى عن ذلك، نزلت إمّا لأن بعضهم كان يفشي سرّ رسول الله ﷺ إلى المشركين، أو في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري كان له مال وأولاد عند قريظة فأراد النبي ﷺ أن ينزلهم على حكم سعد بن معاذ فقالوا: أرسل لنا أبا لبابة، فأرسله فاستشاروه فيما بلغهم من النزول على حكم سعد، فأشار إليهم أنه الذبيح؛ لأن عياله وماله فيهم، ثم علم في محله فوراً أنه خان الله ورسوله فتاب وقبل الله توبته.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَّهُ﴾ [الأنفال: 28] بلاء من الله ابتلاكم به ليعلم من يقدم الله على ذلك ممن يقدم ذلك عليه، فهو صاد عن أمر الآخرة إلا في حق من حفظ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن نصح لله ولرسوله وأدى الأمانات فلا تفوتوه رعاية لأحد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29] فاصلاً بين الحق والباطل، أو بينكم وبين من تخافون فتنجوا ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ بمحو ما سلف من ذنوبكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. ﴿و﴾ [الأنفال: 30] اذكر يا محمد ﷺ ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهذا تذكير

لهم وهم بالمدينة لما كان بمكة ﴿لِيُبَيِّنُكَ﴾ يوقفوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ قتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ بهم؛ أي: يجازيهم بمكرهم، أو هو إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي: مكره أنفذ من مكر غيره، نزلت في قوم اجتمعوا في دار الندوة عتبه وشيبة أبناء ربيعة، وأبو سفيان وآخرون، فاستشاروا بعضهم في أمر النبي ﷺ فأشار أبو جهل بأخذ كل فتى من قريش سيفاً، ثم يضربونه به ضربة واحدة، فيذهب ولا يمكن أهله ﷺ أن يقوموا بقتال قريش كلهم فيأخذون الدية، وأشار غيره: تحسبه، وأشار البعض: بإخراجه من مكة، فنجاه الله تعالى من ذلك بأن خرج من مكانه ولم يروه ﷺ.

﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: 31] أي: على كفار قريش ﴿آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا﴾ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴿قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْتِي الْحَيْرَةَ يَتَجَرَّ فَيَشْتَرِي كِتَابَ أَخْبَارِ الْأَعَاجِمِ وَيُحَدِّثُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿إِنَّ﴾ مَا ﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا﴾ أَسَاطِيرَ ﴿الْأُولَىٰ﴾ التي يسطرونها في كتبهم.

﴿وَإِذْ قَالُوا﴾ [الأنفال: 32] قاله النضر أيضاً: ونسبه إلى الكل فيهما؛ لرضاهم به ﴿اللَّهُمَّ إِنَّكَ هَذَا﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمِطْ عَيْنِنَا حِجَارَةَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كما فعل بقوم لوط ﴿أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾ مؤلم مما عذبت به الأمم على إنكاره.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ ⁽¹⁾ [الأنفال: 33] بما سألوه ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عمم، ولم نعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنون منها ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك، وقيل: نسب الاستغفار إليهم؛ لأن المؤمنين المستضعفين بين أظهرهم فلما امتنع العذاب عن الكفار، بسببهم

(1) ولم يحج التركيب، وما كان الله ليمطر أوليائي بعذاب وتقيد نفي العذاب بكيونة الرسول فيهم إعلام بأنه إذا لم يكن فيهم وفارقهم عذبهم ولكنه لم يعذبهم إكراماً له مع كونهم بصدد من يعذب لتكذيبهم، قال ابن عطية عن أبي زيد: سمعت من العرب من يقول ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بفتح اللام وهي لغة غير معروفة ولا مستعملة في القرآن، ويفتح اللام في «ليعذبهم» قرأ أبو السمال، وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بالفتح في لام الأمر في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ وروى ابن مجاهد عن أبي زيد أن من العرب من يفتح كل لام إلا في نحو: الحمد لله، يعني لام الجز إذا دخلت على الظاهر أو على ياء المتكلم والظرفية في فيهم مجاز والمعنى: وأنت مقيم بينهم غير راجل عنهم.

ومنهم من لم يؤمن كأبي جهل والوعيد له ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ يجمعون ويساقون.

﴿لِيُمَيِّزَ﴾ [الأنفال: 37] أي: يكون حسرة ليفصل ﴿اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: فوق بعض ﴿فَيَزَكِّمُهُ جَمِيعًا﴾ يجمعه ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلَئِكَ﴾ أي: المنفقون ليصدوا عن سبيل الله ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: 38] كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِنْ يَتَّبِعُوا﴾ عن الكفر وقاتل النبي ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: مضى من كل ذنب قبل الإسلام ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى كفرهم وقاتلهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ﴾ خلت ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: طريقة ماضيهم من إهلاك الكفار ونصر المؤمنين، فكذلك نفعل بهم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿فَإِنْ أَنتَهُوا فَاتَّكَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْفَتْحِ أَجْمَعِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿إِذْ أَنتُمْ بِالْمُدَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمُدَّةِ الْآخِرَةِ وَالرَّكْبُ أَهْلٌ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ وَلَنَنْزَعْنَكُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأنفال: ٣٩ - ٤٣].

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ [الأنفال: 39] توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وحده ﴿فَإِنْ أَنتَهُوا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء من أسفل لكل

القراء إلا يعقوب فبالتاء من فوق ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم به ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الأنفال: 40] عن الإيمان وعادوا للقتال ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: 41] أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ يأمر فيه بما شاء ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ وسهم الله وسهم الرسول واحد، وكان لرسول الله ﷺ في حياته، وهو من بعده لمصالح المسلمين فيصرف للعلماء والقضاة ونحوهم ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وهم أقارب رسول الله ﷺ أي: وسهم لهم، وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب المؤمنون ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ وهو صغير مسلم لا أب له؛ إذا كان فقيراً ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ جمع مسكين وهو هنا يشمل الفقير ﴿وَإِنَّ السَّبِيلَ﴾ هو الفقير المسافر الذي ليس له مال، والأربعة أخماس الباقية؛ أي: يستحقه النبي والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس، والأربعة أخماس الباقية للجنود الذين شهدوا الواقعة بنية القتال للرجال سهم، وللفراس ثلاثة ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ تقديره: افعلوا ما أمرتم به إن كنتم آمنتم أو المعنى: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا ذلك وآمنتم بكل ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة في الآيات ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ﴾ بدر الفارق بين الحق والباطل يوم ﴿التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع الإسلام وجمع أهل الشرك ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾ [الأنفال: 42] كامنون ﴿بِالْعُدُوَّةِ﴾ بكسر العين فيهما في قراءة ابن كثير والبصريين والباقون بالضم وهي: شط الوادي ﴿الدُّنْيَا﴾ وهي الغرباء من المدينة ﴿وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُضْوَىٰ﴾ البعدى منها مما يلي مكة ﴿وَالرَّكْبُ﴾ غير أبي سفيان وصحبه كامنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ مما يلي البحر فأسفل ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم مع أبي جهل وصحبه للقتال ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ لقتلتكم ولكثرة العدو ﴿وَلَكِنْ﴾ جمعكم الله على غير ميعاد ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في علمه من نصره الدين وخذلان العدو فعل ذلك ﴿لِيَهْلِكَ﴾ يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي: بعد حجة واضحة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَا﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَيٌّ﴾ بياء مشددة لكل القراء إلا أبو بكر ويعقوب وخلف والبزي وابن شنون ﴿عَنْ﴾ قبل والمدنيان بياءين: الأولى مكسورة والثانية مفتوحة على وزن خشبي عن ﴿بَيِّنَةٍ﴾ والمراد: يؤمن من آمن بلا ريبة في أن الإيمان حق ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

واذكر ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ [الأنفال: 43] نومك ﴿قَلِيلًا﴾ فأخبرت به أصحابك فسروا ﴿وَلَوْ أَرَاكُمُ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ﴾ جبتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ في الإقدام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ كم من الأمرين الفصل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما في القلوب.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي لَأَكْتُمُ فَلَئِمَّا تَرَأَيْتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٤ - ٤٨].

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ [الأنفال: 44] أي: وإذ ينصركم إياهم ﴿إِذِ التَّقَيْتُمْ﴾ أي: للحرب ﴿فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ في أعينكم تصديقاً لرؤى رسول الله ﷺ فكانوا قريب ألف وراهم المسلمون نحواً من سبعين أو مائة لتقدموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم حين قالوا: هؤلاء أكلة جزور، وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم ﴿مِثْلِيهِمْ﴾ كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من نصركم وخذلانهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿الْأُمُورُ﴾ في الدنيا والآخرة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ [الأنفال: 45] جماعة من الكفار ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أذعوه بالنصر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون بالنصر.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ [الأنفال: 46] تختلفوا فيما بينكم من أمر الحرب ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ تَجبنوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ نصركم ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴿٤٧﴾ بالنصر والعون.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الأنفال: 47] ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطْرًا﴾ فخزأ ﴿وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ أي: إظهار للجميل مع وجود القبيح باطنياً، حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمر وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان بدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيُضْذَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأنفال: 48] إبليس ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ لأنه أتاهم في صورة سراقه بن مالك سيد تلك الناحية لما أرادوا بدرًا، وأرادوا التخلف لأجل ما بينهم وبين بني بكر من الحرب فشجعهم على لقاء المسلمين ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ أي: مجير لكم من كنانة ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْ﴾ التقت ﴿الْفِئْتَانُ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة، وكانت يده في يد الحارث ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ فرجع الفهقري وولى هاربًا ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان لما قالوا له: أتخذلنا في هذه الحالة؟ ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ قالوا: رأى جبريل متعممًا ماشيًا آخذًا بلجام فرس رسول الله ﷺ ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَالَاءُ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿كَذَابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعْذِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿كَذَابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنفال: ٤٩ - ٥٤].

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الأنفال: 49] ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَوَالَاءُ﴾ المؤمنون ﴿دِينَهُمْ﴾ وقائل ذلك: قوم أسلموا بمكة وكانوا مستضعفين

فلما جاءت وقعة بدر أخرجهم الكفار معهم، فلما رأوا قلة المسلمين ارتدوا وقالوا ذلك ومنهم: قيس بن الوليد بن المغيرة قال تعالى في جوابهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: يتق به يغلب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [الأنفال: 50] أي: تعاین وتشاهد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بتأين في أوله لابن عامر والباقون بناء من تحت ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ أي: يقبضون أرواحهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ما أقبل منهم ﴿وَأَذْبَارُهُمْ﴾ أي: ما أدبر منهم بمقامع من حديد، ويقولون لهم: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار؛ أي: لو رأيت أمراً عظيماً، وهل ذلك يوم بدر يفعلون بها ذلك أو عند انقضاء أجل الكافر؟ قولان: الأول: أقرب.

﴿ذَلِكَ﴾ [الأنفال: 51] أي: الضرب والقول المذكورين ﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بسبب الكفر السابق ﴿وَأَنْ﴾ أي: بأن ﴿اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذی ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾. ﴿كَذَّابٍ﴾ [الأنفال: 52] أي: صنع هؤلاء كصنيع ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أمة نوح ونحوهم ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ [الأنفال: 53] أي: الهلاك لمن ذكر ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ بدلها بالنعمة ﴿حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ يدلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع، وأمنهم من خوف، وبعث النبي إليهم فبدلوا ذلك بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. ﴿كَذَّابٍ﴾ [الأنفال: 54] كعادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ﴾ قوم ﴿فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوَةٍ وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَشْفَقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَم مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن

قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تظَلَمُونَ ﴿٦٠﴾ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ [الأنفال: ٥٥ - ٦١].

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ * الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ
يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ﴿[الأنفال: 55 - 56] عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾
نقض العهد وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله ﷺ أَلَّا يَعِينُوا عَلَيْهِ فَنَكَثُوا وَأَعَانُوا
مَشْرِكِي مَكَّةَ فَلَمَّاهُمْ، فَقَالُوا: نَسِينَا ثُمَّ عَاهَدَهُمْ فَنَكَثُوا وَقَاتَلُوا مَعَهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.
﴿فَإِذَا تَثَقَّفْتَهُمْ﴾ [الأنفال: 57] تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَسَرَدُ﴾ أُنْذِرْ أَوْ نَكُلْ أَوْ
فِرْقٌ ﴿بِهِمْ مِنْ خَلْفَهُمْ﴾ مِنَ الْمُحَارِبِينَ بِالتَّنْكِيلِ بِهِمْ وَالْعَقُوبَةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أَي: الَّذِينَ
خَلَفَهُمْ ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ وَيَعْتَبِرُونَ فَلَا يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ.
﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ﴾ [الأنفال: 58] أَي: تَعْلَمَنَّ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿مَنْ قَوْمٌ خِيَانَةٌ﴾ أَي: مَنْ
مُعَاهِدِينَ نَقَضَ الْعَهْدَ بِمَا يَظْهَرُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَمَارَاتِ كَمَا ظَهَرَ مِنْ قَرِيظَةَ ﴿فَأَنْبِذْ
إِلَيْهِمْ﴾ اطْرَحْ إِلَيْهِمْ؛ أَي: أَعْلَمَهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ قَبْلَ حَرْبِكَ إِيَّاهُمْ ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ مَسْتَوِيًّا
أَنْتَ وَهُمْ فِي الْعِلْمِ بِذَلِكَ؛ لِثَلَا يَتَهَمُوكَ بِالْغَدْرِ إِنْ حَارَبْتَهُمْ بَدُونَ ذَلِكَ.
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ وَلَا يُحْسِنُ﴾ [الأنفال: 59] بِالْبَيَاءِ فِي أَوْلِهِ لِأَبِي جَعْفَرٍ
وَإِبْنِ عَامِرٍ وَحَمْزَةَ وَحَفْصَ وَكَذَا قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةَ فِي النُّورِ وَالْبَاقُونَ بِالْخَطَابِ
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أَي: فَاتُوا اللَّهَ ﴿إِنَّهُمْ﴾ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ لِابْنِ عَامِرٍ ﴿لَا يُعْجِزُونَ﴾ لَا
يَفُوتُونَهُ وَالْبَاقُونَ بِكُسْرِهَا، وَنَزَلَتْ فِي الَّذِينَ انْهَزَمُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَ بَدْرٍ؛ أَي: لَا يَظْنُوا
ذَلِكَ وَلَا تَظُنْ ذَلِكَ.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ [الأنفال: 60] أَي: لِقِتَالِ الْكُفَّارِ ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ مِنْ
الْآلَاتِ الَّتِي تَكُونُ قُوَّةً عَلَيْهِمْ كَالْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ، وَأَعْظَمَ ذَلِكَ الرَّمِي لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّ
الْقُوَّةَ الرَّمِي»^(١) ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ أَي: رِبَطِهَا وَاقْتِنَاؤُهَا لِلْغَزْوِ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ

(1) رواه مسلم (3/1522)، رقم (1917)، وأبو داود (3/13)، رقم (2514)، وابن ماجه (2/940)، رقم

يستحبون ركوب الذكور من الخيل عند الصفوف، وإنائها عند البيات والغارات ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون، وروى رويس ترهبون بتشديد الهاء وفتح الراء قبلها، والباقون بالتخفيف ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿و﴾ ترهبون به ﴿آخِرِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ﴾ غيرهم، وهل هم بنو قريظة أو كل اليهود أو أهل الفارس أو المنافقون أو كفار الجن؟ أقوال: أولها: لمجاهد ومقاتل ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ تنقصون من أجركم شيئاً.

﴿وَأِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: 61] للصلح، وقرأ السلم بالكسر هنا وفي القتال أبو بكر ووافقه في القتال حمزة وخلف، والباقون بالفتح فيهما ﴿فَاجْنَحْ﴾ فمل ﴿لَهَا﴾ وصالحهم، وهي منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] وكل أمر بمصالحة الكفار أو تركهم منسوخ ببراءة قاله ابن عباس، وقال مجاهد: هذا مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَنْ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٦].

﴿وَأَنْ يُرِيدُوا﴾ [الأنفال: 62] الضمير لقريظة ﴿أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ يغدروك بالصلح يستعدوا لك ﴿فَإِنْ حَسِبَكَ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ﴾ أي: قواك ﴿بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ هم الأنصار ﴿وَأَلْفٌ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: الأوس والخزرج بعد الضغائن؛ إذ كانت بينهم حروب في الجاهلية فصاروا إخواناً.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ﴾ [الأنفال: 63] يا محمد ﷺ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 64] ﴿و﴾ حسب ﴿مَنْ اتَّبَعَكَ﴾ وقيل: وحسبك من اتبعك ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت؛ لأن النبي ﷺ آمن معه أربعون تمتهم عمر ابن الخطاب؛ أي: يكفيك ويكفيهم فلا تخافوا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: 65] للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ﴾ رجلاً ﴿صَابِرُونَ﴾ ثابتون ﴿يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ من عدوكم فينهزموا منهم أو يقتلوهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾ صابرة ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الصبر؛ أي: ثوابه وكان ذلك يوم بدر فأوجب فيه على الواحد قتال عشرة فثقل عليهم.

فنسخته لما كثروا إلى بدل أخف بقوله: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: 66] ذلك ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ عنه فقال: عشرة أمثالكم، قرأ عاصم وحمزة وخلف: ضعف بفتح الضاد، والباقون بضمها، وأبو جعفر: ضعفاء بضم الضاد وفتح العين والمد وهمزة مفتوحة؛ أي: قوماً ضعفاء لا يستطيعون ذلك، والباقون بإسكان العين منوناً بلا مد ولا همزة؛ أي: عجزاً عن ذلك ﴿فَإِنْ يَكُنْ﴾ بالتذكير كما قرأه الكوفيون والبصريان، والباقون بالتأنيث، ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء بالتذكير للكوفيين، والباقون بالتأنيث، ﴿مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وأمره ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى لَهُ حَتَّى يُنْجِسَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنْقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٧٠].

﴿ما كان لِنبي أن يكون﴾ [الأنفال: 67] بالياء من أسفل في أوله لأبي جعفر والبصريين، والباقون بالتاء ﴿له أسرى﴾ قرأ أبو جعفر أسارى، والأسارى بضم الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها فيهما ﴿حتى يثخن﴾ أي: يكثر القتل من المشركين ﴿في الأرض تريدون﴾ أيها المؤمنون ﴿عرض الدنيا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿والله يريد﴾ لكم ﴿الآخرة﴾ أي: ثوابها بقتلهم ﴿والله عزيز حكيم﴾.

﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ [الأنفال: 68] في اللوح المحفوظ بحل الغنائم لهذه الأمة ﴿لمسكم﴾ أصابكم ﴿فيما أخذتم عذاب عظيم﴾.

﴿فكلوا مما غنمتم﴾ [الأنفال: 69] من الغنيمة أو الفداء ﴿حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله عفور رحيم﴾ نزلت؛ لأن النبي ﷺ لما أسر الكفار في بدر فداهم كل أسير بأربعين أوقية، والأوقية: أربعون درهماً، وإنما وقع النهي عنه في أول الإسلام لقلّة المسلمين فكان قتل الكفار أولى فلما كثروا نسخه بقوله: ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾ [محمد: 4] وكان أخذه ﷺ للفداء في بدر بمشورة أبي بكر الصديق ﷺ، وكان عمر ﷺ أشار بقتلهم.

﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ [الأنفال: 70] أي: إيماناً بالله ورسوله وإخلاصاً ﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿ويغفر لكم﴾ ذنوبكم ﴿والله عفور رحيم﴾ نزلت في العباس كان معه عشرون أوقية فضاغت في الحرب وأسر في بدر فكلفه رسول الله ﷺ فداء نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، ولم يحسب له ما ضاع منه في الحرب؛ لأنه قال له خرجت تستعين به علينا فقال العباس: يا محمد، تركتني أنكف قريشاً ما بقيت، فأخبره أنه أودع زوجته قبل خروجه من مكة مالاً وكان كذلك، فقال: من أخبرك بذلك قال جبريل فأمن العباس حينئذ وأبدله عشرين عبداً كل عبد معه مال عظيم أقلهم من معه عشرون ألفاً وأعطاه زمزم وقال: ما أود أن لي بها الدنيا.

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَبَالِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفَعَّلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧١ - ٧٥].

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ [الأنفال: 71] أي: الأسارى ﴿خِيَانَتِكَ﴾ قتالك يا محمد ﷺ ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ بيدر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 72] وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ والمهاجرين في المدينة ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والمعونة والإرث، فيرث الأنصاري المهاجر وعكسه، ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ...﴾ [الأنفال: 75] إلى آخر السورة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَبَالِهِمْ﴾ بكسر الواو هنا وفي الكهف الولاية لحمزة ووافقهم خلف والكسائي في الكهف، والباقون بالفتح فيهما ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ لهم على الكفار؛ لأنهم مؤمنون ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: عهد بترك الحرب فلا ينصروهم عليهم وينقضوا عهدهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 73] في العون والنصرة والميراث ﴿إِلَّا﴾ الحربي والذمي بعدم التناصر، وعلم منه ألا إرث بين المسلم والكافر ألا ﴿تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تأخذوا بما أمرتكم ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾⁽¹⁾ بقوة الكفر ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بضعف الإسلام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 74]، والمراد بالآية الأولى هجرة الحبشة، وبالثانية الهجرة إلى المدينة، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ [الأنفال: 75] أي: من بعد هجرته ﷺ إلى المدينة أو بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا﴾ من مكة إليه ﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار؛ أي: لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القربى ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ أو في حكمه، أو المراد آية النساء فلا ميراث بهجرة ولا بنصرة، وإنما سببه نكاح، وإسلام، وولاء، وقرابة كما علم من النساء وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(1) الضمير المنصوب في «تفعلوه» عائد على الميثاق أي على حفظه أو على النصر أو على الإرث أو على مجموع ما تقدم أقوال أربعة، وقال الزمخشري: أي إن لا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة؛ لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً، وقال ابن عطية: والفتنة المحنة بالحرب وما انجز معها من الغارات والجللاء والأسر والفساد الكبير ظهور الشرك، وقال البغوي: الفتنة في الأرض قوة الكفر والفساد الكبير ضعف الإسلام، وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي: كثير بالثاء المثناة وروي أن الرسول ﷺ قرأ: «وفساد عريض».

فهرس المحتويات

3	مقدمة التحقيق
8	الكلام في الاستعاذة
16	ترجمة المصنف
20	نماذج من صور المخطوط
27	مقدمة المصنف
28	سورة الفاتحة
34	سورة البقرة
160	سورة آل عمران
226	سورة النساء
294	سورة المائدة
343	سورة الأنعام
396	سورة الأعراف
455	سورة الأنفال
477	فهرس المحتويات